تفسير القرآن العظيم

للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
علم الدين السخاوي المصري الشافعي رحمه الله
(ت ٦٤٣ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور
موسى علي موسى مسعود
دار العلوم، جامعة القاهرة

الدكتور
أشرف محمد عبد الله القصاص
دار العلوم، جامعة المنيا

الجزء الأول



دار النشر للجامعات
دار ابن حزم

تفسير

القرآن العظيم

١

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

القرآن العظيم

للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
علم الدين السخاوي المصري الشافعي رحمه الله
(ت ٦٤٢ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور
موسى علي موسى مسعود
دار العلوم - جامعة القاهرة

الدكتور
أشرف محمد عبد الله القصاص
دار العلوم - جامعة المنيا

الجزء الأول

دار النشر للجامعات

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، ١١٦٣ – ١٢٤٥م
تفسير القرآن العظيم / لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي؛ تحقيق وتعليق موسى علي موسى مسعود، أشرف محمد عبد الله القصاص. – ط١ – القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٨.
تدمك X ٢٨٠ ٣١٦ ٩٧٧
١ – القرآن – تفسير
أ – مسعود، موسى علي موسى (محقق ومعلق).
ب – القصاص، أشرف محمد عبد الله (محقق ومعلق).
جـ – العنوان ٢٢٧

تاريخ الإصدار: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٦٧٥٧م

الترقيم الدولي: ISBN: ٩٧٧ – ٣١٦ – ٢٨٠ – X

الكود: ٢/٢٠٠



دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ – ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن تفسير السخاوي

١- تفسير القرآن العظيم للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الشهير بعلم الدين السخاوي المصري الشافعي (ت ٦٤٣هـ) رحمه الله .

٢- لعله من أوائل التفاسير التراثية لمفسر مصري إن لم يكن أولها . ولم تسبق طباعته . للبس في نسبته وقد أثبتنا النسبة بأدلة قوية والحمد لله .

٣- تفسير لغوي أثري .

٤- اهتم السخاوي فيه بـ :

* الجانب اللغوي والنحوي وفيه شواهد شعرية كثيرة .

* التفسير بالمأثور (بالقرآن - والحديث - والأثر) .

* ذكر أسباب النزول .

* يتعرض لمسائل فقهية وكلامية وبلاغية بطريقة السؤال والجواب .

٥- جمع الأقوال في تفسير الآية .

٦- يرجح بين الأقوال .

٧- يعتني بالقراءات القرآنية عناية فائقة ويوجهها .

٨- ينبه على المكي والمدني من السور .

٩- متعدد المصادر .

١٠- ينسب الكثير من الأشعار .

١١- خال من الإسرائيليات إلا قليلا .

١٢- يرد على الزمخشري في الآراء الاعتزالية .

للتفسير نسختان :

١- بدار الكتب المصرية - مكتبة أحمد تيمور رقم (١٥٩) عددها ٣٥١ ورقة - كشف الظنون ص ٤٤٨ .

٢- بمكتبة ولي الدين - السليمانية - تركيا - رقم (١١- ١٦٦) - ٦٠٠ ورقة - فهارس آل البيت (١/ ٢٤٨) .

تقديم

للشيخ العلاَّمة عبد السلام بن محمد بن حبوس (رحمه الله)

(عضو المقارئ المصرية ورابطة القراء

ومدرس القراءات وعلم السند بوزارة الأوقاف بدولة الكويت)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، جعل من تيسير فهم القرآن الكريم إعانة على حفظه وحفاظه مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال في كتابه العزيز: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الذى أُنزل عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤] فما أكرم وما أبرك مما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ مما عرفوه ودروه من قدوتهم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، اللهم فصلِّ وسلّم وباركْ وأنعِمْ على هذا النبي الكريم، والرسول السيد السند العظيم، سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن يوم أن أعطت ثمارُ الدعاء المبارك لحبر الأمة الصحابي الجليل ابن عباس- رضي الله عنهما: « اللهمَّ فقِّهْهُ في الدينِ وعلِّمْهُ التأويل »، من يومها وجاء بعد القطر سيل، فجاء مجاهد بن جبر- رحمه الله- بتفسيره وكان من أوثق أصحاب ابن عباس؛ ولذا اعتمد عليه الإمامان الشافعي والبخاري- رضي الله عنهما.

ثم جاء الإمام ابن جرير الطبري و كتب تفسيره بأسانيده عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وعكرمة، والضحاك، وعن جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وابن عمر وغيرهم.

وبعد ابن جرير الطبري اشتهر جماعة من المفسرين منهم أبو الليث السمرقندي والثعلبي والواحدي والماوردي وابن كثير الدمشقي وآخرون ـ رحمهم الله جميعا.

واليوم تُشْرِقُ علينا شَمْسٌ مشرقة الضياء لتفسير آيات الله للحافظ العلامة فريد دهره، ودرة عصره، وقمر المفسرين وإن كثروا بعد ذلك، المفسر الماهر والقارئ المسند أبو الحسن

علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي المتوفى سنة (٦٤٣هـ) رحمه الله تعالى.

أطلعني الشيخان الوقوران من خيرة الأئمة في عصرهما صاحب الفضيلة سعادة الدكتور موسى علي موسى مسعود ، وصاحب الفضيلة سعادة الدكتور أشرف محمد عبد الله القصاص ، والنجيب الأول (الدكتور موسى علي) قد تشرَّفتُ بأن قرأ عليَّ القرآنَ الكريمَ عن ظهر قلبٍ برواية حفصٍ عنْ عاصم ، وحضر معي شرح أصول القراءات السبع من الشاطبية للإمام القاسم بن فيرة - رحمه الله .

اطلعت على عجالة على بعض تحقيقهما لهذا السفر العظيم في تفسير القرآن الكريم وأول ما شدني في مقدمتهما قولهما : « بدأنا العمل في هذا الكتاب منذ ما يزيد على سبع سنوات » وطول المدة خاصة من المتخصصين تستوجب التدقيق والتوثيق ، فكانا كما قالا بحمد الله- تعالى- فخرج الكتاب في صورةٍ مرضية بفضل الله- تعالى- وأعجبني ما كتبا عن فضل التفسير ومكانته ومراتب المفسرين، وما ذكرا من ترجمة للإمام السخاوي ، وعصره ، ومصنفاته القيمة، ومكانته العلمية- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- ثم ذكرا من الأدلة القطعية التي لا تحتمل الرد ما يثبت نسبة التفسير كله لمصنفه السخاوي ، كما اطلعت على الصور المخطوطة لأصل هذا التفسير ، وقرأت مقدمة السخاوي لتفسيره على قلة حروفها وكثرة معانيها .

وبعد :

فإنى أُبشِّرُ الأمةَ الإسلاميةَ بهذا السِّفْر الجليل ، وهذا التفسير العظيم كما ذكره صاحبه ، وأسأل الله - تعالى - أن يجعل هذا العملَ المُضْني الذي بذله المحققان في إخراج هذا الكتاب في ثوبٍ قشيبٍ يغني مَنْ طالعَه عن طلبِ غيرِه ، أسألُ الله- تعالى- أنْ يجعلَ ذلك في صحائفِهما وأنْ يجعلَه خالصاً لوجهه الكريم ، وأنْ يحشرَنا مع أهل التفسير الصادقين ، وأنْ ينوِّرَ قلوبَنا ، وأنْ يجعلَنا وإياهم في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه بقلمه فضيلة الشيخ العلامة عبد السلام بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن حبوس المصري الشافعي (عضو المقارئ المصرية ورابطة القراء).

في الكويت ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠ يونية ٢٠٠٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل كتابه المبين كافلاً ببيان الأحكام ، شاملاً لما شرعه لعباده من الحلال والحرام، مرجعًا للأعلام عند تفاوت الأفهام وتباين الأقدام وتخالف الكلام ، قاطعًا للخصام ، شافيًا للسقام ؛ فهو العروة الوثقى التي من تمسك بها فاز بدرك الحق القويم ، والجادة الواضحة التي من سلكها فقد هدي إلى الصراط المستقيم ، فأي عبارة تبلغ أدنى ما يستحقه كلام الحكيم من التعظيم ، وأي لفظ يقوم ببعض ما يليق به من التكريم والتفخيم .

والصلاة والسلام على من نزل إليه الروح الأمين بكلام رب العالمين محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين ، وعلى آله المطهرين وصحبه المكرمين .

وبعدُ ....

فإنَّ شرفَ العلومِ على قدرِ شرفِ المعلوم ، وإنَّ علمَ كتابِ الله – تعالى- أمتنُ العلوم حبالاً ، وأرسخُها جبالاً ، وأجملُها آثارًا ، وأسطعُها أنوارًا ، وهو العلمُ الذي جُعِل للشرعِ قِوَامًا ، وصارتْ كلُّ العلومِ له خُدَّامًا .

وإنَّ مِنْ أَجَلِّ علومِ القرآنِ ما يُؤدي إلى فهمِ معانيه ، ويكشفُ عن مقاصدِهِ ومراميه ، ويبينُ للناس بعضَ أسرارِه ، ويظهرُ شيئًا من وجوهِ إعرابِهِ وأنوارِه .

من أجل ذلك عقدنا العزم وشحذنا الهمم ـ مستعينين بالله تعالى ـ على تحقيق هذا السفر العظيم في تفسير الذكر الحكيم ، للعلامة الشيخ أبي الحسن علم الدين السخاوي ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وقد بدأنا العمل في هذا الكتاب منذ ما يزيد على تسع سنوات ، كان يتخللها بعض الفتور أحيانا ، وبعض الانشغال في أعمال أخرى ، حتى يسر الله ـ تعالى ـ إتمامه ، وها هو يخرج بفضل الله تعالى في صورة – إن شاء الله تعالى – مرضية لائقة بموضوعه وبمصنفه ؛ ليكون إضافة جديدة مفيدة للمكتبة العربية والإسلامية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وقبل أن نتحدث عن المصنف وتفسيره وقيمته ومنهجه في التفسير نقدم موجزًا عن فضل التفسير ومكانته ومراتب المفسرين فنقول وبالله التوفيق :

يقول الله- عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

قال أبو العالية رحمه الله : الحكمة : الفهم في القرآن . وقال قتادة : الحكمة : القرآن

والفقه فيه . وقال غيره : الحكمة : تفسير القرآن [١] .

وذكر علي بن أبي طالب ﷺ جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم ، فقال له رجل : جعلت فداك ، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت ؟ فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [٢] .

وقال الشعبي : رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية ، فقيل له : إن الذي يفسرها رحل إلى الشام ، فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها [٣] .

وقال إياس بن معاوية : مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب [٤] .

وقال مجاهد : أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل . وقال الحسن : والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت وما يعني بها [٥] .

وقال الحسن : أهلكتهم العجمة ، يقرأ أحدهم الآية فيعيى بوجوهها حتى يفتري عليَّ فيها . وكان ابن عباس يبدأ في مجلسه بالقرآن ثم بالتفسير ثم بالحديث .

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : ما من شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن رأي الرجل يعجز عنه [٦] .

الجرأة في تفسير القرآن ومراتب المفسرين :

روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: « ما كان رسول الله ﷺ يفسر من كتاب الله إلاّ آياً بعددٍ علّمَه إياهنّ جبريل » [٧] .

قال ابن عطية الأندلسي: ومعنى هذا الحديث : في مغيبات القرآن ، وتفسير مجمله ، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله - تعالى - ومن جملة مغيباته ما لم يُعْلِم اللهُ به كوقت قيام الساعة ونحوه ، ومنها ما يستقرأ من ألفاظه ؛ كعدد النفخات في الصور ، وكرتبة خلق السماوات والأرض .

---

(١) روى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٨٩) .
(٢) سورة القصص ، الآية (٨٥) والأثر ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (١ / ٥٩) .
(٣) ذكره الشوكاني في مقدمة تفسيره فتح القدير (١ / ٢٠) .
(٤) ذكره الشوكاني في مقدمة تفسيره فتح القدير (١ / ٢٠) .
(٥) ذكره الشوكاني في مقدمة تفسيره فتح القدير (١ / ٢٠) .
(٦) ذكر ذلك ابن عطية في مقدمة تفسيره المحرر الوجيز .
(٧) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (١ / ٦٦) .

وكان كبار العلماء من السلف كسعيد بن المسيب ، وعامر الشعبي ، وغيرهما ، يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم ، مع إدراكهم وتقدمهم ، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه ، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك - رضي الله عنهم .

فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب ﷺ ، ويتلوه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وهو تجرد للأمر وكمله وتتبعه ، وتبعه العلماء عليه ؛ كمجاهد ، وسعيد ابن جبير ، وغيرهما ، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب ﷺ .

وقال ابن عباس : ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب [١]. وكان علي ابن أبي طالب يثني على تفسير ابن عباس ويحث على الأخذ عنه .

وكان عبد الله بن مسعود يقول : « نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس » [٢].

وهو الذي يقول فيه رسول الله ﷺ : « اللهم فقهه في الدين » [٣] وحسبك بهذه الدعوة. وقال عنه علي بن أبي طالب : « ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق » [٤]، ويتلوه عبد الله بن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين .

ومن المبرزين في التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعلقمة ، ويتلوهم عكرمة ، والضحاك بن مزاحم ، وإن كان لم يلق ابن عباس ، وإنما أخذ عن ابن جبير . وأما السُّدي - رحمه الله - فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى أبي صالح ؛ لأنه كان يراهما مقصرين في النظر ، ثم حمل تفسير كتاب الله - تعالى - عدولُ كُلِّ خلفٍ ، وألَّف الناس فيه ؛ كعبد الرزاق ، والمفضل ، وعلي بن أبي طلحة ، والبخاري ، وغيرهم .

ثم جاء محمد بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ فجمع على الناس أشتات التفسير ، وقرب البعيد وشفى في الإسناد . ومن المبرزين في المتأخرين : أبو إسحاق الزجاج، وأبو علي الفارسي فإن كلامهما منخول ، وأما أبو بكر النقاش ، وأبو جعفر النحاس ، فكثيراً ما استدرك الناس عليهما . وعلى سننهما مكي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - وأبو العباس المهدوي - رحمه الله - وكلهم مجتهد مأجور ، رحمهم الله ونضر وجوههم ، وألحقنا بهم في الصالحين .

---

(١) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (١/ ٦٦) .

(٢) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (١/ ٦٦) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٣) ، ومسلم رقم (٢٤٧٧) .

(٤) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (١/ ٦٦).

وبعد هذا الموجز نعرّف بصاحب هذا الكتاب في إيجاز أيضا في ثلاث نقاط :

أولاً ـ علم الدين السخاوي (٥٥٨ هـ - ٦٤٣ هـ) (١) **من المولد إلى الوفاة :**

*** اسمه ولقبه وكنيته ونسبه :**

هو الشيخ الإمام العلامة شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس الهمداني المصري السخاوي الشافعي نزيل دمشق .

فأما (الهمداني) ؛ فنسبة إلى همدان بن مالك بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وأما (السخاوي) فنسبة إلى مسقط رأسه (سخا) وهي بليدة بكفر الشيخ من محافظات مصر (وقديما كانت تتبع محافظة الغربية) .

ولقبه (علم الدين) ، وكنيته أبو الحسن وقلما يذكر لقبه دون كنيته أو العكس .

* مولده : ولد بـ (سخا) من قرى محافظة كفر الشيخ إحدى محافظات مصر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة من الهجرة (٥٥٨ هـ) وقيل : سنة تسعٍ وخمسين .

*** عصره** (٢) **:**

أولاً ـ الحالة السياسية :

عاش علم الدين السخاوي في أواخر القرن السادس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري .

وشهدت هذه الفترة الزمنية عصرين من عصور التاريخ الإسلامي وهما عصر الأيوبيين

---

(١) تنظر ترجمته في: إنباه الرواة للقفطي (٢ / ٣١١ ، ٣١٢) ، البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١٧٠) ، بغية الوعاة للسيوطي (٢ / ١٩٢ - ١٩٤) ، حسن المحاضرة للسيوطي (١ / ٤١٢ - ٤١٣) ، الذيل على الروضتين لأبي شامة (١٧٧) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣ / ١٢٢-١٢٤) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٥/ ٢٢٢/ ٢٢٣) ، طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٦٨، ٦٩) ، طبقات الشافعية للسبكي (٨ / ٢٩٧) ، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٤٢٥-٤٢٨) ، غاية النهاية لابن الجزري (١ / ٥٦٨ - ٥٧١) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ١٩٦) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ٣٤٠ ، ٣٤١).

قال ابن خلكان : وقياسه : سخوي ، لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى .

(٢) **ينظر** : تاريخ العصر الأيوبي للدكتورة أمينة بيطار (ص : ٣٩ ـ وما بعدها) ، ط . دار الطباعة الحديثة ـ دمشق ـ ١٩٨١م ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، للدكتور عبد اللطيف حمزة (ص : ١٥٠ ـ وما بعدها) ، ط ٢. دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ م .

وعصر المماليك . واتسم هذان العصران بكثرة الفتن الداخلية والخارجية؛ تمثلت الفتن الداخلية في الخلاف والصراع على تقاسم السلطة بين أبناء صلاح الدين بعد موته ، مما أدى إلى سقوط دولتهم في نهاية الأمر سنة ٦٤٨هـ . وقامت على إثرهم دولة المماليك ، التي لم تخل أيضا من القلاقل والفتن والخلاف حول تولي السلطة والحكم بين الأمراء والسلاطين ، حتى وصل الأمر إلى التقاتل والصراعات التي أودت بحياة البعض منهم .

أما الفتن الخارجية فقد تمثلت في الخطرين الرهيبين اللذين أحدقا بالأمة في ذلك العصر وهما : الخطر الصليبي الأوربي ، وما نتج عنه من حروب شديدة طاحنة عرفت في التاريخ (بالحروب الصليبية) ، وقد استمرت زمنا طويلا ، وانتهى الأمر إلى الهزيمة الشديدة للصليبيين على يد البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين الخالدة سنة ٥٨٣ هـ وأعاد الأقصى وبيت المقدس للمسلمين بعد احتلال زاد على تسعين عاما تحت أيدي الصليبيين .

ثم جاء الخطر الثاني وهو خطر التتار الذين هجموا هجمة شرسة على العالم الإسلامي، واستولوا على عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك بغداد وقتلوا الخليفة العباسي ، واتجهوا نحو الاستيلاء والسيطرة على العالم الإسلامي كله ، ولكن الله ـ تعالى ـ رد كيدهم في نحورهم ، وهيَّأ من الأمة من يرد هذا الخطر الرهيب ، وظهر القائد البطل المصري المظفر قطز الذي وحَّد بين جيش المسلمين في مصر والشام ، وتصدى للتتار وألحق بهم هزيمة منكرة في موقعة (عين جالوت) سنة ٦٥٨ هـ .

ثانيًا ـ الحالة الاجتماعية والاقتصادية :

إن الحالة الاجتماعية والاقتصادية في أي عصر تكون تابعة للحالة السياسية ، وقد انعكس ذلك الأمر في تلك الفترة التي عاشها السخاوي فقد عاش في الشام ومصر، وكانت البلاد في القطرين تمرّ بظروف متشابهة اجتماعيًا واقتصاديًا ؛ فاجتماعيًا كان المجتمع يتألف من مجموعة من الطبقات وهي :

ـ **الحكام وأعوانهم** : وكانوا يعيشون في بحبوحة من العيش والترف والبذخ ، وظهر في هذه الطبقة بعض المظالم والمفاسد .

ـ **العلماء والفقهاء** : وكانوا حلقة الوصل بين الحكام والعامة ، وكان الناس يُجِلُّونهم ويحترمونهم لا سيما أهل الحق و الشجاعة منهم ، الذين لا يخافون في الحق لومة لائم كعلم الدين السخاوي- رحمه الله - وأمثاله فيناصحون الحكام وينكرون عليهم المنكر الذي يظهر منهم . وكان منهم مجموعة من المداهنين للحكام فلا يأمرونهم بمعروف ولا ينهونهم عن منكر، مما أظهر بعض الخلاف بين الفريقين من العلماء .

ـ **العامة** : وهم أصحاب المهن والحرف والتجار والزراع وغيرهم من العاملين والكادحين .

ـ **أهل الذمة** : وهم اليهود والنصارى الذين يعيشون في الدولة الإسلامية ، وكانوا يشاركون في تقدم البلاد ، ولهم دور مهم في التجارة والأعمال الحرفية ، وبرز منهم كثير من الأدباء وأصحاب الأموال والأعمال .

ثالثًا ـ الحالة العلمية :

لم يؤثر الوضع السياسي للدولة الإسلامية في عصر السخاوي على الوضع العلمي، بل على العكس لقد نشطت الحياة العلمية نشاطًا ملحوظًا ، وذلك لاهتمام الحكام والأمراء بالعلم والعلماء ، وتقريبهم لهم ، وتشجيعهم لطلبة العلم بإعطائهم المكافآت ، وبناء المدارس ، وخزائن الكتب ، ومساكن الطلاب . واشترك في ذلك السلطان نور الدين زنكي، وسلاطين الأيوبيين وعلى رأسهم صلاح الدين ، وسار سلاطين المماليك في الدولة المملوكية على نهج الأيوبيين . وأفرز هذا النشاط العلمي العديد من العلماء والجهابذة في شتى مجالات العلم وكان من أشهر علماء عصره :

١ ـ فخر الدين الرازي المفسر ت (٦٠٦هـ) .

٢ ـ ابن الأثير الجزري اللغوي ت (٦٠٦هـ) .

٣ ـ ابن قدامة ت (٦٢٠ هـ) .

٤ ـ الرافعي ت (٦٢٤هـ) .

٥ ـ عز الدين بن الأثير المؤرخ ت (٦٣٠ هـ) .

٦ ـ السهروردي ت (٦٣٢هـ) .

٧ ـ جمال الدين الحصيري الحنفي ت (٦٣٧ هـ) .

٨ ـ ابن العربي المالكي ت (٦٣٨ هـ) .

٩ ـ أبو عمرو بن الصلاح ت (٦٤٣ هـ) .

١٠ ـ العز بن عبد السلام ت (٦٦٠ هـ)

١١ ـ أبو عمرو بن الحاجب النحوي المالكي ت (٦٤٦ هـ) .

١٢ ـ مجد الدين بن تيمية ت (٦٥١ هـ) .

١٣ ـ ابن مالك النحوي صاحب الألفية ت (٦٧٢ هـ) وهو من تلامذته .

١٤ ـ محيي الدين النووي ت (٦٧٦ هـ) .

وغيرهم كثيرون من شيوخ السخاوي وتلامذته الذين سيأتي ذكرهم في هذا التعريف الموجز له .

*** أخلاقه :**

وصفه الكثيرون من معاصريه وممن جاءوا بعده وأثنوا على أخلاقه ومن هؤلاء :

قال السيوطي في نعته : « طويل الباع في الأدب ، مع التواضع في الدين والمودة وحسن الأخلاق ، من أفراد العالم ، وأذكياء بني آدم ، مليح المجاورة ، حلو النادرة ، حادُّ القريحة ، مطَّرح التكلُّف »[(١)].

وقال ابن الجزري بعد تعداد العلوم التي برع فيها السخاوي : « وكان مع ذلك ديِّنًا خَيِّرًا متواضعاً ، وافر الحرمة ، كبير القدر ، محبباً إلى الناس ، ليس له شغل إلا العلم والإفادة »[(٢)].

*** منزلته العلمية :**

كان الإمام علم الدين السخاوي إماماً في العربية ، بصيراً باللغة ، فقيهاً ، مفتياً ، عالماً بالقراءات وعللها ، مجوّداً لها ، بارعاً في التفسير ، صنف وأقرأ وأفاد ، وروى الكثير وبعُدَ صيته ، وتكاثر عليه القراء . فهو إمام في القراءات ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والأدب .

قال الإمام الذهبي : « كان إماماً كاملاً ، ومقرئاً محقّقاً ، ونحويًّا علاّمةً ، مع بَصره بمذهب الإمام الشافعي ﷺ ومعرفته بالأصول ، وإتقانه للغة ، وبراعته في التفسير ، وإحكامه لضروب الأدب ، وفصاحته بالشعر ، وطول باعه في النثر »[(٣)].

وقال ابن خلكان : « ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع لأجل القراءة ولا يصح لواحدٍ منهم نوبة إلا بعد زمان ... ولم يزل مواظباً على وظيفته إلى أن تُوفيَ بدمشق »[(٤)].

ونقل السيوطي قول بعضهم : « كان إماماً عالماً مقرئاً محققاً مجوداً بصيراً بالقراءات وعللها ، إماماً في النحو واللغة والتفسير ، عارفاً بالفقه وأصوله ، طويل الباع في الأدب»[(٥)].

---

(١) بغية الوعاة (٢/ ١٩٢) .

(٢) غاية النهاية (١/ ١٩٢) .

(٣) معرفة القراء (ص ٥٠٤) ، بغية الوعاة (٢ / ١٩٢) .

(٤) وفيات الأعيان (٣ / ٣٤٠) .

(٥) بغية الوعاة (٢ / ١٩٢) .

وليس أدلّ على مكانته العلمية من مصنفاته وتلاميذه وآثاره ؛ فقد نقل ابن الجزري العلوم التي برع فيها السخاوي ، ثم قال : « أتقن هذه العلوم إتقاناً بليغاً ، وليس في عصره من يلحقه فيها ، وكان عالماً بكثير من العلوم غير ذلك ، مفتياً ، أصوليًّا ، مناظرا » .

وقال أيضاً: « أقرأ الناس نيِّفاً وأربعين سنة بجامع دمشق عند رأس يحيى بن زكريا- عليهما السلام ـ ثم بتربة أم الصالح ، ولأجله بُنيتْ وبسببه جعل شرطها على الشيخ أن يكون أعلم أهل البلد بالقراءات ، فقصده الطلبة من الآفاق ، وازدحموا عليه ، وتنافسوا في الأخذ عنه » [(١)].

وذكر الإسنوي أنه « كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي ، إماماً في القراءات والتفسير والنحو واللغة » [(٢)] . وقول الإمام الذهبي الذي ترجم له في أكثر من كتاب يشير إشارة صريحة إلى إمامة السخاوي وتفوقه على أقرانه حيث قال : « وانتهت إليه رئاسة الإقراء والأدب في زمانه بدمشق ، وقرأ عليه خلق لا يحصيهم إلا الله ، وما علمت أحداً حمل عنه القراءات أكثر مما حمل عنه وله تصانيف متقنة » [(٣)].

*** شيوخه وتلاميذه :**

أولاً - شيوخه :

أخذ علم الدين السخاوي العلم عن جماعة كبيرة من جِلَّة العلماء في مصر والشام نذكر منهم :

- من شيوخه في مصر :

١ ـ الحافظ أبو الطاهر السِّلَفِي [(٤)] : صدر الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سَلِفة الأصبهاني ، أحد الحفاظ المكثرين ، رحل في طلب العلم والحديث ولقي أعيان المشايخ ، وكان شافعي المذهب ، تُوفيَ بالإسكندرية سنة ٥٧٦هـ .

٢ ـ صدر الإسلام أبو الطاهر بن عوف بن إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري الإسكندراني المالكي [(٥)]، تُوفيَ سنة ٥٨١هـ .

٣ ـ أبو الجيوش عساكر بن علي الشافعي [(٦)] : فقيه مقرئ كامل ، وإمام صادق صالح ، تُوفيَ ٥٨١هـ .

---

(١) غاية النهاية (١/ ٥٦٩) .

(٢) طبقات الشافعية (٢/ ٦٨) .

(٣) العبر في خبر من غبر (٥/ ١٧٨) .

(٤) **تنظر** ترجمته في: وفيات الأعيان (٢ / ١٠٥) .

(٥) **تنظر** ترجمته في: شذرات الذهب (٤/ ٢٦٨) .

(٦) **تنظر** ترجمته في: غاية النهاية (١/ ٥١٢) .

٤ ـ أبو القاسم البوصيري [١]: هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاضم بن غالب ابن ثابت الأنصاري الخزرجي المعروف بالبوصيري ، كان أديباً كاتباً ، له سماعات عالية ، وروايات تفرد بها ، وألحق الأصاغر بالأكابر في علوِّ الإسناد ، ولم يكن في آخر عصره في درجته مثله ، تُوفيَ سنة ٥٩٨هـ .

٥ ـ الشاطبي [٢]: هو الإمام أبو القاسم – وقيل أيضاً : أبو محمد القاسم بن فيّرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير المقرئ صاحب (حرز الأماني) في القراءات، وكان عالماً بكتاب الله – تعالى- قراءةً وتفسيراً ، وبحديث رسول الله ﷺ مبرزاً فيه عالماً بالنحو واللغة ، وتصدر للإقراء بمصر ، فعظم شأنه ، وبعد صيته ، وانتهت إليه الرئاسة في الإقراء ، تُوفيَ سنة ٥٩٠هـ وهو من أكبر أساتذة السخاوي ، ومع ذلك فقد قيض الله -تعالى - لقصيدته في القراءات أن تذاع على يدي تلميذه ، وكأنه كان يخصه بذلك حينما قال : « يُقَيِّضُ اللهُ لَهَا فَتىً يَشْرَحُهَا » .

لازمه السخاوي مدة وقرأ عليه القرآن بالروايات ، وتلقن منه ، وقرأ عليه النحو واللغة. ثم شرح قصيدته المشهورة بالشاطبية في كتابه العظيم (فتح الوصيد في شرح القصيد) .

٦ ـ أبو الجود اللخْمِي [٣]: هو غياث بن فارس بن مكي المقرئ النحوي العروضي الضرير شيخ القراء بديار مصر ، تُوفيَ سنة ٦٥٠هـ .

٧ ـ الشهاب الغزنوي [٤] : محمد بن يوسف بن علي ، أبو الفضل الغزنوي ، المقرئ الفقيه النحوي ، نزيل القاهرة ، تُوفيَ سنة ٥٩٩هـ .

ـومن شيوخه في دمشق :

٨ ـ ابن طبرزد [٥]: أبو حفص عمر بن أبي بكر بن معمر بن أحمد بن يحيى بن حسان المحدث المشهور البغدادي ، كان عالي الإسناد ، وأفاد أهلها ، وألحق الأصاغر بالأكابر ، وطبق الأرض بالسماعات والإجازات ، وامتدت له الحياة فخلا له العصر ، وكان فيه صلاح وخير ، تُوفيَ ببغداد سنة ٦٠٧هـ .

٩ ـ حنبل بن عبد الله الرصافي [٦] أبو بكر عبد الله المكبر المحدث راوي المسند بكماله عن

(١) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٦ / ٦٧) .
(٢) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١ / ٧٤) .
(٣) تنظر ترجمته في : معرفة القراء الكبار (٤٧٠) .
(٤) تنظر ترجمته في : معرفة القراء الكبار (٥٦٢) .
(٥) تنظر ترجمته في : وفيات الأعيان (٣/ ٤٥٢) .
(٦) تنظر ترجمته في : شذرات الذهب (٥/ ١٢) .

ابن الحصين ، وسمع المسند في نيف وعشرين مجلساً بقراءة ابن الخشاب ، تُوفيَ سنة ٦٠٤هـ.

١٠ ـ أبو اليُمْن الكندي [١] : هو زيد بن الحسن تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي التاجر المقرئ النحوي الحنفي ، شيخ القراء والنحاة بدمشق ، كان عالي الإسناد في القراءات والحديث ، تُوفيَ سنة ٦١٣هـ .

عاود السخاوي قراءة القرآن الكريم عليه بالروايات ، ولازمه وقرأ عليه جملة من سماعاته في الأدب وغيره ، قال عنه في المفضل : « لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ الفاضل أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي – رحمه الله – وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره ، وأخذت عنه كتاب سيبويه ، وقرأت عليه كتاب (الإيضاح) لأبي علي الفارسي مستشرحاً ، وأخذت عنه كتاب (اللمع) لأبي الفتح بن جني ، وكان واسع الرواية وافر الدراية . كما أخذ عنه (الحجة) لأبي علي الفارسي ، وذكره في سفر السعادة في مواضع متعددة من الكتاب ، كما ذكره في المفضل مادحاً ونقل عنه كثيراً من آرائه [٢] .

ثانياً ـ تلاميذه :

قال الذهبي : « وقرأ على السخاوي خلق لا يحصيهم إلا الله ، وما علمت أحداً في الإسلام حمل عنه القراءات أكثر مما حمل عنه ، وله تصانيف متقنة ، وكان له حلقة بجامع دمشق يقرأ عليه فيها القرآن الكريم والعربية والحديث ، فإذا خرج من الجامع إلى قاسيون ركب حماراً ، والطلبة يقرؤون عليه القرآن في الطريق » [٣] .

ومن هنا فإن تلاميذه يفوقون الحصر نذكر هنا بعضهم على سبيل التمثيل :

١ ـ ابن مالك [٤] أبو عبد الله ، جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الشافعي النحوي ، نزيل دمشق . الإمام العالم النحوي الذي طبقت شهرته الآفاق ، ولد بجيان سنة ٦٠٠هـ وتُوفيَ سنة ٦٧٢هـ .

قال ابن الجزري بعد أن ترجم له : وأشهر هؤلاء الشيوخ الذين كان لهم الفضل الكبير في نبوغه في النحو والقراءات أبو الحسن السخاوي ، وابن يعيش الحلبي » .

٢ ـ أبو شامة [٥]: شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي

---

(١) تنظر ترجمته في : معرفة القراء الكبار للذهبي (٤٦٧) .

(٢) سفر السعادة وسفير الإفادة للسخاوي ، تحقيق الأستاذ محمد أحمد الدالي (١/ ١٥) .

(٣) تنظر ترجمته في : مرآة الزمان لليافعي (٨ / ٧٥٨) .

(٤) تنظر ترجمته في : بغية البغاة (١ / ١٣٠) ، شذرات الذهب (٥ / ٣٣٩) .

(٥) تنظر ترجمته في : البداية والنهاية (١٣ / ٢٥٠) ، شذرات الذهب (٥ / ٣١٨) .

ثم الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي ، الإمام الحافظ العلامة ، صاحب (إبراز المعاني) في شرح قصيدة الشاطبي في القراءات ، ولد سنة ٥٩٩هـ ، وتُوفيَ سنة ٦٦٥هـ.

٣ ـ أبو الفتح محمد بن علي بن موسى[١] ، شمس الدين الأنصاري الدمشقي ، أجلُّ أصحاب السخاوي ، قرأ عليه السبع ، إفراداً وجمعاً.

٤ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عثمان المعلم[٢] ، إمام عالم بالقراءات قرأ بالروايات على السخاوي تُوفيَ سنة ٧١٤هـ.

٥ ـ جمال الدين أحمد بن عبيد الله بن شعيب التميمي الصقلي[٣]، ولد سنة ٥٩٠هـ ، ولازم السخاوي مدة وأتقن القراءات عليه . تُوفيَ سنة ٦٦٧هـ.

وغير هؤلاء الكثير من العلماء والمشهورين في علوم القراءات واللغة .

*** مذهبه في العقيدة والفقه والنحو :**

أولا - مذهبه في العقيدة :

كان السخاوي ـ رحمه الله ـ يقول بقول الأشاعرة في مسائل الإيمان والاعتقاد لاسيما في القول في صفات الله ـ تعالى ـ التي كانت مثار الجدل والخلاف بين طوائف المسلمين من حيث كيفية الإيمان بها .

فمنهم من أثبتها كما وردت في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تشبيه ولا تعطيل ، ويُمررونها كما أتتْ على مراد الله - تعالى - في إطار قوله -تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ونفوا عن الله ـ تعالى ـ ما لم يثبته لنفسه ، مراعين تنزيه الله - تعالى - عن مشابهة خلقه في صفاته ، كما لا يشبهه أحد في ذاته . وهذه هي عقيدة الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المشهورين: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد - رحمهم الله . وهي أيضا عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ كما جاء في كتابيه : (الإبانة عن أصول الديانة) ، و (مقالات الإسلاميين) ، وهما آخر ما كتب الشيخ أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى .

وهناك طائفة أخرى خالفوا هذا المنهج في الإيمان بصفات الله ـ تعالى ـ وأدى بهم إعمال عقولهم بطريقة مُبالَغ فيها إلى نفي الكثير من صفات الله - تعالى- بدعوى التنزيه . وقام على إثر هذا الخلاف طوائف أخرى كالمعتزلة والجهمية والمعطلة وغيرهم ، وكان المذهب

(١) تنظر ترجمته في : طبقات القراء (٢ / ٢١١) .

(٢) تنظر ترجمته في : طبقات القراء (١ / ١٦٦) .

(٣) تنظر ترجمته في : الذيل على الروضتين (٢٣٥).

الأشعري في بعض الأوقات يعده البعض مذهب أهل السنة والجماعة لردهم على المذاهب الأخرى وخاصة المعتزلة الذين بالغوا في تعطيل كثير من الصفات بجانب تبنيهم لآراء جديدة تتعلق بالتوحيد والقدر وموقف أهل الكبائر من المسلمين وغيرها . وقد أعجب السخاوي ـ رحمه الله ـ بآراء الأشاعرة في هذه الأمور والتزم مذهبهم وأقوالهم .

وقد صنف السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ بعض المصنفات في العقيدة منها : الكوكب الوقاد في الاعتقاد في أصول الدين ، كما سيأتي في ذكر مصنفاته وآثاره. وظهر مذهبه العقدي واضحا في هذا التفسير ؛ فأوّلَ صفات الله ـ تعالى ـ على النحو الذي يليق بها ـ من وجهة نظره ـ بحيث تنتفي أي شبهة أو إيهام بتشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين ، كما ردَّ على المعتزلة في العديد من الأمور ، والمتتبع لتفسيره يرى ذلك واضحًا جليًّا ، وقد علقنا على ذلك في الحاشية وبينا مذهب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة في تلك الأمور .

ثانيا - مذهبه الفقهي :

تقدم الحديث عن مكانته العلمية ومما ذكر في علومه أنه كان مهتمًّا بالفقه عالمًا بأصوله ومفتيًا ومناظرًا كما قال الذهبي : « مع بَصره بمذهب الإمام الشافعي ﷺ ومعرفته بالأصول ». وذكر الإسنوي أنه « كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي » . ونقل السيوطي قول بعضهم : « كان إماماً عالماً مقرئاً محققاً مجوداً بصيراً بالقراءات وعللها ، إماماً في النحو واللغة والتفسير ، عارفاً بالفقه وأصوله » ونقل ابن الجزري العلوم التي برع فيها السخاوي ثم قال : « أتقن هذه العلوم إتقاناً بليغاً ، وليس في عصره من يلحقه فيها ، وكان عالماً بكثير من العلوم غير ذلك ، مفتياً ، أصوليًا ، مناظرًا » . وقد كان مبدأ اشتغاله بالفقه على مذهب الإمام مالك بمصر ، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي ـ رحمهم الله جميعًا . وقد ظهر اهتمامه بالفقه ومسائله في تفسيره من خلال إيراده للكثير من المسائل والأحكام المستنبطة من الآيات القرآنية ، ومن خلال نقله لآراء العديد من الفقهاء ، وذكر بعض كتب الفقه ، وكان واضحًا من خلال عرضه لذلك اتباعه لمذهب الشافعي ـ رحمه الله تعالى .

ثالثا - مذهبه النحوي :

كان علم الدين السخاوي إمامًا في النحو واللغة والأدب ، وهذا أمرٌ جليٌّ في ضوء كتبه ومصنفاته ، وحسبه كتابه (المفضل في شرح المفصل) ، ويعد السخاوي من نحاة القرنين السادس والسابع الهجريين ، وكان النحو في هذه الفترة قد وصل إلى مرحلة النضج ، وأصبح علمًا متكاملاً شامخ البنيان مكتمل الأركان ، مما جعل دور نحاة هذه الفترة يغلب عليه الترجيح والاختيار والشرح والتحليل والتبويب والتنظيم لمصنفات السابقين وآرائهم ،

ومع ذلك فقد أبدع النحاة في تلك الفترة في جمع آراء وأقوال العلماء المتقدمين ، من خلال كتبهم ، وعرضها مع المناقشة والترجيح والاختيار ، على أساس الدليل القوي والحجة على ما يختارونه - وامتاز نحاة هذه الفترة بالمنهجية في التأليف والإبداع في التنظيم والتبويب والشرح والتحليل .

ـ وقد دارت معظم المصنفات والمؤلفات في تلك الفترة في فلك شروح مصنفات المتقدمين ، ومن أبرزها : (كتاب سيبويه) ، ومصنفات أبي علي الفارسي ، وغيرهما .

ـ وكان الاتجاه الغالب في تلك الفترة على النحاة عدم التقيد بمذهب نحوي معين ، بل قام مذهبهم على الاختيار والانتقاء من كل مدرسة ما يرونه صوابًا ، مستندًا على الأدلة والشواهد التي تؤيد هذا الرأي أو ذاك . وهو ما كان يمثّل اتجاه المدرسة البغدادية[(١)]، مع وجود طائفة أخرى من النحاة كانوا يتقيدون بمذهب معين من المذاهب النحوية المعروفة.

وكان علم الدين السخاوي ـ الذي عاش في تلك الفترة ـ يذهب مذهب غالب نحاة عصره ، وهو اتجاه المدرسة البغدادية ، مع ميله بصورة أكثر إلى المدرسة البصرية .

ـ وكان اتجاه البغداديين يقوم على الأخذ من المدرستين الأصليتين مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة ـ هو المذهب الغالب على نحاة تلك الفترة ، من أمثال : الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، وابن الشجري (ت ٥٤٢)، وأبو البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، وأبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) ، وابن يعيش شارح المفصل (ت ٦٤٣هـ) ، وغيرهم[(٢)].

ـ والحق أن السخاوي ـ رحمه الله ـ لم يصرح بمذهبه النحوي في مصنفاته وكذلك لم يصرح بميله وانتمائه إلى مدرسة نحوية معينة ، ولكن ما دعانا إلى الحكم ببغداديته في النحو ما استنبطناه من خلال مصنفاته وتفسيره ، ويمكن إجمال الأدلة والشواهد على ما ذهبنا إليه في النقاط التالية :

١ ـ مصادره .

٢ ـ موقفه من المدارس النحوية ومسائل الخلاف .

٣ ـ اختياراته ومخالفاته .

٤ ـ مصطلحاته[(٣)].

---

(١) **ينظر** : المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف (ص : ٢٤٥) .

(٢) **ينظر** : المدارس النحوية (ص : ٢٧٧) .

(٣) **ينظر** : تفصيل ذلك في : السخاوي وجهوده النحوية من خلال تفسيره للقرآن العظيم (ص : ٣٤١ وما بعدها) للدكتور أشرف محمد عبد الله . رسالة ماجستير - بدار العلوم - المنيا .

*** وفاته :**

قال أبو شامة أحد تلاميذ الإمام السخاوي : « وفيها ـ أي في سنة ٦٤٣هـ ـ ليلة الأحد ثاني عشر من جمادى الآخرة تُوفيَ شيخنا علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ـ رحمه الله ـ علاَّمة زمانه ، وشيخ عصره وأوانه بمنزله بالتربة الصالحية . وصُلِّي عليه بعد الظهر بجامع دمشق ، ثم خُرِج بجنازته في جمع متوفر إلى جبل (قاسيون) ، فدفن بتربته التي في ناحية تربة بني صصري خلف دار ابن الهادي . حضرت الصلاة عليه مرتين بالجامع وخارج باب الفرج ، وشيعته إلى سوق الغنم ، ثم رجعت لضعف كان من أثر مرض قريب العهد وكان يوماً مطيراً وفي الأرض وَحْلٌ كثير ، وكان على جنازته هَيْبَةٌ وجلالةٌ ورقَّة وإخبات . وختم بموته موت مشايخ الشام يومئذٍ . وفقد الناسُ بموته علماً كثيراً ، ومنه استفدت علوماً جَمَّةً ؛ كالقراءات والتفسير وعلوم العربية ، وصحبته من شعبان سنة أربع عشرة ، ومات وهو عني راضٍ ، والحمد لله على ذلك - رحمه الله - وجمع بيننا وبينه في جنته آمين » [١]. اهـ .

ثانيا - آثاره ومصنفاته :

ذكر المترجمون له العديد من المصنفات نذكر منها :

١ ـ الإفصاح وغاية الإشراح في القراءات السبع [٢].

٢ ـ أقوى العدد في القراءة [٣] .

٣ ـ التبصرة في صفات الحروف وأحكام المد [٤] .

٤ ـ تحفة الفراض وطرقة المرتاض [٥] .

٥ ـ تفسير القرآن العظيم : وهو الذي بين أيدينا ، وسيأتي حديث مستقل عنه إن شاء الله تعالى .

٦ ـ تنوير الظلم في الجود والكرم [٦] .

٧ ـ جمال القُرَّاء وكمال الإقراء وهو مطبوع [٧].

---

(١) الذيل على الروضتين (١٧٧) .

(٢) **ينظر** : كشف الظنون (١ / ٨١) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٣) **ينظر** : كشف الظنون (١ / ٨١) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٤) ذكر بروكلمان أنَّ منه نسخة في الآصفية رقم (٢٦٦) .

(٥) **ينظر** : كشف الظنون (٢ / ١١٧١) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٦) **ينظر** : كشف الظنون (١ / ٥٠١) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٧) مطبوع بمطبعة المدني ـ مكة المكرمة ـ تحقيق : د . حسين علي البواب ـ ١٩٨٧ م .

٨ ـ الجواهر المكملة في الأخبار المسلسلة [١] .

٩ ـ ذات الحلل ومهاة الكِلَل[٢] : ذكره ابن الشعار، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية، ونسخة مصورة عن دار الكتب المصرية بمعهد المخطوطات العربية ، وقد ألحقها الأستاذ الدالي بكتاب سفر السعادة .

١٠ ـ سفر السعادة وسفير الإفادة [٣] .

١١ ـ شرح مشكاة المصابيح للبغوي [٤].

١٢ ـ شكوى الاشتياق إلى النبي الطاهر الأخلاق [٥].

١٣ ـ الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ في القراءة [٦].

١٤ ـ عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد : منظومة في أحكام التجويد ، وهي مضمنة في كتاب (جمال القراء) ، وأفاد منها من بعده كثيراً [٧] .

١٥ ـ فتح الوصيد في شرح القصيد [٨] : شرح فيها قصيدة الإمام الشاطبي المسماة بـ (حرز الأماني ووجه التهاني).

١٦ ـ القصائد السبع ، في المدائح النبوية : ذكره ابن الجزري وحاجي خليفة [٩].

١٧ ـ الكوكب الوقّاد : ذكره بروكلمان ، باسم (الكوكب الوقاد في الاعتقاد في أصول الدين) ، وذكره السيوطي في البغية باسم (الكوكب الوقاد في أصول الدين) ، وفي هدية العارفين : الكوكب الوقاد في تصحيح الاعتقاد [١٠] .

---

(١) **ينظر** : كشف الظنون (١ /٦١٧) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٢) **ينظر** : كشف الظنون (١ /٦١٧) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٣) مطبوع ـ مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الأستاذ محمد أحمد الدالي . ط. ١٩٨٣ م .

(٤) **ينظر** : كشف الظنون (٢ /٦٩٨) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٥) **ينظر**: هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٦) **ينظر** : كشف الظنون (٢ /١١١٨) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٧) **ينظر** : كشف الظنون (٢ /١١٧١) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٨) مطبوع بدار البيان – الكويت – تحقيق: د. أحمد عدنان الزغبي – ٢٠٠٢م .

(٩) ذكره البغدادي في هدية العارفين بأكثر من اسم منها: ذات الأصول في مدح الرسول – ذات الأصول والقبول في مفاخر الرسول – ذات الدرر في معجزات سيد البشر .
ينظر: هدية العارفين (١/٣٧٨) ومنه نسخة في برلين (٧٧٥٢) .

(١٠) **ينظر**: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١/٧٢٨) ، كشف الظنون (٢/١٥٢٣) ، هدية العارفين (١/٣٧٨).

١٨ ـ لواقح الفكر في أخبار من غبر [١].

١٩ ـ مراتب الأصول وغرائب الفصول في القراءة [٢].

٢٠ ـ المفاخرة بين دمشق والقاهرة : ذكره ابن الجزري ، وهو من كتب السخاوي المفقودة .

٢١ ـ المفضل في شرح المفصل :

ذكره أكثر من ترجم للسخاوي والكتاب حُقِّق في عدد من الرسائل العلمية [٣].

٢٢ ـ منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم [٤].

٢٣ ـ مناسك الحج : ذكره ابن الشعار باسم (تحفة الناسك في معرفة المناسك) [٥].

٢٤ ـ منهاج التوقيف في القراءة [٦].

٢٥ ـ منير الدياجي في تفسير الأحاجي : ذكره الذهبي وابن الجزري وابن الشعار ، وذكره السخاوي في كتابه سفر السعادة ، وسماه السيوطي في البغية بـ (شرح أحاجي الزمخشري) [٧].

٢٦ ـ نثر الدرر في ذكر الآيات والسور [٨].

٢٧ ـ هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في نظم متشابه الكتاب منظومة في متشابه كلمات القرآن الكريم [٩].

٢٨ ـ الوسيلة إلى كشف العقيلة [١٠]: هو الشرح الشهير على قصيدة الإمام الشاطبي ، ذكره ابن الجزري ، والذهبي والسيوطي ، وابن قاضي شهبة وابن العماد الحنبلي

---

(١) ينظر: هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٢) ينظر: كشف الظنون (٢/ ١٦٥٠) ، هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٣) منها: رسالة دكتوراه – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – القاهرة – يوسف محمد محمود – ١٩٨١م- رقم (٢٦٧٨) ، رسالة دكتوراه – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – القاهرة – محمود السيد الدريني – ١٩٩٢م- رقم (٢٨٥٥) .

(٤) ينظر: كشف الظنون (٢/ ١٨٢٧) ، هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٥) ينظر: كشف الظنون (٢/ ١٨٣٠) ، هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٦) ينظر: كشف الظنون (٢/ ١١٧١) ، هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٧) حققه الدكتور سلامة عبد الغفور المراقي بالسعودية .

(٨) ينظر : كشف الظنون (٢ / ١٩٢٧) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) .

(٩) ينظر : كشف الظنون (٢ / ١١٧١) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) وهي مطبوعة محققة .

(١٠) ينظر : كشف الظنون (١/ ١١٥٩) ، هدية العارفين (١ / ٣٧٨) ومنه نسخة في تركيا – مكتبة سليم أغا رقم (٢٢) .

وحاجي خليفة .

- ومن نظمه وشعره:

١ - منظومة في نظم الأحاجي تعقيباً على أحاجي الزمخشري .

٢ - منظومة في نظم متشابه آي الكتاب . وهي هداية المرتاب .

٣ - منظومة في نظم علم التجويد وأحكامه .

٤ - منظومة في نظم الأدب واللغة المسماة بـ (ذات الحلل) وهي منظومة عدة أبياتها ثلاثة وأربعون بيتاً ومائتا بيت ، جمع فيها ثمانية وسبعين لفظاً ومائتي لفظ مما اتفق لفظه ، واختلف معناه ، ويظهر فيها مقدرته الفائقة وسيطرته على نواصي اللغة ، ومع غرابة موضوعها وطرافته وصعوبته إلا إنها نظم رقيق على نغمة بحر جميل - البسيط - تؤنس السماع وتمتعه ويصعب على من بدأ قراءتها ألا يتمها ؛ لما لها من عذوبة وجرس وكذا لما تضمنته من فوائد لغوية وأدبية ... إلخ . وله عليها شرح جميل استوفى فيه الألفاظ الغريبة فيها .

٥ - وذكر أنَّ له قصيدة في مدح السلطان صلاح الدين ، وأخرى في مدح الأديب الفارقي .

وذكر السيوطي في البغية للسخاوي نظماً متناثراً . وله قصيدة نونية جمع فيها فضائل شيخه أبي اليمن الكندي ، رواها تلميذه أبو شامة [(١)] ، وعدة أبياتها أربعة وعشرون بيتاً .

وله أيضاً أبيات متناثرة من إنشائه في سفر السعادة . وأنشد له في مرآة الزمان أحد عشر بيتاً من ميمية له طويلة في مدح الرسول ﷺ.

وقال السيوطي عن نظمه في بغية الوعاة : (ونظمه في الطبقة العليا) .

ومن شعره ما نقلته لنا مصادر ترجمته عندما حضرته الوفاة قال [من السريع] :

قالوا : غداً نأتي ديار الحمى ... وينزل الركب بمغناهمُ
وكل من كان مطيعاً لهم ... أصبح مسروراً بلقياهمُ
قلت : فلي ذنب فما حيلتي ؟ ... بأيِّ وجهٍ أتلقاهمُ
قالوا : أليس العفو من شأنهم ؟ ... لا سيَّما عمَّن ترجَّاهمُ [(٢)]

---

(١) ينظر : الذيل على الروضتين (٩٦) .

(٢) ينظر : معجم الأدباء (١٥ / ٦٥) .

ومما نسب إليه وليس له : نظم الضوابط النحوية . وهو مما نسب إلى السخاوي وليس له [١].

ثالثا - السخاوي في مصنفات الآخرين :

السخاوي عالم موسوعي برز وتقدم في علوم كثيرة ، ومن أكبر الأدلة على هذا كثرة مصنفاته وتنوعها في علوم الشريعة واللغة والأدب كما سبق من ذكر مصنفاته.

ومما يدل على شهرته وإمامته أيضا ما نقله عنه الآخرون من العلماء في مصنفاتهم وقد أشار بعض الباحثين إلى آثار السخاوي في بعض المصنفات وإلى تأثيره في كثير من العلماء ومن تلك الدراسات :

١ ـ أثر السخاوي في ابن يعيش وشرحه على المفصل [٢] .

٢ ـ أثر السخاوي في الزنجاني وكتابه (الكافي شرح الهادي) [٣].

٣ ـ أثر السخاوي في المزهر للسيوطي [٤].

٤ ـ أثر السخاوي في المصباح المنير للفيومي [٥].

٥ ـ أثر السخاوي في (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي [٦] .

---

(١) هو مخطوط يقع في ثماني ورقات ، قال الدكتور عبد الكريم جواد كاظم : ولم أجده للسخاوي ، ونسبه الدكتور أحمد هريدي للمهلبي ولم يترجم له . والحق أن معظم أبيات هذه المنظومة نسبها السيوطي في الأشباه والنظائر للمهلبي وهو مهلب بن حسن بن بركات البهنسي ، **ينظر** ترجمته في : البغية (٢/ ٣٠٤، ٣٠٥) والكتاب يسمى(نظم الفرائد وحصر الشرائد) ، قال الدكتور عادل خلف : لم يذكر صاحب البغية في ترجمته لقب (المهلبي) ، وذكره بروكلمان (٥ / ٣٠٤) أنه تلميذ ابن بري وقال الدكتور عادل خلف : لم يحدد السيوطي ولا بروكلمان تاريخ حياته . **ينظر** دراسة في مصادر السيوطي في الأشباه والنظائر الدكتور عادل خلف (٦١) .

(٢) قدم الدكتور عبد الكريم كاظم أدلة قطعية على تأثر ابن يعيش بالسخاوي من خلال شرحيهما على المفصل وكذا الدكتور محمود السيد الدريني في مقدمة تحقيقه للجزء الرابع من كتاب المفصل .

(٣) الزنجاني : عز الدين بن عبد الوهاب بن إبراهيم وقيل : هو تاج الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني أقام بالموصل ثم انتقل إلى بغداد وتُوفيَ بها سنة ٦٦٠هـ ألف كتاب (الهادي لذوي الألباب في علم الإعراب) ثم شرحه وسمى الشرح (الكافي شرح الهادي) وقد حقق الشرح الدكتور محمود فحال يوسف في رسالته للدكتوراه بكلية اللغة العربية بالأزهر . **ينظر** تفصيل ذلك في قسم الدراسة من المفصل وأثره في الدراسات النحوية للدكتور عبد الكريم جواز كاظم .

(٤) **ينظر** تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق سفر السعادة للدكتور أحمد هريدي .

(٥) **ينظر** المصدر السابق .

(٦) **ينظر** المصدر السابق .

٦ ـ أثر السخاوي في ابن الجزري [(١)].

ونذكر هنا نقل بعض المفسرين عن علم الدين السخاوي :

١ـ السخاوي في البحر المحيط لأبي حيان :

أ ـ نقل أبو حيان في البحر المحيط عن السخاوي رأياً فقهيًّا تفسيريًّا حول الصلاة الوسطى فذكر أنه قيل: إنها الوتر . قال : « واختاره أبو الحسن علي بن محمد السخاوي النحوي المقرئ »[(٢)].

ب ـ كما احتج أبو حيان بقول السخاوي عند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة:١٠٦]، فنقل عن السخاوي قوله بإشكال هذه الآية .

قال أبو حيان : « وقال أبو الحسن السخاوي : لم أر أحداً من العلماء تخلَّص كلامه فيها من أولها إلى آخرها » [(٣)].

جـ ـ كما نقل عنه أيضاً رأيه في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام:١٢١] بأن ظاهر الآية العموم في المعاصي كلها قال: قال السخاوي: «قال مكحول : وروي عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت مثل ذلك » [(٤)].

٢ ـ السخاوي في تفسير ابن كثير :

ذكر الحافظ ابن كثير علم الدين السخاوي وذلك عند تفسير سورة التوبة عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة:٣٦].

فقال : ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزء جمعه سماه المشهور في أسماء الأيام والشهور أن المحرم سمي بذلك لكونه شهرًا محرمًا ، وعندي أنه سمي بذلك تأكيدا لتحريمه لأن العرب كانت تتقلب به فتحله عاما وتحرمه عاما .

قال : ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم . وصفر سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم حين

---

(١) **ينظر** : مقدمة تحقيق جمال القراء وكمال الإقراء للدكتور علي حسين البواب (ص :٨) وما بعدها ، طيبة النشر لابن الجزري (١/ ٩٧) .

(٢) **ينظر** : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٢/ ٢٥٠) تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرين ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م .

(٣) البحر المحيط (٤/ ٤٣) ، وكذا نقله السمين الحلبي في الدر المصون (٢/ ٦٢٤) .

(٤) البحر المحيط (٤/ ٢١٤) .

يخرجون للقتال والأسفار ، يقال : صفر المكان إذا خلا ويجمع على أصفار كجمل وأجمال وشهر ربيع الأول سمي بذلك لارتباعهم فيه والارتباع الإقامة في عمارة الربع ويجمع على أربعاء كنصيب وأنصباء وعلى أربعة كرغيف وأرغفة . وربيع الآخر كالأول . جمادى سمي بذلك لجمود الماء فيه قال : وكانت الشهور في حسابهم لا تدور وفي هذا نظر إذ كانت شهورهم منوطة بالأهلة ، فلابد من دورانها فلعلهم سموه بذلك أول ما سمي عند جمود الماء في البرد كما قال الشاعر [من البسيط] :

وليلــة مــن جمــادى ذات أنديــة ... لا يبصر العبد فــي ظلمائهــا الطنبــا

لا ينبح الكلـب فيهـا غير واحـدة ... حتـى يلـف علـى خرطومـه الذنبـا

ويجمع على جماديات كحبارى وحباريات وقد يذكر ويؤنث فيقال جمادى الأولى والأول جمادى الآخر والآخرة . رجب من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على أرجاب ورجاب ورجبات . شعبان من تشعب القبائل وتفرقها للغارة ويجمع على شعابين وشعبانات . رمضان من شدة الرمضاء وهو الحر يقال : رمضت الفصال إذا عطشت ويجمع على رمضانات ورماضين وأرمضة ، قال : وقول من قال إنه اسم من أسماء الله خطأ لا يعرج عليه ولا يلتفت إليه . شوال من شالت الإبل بأذنابها للطراق قال : ويجمع على شواول وشواويل وشوالات . القعدة بفتح القاف قلت : وكسرها لقعودهم فيه عن القتال والترحال ويجمع على ذوات القعدة . الحجة بكسر الحاء قلت : وفتحها سمي بذلك لإقامتهم الحج فيه ويجمع على ذوات الحجة .

أسماء الأيام أولها الأحد ويجمع على آحاد وأوحاد ووحود ، ثم يوم الاثنين ويجمع على أثانين ، الثلاثاء يمد ويذكر ويؤنث ويجمع على ثلاثاوات وأثالث ، ثم الأربعاء بالمد ويجمع على أربعاوات وأرابيع ، والخميس يجمع على أخمسة وأخامس ، ثم الجمعة بضم الميم وإسكانها وفتحها أيضا ، ويجمع على جمع وجماعات ، السبت مأخوذ من السبت وهو القطع لانتهاء العدد عنده . وكانت العرب تسمي الأيام أول ثم أهون ثم جبار ثم دبار ثم مؤنس ثم العروبة ثم شيار (١) .

٣ ـ السخاوي في تفسير روح المعاني للألوسي (٢):

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٦٥) .

(٢) تجدر الإشارة إلى أن المفهرس لطبعة دار الكتب العلمية قد خلط بين علم الدين السخاوي المفسر النحوي وبين شمس الدين السخاوي المحدث المشهور صاحب (المقاصد الحسنة) وغيرها وذكرهما معا تحت: السخاوي .

ذكر الألوسي علم الدين السخاوي في مواضع متعددة من التفسير في اللغة وأسباب النزول، كما استعان برأيه في قضايا تفسيرية ، ومن ذلك :

أ ـ عند قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٧١] ذكر بعض التوجيهات واختار منها توجيهاً ونسبه إلى السخاوي وغيره .

قال الألوسي :

﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ صفة ﴿بَقَرَةٌ﴾ ، وهو من الوصف بالمفرد ، ومن قال : هو من الوصف بالجملة فقد أبعد عن الصواب ، و﴿لَّا﴾ بمعنى (غير) وهو اسم على ما صرح به السخاوي وغيره ، لكن لكونها في صورة الحرف ظهر إعرابها فيما بعدها ، ويحتمل أن تكون حرفاً كـإلاّ التي بمعنى غير في مثل قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢][١] .

ب ـ وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٤].

قال الألوسي في اشتقاق يأجوج ومأجوج : « وقال أبو الحسن علي بن عبد الصمد السخاوي : الظاهر أنه عربي وأصله الهمز وتركه على التخفيف ، وهو إما من الأجة وهو الاختلاف كما قال تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ [الكهف:٩٩]، أو من الأج وهو سرعة العدو قال تعالى : ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦] أو من الأجة وهي شدة الحر أو من أج الماء يأج أجوجا إذا كان ملحًا مرًّا ، انتهى »[٢] .

* * *

(١) وينظر : روح المعاني (١/ ٢٩٠) ط دار الفكر .

(٢) روح المعاني (١٦ / ٣٩) .

تفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي

وبعد هذه الجولة مع المصنف وحياته ومصنفاته وذكره في كتب الآخرين نركز الحديث هنا عن التفسير ونبدأ بأهم نقطة في هذا الأمر ، وهي توثيق نسبة التفسير لعلم الدين السخاوي فنقول ـ وبالله التوفيق :

ذكر المترجمون لعلم الدين السخاوي أن له تفسيرًا وصل فيه إلى سورة الكهف (١) . وكان ياقوت الحموي هو أول من أشار إلى ذلك (٢)، ثم تبعه في قوله من جاء بعده ممن ترجم لعلم الدين السخاوي . وقد كانت هذه النقطة سببًا من أسباب تأخرنا وترددنا في إخراج هذا السفر العظيم ، وبعد البحث وتتبع أقوال المترجمين للسخاوي تبين لنا أن (تفسير القرآن العظيم) لعلم الدين السخاوي تفسير كامل وهو الذي نقدمه كاملاً إلى المكتبة الإسلامية ، وقد بنينا هذا الرأي على عدة أدلة نوجزها في النقاط الآتية :

أولاً– الحصول على نسخة مخطوطة كاملة للتفسير من أول المقدمة وسورة الفاتحة حتى سورة الناس آخر القرآن الكريم ، في مجلدين ، وجاء على غلاف كل مجلد منهما (تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل ، العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين).

ثانياً– اعتمد القائلون بأن السخاوي توقف عند الكهف ولم يتمَّ تفسيره على ما ذكره ياقوت الحموي عند ترجمته للسخاوي ، وتابع كل من ترجم للسخاوي ياقوت الحموي في كلامه ، وهو قول نجزم ـ بعد البحث والتحقيق ـ بعدم صحته وذلك بناء على مجموعة أمورٍ من أهمها :

١ ـ أن ياقوت الحموي الذي ذكر هذا القول تُوفيَ (٦١٩ هـ) أي في حياة العلم السخاوي الذي تُوفيَ (٦٤٣ هـ) والفارق الزمني بين وفاتيهما ربع قرنٍ من الزمان تقريباً، وهي فترة كفيلة بأن يتم السخاوي تفسيره ؛ بل ويكتب تفسيراً آخر غيرَ هذا الذي بين أيدينا على ما سنبين لاحقاً .

٢ ـ وجود التفسير كاملاً – كما تقدم – متحدًا في أسلوبه وطريقة تصنيفه ومنهجه في تفسيره وآرائه ، من أول التفسير إلى آخره ، وسيأتي ذكر أمثلة على ذلك في هذه المقدمة .

---

(١) **ينظر** : كشف الظنون لحاجي خليفة (١ / ٤٤٨) ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي (١ / ٣٧٨) .

(٢) **ينظر** : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ١٩٦) .

٣ ـ تطابق آراء السخاوي في تفسيره مع آرائه في مصنفاته الأخرى ، كالمفضل في شرح المفصل ، وغيره وقد أشرنا إلى ذلك في مواضع من التحقيق ، ومن ذلك مثلاً ما عرضه السخاوي حول الواو في إعراب قوله تعالى في سورة الجاثية : ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الجاثية:٥] الآيات (١).

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة ص] أورد اعتراضًا على الزمخشري وذكر رأي الزجاج وهو بنصه في المفضل أيضاً (٢).

ثالثا- من أهم ما يمكن ذكره أن المصنف ذكر في سورة الكهف (٣) رأي كلٍّ من القاضي الفاضل وأبي الجود حول مسألة نحوية ، والذي يعنينا هنا أن كلاً منهما شيخ المصنف وكثيراً ما ذكرهما في مصنفاته ، والأكثر أهمية أن ذلك في الجزء الذي قال الزاعمون إن السخاوي لم يفسره .

رابعا- وردت إشارات من المصنف في تفسير السور من سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم يقرر أنه تقدم كلامه في السور التي قبل سورة الكهف وهذا من أقوى الأدلة على أن التفسير الذي بين أيدينا هو تفسير كامل لمصنفه علم الدين السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ ومن ذلك :

ونبه قبل ذلك أن المصنف ـ رحمه الله ـ له عبارة في النصف الأول من تفسيره ـ وهو الجزء الذي لم يشك أحد في نسبته إليه – عبارة تدل على أنه ـ رحمه الله ـ كان في تفسيره عازما على استكماله كله ، وهذه العبارة وردت في سورة الأنعام ، حيث قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام:١٢٨] .

قال السخاوي : واتخذتموهم أتباعًا . وقيل : المراد : استعاذة الإنس بالجن على ما يأتي شرحه في سورة ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [الجن:١] (٤).

ـ أما إشارات المصنف في الجزء الثاني والذي يبدأ من سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم وهو الجزء محل الشك ـ لدى من يشكون ـ فقد كانت كثيرة سنكتفي بذكر بعضها

---

(١) وينظر : المفضل في شرح المفصل للسخاوي (١ / ٢٠٨) فقد ورد هذا النص في كتاب المفضل (جـ٢/ الورقة ظـ من المخطوط) .

(٢) المفضل في شرح المفصل للسخاوي (٢ / ١٩٥) .

(٣) وذلك عند قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢].

(٤) أي : سورة الجن ، الآية (١) وقد فصل المصنف ذلك هناك . وفي ذلك إشارة منه ـ رحمه الله ـ أنه بصدد تفسير القرآن الكريم كله ، حيث تقع سورة الجن في الجزء التاسع والعشرين .

على سبيل التمثيل لا الحصر، وهي تشير إلى ما سبق وتقدم تفسيره وذكره في الجزء الأول ، وفي بعضها تكرار لتفسيرات وردت في بعض الآيات التي يتكرر ذكرها في القرآن الكريم في عدد من السور وسنشير إليها عند ذكرها ومن تلك الإشارات :

* عند قوله تعالى : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف:٣٢].

قال السخاوي ـ رحمه الله : « (مَثَلاً) و (رجلين) مفعولان لـ (اضرب) ومعناها : صيِّر ؛ كقولك : ضربت الطين لبنا ، وقد سبق أن الزمخشري قال : إن الجنة من النخل »[١] .

* وعند قوله تعالى : ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم:٤٧] .

قال السخاوي : هي الموعدة التي وعد بها إبراهيم أباه ، وقد بسط عذره وشرح قصته في سورة التوبة[٢] .

- وعند قوله تعالى : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء:٦٧].

قال السخاوي : ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ إن سألتموه النفع ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن تركتم عبادته (أُفٌّ لكُم) مذكور في (سبحان) »[٣].

ـ وعند قوله تعالى في سورة الحج : ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج:٥] قال السخاوي : « تفسير الأشدّ مذكور في سورة يوسف »[٤].

خامسا : يوجد كلام للسخاوي في تفسيره لسور ما قبل سورة الكهف تطابق مع كلامه في تفسير بعض سور ما بعد سورة الكهف ومن ذلك على سبيل التمثيل :

ـ في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦] قال السخاوي : « وابتداء السلام سنة ، وجوابه فرض كفاية ، إذا قام به بعض سقط عن الباقين ، وإذا التقى رجلان ، أو قال أحدهما للآخر : سلام عليكم ، وقال الآخر كذلك في وقت واحد ، وجب على كل واحد منهما الرد على صاحبه . وسلام المتاركة لا يقتضي جوابا لقوله : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] ، ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزُّخرُف:٨٩] ، وكذلك إذا انصرف عن جماعة فقال: سلام عليكم . لم

(١) وذكر ذلك في تفسير سورة الرعد ، الآية (٤) .

(٢) وذكر ذلك في تفسير سورة التوبة ، الآية (١١٤) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٢٣) حيث قال السخاوي هناك : « أُفّ : كلمة يتضجر بها ».

(٤) سورة يوسف ، الآية (٢٢) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ حيث قال السخاوي هناك : « قويت قواه وهو جمع شد ، وشدُّ النهار: وسطه ؛ لأن ضوء الشمس فيه أقوى» .

يستحق جوابا » .

ـ وقال في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ ﴾ [مريم:٤٧] : « سلام موادعةٍ ومفارقة »، وقال بعض أصحاب الشافعي: « إن سلام المتاركة لا يجب جوابه على السامع ».

ـ وعند قوله تعالى : ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم].

قال السخاوي: «وقال ـ سبحانه وتعالى ـ في حق فرعون: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس:٩٢] أي : نلقيك على مكان مرتفع عن الماء ، وكانت بنو إسرائيل قد قالوا بعد غرق فرعون : ما يموت فرعون أبداً ؛ لِما ثبت في قلوبهم من الرُعب منه ، فألقاه الموج على شاطئ البحر،وكان عليه درعٌ من ذهب معروفة لا يلبسها إلا هو، فعرفوه وتحققُوا موته ، فقوله : ﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي : نرفعك على مكانٍ عالٍ ، وإلا ففرعون ما نجا » .

ـ وقد ذكر السخاوي هذا الكلام في تفسير سورة يونس فقال : ﴿نُنَجِّيكَ﴾ : نلقيك على نجوة مكان مرتفع من الأرض ؛ لأن بني إسرائيل قالوا : ما غرق فرعون ؛ لما ثبت في قلوبهم من الرعب منه . فألقاه البحر على مكان مرتفع، وكان عليه درع من ذهب، فرآه بنو إسرائيل وعرفوه ، وأيقنوا بموته ».

ـ وفي سورة يونس عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ [يونس:٨١] قال السخاوي : «يدل على أن السحر حق ؛ لأنه وعد بإبطاله بسين الاستقبال ولو كان باطلا لاستحال إبطاله ؛ لأنه تحصيل الحاصل . وقد سحر رسول الله ﷺ . ومذهب الشافعي أن من قَتَل بسحرٍ يَقْتُلُ غالباً ـ يجب عليه القصاصُ ».

ـ وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق]: « النفاثات : النساء السواحر ، أو النفوس ، أو الجماعات السواحر ، وأنكر الحنفية تأثير السحر ، وقالوا: هو تخييل ؛ لقوله ـ تعالى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[طه:٦٦]. واحتج الشافعي على تأثير السحر بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ [يونس:٨١] فجعل إبطاله مستقبلا ، فدل على تحققه قبل الإبطال وبأن النبي ﷺ سحر، كما جاء في الحديث الصحيح».

ـ ومما تطابق فيه كلام السخاوي ما ذكره في سورة هود عند قوله ـ تعالى : ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ﴾ [هود:٧١] حيث قال السخاوي – رحمه الله : « وفيه دليل على أن الذبيح إسحاق ؛ لأن الذبيح هو المبشَّر به ؛ لقوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ [الصافات:١٠٢] ولم تبشر إلا بإسحاق ، ومن ذكر أنه إسماعيل قال : لو كان الذبيح إسحاق لما شك إبراهيم في أنه لا ينذبح ؛ لأن الله قد بشَّره بأن يولد من إسحاق ولد اسمه يعقوب ، فكان يعلم أنه لا يموت حتى يرزق الولد » .

ـ وفي سورة الصافات بعد تفسير الآيات التي تناولت قصة الذبيح [١] قال الشيخ علم الدين السخاوي – رحمه الله : « فإن قلت : من الذبيح ؟ قلت : فيه قولان :

أحدهما : أنه إسماعيل وبه قال ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين محتجين بأن الكبش والذبيح كانا بمكة، ولم ينقل أن إسحاق وصل إلى مكة ، بل إسماعيل ، وبنى هو وأبوه البيت .

والقول الثاني : أنه إسحاق وبه قال علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والعباس وعطاء ، وعكرمة ، وأن المذبوح هو المبشر به ؛ لقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات:١٠٢] .

وقد قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود:٧١] وقد ثبت أن المذبوح هو المبشر به، ولأن الله ـ تعالى ـ ما ذكر نبيًّا في هذه السورة إلا سلم عليه ، أو بارك ، وقد بارك على إسحاق بقوله: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات:١١٣] ، ولأن الله بشر إبراهيم بولد ، وبأن ذلك الولد يعيش إلى أن يولد له ولد ، فلو كان الذبيح إسماعيل لكان يقول : إن الله وعدني أن يعيش هذا حتى يرزق ولدًا ، ولم يرزق بعد ولدًا ، وأكثر العلماء على أن الذبيح إسحاق ».

سادسًا – يوجد تطابق في تسمية بعض السور في التفسير مع تسمية السخاوي لها في كتبه الأخرى؛ كما في تسمية سورة الشورى مع تسميته في جمال القراء وكمال الإقراء له [٢].

سابعًا– جاء مخطوط تفسير السخاوي الذي اعتمدنا عليه في التحقيق في مجلدين ، وكان من المفترض أن ينتهي المجلد الأول عند سورة الكهف ـ كما قد يفهم من كلام ياقوت الحموي ومن تبعه في ترجمته لعلم الدين السخاوي ـ وهذا لم يحدث ؛ بل بدأ المجلد الثاني بسورة النمل إلى آخر سورة الناس ، و قد حمل غلاف المجلد الثاني العنوان الآتي : « الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين » .

ـ أمَّا قول ياقوت الحموي إن السخاوي وصل في تفسيره إلى سورة الكهف فيمكن أن نفسره بما يلي :

لعل الحموي اعتمد في ذكر ما قال على ما وُجِدَ مكتوباً عند أول سورة الكهف على

(١) سورة الصافات ، الآيات (١٠٠ – ١١٣) .

(٢) **ينظر** : جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (ص : ٢١٥) حيث سماها سورة ﴿حمٓ ﴿١﴾ عسٓقٓ﴾، وكذا ورد اسمها في التفسير الذي بين أيدينا ، وهذا للتمثيل .

لسان محمد بن منصور ، وهو ناسخ هذه النسخة وهو أحد تلاميذ الشيخ علم الدين السخاوي ؛ حيث قال : « إلى هنا انتهت قراءتي على المصنف من أول الكتاب من النسخة التي نقلت هذه منها ، كتبه محمد بن منصور مالكها » [١].

ومن كلام الناسخ يمكن أن نؤكد أن الذي لم يتم هو قراءة الناسخ ـ الذي هو تلميذ المصنف ـ التفسير عليه ، لا أن التفسير لم يتم ، وهذا بيِّنٌ جدًّا من سياق الكلام ، كما لا يُسْتبعَدُ – في نظرنا – أن الحموي وغيره لم يدققوا في هذه العبارة ، وسار المتأخرون على ما ذكر المتقدمون في هذا الأمر .

* وهناك احتمال آخر قد نفسر به كلام ياقوت ومن اتبعه وهو احتمالٌ قويٌّ كذلك ، وهو أننا من خلال قراءتنا لترجمة السخاوي وأخباره وقفنا على أن للسخاوي تفسيراً آخر مطوَّلاً ومن الممكن أن هذا التفسير المطوَّل هو الذي لم يتم ، أو أن المصنف وصل فيه إلى سورة الكهف ؛ ويؤيد هذا أن بعضهم نقل عن السخاوي آراء في التفسير لم نجدها في تفسيره الذي بين أيدينا نحققه ، ومن ذلك ما أورده أبو شامة (وهو من كبار تلاميذ السخاوي) في تاريخه عند الحديث عن فتح بيت المقدس ؛ حيث قال أبو شامة : « رأيت أنا في كتاب تفسير القرآن لأبي الحكم بن برجان [٢] ذكر في تفسير أول سورة الروم أن بيت المقدس استولت عليه الروم عام سبعٍ وثمانين وأربعمائة ، وأشار أنه يبقى بأيديهم إلى تمام خمسمائة وثلاث وثمانين سنة .

وهذا الذي ذكره أبو الحكم الأندلسي في تفسيره من عجائب ما اتفق لهذه الأمة المرحومة، وقد تكلم عليه شيخنا أبو الحسن علي بن محمد في تفسيره الأول ؛ فقال : « وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي في أول سورة الروم إخبارٌ عن فتح بيت المقدس ؛ وأنه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف وإنما أخذه فيما زعم من قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم : ١-٤] فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون، فذكر أنهم يغلبون في سنة كذا وكذا ويغلبون في سنة كذا وكذا على ما تقتضيه دوائر التقدير.

---

(١) ينظر : تفسير السخاوي الورقة (١٠٥) من المخطوط .

(٢) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن أبو الحكم اللخمي الإفريقي ، ثم الإشبيلي المشهور بابن برجان . كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة ، ومن مصنفاته : تفسير القرآن و شرح الأسماء الحسنى . تُوفيَ سنة ست وثلاثين وخمسمائة . تنظر ترجمته في : طبقات المفسرين للسيوطي (١ / ٥٧) .

ثم قال: وهذه نجابة وافقت إصابة إن صح ، قال ذلك قبل وقوعه وكان في كتابه قبل حدوثه قال: وليس هذا من قبيل علم الحروف ولا من باب الكرامات والمكاشفات ولا ينال في حساب. قال: وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه . قلت : ابن برجان ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال : إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لأن مولده في سنة إحدى عشر وخمسمائة فتهيأ لأسباب ذلك حتى إنه أعد منبرًا عظيمًا لبيت المقدس إذا فتحه والله أعلم »[(١)].

ـ ولأبي شامة نص آخر في ترجمة كمال الدين الدزماري يقول فيه : « وهو الذي ذكره شيخنا السخاوي في خطبة تفسيره وأثنى عليه ، وكان ملازمًا حلقة شيخنا وقت سماع التفسير وفي أيام ختمات الطلبة »[(٢)].

ولم يرد ذكر لذلك في مقدمة التفسير الذي بين أيدينا .

ومن يقرأ ويمعن النظر ـ بقليل من الدقة ـ في هذين النصين لأبي شامة وهو من أقرب الناس لشيخه السخاوي وأدراهم بمصنفاته يمكن أن يقف على الحقائق الآتية :

ـ أن للسخاوي تفسيراً آخر ، وهو ما عبَّر عنه أبو شامة بقوله : « تفسيره الأول » ، ويحتمل أنه المقصود في كلام ياقوت بأن السخاوي لم يتمه ووصل فيه إلى الكهف . والله تعالى أعلم .

ـ أن الذي بين أيدينا تفسيرٌ كاملٌ للسخاوي ؛ لما تقدم ذكره منذ قليل .

وإذا أضيف إلى كل ما سبق أن القارئ والمحقق لن يجد فرقًا بين أول التفسير وآخره من حيث المنهج وطريقة العرض والآراء الفقهية واللغوية وكذا مذهب المصنف الفقهي والعقدي والنحوي كما سبق بيانه ؛ فهو شافعي يذكر مذهب الشافعي ويؤيده من أول التفسير إلى آخره ، وكذا فهو في العقيدة يتبنى رأي أصحاب التأويل لا سيما في الآيات التي تتناول صفات الله تعالى التي قد يوهم ظاهرها ـ وهذا في رأي السخاوي ومدرسته ـ تشبيها

---

(١) ينظر كلامه في : الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة (٣ / ٣٩٤ - ٣٩٥) ط . مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٩٧ م – تحقيق إبراهيم الزيبق . وذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/ ٣٢٦) نقلاً عن أبي شامة .

(٢) نقله عن أبي شامة ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٨ / ٣٠) ، وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية (٢ / ١٠٠) ، وذكره الدكتور عبد الكريم جواد كاظم في مقدمة رسالته للدكتوراه (ص : ٩٤) من الدراسة ، بعنوان : (المفضل للسخاوي وأثره في الدراسات النحوية في القرن السابع الهجري) كلية اللغة العربية ـ الأزهر ـ القاهرة رقم (١٤٠٧) نقلاً عن أبي شامة .

لله تعالى بخلقه .

وقد بينا في غير موضع من التفسير عند تعليقنا على كلام السخاوي ـ رحمه الله ـ المذهب الذي نراه أحق بالاتباع ، وهو أيضا أسلم وأحكم وهو مذهب أهل السنة والجماعة من السلف والخلف .

وقد استمر السخاوي على مذهبه هذا في تفسيره كله في النصف الثاني كما هو في النصف الأول .

كما أن هناك ملمحاً عامّاً في التفسير كله وهو العناية بآراء الزمخشري والتعليق عليها .

وأخيرًا : كتبت عدة دراسات علمية موثقة وقد ذكرت نسبة التفسير إلى السخاوي كاملاً ومن هذه الإشارات والدراسات :

* التفسير في القرن السابع الهجري (١) .
* مقدمة تحقيق كتاب سفر السعادة (٢) .
* الاتجاهات الأدبية في تفسير السخاوي (٣) .
* السخاوي وجهوده النحوية من خلال تفسيره للقرآن العظيم (٤) .
* السخاوي وجهوده اللغوية من خلال تفسيره للقرآن العظيم (٥) .

ومجمل القول وخلاصته التي يمكن أن تقال بعد هذا الاجتهاد منا : إننا لم نجد مسوِّغاً ينفي نسبة ما بعد سورة الكهف لعلم الدين السخاوي إلا ما قدمناه من ترجمة ياقوت ونقل التابعين قوله بلا برهان غير ما ذكرناه من الفهم الخاطئ لعبارة الناسخ .

وبعد ... فإن التراثَ العربيَّ المحققَ زاخرٌ بمصنفات غير منسوبة أو مختلف في نسبتها إلى أصحابها ، ولم يقلل ذلك أو ينقص من قيمة المصنفات ؛ بل ظلت مصدر نفع وخير للقراء ، وهذا أمرٌ يفوق الحصر ، يكفي التمثيل لذلك بإعراب القرآن المنسوب للزجاج ، وكذا الحدائق في النحو لمجهول ، وبعض مصنفات الخليل ؛ كالجمل والمنظومة النحوية وغير ذلك من الكتب . وهذا لا يعني أن لدينا شكًا في نسبة النصف الثاني من تفسير السخاوي ؛ بل فقط نقول : تبقى مادة الكتاب معبِّرة عن قيمته ، ولو لم يُنسب ، فما بالنا وقد ثبت لدينا بما

---

(١) رسالة دكتوراه ـ بدار العلوم ـ جامعة القاهرة .

(٢) للدكتور أحمد عبد المجيد هريدي رسالة دكتوراه بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة .

(٣) رسالة ماجستير للدكتور أحمد عثمان أحمد ـ بكلية دار العلوم ـ جامعة المنيا .

(٤) رسالة ماجستير للدكتور أشرف محمد محمد عبد الله - بدار العلوم - جامعة المنيا .

(٥) رسالة دكتوراه للدكتور أحمد طه ـ دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ فرع الفيوم ـ ٢٠٠٣م.

ذكرنا من أدلة صحة نسبة التفسير كله للعلامة علم الدين السخاوي .

وبعد :

فهذا ما أدى إليه اجتهادنا المتواضع والله يعلم أننا بذلنا ما في وسعنا للوصول إلى الحق، فإن وفقنا فمن الله تعالى وله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فحسبنا أننا اجتهدنا ونسأل الله بفضله ألا يحرمنا الأجر الواحد وإنا به راضون ، والباب مفتوح لمن لديه رأي يخالفنا أو يؤكد ما ذهبنا إليه أو يضيف جديدًا لما ذكرنا ، ونسأله ألا يبخل علينا برأيه ، فالعلم رحم بين أهله، والدال على الخير كفاعله، هذا والله أعلم ، وهو المستعان ، وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين .

ولا ننسى في الختام أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من أعاننا في إخراج هذا التفسير ، ونخص منهم: فضيلة الشيخ العلامة الشيخ عبد السلام بن محمد بن حبوس الذي قدم للتفسير ، والأخ الدكتور أحمد طه الذي أعاننا في الحصول على النسخة المخطوطة، والأخ الدكتور محمد عبد الكريم الذي أشرف على طباعة جزء من التفسير، والأخ الأستاذ محمد شتا ، والأستاذ المستشار ممدوح الشريف ، والأستاذ المحامي وائل غنيم ، وجميع الزملاء والباحثين وطلاب العلم ، وكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب، ونسأل الله أن يجعله نافعًا للمسلمين وأن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل .

* * *

منهج السخاوي في تفسيره

أشار الإمام علم الدين السخاوي إلى منهجه في مقدمة تفسيره وذلك في قوله ـ رحمه الله : « فالعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة لا تحصى ، وأجلها ما يبحث فيه عن ألفاظه ومعانيه ويستقصى ، والمصنفات فيه بين أمرين ؛ طويلة لا تنضبط للآمل ، وقصيرة لا يحصل منها ذو الأرب على طائل ، فاستخرت الله - تعالى - في سلوك طريق متوسط ، لا بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، ساعيًا في تهذيب الألفاظ وتحريرها ، وإيجازها وتيسيرها ، مشيرًا إلى عيون القصص بأحسن إشارة ، متوخيًا في الإعراب والأقوال وغيرهما أوجز عبارة ، وهو عمدة لمن اعتمد عليه ، والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه ، موجبًا للفوز لديه ، وهو حسبي ونعم الوكيل » .

ومن خلال تحقيقنا لتفسير السخاوي واستقرائه يمكن إجمال منهجه في (تفسيره للقرآن العظيم) في النقاط الآتية :

١ ـ الاعتماد على التفسير بالمأثور (بالقرآن الكريم ـ والحديث النبوي الشريف ـ والأثر عن الصحابة والتابعين) .

٢ ـ جمع الأقوال في تفسير الآية الواحدة والترجيح والاختيار منها .

٣ ـ الاعتناء بالقراءات عناية فائقة ، وتوجيهها ، وإسنادها إلى أصحابها أحيانا.

٤ ـ التنبيه على المكي والمدني من السور .

٥ ـ ذكر أسباب النزول .

٦ ـ الاعتناء بالجانب اللغوي والنحوي ؛ فكان يورد الأصل اللغوي للكلمات واشتقاقها واستعمالاتها ، ويعتني بالقضايا النحوية ، والإعرابية ، ويناقشها ، ويقوم بالاختيار والترجيح في بعضها ، والمخالفة والاعتراض في البعض الآخر .

وأورد على ذلك شواهد شعرية كثيرة وكان ينسب الكثير منها لأصحابها.

٧ ـ ذكر بعض المسائل الكلامية والأصولية والرد على معارضيه أو مخالفيه كالزمخشري وغيره في الآراء الاعتزالية ، وفي بعض الأحيان كان يشتد إنكارُه عليهم .

٨ ـ عرض المسائل الفقهية والكلامية والبلاغية بطريقة السؤال والجواب .

٩ ـ تعدد المصادر ونسبة الأقوال إلى أصحابها.

١٠ ـ عدم إيراد الإسرائيليات إلا في مواضع قليلة مع التنبيه على ضعفها .

والقارئ للتفسير سيقف على جوانب هذا المنهج وستتضح له هذه الأمور ويمكن الاستدلال على ذلك أيضا من خلال ما ورد في الفهارس من ذكر القراءات والأحاديث والأشعار والأقوال اللغوية والأعلام والكتب .

نُسَخُ الكتاب وأماكنُ وجودها ومنهجنا في التحقيق

لتفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي نسختان :

١ ـ نسخة بدار الكتب المصرية – مكتبة أحمد تيمور رقم (١٥٩ تفسير) عدد أوراقها ٣٥١ ورقة ، وهي التي اعتمدنا عليها في التحقيق .

٢ ـ نسخة بمكتبة ولي الدين ـ السليمانية ـ تركيا ـ رقم (١١ ـ ١٦٦) ـ ٦٠٠ ورقة ـ كما جاء في فهارس آل البيت (١ / ٢٤٨) – الأردن [١] .

ـ وأما عملنا في التحقيق فقد قمنا بما يلي :

ـ نسخ المخطوط الذي اعتمدناه في التحقيق ، وهو نسخة دار الكتب المصرية .

ـ مقابلة النسخة المخطوطة بكتب التفسير الأخرى ، وعلى رأسها النكت والعيون للماوردي ، والكشاف للزمخشري ، وذلك لإتمام ما كان فيه من بياض أو سقط ، وذلك لكثرة نقل المصنف السخاوي عنهما .

– ذكرنا نسبة السورة – مكية أو مدنية – فيما لم يذكره المصنف؛ زيادة في الفائدة .

ـ تخريج الآيات القرآنية والقراءات القرآنية وضبطها .

ـ تخريج الأحاديث النبوية والآثار .

ـ تخريج الأشعار والأمثال والأقوال اللغوية .

ـ ترجمة الأعلام غير المشهورين .

ـ توثيق النقولات من أماكنها .

ـ توثيق المسائل الفقهية الخلافية والتعليق على بعضها .

ـ توثيق القضايا الكلامية والتعليق عليها .

ـ تفسير الغامض من الكلمات والمصطلحات .

ـ التعليق على المسائل النحوية وتوثيقها من مراجعها المعتمدة .

---

(١) حاولنا الحصول على هذه النسخة من المكان المشار إليه في تركيا ، وبعد بحث وعناء أخبرنا أخونا وصديقنا الدكتور أحمد طه أنه حصل على هذه النسخة عن طريق أحد الأفاضل بالرقم المثبت هنا في المكتبة بحسب إشارة فهارس آل البيت ، لكن وجد أن النسخة ، وإن كتب على غلافها علم الدين السخاوي ، ليست له ؛ فقد احتوت ذكر بعض العلماء من القرن العاشر الهجري أي بعد علم الدين السخاوي ، وغير ذلك مما يقطع بأنها لغيره ، وهذا شائع في فهارس المخطوطات ، فاكتفينا بنسخة دار الكتب المصرية التي اعتمدناها ، والحمد لله .

ـ ضبط النص وتقسيمه إلى فقرات وترقيمه بعلامات الترقيم المناسبة ومنها :

( ) القوسان الهلاليان للآيات المفسرة ولأرقام الحواشي ، ولأسماء الكتب والبلدان .

[ ] المعقوفان لما زاد على النص من كتب التفسير في المواضع غير الواضحة أو ليست في النسخة المخطوطة . ولبحور الشعر للأبيات الشعرية الشواهد في التفسير أو في الحواشي .

/ ( ) الخط المائل والقوسان الهلاليان علامة انتهاء الصفحة المخطوطة ورقمها .

" " علامتا التنصيص للنقولات .

ـ ـ الشرطتان الأفقيتان للجمل الاعتراضية .

ـ بالإضافة إلى العلامات الأخرى المعروفة كالنقطة ، والفاصلة ، والفاصلة المنقوطة ، وعلامتي التعجب والاستفهام ، وغيرها .

ـ عمل فهارس عامة ، وشملت :

ـ فهرس القراءات القرآنية .

ـ فهرس الأحاديث والآثار .

ـ فهرس الأشعار والأمثال .

ـ فهرس الأعلام المعرَّفة .

ـ فهرس الأماكن والبلدان .

ـ فهرس المحتويات .

وصف النسخة المخطوطة وعرض نماذج لبعض صورها

تقع نسخة دار الكتب المصرية - التي اعتمدناها في التحقيق - في ثلاثمائة واثنتين وخمسين ورقة (٣٥٢) ، في كل ورقة صفحتان ، وأسطر الصفحة الواحدة واحد وعشرون سطرا (٢١) ، في مجلدين :

بدأ المجلد الأول بصفحة العنوان كتب عليه : (تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل العلامة فريد دهره ووحيد عصره علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين).

ثم بدأ بمقدمة للمصنف - رحمه الله تعالى - ثم شرع في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى سورة الشعراء في مائة وستين ورقة (١٦٠) في كل ورقة صفحتان كتب بخط واضح ، وبه

بعض السقط والبياض القليل .

ثم بدأ المجلد الثاني بصفحة العنوان كتب عليه : (الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل ، العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين).

ثم بدأ بتفسير سورة النمل إلى سورة الناس وجاء في مائة وتسعين ورقة (١٩٠) في كل ورقة صفحتان . كتب بخط واضح ، وجاء في آخره : « وليكن آخر الكلام الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف السابقين والمصلين ، محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين » .

* * *

المصورات

صفحة العنوان من الجزء الأول من تفسير الإمام العلامة السخاوي

الصفحة الأولى من الجزء الأول من تفسير الإمام العلامة السخاوي

الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من تفسير الإمام العلامة السخاوي

الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم
للشيخ الإمام العالم العلامة فريد دهره ووحيد
عصره علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
السخاوي تغمده الله برحمته آمين

صفحة العنوان من الجزء الثاني من تفسير الإمام العلامة السخاوي

الصفحة الأخيرة من تفسير الإمام العلامة السخاوي

سند المحقق للعلاّمة علم الدين السخاوي

أقول أنا محقق هذا الكتاب ـ العبد الفقير إلى عفو ربه الغفور الودود ـ موسى بن علي بن موسى بن مسعود : « لقد منَّ اللهُ عليَّ فجعلني في نظم سلسلة نورانية مباركة تبدأُ من العبد الفقير بسندي المتصلِ عن فضيلة الشيخ العلامة المسند حسنة العصر ، وفريد الدهر الشيخ عبد السلام بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن حبوس إلى رسول الله ﷺ وذلك بقراءتي ختمةً كاملةً للقرآن الكريم حفظًا وتلاوة على الشيخ عبد السلام حبوس ، فأجازني بالقراءة والإقراء والإجازة برواية حفص عن عاصم .

ثم كان من تمام المنة أن وُصِلتُ بسند إلى الشيخ الإمام علم الدين السخاوي ، حيث أخبرني شيخي الشيخ عبد السلام بن محمد بن حبوس قال : أخبرنا شيخنا الشيخ عبد الله ابن محمد الصديق الغماري ، عن الشيخ أحمد بن رافع الطهطاوي ، عن الشيخ محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي ، عن الشيخ محمد السمباوي الشهير بالأمير الكبير . (ح) قال: وأخبرنا الشيخ أبو الفيض محمد بن ياسين الفاداني إجازة عامة وإجازة خاصة فقال : أخبرنا الشيخ عمر بن حمدان المحرثي قال : أخبرنا شيخاي الشيخ السيد علي الوتري المدني ، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي كلاهما عن الشيخ أحمد منة الله العدوي المالكي عن الشيخ الأمير الكبير .

(ح) قال : وأخبرنا شيخ مشايخنا الشيخ أحمد بن رافع الطهطاوي بالإجازة العامة لأهل العصر ، عن الشيخ محمد بن مصطفى الدمياطي ، عن الشيخ الأمير الكبير قال : أخبرنا الشيخ محمد بن عقيلة المكي ، عن الإمام نور الدين علي بن محمد الأجهوري ، عن العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الرملي ، عن شيخ الإسلام قاضي القضاة زكريا الأنصاري عن الحافِظَيْن نجم الدين عمر بن فهد ووالده العمدة الرحلة تقي محمد بن النجم محمد فهد المكي قال : أخبرنا الحافظ قاضي القضاة أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري شِفَاهًا عن أبي العباس أحمد بن الحسين الحنفي قال : أخبرنا به والدي سماعاً قال : أخبرنا الإمام أبو القاسم عبد الرحمن أبو شامة ، عن الشيخ علم الدين السخاوي بما له من مصنفات .

(مقدمة المصنِّف)

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم ، الحمد لله الذي جعل القرآن أشرف الكتب المنزلة، وأدل دليل على رسالة نبيه وأكمله، وخصه بالتراكيب البديعة، والأساليب المنيعة، وأودعه من المعاني ما يقصر عن الإحاطة بها أهل الأرض ، وجعله أفضل عدة مدخرة ليوم العرض .

أحمده على أن جعلنا من أهله ، ومنَّ علينا بحمله ونقله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من جعل القرآن شفيعه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ذو الدرجة العالية الرفيعة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تتجدد بمر الزمان ولا تبلى ، ما دامت الآيات المنزلة عليه تحفظ وتتلى .

أما بعد : فالعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة لا تحصى ، وأجلُّها ما يبحث فيه عن ألفاظه ومعانيه ويستقصى ، والمصنفات فيه بين أمرين؛ طويلة لا تنضبط للآمل ، وقصيرة لا يحصل منها ذو الأرب على طائل ، فاستخرت الله - تعالى - في سلوك طريق متوسط ، لا بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، ساعيًا في تهذيب الألفاظ وتحريرها ، وإيجازها وتيسيرها ، مشيرًا إلى عيون القصص بأحسن إشارة ، متوخيًا في الإعراب والأقوال وغيرهما أوجز عبارة ، وهو عمدة لمن اعتمد عليه ، والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه ، موجبًا للفوز لديه ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

* * *

تفسير سورة الفاتحة [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على[1] ما وصل إلى الحامد ، وعلى ما لم يصل إليه . والشكر : على ما وصل .

وقيل : هما سواء ؛ لقوله : الحمد لله شكرا ....[2]

---

(١) في الأصل : «إلى» والصواب ما أثبتناه ؛ لأن الحمد ومشتقاته يتعدى إلى مفعولين، أولهما بنفسه، وثانيهما بواسطة حرف الجر « على» دون غيره .

(٢) هذا صدر بيت ذكره الحافظ العراقي في تاريخ بغداد (١٤ / ٣٢٢) ط . دار الفكر ـ بيروت ـ بدون تاريخ ، لأبي نصر يوسف بن عمر بن محمد القاضي في أبيات له ومنها :

يا محنة الله كفي ... إن لم تكفي فخفي
ما آن أن ترحمينا ... من طول هذا التشفي
ذهبت أطلب بختي ... فقيل لي: قد توفي
كم من عالم في الثريا ... وعالم متخفي
الحمد لله شكرا ... على نقاوة حرفي

واختلف العلماء في «الحمد والشكر» هل هما من المترادف أو من المتباين على قولين :

الأول – قول من يقول : هما بمعنى واحد مستدلين بقولهم : فشكراً الحمد لله شكرًا نائب عن المصدر «الحمد» في باب المفعول المطلق ، والتقدير : الحمد لله حمدًا ، وهو قول ابن جرير ونصره القرطبي .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١ / ٢٣) : « وهذا الذي ادّعاه ابن جرير فيه نظر ؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان » .

الثاني – قول من يقول : هما متباينان .

واختلفوا في الفرق بينهما على أقوال :

الأول – الحمد يكون باللسان وحده ، بينما الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ومنه قوله ـ تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ : ١٣] وقول الشاعر [من الطويل] :

وما كان كريش وافياً بنوالكم ... ولكنني حاولت في الجهد مذهبا =

(الرب) : السيد أو المالك أو المصلح ؛ يقال : رب الأديم : إذا أصلحه أو من التربية .
﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ : قيل إنه من كل موجود سوى الله تعالى [1].

=أفادتكم النعماء مني ثلاثةً   يدي ولساني والضمير المحجبا

فيكون بين الحمد والشكر عموم وخصوص ؛ إذ الشكر أعم من الحمد متعلقا ؛ لتعلق الشكر باللسان والجنان والأركان ، في حين يتعلق الحمد باللسان فقط ، ويكون الشكر أخص من الحمد سبباً ؛ لأن سبب الشكر نعمة مسداه إلى الشاكر لا إلى غيره ، بينما سبب الحمد نعمة مسداة إلى الحامد أو إلى غيره . وهذا هو العموم والخصوص الوجهي .

وقيل : إن الحمد: هو الثناء على الجميل الاختياري بقصد التعظيم سواء أُسدي الجميل إلى الحامد أو إلى غيره . أما الشكر : فلا يكون إلاّ على جميل مُسدىً إلى الشاكر .

الثاني : قيل : بينهما عموم وخصوص مطلق ؛ فالحمد هو الثناء على الله – تعالى – بالفضيلة .

وقالوا : المدح أعم من الحمد وهو ـ أي الحمد ـ أعم من الشكر ؛ إذ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره وبغير اختياره ، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه ، كما يمدح ببذله ماله وشجاعته وعلمه . أما الحمد فيكون فيما يكون من الإنسان باختياره سواء وصلت النعمة إلى الحامد أو إلى غيره .

والشكر يكون في مقابلة نعمة وصلت إلى الشاكر لا إلى غيره، فكلُّ شكرٍ حمدٌ، وليس كلُّ حمدٍ شكراً ، وكلُّ حمدٍ مدحٌ وليس كلُّ مدحٍ حمداً . وهذا هو العموم والخصوص المطلق .

وقيل : الحمد مقلوب من المدح ، وينقل هذا عن ثعلب، وليس بسديد ؛ فقد أورد عليه أن المقلوب أقل استعمالا من المقلوب منه . وهذان مستويان في الاستعمال ، فليس ادعاء قلب أحدهما من الآخر أولى من العكس فكانا مادتين مستقلتين بينهما عموم وخصوص مطلق ، كما سبق بيانه. وأيضا فإنه يمتنع إطلاق المدح حيث يجوز إطلاق الحمد ، فلا يقال : مدحت الله ، ويقال : حمدت الله. فلو كان مقلوبا منه لما امتنع ذلك.

الثالث : قيل : بين الحمد والشكر مباينة ، فالحمد هو الثناء على الله – تعالى- بأوصافه بما لا اختيار فيه .

والشكر : هو الثناء على الله – تعالى – بأوصافه .

وينظر في ذلك : تفسير ابن جرير الطبري (١ / ٦٠) ط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، تفسير ابن كثير (١/ ٢٢، ٢٣) ط ، مكتبة مصر الفجالة، القاهرة ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٦٣) ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م ، تحقيق : على محمد معوض وآخرون .

(١) عاقلاً أو غير عاقل ، فيصح أن يكون «عالمون» جمع عالم جمع سلامة ؛ لأن العالم يطلق على ما سوى الله ـ تعالى ـ سواء كان عاقلاً أو غير عاقل ، فيكون الجمع قد جرى على مفرده ، وهذا ظاهر كلام الراغب، وصححه السمين الحلبي . **ينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٦٨) ، معجم ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (ص : ٣٥٧) ط . دار المعرفة، بيروت ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

وقيل : من يعقل خاصة وهم الجن والإنس والملائكة [(١)] .

والخلاف : أنه مأخوذ من العِلم أو من العلامة ؛ لأنه دليل على خالقه وموجده .

(الملك) : من اتسع ملكه . و(المالك): ينطبق على من ملك قليلا أو كثيرا [(٢)] .

و ﴿ ٱلدِّينِ ﴾ : الجزاء (٢/أ) .

و(العبادة): غاية الذلة والخضوع ، ويخص استعمالها بالخضوع لله - تعالى - فيقال : ذللت لزيد وخضعت له ، ولا يقال : عبدته .

﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ : الطريق . والمنعم عليهم : الأنبياء . وقيل : النبيون والصديقون والشهداء والصالحون .

﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ : اليهود .

و ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ : النصارى .

---

(١) فيكون «عالمون» على هذا القول اسم جمع ، لا واحد له من لفظه ، إنما واحده من معناه كالناس ، ولا يجوز أن يكون جمعا لـ «عالم» ؛ لأن الصحيح في «عالم» أنه يطلق على كل موجود سوى الباري ـ سبحانه وتعالى ـ لاشتقاقه من العلامة، بمعنى أنه دال على صانعه . و «عالمون» بصيغة الجمع لا يطلق إلا على العقلاء دون غيرهم ، على هذا القول ، فاستحال أن يكون «عالمون» جمع عالم ؛ لأن الجمع لا يكون أخص من المفرد ، وهذا نظير ما فعله سيبويه في أن أعراباً ليس جمعا لـ «عرب»؛ لأن «عربا» يطلق على البدوي والقروي ، و«أعرابا» لا يطلق على البدوي دون القروي .

ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٦٨) .

(٢) قرأ « مَلِكِ » أبو عمرو ، ونافع ، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة ،وأبو جعفر، من العشرة ، وقرأ باقي العشرة : عاصم والكسائي ويعقوب وخلف «مالك» . و قرأ « مَلَكَ » بلفظ الفعل الماضي ونصب «يوم» علي ﷺ وأبو حيوة وأبو حنيفة وجبير بن مطعم وأبو عاصم عبيد بن عمير الليثي ، والحسن وعاصم الجدري ويحيى بن يعمر .

وتنظر القراءات في : إعراب القرآن للنحاس (١ / ١٧٢) ط . عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية، بيروت ، تحقيق : الدكتور زهير غازي زاهد ط٢ ، ١٩٨٥م ، إملاء العكبري (١ / ٤) ط . مكتبة الدعوة، القاهرة ، البحر المحيط (١ / ٢٠) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٣م تحقيق : علي معوض وآخرون ، وط . دار الفكر ، بيروت ١٩٨٣م ، الحجة لابن خالويه (ص : ٦٢) ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٩٠م ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٧١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٠٤) ط . دار المعارف ، القاهرة ، تحقيق : شوقي ضيف ، ١٩٨٨م ، الكشاف للزمخشري (١ / ٥٧) ط . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٤٧ م . و ط . دار المعرفة ، بيروت ، المحرر الوجيز لابن عطية (١ / ٦٨) ط . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .

سورة البقرة [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ والحروف التي في أوائل السور أسماء السور . وقيل : أسماء القرآن .

وقيل : من أسماء الله – تعالى . وقيل : هي حروف لو جمعت حصل منها معنى مقصود لأنك لو جمعت ﴿الٓر﴾، و﴿حمٓ﴾ ، و﴿نٓ﴾ صارت "الرحمن" .

الريب: قلق يحصل عند الشك والتردد ومنه : ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور : ٣٠] .

وقيل: إنه من القلق . والوقوف على قوله ﴿فِيهِ﴾ . وقيل : على قوله ﴿لَا رَيْبَ﴾.

التقوى: الحظر والتشمير. وسأل عمر بن الخطاب [كعب الأحبار] (١) عن التقوى فقال : يا أمير المؤمنين ، هل سلكت طريقا فيه شوك ؟ قال : نعم . قال وكيف صنعت ؟ ، قال: حذرت وشمرت ، قال : كذلك التقوى (٢) وقيل : يدخل فيه عمل الطاعات واجتناب المعاصي وقيل : تخص باجتناب المعاصي .

والغيب: ما لا يطلع العباد عليه إلا بالوحي كالصراط والميزان والجنة والنار . أما ما

---

(١) هكذا ثبت في المخطوط والصواب – كما في تفسير ابن كثير والكشاف للزمخشري – أن المسؤول أُبيُّ بنُ كعب، وليس كعب الأحبار كما وقع هنا ، فلعله اختلط على الناسخ ؛ لاشتراكهما في اسم "كعب" **ينظر** : تفسير ابن كثير (١/ ٤٠) .

(٢) زاد الحافظ ابن كثير بعده فقال : وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز ، فقال [من مجزوء الكامل] :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

أخفاه الله من غيره ، فلا يسمى غيبا [(١)].

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ مرفوع ، أو مجرور ، صفة لـ «المتقين» أو منصوب بإضمار «أعني» . «وإقامة الصلاة» : الإتيان بها بأركانها وشروطها وآدابها . وقيل : تقيم الأمة شعارها . وقيل : سميت باسم القيام الذي هو جزء منها ، كما سميت «قرآنا» في قوله : ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٨] . وتسبيحا في قولهم : «سبحة الضحى»[(٢)].

وقوله ﴿يُنفِقُونَ﴾ : يريد به النفقات الواجبات . وقيل : إلى الواجبات والتطوعات.

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [يجوز أن يكون] مبتدأ ، وخبره : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾، ويجوز أن يكون معطوفا على ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ في هذه الثلاثة [(٣)] وقيل : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ لمن آمن من عبدة الأوثان ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ لمن أسلم من اليهود والنصارى . والفلاح : البقاء ؛ كقول الشاعر [من الكامل] :

لو كان حيٌّ مدركَ الفلاحِ ... أدركه ملاعبُ الرماحِ[(٤)]

(٢/ ب) فمعنى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الباقون في الجنة . وقيل : معناه : الفوز بالمطلوب .

وقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ عام أريد به الخاص ، وهو من علم الله أنه لا يؤمن، وإلا فكثير من الكفار قد نفع فيهم الإنذار، وآمنوا بالله الواحد القهار .

---

(١) كذا بالأصل وذكر المناوي في كتاب التوقيف في مهمات التعاريف (١/ ٥٤٣) أن الغيب : « ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به الفعل فيحصل به العلم » .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٣٦) ، وأبو داود رقم (١٢١٠) ، وابن ماجه رقم (١٣٢٣) من حديث أم هانئ بنت أبي طالب : « أنه لما كان عام الفتح أتت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، قام رسول الله ﷺ إلى غسله ، فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوبه ، فالتحف به ، ثم صلى ثمان ركعات ، سبحة الضحى» . وهذا لفظ مسلم في صحيحه .

قال النووي في شرح مسلم (٢/ ٢٦٥) : «**والسبحة** : هي النافلة سميت بذلك للتسبيح الذي فيها» .

(٣) أي : ما وصف الله به المتقين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

(٤) البيت للبيد **ينظر** في : ديوانه (ص:٣٣٣) ، الدرر اللوامع على همع الهوامع ، لأحمد بن الأمين الشنقيطي، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٢ . ١٩٩٤ م - تحقيق : الدكتور عبد العال سالم مكرم (١/ ١١٥) ، لسان العرب (لعب) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٢٧٠ ، ٤٣٥) همع الهوامع للسيوطي (١/ ١٣٨) ويروى : لو أن حيا ......

الإنذار : الإخبار بما يخاف منه .

وقوله : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[(١)] استعارة للاشتقاق من منع الشيء لما يقفل عليه ؛ قال الله تعالى: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد :٢٤] أو يطبع عليه بطابع ، أي : يختم عليه بختم، كقوله تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] .

وقوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ هذا وقف على قوله : ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾[(٢)] والغشاوة مخصوصة بالأبصار ، كما قال تعالى : ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية :٢٣].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

العذاب يكون تارة عظيمًا ، وتارة مهينًا كمن ضرب رئيسًا ضربات يسيرة في محفل .

وتارة يكون أليمًا مؤثرًا في الجلد . والعذاب موصوف بهذه الصفات الثلاث في الكتاب العزيز .

قدم الله - سبحانه وتعالى - ثلاث آيات في وصف المتقين ، وآيتين في الكفار المطبوع على قلوبهم ، ثم ثلَّث بذكر المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر بقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ الآيات . واقتصر على الإيمان بالله وباليوم الآخر ؛ لأن الإيمان بالله أول الواجبات ، واليوم الآخر من آخر الواجبات في الوجود .

والخداع: إظهار ما يسر المخاطب مع قصده ضرره في الباطن ؛ فقيل: أصله من الإخفاء، ومنه المَخْدَع يخفى فيه مالا يشتهى إظهاره من الزوجات والأموال .

وقيل : أحوال الفساد ؛ كقول الشاعر [من الرمل] :

---

(١) بالأصل بدل ما بين المعقوفين : « ختم على قلوبهم وقلبه وجعل على بصره غشاوة » والصواب ما أثبتناه .

(٢) وهو وقف تام ، كما قاله العلامة أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني في كتابه (منار الهدى في بيان الوقف والابتدا) (ص : ٣٢) ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

طيبُ الريقِ إذا الريقُ خدعْ (١)

والله - تعالى - لا يخادع ولا يخادع فيما معاملته معاملة الخادع. وأما المؤمنون فلا يخادعون ولكنهم قد يُخدعون ، وما رجع الخداع إلا على المخادع .

والشعور : العلم بالحواس ، فهم لفرط جهلهم بعد عنهم العلم بالمحسوسات .

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي : آلام من استقامة أمور الدين ، أو في قلوبهم مرض من اعتقاد الحق .

والفساد في الأرض: العمل بالمعاصي، ويطلق كثيرا في سفك الدماء، وإفساد الزراعات؛ كقوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة :٣٠] وقوله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ [البقرة : ٢٠٥] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) ﴾

وهؤلاء قد اعتقدوا أن ما يفعلونه صلاح (٣/أ) لا فساد وهو جهل مركب . وقد حقق الله كذبهم بدخول «ألا» التي للتنبيه ، و« إن» المؤكدة ، ودخول «هم» التي هي فصل أو عماد، ودخول الألف واللام في الخبر .

قوله : ﴿كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ أي : رسول الله والمؤمنون . وكذلك أكد سفههم بما أكد فسادهم من دخول «ألا» ، و «إن» ، و«هم» ، وتعريف الخبر .

وقوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ مغاير لقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ لأن هذه في صفة اعتقادهم مع المؤمنين ، وتلك في صفة

---

(١) هذا عجز بيت لسويد بن أبي كاهل وصدره : أبيض اللون لذيذ طعمه ....

ينظر في : ديوانه (ص:٢٤) ، تاج العروس (خدع) ، ديوان الأدب (٢/ ٢٠٨) ، شرح اختيارات المفضل (ص:٨٦٨) ، لسان العرب (خدع) ، مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٦١).

اعتقادهم في أنفسهم ، ومخالفة قولهم فعلهم ، وقد أكدوا بهذه الآية جوابهم للمشركين بقولهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ وقالوا في جواب المؤمنين : ﴿ ءَامَنَّا ﴾ غير مؤكد ويسمى الشيء باسم مقابله ؛ كقوله : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى:٤٠] . ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة :١٩٤] . ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران :٥٤] ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] كذلك هاهنا ﴿ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .

الطغيان : مجاوزة الحدّ ؛ كقوله : ﴿ لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة :١١] ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [النازعات:١٧] .

والعمه : التردد والحيرة ، ولا يستعمل إلا في البصيرة . وأما العمى فإنه يطلق على فقد البصيرة ، وفقد البصر . ﴿ ٱشْتَرَوُاْ ﴾ استبدلوا ، ولما سمى الاستبدال شراء ، استعار له الربح في قوله : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ .

والمثل : صفة ، فقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ ﴾ أي : صفتهم كصفة الذي استوقد نارًا.

«استوقد» و«أوقد» بمعنى ، و«أضاء» يستعمل لازمًا ومتعديًا ؛ فـ «ما» من قوله : ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ يجوز أن تكون مفعولة ؛ كقول الشاعر [من الطويل] :

أعِدْ نَظَرا يا عبدَ شمسٍ فربَّما أضاءتْ لكَ النارُ الحمارَ المقيَّدا (١)

ويجوز أن تكون ظرفا ؛ لأن ما حول المستوقد أماكن . ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ بمعنى : أذهبه بخلاف قوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ ﴾ [يوسف :١٥] ؛ لأن المراد هناك : استصحبوه .

و«ترك» بمعنى : صير ، فيتعدى إلى مفعولين أحدهما : الضمير ، والثاني : المجرور ، قال

---

(١) البيت للفرزدق ، ينظر في : ديوانه (١/ ١٨٠) ، الأزهرية في الحروف للهروي (ص : ٨٨) مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١هـ - تحقيق : عبد المعين الملوحي ، الدرر اللوامع (٢١/ ٢٠٨) ، شرح شواهد الإيضاح (ص:١١٦) ، شرح شواهد المغني (ص :٦٩٣) ، شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٥٧) ، وبلا نسبة في : رصف المباني (ص:٣١٩) ، شرح شذور الذهب لابن هشام (ص:٣٦١) ، قطر الندى لابن هشام (ص :١٥١) مغني اللبيب لابن هشام (ص : ٢٨٧، ٢٨٨) ، همع الهوامع للسيوطي (١/ ١٤٣)
ويروى الشطر الأول : أعد نظرا يا عبد قيس لعلما ....
والشاهد فيه : ورود الفعل « أضاءت» متعديًا .

عنترة [من الكامل] : فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ .... (١) .

وقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ إخبار عن مبتدأ محذوف تقديره : المنافقون صم بكم عمي ؛ لأنهم لما لم ينتفعوا بأبصارهم في النظر في ملكوت السماوات والأرض صاروا (٣/ ب) كالأعمى ، ولما لم ينطقوا بألسنتهم بالثناء على الله جُعِلوا بكمًا ، ولما لم يسمعوا ما أنزل الله سماع مقبل كانوا صمًا ؛ لفوات المقصود الأعظم من هذه الخواص ، قال الشاعر [من الكامل] :

خُلِقوا وما خُلِقوا لَمكْرُمةٍ فكأنهم خُلِقوا وما خُلِقوا

رُزِقوا وما رُزِقوا سماحَ يدٍ فكأنهم رُزِقوا وما رُزِقوا (٢)

---

(١) البيت من معلقته ، وعجزه : .... يَقضمِنَ حُسنَ بنانِهِ وَالمِعصَمِ

ويروى : فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السباعِ يَنُشْنَهُ ما بين قُلَّة رأسهِ والمِعْصَم

ينظر في الأغاني للأصفهاني (١/ ٢٦٢) ، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ص :٢٢٦) ، روح المعاني للألوسي (٢٠/ ١٣٣) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٧٥) .

وجزر السباع أي : قتيلا تنتابه السباع ، وإنما سموها جزرة ؛ لأنها تجزر أي : تقطع أوصالها وتفصل ، وأصل الجزر القطع ومنه جزر الماء وهو انقطاعه بعد المد ، ولذلك سميت البقاع المرتفعة التي لا يغمرها الماء وسط البحور جزائر . وقلة الرأس : أعلاه . ينظر : غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٩٠) .

(٢) البيتان من الشواهد على نوع من أنواع البديع وهو طباق السلب وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي كقوله – تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ وقول الشاعر :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

وقول البحتري :

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إلي الشوق من حيث أعلم

وقول أبي الطيب :

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة ولقد جهلت وما جهلت خمولاً

ينظر البيتان في : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (١/ ٣٢٠) ط . دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٩٨م ، خزانة الأدب وغاية الأرب لأبي بكر الحموي (١/ ١٥٩) ط . دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٧م، تحقيق : عصام شعيتو .

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾

وقوله ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ المعنى فيه : أنك إن أردت تشبيه المنافقين في انتظارهم رسول الله ﷺ أنه يبعث ويؤمنون به ، وكانوا من قبل يستفتحون ، ويستنصرون على عدوهم ، ويقولون : «اللهم انصرنا عليهم بالنبي الذي تبعثه في آخر الزمان»(١) ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ فهذا مثلهم .

وإن أردت تمثيل القرآن والهدى الذي جاءهم ، وما فيه من التخويفات ، ولم يكن حظهم من ذلك إلا الخوف والحذر ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة :٦٤] فمثلهم مثل الصيب الذي حظ المسافر منه الخوف من رعوده وصواعقه ، ومقصوده الأعظم : ري الأرض ، ونجابة زراعتها .

وقوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم ﴾ الضمير في ﴿ يَجْعَلُونَ ﴾ لأصحاب الصيب .

والمحيط : مشتق من الإحاطة بالشيء ، ومن أحاط بالشيء من جميع جهاته ، حصل له العلم به والاستيلاء عليه ، والتمكن منه غالبًا ، فقوله ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ يريد : أنه مهلكهم؛ كقوله : ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ [يوسف: ٦٦] ، ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ [الكهف:٤٢] ويجوز أن يريد أنه عالم ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [فصلت:٥٤] ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق :١٢] .

وذكر في الإضاءة ﴿ كُلَّمَا ﴾ ؛ لأنهم كانوا حراصًا على الحركة ، فإذا لاح لهم أدنى نور

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص :٣١) رقم (٣٨) عن ابن عباس ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٢٦٣) ، من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة ، عن أبيه عن جده ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا ، هزمت يهود خيبر ، فعاذت اليهود بهذا الدعاء : اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم.قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء ، فهزموا غطفان ، فلما بُعث النبي ﷺ كفروا فأنزل الله : وقد كانوا يستفتحون بك يا محمد على الكافرين .
قال الذهبي معقبًا : لا ضرورة في ذلك أي لإخراجه ، فعبد الملك متروك هالك .

بادروا إلى اغتنامه ، وقال في الإظلام : ﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ ﴾ ؛ لأنهم لم يكونوا حراصًا على التوقف، وأظلم يستعمل لازما ومتعديا . وقوله : ﴿ قَامُواْ ﴾ امتنعوا من الحركة ، وليس المراد القيام الذي يضاد القعود ، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ لزاد في قصيف الرعد ، فذهب بسمعهم أو زاد في وميض البرق ، فذهب بأبصارهم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

وأكثر ما في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ يراد به أهل مكة ، وأكثر ما فيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يراد به : أهل المدينة ، وقوله : ﴿ خَلَقَكُمۡ ﴾ يجوز أن يريد به : اعبدوا الرب الذي خلق ولا تعبدوا ربًا غيره (٤/أ) ؛ كقوله : ﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف :٣٩] ويجوز أن يراد به الثناء ؛ كقوله : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:١].

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ معطوف على مفعول ﴿ خَلَقَكُمۡ ﴾ . وقوله ﴿ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ يجوز أن يكون مفعول قوله : ﴿ رِزۡقٗا لَّكُمۡ ﴾ ، ويجوز أن يكون المجرور ، وقد سدَّ مسدَّ الخبر ؛ كقوله : ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا ﴾ [مريم: ٥٠] وتقديره : أخرج به بعض الثمرات. و﴿ رِزۡقٗا ﴾ على هذا : مفعول من أجله ، و﴿ لَّكُمۡ ﴾ معمول للمفعول من أجله .

الند : المثل المناوئ ، مأخوذ من : ند البعير إذا نفر .

وقوله : ﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ يجوز أن يكون محذوف المفعول لا يراد ، تقديره كأنه قال : وأنتم من أهل العلم ، ويجوز أن يراد له مفعول ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : وأنتم تعلمون أنه متعال عن الأنداد ، **وثانيهما:** أن تكون تلك الآلهة التي عبدت لا تصلح أن تكون له أندادًا .

وقوله : ﴿ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ الهاء في ﴿ مِّثۡلِهِۦ ﴾ تعود إلى القرآن . وقيل : تعود إلى النبي ، والتقدير: ائتوا بقرآن يلقي به رجل أمي لم يصحب العلماء ولم يقرأ الكتب كقوله : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ ﴾ [العنكبوت :٤٨] وهذا ضعيف ؛ لأنه يخرج القرآن عن أن

يكون معجزا، وإنما المعجز عنده صرف الداعي عن الشروع في الإتيان بمثله، ويبطله قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٨] . ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ (١) [الطور: ٣٤] . ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس:٣٨] .

وقوله: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ أي : من يشهد لكم بأن الذي أتيتم به يصلح للمعارضة .

أو فادعوا من بحضرتكم من جلسائكم الفصحاء وخطبائكم البلغاء . وقوله : ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ جملة معترضة بين الشرط والجزاء وهي إخبار بغيب ، وجعل جزاء الشرط الأمر باتقاء النار، والتقدير : فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، وعجزتم أنتم ومن بحضرتكم - وجب الخلود في النار - فعليكم أن تتقوا النار باجتناب معارضة القرآن .

المراد بالحجارة : حجارة الكبريت ؛ لأنها تزيد النار التهابًا ورائحة منكرة ، وقيل : المراد الأصنام ؛ لأنها تلقى في النار مع الكفار إرغامًا لمن عبدها ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨- ٩٩] (٤/ب) ونار جهنم - أعاذنا الله منها - لشدة حرِّها يتقد فيها ما لا يتقد في غيرها من الحجارة وأشباهها . والوقود والحطب ، وأتى هاهنا بـ ﴿ٱلَّتِى﴾ وهي إنما يؤتى بها حيث تكون الصلة معلومة للمخاطب ، كقولك : أكرم زيدًا الذي أنقذك بالأمس من فتنة كذا.وقد علم ذلك بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] وهذه الآية دليل على أن النار مخلوقة ، وقالت المعتزلة: لا فائدة من خلقها الآن وقوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ يرد عليهم ظاهرًا(٢).

---

(١) في الأصل: « قل فأتوا بحديث مثله إن كنتم صادقين » وليس بآية ، وما أثبتناه من سورة الطور: الآية:٣٤ .

(٢) مسألة خلق الجنة والنار الآن من المسائل التي دار حولها خلاف بين متكلمي المسلمين ، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن . ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة القدرية فأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئهما الله يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا . وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، فهم مشبهة في الفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة ، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث ؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة ، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب - تعالى - وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدَّعوا من خالف شريعتهم. وقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي تدل على بطلان هذا القول.=

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

والبشارة: أول خبر سار صادق . والجنة : البستان المظلل بأغصانه وأوراقه ؛ لأنه يستر ما حواه ، وجن الليل : أظلم وستر بظلامه ، والجِنة : الجن ؛ سموا بذلك لاستتارهم عن الأعين، والجنة : الترس ؛ لأنه يستر من وراءه . الألف واللام في «الأنهار» عوض عن الإضافة ، أي : أنهارها ؛ كقوله : ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ ﴾ [مريم : ٤] أي : رأسي . وقيل : هما للعهد المذكور في سورة القتال : ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ الآية [محمد :١٥] .

﴿ مِن تَحْتِهَا ﴾ أي : تجري من تحت غرفها ؛ كقوله : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ ﴾ [الزمر:٢٠]. وقيل : من تحت أشجارها ؛ كما في بساتين الدنيا . وقيل : أنهار الجنة تجري في غير أخدود ، وأهل الجنة يفجرونها تفجيرًا كيف شاؤوا.

﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ ﴾ من البستان ﴿ مِن ثَمَرَةٍ ﴾ فابتداء الرزق من البستان ، وابتداء الرزق الحاصل من البستان من الثمرة ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا؛ لأن ذلك يشاركه في الاسم خاصة لا في الطعم واللون والرائحة. وقيل : كلما جنوا ثمرة تخلفها أخرى فيشيرون إلى الحادثة ويقولون: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ بسط لعذرهم في قولهم: ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل : ٣٤] ثم صدقها الله بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ : من البول والغائط والحيض ومن مساوئ الأخلاق وفساد الأحوال بمخالطة من لا يصلح .

= ينظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص : ٢٤-٤٢٢) تحقيق جماعة من العلماء وتخريج الشيخ الألباني ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي .

لما ذكر الله في كتابه البعوض والعنكبوت تضاحكت اليهود وقالوا : هذا لا يشبه كلام الله ، وكيف يذكر (٥/ أ) العلي الأعلى هذه الأشياء المحقَّرة ، وغلطوا في ذلك ، فإن الحقير إنما يضرب له المثل بالحقير ، وضرب المثل اعتماده وتصييره ، كقولك : «ضربت الطين لبنًا ، والفضة خاتمًا» فهو يتعدى إلى مفعولين . والبَضْع والبَعْض :القطع ، والبعوض : فعول من القطع ؛ لأنه يشق اللحم فيمتص الدم . ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أكبر منها . وقيل :أصغر ؛ لأنه فوقها في الحقارة .

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير يرجع إلى المثل أو إلى ضربه . وإنما قال : ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ والمهديون قليل بالنسبة إلى الضالين وإن كانوا في أنفسهم كثيرًا [١].

﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢٥] وهو صلة الأرحام . وقيل : تصديق جميع الأنبياء فيما جاؤوا به. ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطفًا ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ فيها ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يبعثكم يوم القيامة ، والتقدير : كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذا الترتيب ؟ وإنما جاء بلفظة : «كيف» التي هي إنكار للأحوال ، ولم ينكر أصل الكفر ؛ لأنه إذا أنكر أحوال الكفر كلها لم يوجد الكفر ؛ كما لو ادَّعى خامل[٢] اجتماعه بالسلطان وخوضه معه في مصالح الدولة ، فيقال له : أين اجتمعت به في داره أم في الموكب؟ تقديره : إن قلت: إنك اجتمعت به في الموكب . فهناك حُجَّاب يمنعونك من الاجتماع به . وإن قلت : في داره . فكذلك . فإذا بطلت جهات الاجتماع بطل الاجتماع به.

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف (١ / ١١٨) : « فإن قلت : لم وُصف المهديون بالكثرة ـ والقلة صفتهم ؟ قلت: أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال . وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهابًا إلى الحقيقة كثيرًا» .

(٢) **الخامل من الرجال :** الخفي الساقط الذي لا نباهة له ، ولا إرادة مستقلة تحمله على الاجتراء ، يقال: هو خامل الذكر والصوت ، والجمع : خملة . **ينظر** : لسان العرب (خمل) .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ فيه دليل على أن أصل الأشياء بعد ورود الشرع على الإباحة(١).

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ثم قصد بعد خلق الأرض إيجاد السماوات ، ولم يحدث بين إيجادهما خلق شيء آخر .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

وقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ استفهام ، معناه : أتخلق هؤلاء العصاة مع بقائنا نحن على وظائف التسبيح والتقديس ، أم تمكر بنا أيضا ، وإنما شهدوا على البشر بالمعصية ، لجواز أن يعلمهم الله ذلك بطريق من الطرق ، أو بأن يروه في اللوح المحفوظ مكتوبًا .

---

(١) الأصل في الأشياء الإباحة ؛ لأن الإباحة هي الحكم الأصلي لموجودات الكون ، وإنما يحرم ما يحرم منها بدليل من الشارع لمضرتها، والدليل على أن الحكم الأصلي للأشياء النافعة هو الإباحة : قوله - تعالى- ممتنا على عباده : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية :١٣] وقوله - تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة :٢٩] ولا يتم الامتنان ولا يكون التسخير إلا إذا كان الانتفاع بهذه المخلوقات مباحًا. أما الأشياء الضارة فالأصل فيها التحريم لقوله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار». **ينظر** في ذلك: الأشباه والنظائر للسيوطي (١/ ٦٠)، الوجيز في أصول الفقه لعبد الكريم زيدان (ص : ٢٦٨) .

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾ أسماء المسميات بمنافعها ، ثم عرض المسميات على الملائكة .

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في زعمكم أن الله لا يخلق خلقًا أفضل منكم ، أو خلقًا يعلمون ما لا تعلمون ، وهو الذي قال فيه : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

(٥/ب) وقوله : ﴿ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾ هو وضع الجبهة على الأرض تعظيما لآدم ، وكان ذلك جائزًا وقد سجد يعقوب وبنوه ليوسف [١] . وقيل : اسجدوا لسجود آدم ، فجعله إماما يصلي بهم ، وقيل : اسجدوا لجهة آدم وجعله قبلة ، وإبليس كان من الملائكة . وقيل : لم يكن منهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الكهف: ٥٠] والجن ليسوا ملائكة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾ [سبأ : ٤٠] تبرأت الملائكة ونسبوا العبادة إلى الجن ، فلو كانوا ملائكة ، لم تحصل البراءة لهم . وقوله: ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: في علم الله. وكان بمعنى صار .

قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ مبالغة في التحريم ، والتحفظ من الوقوع فيه ، وأشار بهذه الشجرة إلى شجرة واحدة . وقيل: إشارة إلى جنس بجملته حرمه عليهم ، فقيل : شجرة العنب . وقيل : القمح، وكان شجرًا ، ولا يتعلق بتعيين الشجرة غرض صحيح .

وقوله : ﴿ فَتَكُونَا ﴾ يجوز أن يكون مجزوما معطوفًا ، وأن يكون منصوبًا ، جوابًا للنهى .

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ أي: أوقعهما في الزلة ﴿ عَنْهَا ﴾ : قيل عن الشجرة . وقيل : عن الجنة .

﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يريد ما عليه الناس من التعادي والتحارب . وقيل: أراد: آدم وحواء وإبليس . قيل : والحية أيضا، والأول أصح ؛ لقوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ أي: فإن يأتكم مني هدى على لسان رسول أبعثه إليكم فمن اتبع ما جاء به كان مفلحا ، ومن خالفه فكفر به وكذب بالآيات خُلِّد في النار ، وهذا إنما يليق بالمكلفين لا بالحية .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾
وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ
فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ

(١) ورد ذلك في قوله –تعالى– في سورة يوسف الآية:١٠٠: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ .

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

يا بني آدم ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ﴾ أي : اشكروها ﴿ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ ﴾ بها ﴿ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ ﴾ بالعهد الذي عاهدتكم عليه من الإيمان بالرسل وتصديق ما جاؤوا به من الكتب ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ الذي عاهدتكم عليه من الثواب والعقاب . والعهد : يضاف إلى الموثق والموثق عليه .

والرهبة: الخوف ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ من القرآن ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ ﴾ مثل ﴿ أَوَّلَ كَافِرٍۭ ﴾ أو كل واحد منكم مثل أول كافر ، والمراد أول فريق كافر أو أول فوج .

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ هو ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الهدايا (٦/أ) والرشا وما يأخذونه من كبرائهم على التحريف والتبديل . ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم ﴿ وَتَكْتُمُواْ ﴾ يجوز أن يكون مجزومًا معطوفًا ، وأن يكون منصوبًا بالواو في جواب النهي .

وقوله: ﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أمر بالصلاة بعد الأمر بها بقوله : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ مبالغة في وجوبها . وقيل معناه : ولتكن صلاتكم في جماعة . ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : حال يقتضي زيادة قبح ما فعلوه ، وأنه لا يفعله من له أدنى عقل ولهذا قال بعده : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ والتقدير: أسلبتم العقول فلا تعقلون ، أو أجننتم فلا تعقلون . ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ عند المصائب . وقيل: بالصبر على الصلاة ومداومتها ؛ كقوله : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] ، وقيل: إذا أصابتكم شدة فافزعوا إلى الصلاة والصبر . وكان الرسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [(١)] . ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ وإن الاستعانة . وقيل : وإن الصلاة ، وإنما لم تكبر على الخاشعين. فلم تثقل عليهم لما يجدون من حلاوة المناجاة ، وقال النبي ﷺ : «وجعلت قرة عيني في الصلاة »[(٢)] .

---

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في تفسيره (١ / ٢٩٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٣ / ٤٥٣) . وبلفظ : « إذا حزبه أمر صلى » رواه أحمد في المسند (٥/٣٨٨) ، وأبو داود رقم (١٣١٩) .

(٢) هذا جزء من حديث ولفظه : «حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند (٣ / ٢٨٥) ، والنسائي في المجتبى (٧/ ٦٢) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٠)، ورواه أحمد (٣ / ١٢٨ ، ١٩٩) ، والنسائي (٧ / ٦١) ، وذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٣ / ٢٤٩) بلفظ : « وجعل قرة عيني في الصلاة »قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال الحافظ ابن حجر : وإسناده حسن ، ثم قال الحافظ في التلخيص=

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي: يستيقنون؛ كقوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] أي: أنهم ملاقوا جزاء ربهم، وأنهم إلى معاد جزائه ﴿رَٰجِعُونَ﴾. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم. ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾: كافرة. العدل: الفدية، ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ أي: في إنجائكم ﴿بَلَآءٌ﴾ أي: نعمة؛ كقوله: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. وقيل: وفي ذلكم التعذيب بلاء أي: شدة.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ﴾ أي: بسببكم ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ القبط، ومن وافقه على دينه ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ (١) انقضاء أربعين يومًا ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ من بعد انطلاقه إلى الجبل ليسمع كلام

=(٣/ ٢٤٩، ٢٥٠): وقد اشتهر على الألسنة زيادة: «ثلاث» وشرحه الإمام أبو بكر بن فورك في جزء مفرد على ذلك، وكذلك ذكره الغزالي في (الإحياء) ولم نجد لفظ «ثلاث» في شيء من طرقه المسندة.

قرأ وعدنا بدون ألف: أبو عمرو وعاصم الجحدري وأبو جعفر وعيسى بن عمر ويعقوب وغيرهم.

(١) وقرأ الباقون «واعدنا» **تنظر في**: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٣٩١)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٣، ٢٢٤)، الإملاء للعكبري (١/ ٢١)، البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٩٩)، جامع القرطبي (١/ ٣٩٤)، الحجة لابن خالويه (ص ٧٦)، الحجة للفارسي (٢/ ٥٦)، الدر المصون (١/ ٢٢٢)، السبعة لابن مجاهد (ص ١٥٤)، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٨٠) ورجح أبو عبيد قراءة «وعدنا» بأن المواعدة إنما تكون من البشر، وأما الله – تعالى – فهو المنفرد بالوعد والوعيد، وكذلك رجح هذه القراءة مكي وأبو حاتم، ورجح قوم آخرون القراءة الأخرى، **وينظر** تفصيل ذلك في: الدر المصون (١/ ٢٢٢).

الله مع سبعين رجلاً من خيار قومه ، ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ من بعده إلها ﴿ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ أي : قوم عادتكم الظلم .

والفرقان : قيل : انفراق البحر حين ضربه بعصاه فانفرق اثني عشر فرقاً لكل سبط فرق وقيل : الفرقان هاهنا: التوراة ؛ لأنها فرقت بين الحق والباطل .

﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أمر من لم يعبد العجل أن يقتل من عبده . وقيل: أمر كل من عبد العجل أن يقتل نفسه. (٦ / ب) [وحين نزلت] التوبة على بني إسرائيل ، فسقطت السيوف من أيديهم حين تاب الله عليهم . وقيل: وبلغ القتلى سبعين ألفاً .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

ولما توجه موسى بسبعين رجلاً ، اختارهم موسى من قومه إلى الجبل فأسمعهم الله كلاماً له فسألوا رؤية الله ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقال موسى: ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] : ماذا أقول لبني إسرائيل إذا عُدتُ إليهم فأحياهم الله -تعالى-

بدعاء موسى .

﴿ ٱلْغَمَامَ ﴾ جعلْنا الغمام مظللاً عليكم في التيه . والسلوى : طائر يشبه السُّمَّاني[١] ، كان يسقُطُ عليهم فيأخذون منه كفايتهم .

كانوا فلاحين معتادين لأكل العدس والبصل وغيره فسألوا عادتهم . والفُوم : الخبز . وقيل: الثُّوم . ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ أي : بلداً ، أي بلد كان تجدوا فيه ما سألْتم . وجُعِلتِ الذِّلَّة كالقبة المحيطة المشتمِلةَ عليهم ﴿ وَبَآءُو ﴾ أي : رجعُوا . وقيل: احتملوا ، أي : تلك الذِّلَّةَ والمسكنة بسبب كُفرِهم وقتْلهم الأنبياء ، وذلك الكفْرُ والقتْلُ والجرأةُ عليهما ، بسبب عصيانهم ومجاوزتهم الحَدَّ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: بألسنتهم . ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ أي : بقلْبه . وقيل : من آمن، أي: دام على الإيمان . وقيل: إنَّ الذين آمنُوا بالتوراة والإنجيل منْ غير تبديلِ منْ آمن منهم بالقرآن ، ومحمّد عليه الصلاة والسلام . ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ مأخوذ من قولهم: صبأت النجومُ : إذا خرجت منْ مراكزها ، فقيل: الصابئون من النصارى، والسّامرة من اليهود ، كالمعتزلة[٢] من المسلمين أصحاب بدْعة لم يخرجوا بها عن أصل الإسلام والشريعة .

---

(١) **السماني** : ضرب من الطير، واحدته : سماناة وقد يكون السماني واحدًا قال الجوهري : ولا تقل سماني بالتشديد وهو طائر صغير من رتبة الدجاجيات ، جسمه منضغط ممتلئ ، وهو من القواطع التي تهاجر شتاء إلى الحبشة والسودان ويستوطن أوربا وحوض البحر المتوسط .

ينظر : لسان العرب (سمن) .

(٢) **المعتزلة:** قال شارح الطحاوية : هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما ، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري ـ رحمه الله ـ في أوائل المائة الثانية ، وكانوا يجلسون معتزلين ، فيقول قتادة وغيره : أولئك المعتزلة . وقيل : إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة ، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري ، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين ، وبيَّن مذهبهم ، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة وهي: العدل ، والتوحيد ، وإنفاذ الوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولبسوا فيها الحق بالباطل ، إذ شأن البدع هذا ، اشتمالها على حق وباطل . وهم مشبهة الأفعال ؛ لأنهم قاسوا أفعال الله – تعالى– على أفعال عباده ، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه ، وما يقبح من العباد يقبح منه – تعالى الله=

فعلى هذا : يقرُّون بالجزية وتحلّ مناكحتهم وذبائحهم وقيل : بل هم أصحابُ مذهب مستقلّ فلا يقرون بالجزية ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا
نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟
مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ
عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى
ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

ولما جاء موسى بالتوراة ، ورأى اليهود ما فيها من التكاليف الشاقة قالوا : ما نقبل هذه الأحكام، فراودهم موسى ، فأبوا فرفع الله الجبل عليهم وصار كالظلة فوق رؤوسهم، فخروا ساجدين خوفاً أن يسقط عليهم ، وقبلوا أحكام التوراة .

﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بجدٍّ ولما كان الصيد محرماً على اليهود في يوم السبت فابتلاهم الله بأن صارت [ظاهرة ما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت] [(١)] لاتمتنعُ ممنْ يأخذها ، فإذا انقضى السبت (٧/أ) تفرقت في البحر فعملت اليهود حياضاً واسعة كبيرة إلى جانب البحر ، وفتحوا ماء البحر إليها يوم السبت ، فاجتمع في الحياض سمك كثير ثم سدُّوا الحياض ، وبقي السَّمَكُ فيها ، فأخذوه يوم الأحد وذلك في أيلة [(٢)] .

= عما يقولون – وقالوا : يجب عليه أن يفعل كذا ، ولا يجوز له أن يفعل كذا بمقتضى ذلك القياس الفاسد !! فإن السيد من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسنًا للقبيح وإما عاجزًا فكيف يصح قياس أفعاله ـ سبحانه وتعالى ـ على أفعال عباده ؟! والكلام في هذا المعنى مبسوط في موضعه . **ينظر**: شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٥٢١) .

(١) بياض في الأصل وما بين المعقوفين مثبت من الكشاف (١ / ١٤٧) لتمام السياق .

(٢) أيلة – بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . وهي مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير . وقيل : سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام . =

وكان داودُ عليه السلام عندهم ، فسبهم ، ولعنهم بعد أنْ نهاهم ، فلم ينتهوا فمسخ الله الذين فعلوا ذلك . ﴿ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ خسأت الكلب : إذا طردته وأبعدته . ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ من القرى ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ وقيل : نكالاً لمن يأتي بعدهم من القرون فيخاف من المخالفة أن يحلَّ به مثل ما حلَّ بالأول . وقيل : لمنْ يأتي بعدهم من الأمم ولمن مضى قبلهم أخبرتهم أنبياؤهم أنه سيمسخ قوم قردة فخافوا وارتدعُوا .

كان في بني إسرائيل شيخ موسر قتله أبناء عمه ، وأخذوا ماله وأصبحوا يطلبون دية قتيلهم، فسألوا موسى عليه السلام عن الحكم في ذلك فأمره الله- تعالى- أن يذبحوا بقرة ، فعجبوا وقالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ . أي : مهزوًّا بنا . والاستهزاء جهل استعاذ موسى عليه السلام منه ، فقالوا: ما هذه البقرة ؟ فقال: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ ﴾ أي : كبيرة السن ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ أي: صغيرة. والعوان: وسط الأسنان .

﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ ﴾ شديدة الصفرة . وقيل: سوداء . ﴿ لَّا ذَلُولٌ ﴾ أي : ليستْ مذللة بالعمل ، فلا هي تحرث الأرض فتثيرها ، ولا تستعمل في النواضح ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ من العيوب لا لون فيها يخالف الصفرة ، حتى قيل : إن قرنها وظلفها [(١)] كانا أصفرين .

كان في بنى إسرائيل رجل صالح حضرته الوفاة ، وكان له عجلة فتركها في غيضة[(٢)] موفرة[(٣)] عن العمل، فقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني هذا، ثم اتفقت لهم حاجة بعد موته فقالت أم الصبي: إن أباك قد استودع لك عجلة في الغيضة، فاذهب إليها في

= **ينظر** : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ٢٩٢) .

(١) **الظلف** : ظفر كل ما اجتر وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها والجمع أظلاف . قال ابن السكيت: يقال : رجل الإنسان وقدمه، وحافر الفرس ، وخف البعير والنعامة ، وظلف البقرة والشاة . **ينظر**: لسان العرب (ظلف) .

(٢) **الغيضة** : هو الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف والجمع : غياض وأغياض .
ينظر : لسان العرب (غيض) .

(٣) **الوفر من المال والمتاع** : الكثير الواسع . وقيل : هو العام من كل شيء ، والجمع : وفور وقد وفر المال والنبات والشيء بنفسه وفرا ووفورا وفرة . وأرض وفراء في نباتها فرة، وهذه أرض في نباتها وفر ووفرة وفرة أيضا أي : وفور لم ترع ، والوفراء : الأرض التي لم ينقص من نبتها .
ينظر : لسان العرب (وفر) .

الغيضة ، وادعها بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فإنها تطيعك فذهب ودعاها، فأتت فقالت أمه: اذهب بها إلى السوق واعرضها للبيع ولا تبعها حتى تشاورني ، وكان الولد بارًّا بأمه ، وكانت البقرة تساوي ثلاثة دنانير ، فذهب بها إلى السوق ، فبعث الله ملكاً في صورة رجل فقال للصبي : أتبيعها بثلاثة دنانير [فرجع إلى أمه ليعرفها] (٧/ب) فقالت له : اطلب زيادة، فجاء فعرفه فزاده فقال : بعنيها ، ولا تشاور أمك فلم يفعل وشاورها فطلبت زيادة فقال الملك للشاب : إن هذه البقرة لها شأن فلا تبعها إلا بما تختار فلم يجد بنو إسرائيل بقرة بالصفة التي ذكرها موسى عليه السلام سوى هذه البقرة فقيل: باعها الصبي لهم بملء جلدها ذهبًا .

ثم ذبحوا [(١)] بنو إسرائيل وضربوا الميت بجزء منها فقام وأوادجه تشخب[(٢)] دماً ، وقال : قتلني هؤلاء الذين يطلبون ديتي من غيرهم ، فحرموا الميراث وفي الآثار : لم يورث قاتل بعد قصة البقرة[(٣)] .

وقوله: ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ إما أن يكون لغلاء ثمنها ، أو لكثرة تعنتهم وأسئلتهم .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾

---

(١) كذا في الأصل «ذبحوا» وهي على لغة طيئ وأزد شنوءة وبلحارث ، وهي مسألة مشهورة من مسائل الخلاف النحوي وهي «إلحاق علامتي التثنية والجمع بالفعل المسند إلى فاعل أو نائب فاعل ظاهرين»؛ وقد منع جمهور النحاة إلحاق علامتي التثنية والجمع بالفعل المسند إلى فاعل أو نائب فاعل ظاهرين، وعدُّوا ذلك لغة ضعيفة وشاذة وقليلة ولا يجوز القياس عليها . وأجازها فريق آخر من النحويين واللغويين منهم : ابن يعيش والزمخشري وابن مالك والسيوطي ، وأدلتهم قوية من السماع . وهو الصحيح ؛ لورودها في القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب شعره ونثره . **وينظر** تفصيل ذلك في : أوضح المسالك (١ / ٣٥١) ، شرح المفصل لابن يعيش (١ / ٢٣٦) ، المغني لابن هشام (٢ / ٣٦٥) ، همع الهوامع (١ / ٥١٣) .

(٢) **الشَّخْبُ** : السَّيَلانُ وأَصلُ الشَّخْبِ : ما يخرج من تحت يدِ الحالِبِ عند كل غَمْزَةٍ وعَصْرَة لضَرعِ الشاةِ . **ينظر** : لسان العرب (شخب) .

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار (٨ / ١٤١) عن ابن سيرين عن عبيدة بهذا اللفظ .

وقوله: ﴿ فَٱدَّٰرَٰءۡتُمۡ ﴾ أي: تدافعتم ، والدرء: الدفع أي: كل واحد يطرح القتيل على غيره ويتبرأ منه . ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا ﴾ أي: بلسانها ، وقيل : بالغضروف[1] . وقيل : بأي جزء منها كان . ﴿ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ .

وفي هذه القصة فوائد منها: أنه ينبغي أن نتقبل الأوامر الإلهية ، ونسارع إليها ، وألا نكثر من الأسئلة . وأن يكون الذي نتقرب به إلى الله متوسطاً لا هرمًا ولا صغيرًا قليل اللحم ، وأن يكون حسن الصورة يعجب من رآه وأن يغالى في ثمنه . وقد اختلف في البقرة المأمور بذبحها : فقيل : كانت متعينة من أول الأمر ، ولهذا اشتريتْ بملء جلدها ذهبًا . وقيل : لوْ ذبحوا أيَّ بقرةٍ شاؤوا من أول الأمر أجزأت لكنهم شددوا فشدد الله عليهم . وفيها دليل على جواز النسخ قبل العمل بالأمر[2].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ١٩٤) ونسبه لوكيع والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : « ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف» . والغضروف : كل عظم رخص لين في أي موضع كان ، وغضروف الكتف : رأس لوحها . ينظر : لسان العرب (غضرف) .

(٢) وهذا خلاف ما ذهبت إليه المعتزلة حيث منعوا جواز ذلك . قال العلامة ابن القيم في مفتاح دار السعادة (٢ / ٤٠) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت : «ومنعوا ـ أي : المعتزلة ـ النسخ قبل وقت الفعل ونازعهم جمهور هذه الأمة في هذا الأصل ، وجوزوا وقوع النسخ قبل حضور وقت الفعل ، ثم انقسموا قسمين : فنفاة التحسين والتقبيح بنوه على أصلهم ، ومثبتو التحسين والتقبيح أجابوا عن ذلك بأن المصلحة كما تنشأ من الفعل فإنها أيضا قد تنشأ من العزم عليه وتوطين النفس على الامتثال، وتكون المصلحة المطلوبة هي العزم وتوطين النفس لإيقاع الفعل في الخارج ، فإذا أمر المكلف بأمر فعزم عليه وتهيأ له ووطن نفسه على امتثاله فحصلت المصلحة المرادة منه لم يمتنع نسخ الفعل وإن لم يوقعه ؛ لأنه لا مصلحة له فيه وهذا كأمر إبراهيم الخليل بذبح ولده ، فإن المصلحة لم تكن في ذبحه وإنما كانت في استسلام الوالد والولد لأمر الله وعزمهما عليه وتوطينهما أنفسهما على امتثاله ، فلما حصلت هذه المصلحة بقي الذبح مفسدة في حقهما فنسخه الله ورفعه ، وهذا هو الجواب الحق الشافي في المسألة ، وبه تتبين الحكمة الباهرة في إثبات ما أثبته الله من الأحكام ونسخ ما نسخه منها بعد وقوعه، ونسخ ما نسخ منها قبل إيقاعه ، وأن له في ذلك كله من الحكم البالغة ما تشهد له بأنه أحكم الحاكمين، وأنه اللطيف الخبير الذي بهرت حكمته العقول فتبارك الله رب العالمين ».

و قال الإمام الشيرازي في كتاب (اللمع في أصول الفقه) (١/ ٢٩) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م : « أما نسخ الفعل قبل دخول وقته فيجوز وليس ذلك ببداء، ومن أصحابنا من قال: لا يجوز ذلك وهو قول المعتزلة وزعموا أن ذلك بداء والدليل على جواز ذلك أن الله – تعالى- أمر=

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) ﴾

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ أي : ما كان ينبغي أن تقسو بعد رؤية هذه الآية العظيمة ، وهو كقوله : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] ، ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام :٢] ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ﴾ [الجاثية :٨] كله استبعاد لما جرى منهم بعد رؤية ما سبق .

قوله: ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ليست «أو» للشك ؛ بل لأن قساوة القلوب مختلفة جدًّا فبعضها يشبه الحجارة ، وبعضها أشد قساوة من الحجارة . ثم بين فضل الحجارة على قلوبهم ، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ فإن للحجارة خشية ، ولله - تعالى - علم في هذه الجمادات . لا نعلمه (٨/ أ) كقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال ﷺ : «إني لأعرفُ حَجَراً كان يسلِّمُ عليَّ قبلَ أنْ أُبْعَثَ»[١] .

وفي الحديث: «كنا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤْكَلُ»[٢] .

= إبراهيم ﷺ بذبح ابنه ثم نسخه قبل وقت الفعل فدل على جوازه ، والدليل على أنه ليس ببداء ما بيناه من أن البداء ظهور ما كان خفيًا عنه وليس في النسخ قبل الوقت هذا المعنى » . **وتنظر** المسألة في (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم (٤/ ٥١٢) ط . دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ ، (الفصول في الأصول) للجصاص (٢ / ٢٢٩) ط. وزارة الأوقاف الكويتية ـ ١٤٠٥ هـ تحقيق : الدكتور عجيل النشمي .

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٩٥، ١٠٥)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٧) ، والترمذي رقم (٣٦٢٤)، وأبو نعيم في دلائل النبوة رقم (٣٠٠، ٣٠١) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٨٢ - بترتيب ابن بلبان) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٣) ، والبغوي شرح السنة (٧/ ٦٥) رقم (٣٦٠٣) من حديث جابر بن سمرة ﷺ.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩٦ ، ٤٠١)، والبخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٩)، والترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٦٣٣)، والنسائي في المجتبى (١/ ٦٠)، كتاب : الطهارة ، باب: الوضوء من الإناء، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٠٤) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢/ ٥٢١)، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٩٣)، البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٢٩ ، ١٣٠) ، والبغوي في شرح السنة (٧/ ٦٧) رقم=

«وقد سبح الحصى في كفه ﷺ »(١)

﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥ ﴾

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ بعدما ذكرنا من بغيهم ومخالفتهم أن يؤمنوا لأجل أمركم لهم بالإيمان، وحالهم العجيبة أنهم كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد فهمهم له ، وعلمهم بالوعيد على مخالفته ، ويلقون المؤمنين يخبرونهم أنهم يؤمنون ، وإذا خلوا قال الذين يلقون المؤمنين لمن لا يلقاهم : أتحدثون بأمر دينكم مع من يبلغ المؤمنين ، فيحتجون علينا به .

=(٣٦٠٧) ، من حديث ابن مسعود ﷺ قال : «كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقلَّ الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل». وهذا لفظ البخاري .

(١) إسناده ضعيف ، رواه الطبراني في (المعجم الأوسط) (٤/ ٢٤٥)، رقم (٤٠٩٧)، والبزار كما عزاه له الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٠١ ، ٣٠٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٦٤ ، ٦٥)، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٢٩٢)، من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال : «كنا عند النبي ﷺ فأخذ حصيات، فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن ، فسبحن في يده ، ثم أعطاهن أبا بكر فسبحن في يده ، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أعطاهن عمر فسبحن في يده ، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده ثم وضعهن فخرسن ، ثم أعطاهن عثمان فسبحن في يده ، ثم أعطاهن عليا فوضعهن في يده فخرسن» وهذا لفظ الطبراني في الأوسط .

قال البيهقي في الدلائل : كذا رواه محمد بن بشار عن قريش بن أنس عن صالح بن أبي الأخضر - وصالح لم يكن بالحافظ - عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر. والمحفوظ : ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال : ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بني سليم كان كبير السن ممن أدرك أبا ذر - بالربذة - ذكر له عن أبي ذر بهذا . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وأما تسبيح الحصى ، فليس له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها.

قلت : والحديث في إسناده الكديمي ، وهو محمد بن يونس الكديمي ؛ ذكره ابن حبان في المجروحين (٢/ ٣١٢، ٣١٣) فقال عنه : أحد المتروكين كان يضع على الثقات الحديث وضعاً، ولعله وضع أكثر من ألف حديث ، وفي إسناد الحديث أيضا صالح بن أبي الأخضر، وهو ضعيف ومتكلم فيه ، وذكره ابن حبان في المجروحين (١/ ٣٦٤) ، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ١٩٨) ، والذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ٣٩٥) . فحسب الإسناد ضعفا أن يكون فيه هذان الرجلان .

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ
لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا
مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
(٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
(٨٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا
تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ
أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ
أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ
أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا
يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ
وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا
يُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾

وقيل : قال الذين لا يلقون المؤمنين من المنافقين للذين يلقونهم منهم: أتحدثون المؤمنين بما علمتم من أحوالنا ؛ ليحاجوكم به في دين ربكم. ثم قال - سبحانه: أقالوا ذلك ﴿أَوَلَا[1] يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ نفاقهم الباطن وكفرهم الظاهر .

ومن المنافقين طائفة أميون لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة من غير فهم وتدبر. وقيل: إلا

(١) في الأصل : «وهم» ، والمثبت هو الصواب كما تدل عليه الآية المفسرة هنا .

أكاذيب. قال عثمان ﷺ: « ما تمنيت منذ أسلمت »[1] أي: ما كذبت . وقيل: هو استثناء منقطع ، أي: لا يعلمون الكتاب لكنهم يتمنون أمورا منها: أن آباءهم تشفع لهم . ومنها: أنَّ ما يعملون بالنهار يكفر عنهم بالليل، وما يعملونه ليلاً يكفر عنهم نهاراً . ومنها قولهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا ﴾ بذلك ﴿أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ صحته ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي: معصية. وأحاطت به خطيئته أي: أهلكه كفره فاستمر عليه إلى الموت فهم من أصحاب النار المخلدين، وأما من آمن وعمل صالحاً فهو من الخالدين في النعيم المقيم .

أخذ الله على بني إسرائيل بالتوراة ألا يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يخرج بعضهم بعضاً من دياره، وأنهم إذا وجدوا أسيرا من بني إسرائيل يباع أن يشتروه ويعتقوه ، ثم خالفوا فقتل بعضهم بعضاً ، وأخرج بعضهم بعضاً من دياره ، لكنهم ثبتوا على فداء من وجدوه أسيرا منهم يباع . أي: وأشهدهم على الإقرار بالوفاء بهذا العهد ، فقيل لهم : ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٍ﴾ والخزي : الذلة والهوان .

﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ﴾ أي : استبدلوا ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ﴾ (٨ / ب) بما يخالف شهوات نفوسكم ﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ عن طاعته فقتلتم بعضهم ، وكذبتم أكثرهم ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ .

أي : عليها غطاء وغشاء يمنع من فهم ما يقولون ؛ كقوله: ﴿ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ ﴾ [فصلت:٥].

وقيل: معناه : قلوبنا أوعية للعلم فمنعنا منه ما يغنينا عما جئت به ، ﴿فَقَلِيلٗا﴾ نعت مصدر محذوف، أي : فيؤمنون قليلا . وقيل: المراد بالقلة: العدم ، وهو كقوله: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [سورة ق:٣] كنوا بالبعد عن الاستحالة . والوَقْر[2] بفتح الواو: الثقل في الأذن، وبكسرها الحمل ؛ كقوله : ﴿ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ [الذاريات:٢] .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١ / ٤١٩) قال ابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث والأثر) -(٤ / ٣٦٧) ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ تحقيق : الدكتور محمود الطناحي و الشيخ طاهر الزاوي- : التمني : التكذيب ، تفعل من مني يمني : إذا قدّر ؛ لأن الكاذب يقدر الحديث في نفسه ، ثم يقوله ، ويقال للأحاديث التي تتمنى: الأماني. واحدتها أمنية .

(٢) لا توجد كلمة الوقر في الآيات هنا ، وإن وجدت في مواطن أخرى منها ما ورد في الآية (٥) من سورة فصلت : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا ﴾ في التوراة من بعث النبي ﷺ ومن صفاته، وكانوا إذا دهمهم[(١)] عدو، قالوا: «اللهم انصرنا ببركة النبي المبعوث في آخر الزمان فينصرون»[(٢)]. ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾.

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: باعوها. و «ما»: نكرة غير موصولة ولا موصوفة، والتقدير: بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم كفرهم. ﴿ بَغْيًا ﴾: مفعول من أجله أي: كرهوا أن تكون النبوة في غيرهم من بني إسماعيل ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ ﴾ المذكورين أو لجميع الكفار، ويدخل المذكورون فيه دخولا أولويًا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من القرآن ﴿ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ من التوراة ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ بما عداها.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ وعدل عن الماضي إلى المضارع؛ لدلالته على التكرر؛ كقولك: هو يصلُ الرَّحِمَ ويَحْمِلُ الكَلَّ[(٣)].

وقوله: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تشكيك في إيمانهم، ثم حقق بعدهم عن الحق باتخاذهم

---

(١) الدهم: الجماعة الكثيرة. وقد دهمونا أي: جاؤونا جماعة، و دهمهم أمر: إذا غشيهم فاشيا.

ينظر: لسان العرب (دهم).

(٢) تقدم تخريجه في تفسير الآية (١٧).

(٣) الكلّ: الثقل من كل ما يتكلف والكل: العيال. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ١٩٨١).

العجل إلها بعدما جاءهم موسى بالبينات ، ثم زادك تحقيقاً بقوله : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ﴾ حب العجل .

﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

كانوا يزعمون أن نعيم الآخرة خالص لهم ، فقيل لهم : إن كان كذلك فتمنوا الموت لتصلوا إلى النعيم المقيم في زعمكم ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ بسبب ما اكتسبوه من المعاصي ، والاستكبار عن طاعة الرسول . وكيف يتمنونه وهم ﴿ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ ﴾ زيادة في العمر وأحرص من الكفار عبدة الأوثان على ذلك ؛ لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون ببعث ولا جزاء، ولا يخشون من الموت إلا فقد هذه الحياة (٩/أ) .

أما اليهود فيعلمون أنهم بعد الموت يعاقبون على الكفر والعناد. وقيل: الوقف عند قوله : ﴿ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ ثم يبتدئ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾[1] أي : قوم أو فريق ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ فحذف الموصوف وأقيمت الصفة وهي فعل مقامه ؛ كقوله [من الوافر] :

أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثَّنايا متى أضعُ العِمامةَ تعْرفُوني[2]

أي : أنا ابن رجلٍ جلا ، وتقول العرب : ما منهما مات حتى جرى له كذا ، أي : ما منهما رجل[3] . ﴿ هُوَ ﴾ مبتدأ ، ﴿ أَن يُعَمَّرَ ﴾ بدل منه والخبر : ﴿ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾

---

(١) قال الأشموني في (منار الهدى) في بيان الوقف والابتداء (ص: ٤٤) الوقف على «حياة» تام عند نافع، والأكثر على أن الوقف على «أشركوا» وهم المجوس، كان الرجل منهم إذا عطس قيل له: «زي هزه رسال» أي : عش ألف سنة ، فاليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك .

(٢) البيت لسحيم بن وثيل ينظر في : الأصمعيات (ص : ١٧) ، جمهرة اللغة (ص : ٤٩٥) ، خزانة الأدب (١/ ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦) ، الدر (١/ ٩٩) ، شرح المفصل (٣/ ٦٢) ، الشعر والشعراء (٢/ ٦٤٧)، الكتاب (٣/ ٢٠٧)، وبلا نسبة في الاشتقاق (ص: ٣١٤) ، أوضح المسالك (٤/ ١٢٧)، خزانة الأدب (٩/ ٤٠٢)، شرح الأشموني (٢/ ٥٣١) ، لسان العرب (ثنى) ، مغني اللبيب (١/ ١٦٠) ، همع الهوامع (١/ ٣٠) وقد استشهد به الحجاج في إحدى خطبه بالعراق متلثما ، ويقال : في أول خطبة له بالبصرة .

(٣) إذا كانت الصفة جملة أو شبه جملة وحُذف الموصوف، فالبصريون يقدرون موصوفا محذوفا، بينما =

«كان عمر يجلس لليهود في بيت مدراسهم [١] ليسمع ما يقولون ، ويتبين له رأيهم، فقالوا له: إنا لنطمع فيك يا عمر فقال: والله ما أجلس فيكم إلا لأعلم صدق محمد، ويتبين لي أنكم مبطلون، ثم سألهم عن جبريل وميكائيل، فقالوا: أحدهما عن يمين الله والآخر عن يساره، وكل واحد منهما عدو لصاحبه، وقالوا: لو كان ميكائيل أو غيره من الملائكة سوى جبرائيل يأتي إلى محمد برسالة لآمنا به، لكن جبريل عدونا يأتي بالزلزال والعذاب، وهو الذي خسف مدائن قوم لوط، وصاح بقوم صالح صيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين فأنزل الله : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾» [٢].

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

= يقدّر الكوفيون موصولا مثل« الذي» أو مَنْ. ورجّح ابنُ هشام مذهب البصريين بأن اتصال الموصول بصلته أشد من اتصال الموصوف بصفته ؛ لتلازمهما . **وينظر** ذلك في: الإملاء للعكبري (١/ ٥٣) ، البحر المحيط (١/ ٤٨٢) الدر المصون (١ /٣٠٩)، معاني الفراء (١ / ٦٣) ، مغني اللبيب (٢ / ٣٥٨) .

(١) **المدراس** : الموضع يقرأ فيه القرآن ومنه مدراس اليهود . **ينظر** : القاموس المحيط (درس) .

(٢) إسناده فيه انقطاع ، رواه ابن جرير الطبري في التفسير (١/ ٤٧٨) ، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٢، ٣٣) رقم (٤٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٧٤)، وعزاه لابن أبي شيبة في مصنفه وإسحاق بن راهويه في « مسنده» ، وابن أبي حاتم عن الشعبي عن عمر بن الخطاب ﷺ. قال السيوطي: صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر ، فهو منقطع .

وفي جواب الشرط وجهان :

أحدهما: من كان عدوًّا لجبريل فقد أخطأ الطريق ؛ لأنه نزل الكتاب على قلب محمد مصدقاً لما معكم من التوراة .

والثاني: من كان عدوًّا لجبريل فهو حقيق بمعاداته له ؛ لأنه بين زيف اليهود ، وبما أنزله الله معه من الكتاب وقوله بعد ذلك : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ جزاؤه محذوف، التقدير : لم يعبأ الله بعداوته .

﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ يعني التوراة . وقيل : القرآن . ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: لم يعملوا بما فيه ولقد وضعوه على الكراسي وذهَّبوه بالذَّهب ، وحلوا غلافه وخريطته[1] بالذهب والفضة، وطيبوه بالمسك والعنبر، ولم يعملوا به فقيل فيهم : ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ثم استبدلوا به ما أخذوه من الرِّشا على كتمان صفة النبي ﷺ وتغيير آية الرجم وغيرهما .

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ﴾ معطوف على ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ﴿ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ أي : تتبع ، وقيل: ما تقرأ ، أي: على عهد ملك سليمان . (٩ / ب) ﴿ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ اسمان أعجميان ، ولذلك منعا من الصرف مع العلمية ، ولا وجه لاشتقاقهما من الهرت والمرت[2] . ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ أي: سبب فتنة . وقيل: شيء مستحسن ؛ كقولهم في الشابة الجميلة : إنها فتنة.

وقد علق على فعل العلم باللام في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ والخلاق: النصيب ﴿ وَلَبِئْسَ مَا ﴾ باعوا ﴿ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ ؛ كقوله : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ ﴾ [يوسف:٢٠] أي : باعوه .

---

(١) **الخَرِيطةُ** : مثل الكِيسِ تكون من الخِرَقِ والأَدَمِ تُشْرَجُ على ما فيها ، ومنه خَرائِط كُتُب السلطانِ وعُمَّاله .

ينظر : لسان العرب : (خرط) .

(٢) ذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان) (٥ / ٣٨٨) أن هاروت من الهرت وهو الشق . قال السمين الحلبي في الدر المصون (١/ ٣٢١) : « ويجمعان على هواريت ومواريت وهوارتة وموارتة ، وليس من زعم اشتقاقهما من الهرت والمرت وهو الكسر بمصيب ؛ لعدم انصرافهما ، ولو كانا مشتقين كما ذكر لانصرفا ».

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

كانت اليهود يقولون: راعنا يا محمد، يزعمون أنهم يطلبون المراعاة، وكانت «راعنا» لفظة ذم باليهودية، فنهى الله المؤمنين أن يقولوها؛ لما فيها من إيهام الذم والوصف بالرعونة، ﴿ وَلِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ القائلين: راعنا، أو لجميع الكفار. «من» في قوله: ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ لبيان الجنس، و﴿ مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ زائدة، ومن في قوله: ﴿ مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴾ لابتداء الغاية.

النسخ: بيان انتهاء مدة الحكم (أو ننسأها) بالهمزة [(١)] أي: نؤخرها وسميت

---

(١) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن محيصن وعاصم الجحدري ومن الصحابة عمر وابن عباس وأبي بن كعب، وقرأ العامة «نُنسِهَا». تنظر القراءة في: إتحاف فضلاء البشر للبنا (١ / ٤١١)، إعراب النحاس (١ / ٢٥٥)، البحر المحيط لأبي حيان (١ / ٣٤٣)، جامع القرطبي (٢ / ٦٧)، الحجة للفارسي (٢ / ١٨٦، ١٨٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٣٣٥ - ٣٣٦)، الكشاف للزمخشري (١ / ٣٠٣)، معاني الفراء (١ / ٦٤)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢١٩).

العصاة[١] منسأة ؛ لأنها تؤخر عنك ما تكرهه . ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ أي : نجعلها منسية من القلوب بعد حفظها ويجوز نسخ الحكم والتلاوة معا ، ونسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ الحكم دون التلاوة ، ويجوز نسخ الفعل قبل مجيء وقته ؛ لقصة الذبيح، خلافا للمعتزلة [٢]، ويجوز نسخ الحكم إلى أخف منه ؛ لأنه خير للمكلف في تخفيف المشقة عنه ، وإلى أثقل منه ؛ لأنه خير للمكلف في كثرة الثواب . ﴿ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وسطه ؛ كقوله ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات :٥٥] .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ « لو » بمعنى : أن ؛ كقوله : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ منسوخ بنزول القتال ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾ تجدوا ثوابه عند الله . الهود: جمع هائد ، كالعود : جمع عائد ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ جملة حالية . ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ من كفار المشركين وعبدة الأوثان ، فشبه هؤلاء مع كونهم أهل كتاب مع عبدة الأوثان من غير شبهة ظاهرة .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾

---

(١) قيل: إن أول لحن سمع : هذه عصاتي . قال الأزهري : ويقال للعصا عصاة بالهاء ، يقال: أخذت عصاته . قال: ومنهم من كره هذه اللغة ؛ روى الأصمعي عن بعض البصريين قال : سميت العصا عصا ؛ لأن اليد والأصابع تجتمع عليها مأخوذ من قول العرب : عصوت القوم أعصوهم إذا جمعتهم على خير أو شر . قال : ولا يجوز مد العصا ولا إدخال التاء معها وقال الفراء : أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي بالتاء .

ينظر : لسان العرب (عصا) .

(٢) تقدم التعليق على ذلك عند تفسير الآية (٧٣) من سورة البقرة .

أي : لا أحد في المانعين أظلم ممن منع مساجد الله ﴿ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ بدل اشتمال من قوله : ﴿ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ قيل : المراد بالمساجد الكعبة ، وجمعها؛ لأن المساجد كلها تتوجه نحوها ، وأراد: أنهم منعوا رسول الله ﷺ والمؤمنين عام الحديبية (١٠/أ) وصدوهم عن المسجد الحرام[١] . وقيل: المراد بيت المقدس[٢].وقيل: جميع المساجد وهو ظاهر اللفظ[٣] .

﴿ وَلِلَّهِ ﴾ بلاد المشرق والمغرب ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ ﴾ من الجهات ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ قيل : المراد فأينما تولوا وجوهكم للدعاء . وقيل : أراد صلاة النافلة في السفر.

وقيل : أراد أنه إذا التبست القبلة في السفر وأدى الاجتهاد إلى جهة فهي القبلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ ﴾ العطاء ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بالمصالح . الهاء في ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ مجرورة بالإضافة إلا أنه مضمر مبني ، ولو ظهر في اسم ظاهر ؛ كقولك : سبحان الله لكان في موضع اسم الله قولان: النصب بتقدير : سبَّحْتُ اللهَ . والرفع بتقدير : ينزهُ اللهُ ، واستدل بعضهم بهذه الآية على أن من ملك ولده عتق عليه[٤]، فإنك لا تقول : فلان ليس بعالم ، بل هو من أهل البصرة ، ما لم يكن كونه من أهل البصرة مانعا من العلم.

والقنوت: السكوت. وقيل: الخشوع. ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: بديعة سماواته كقولك : حسن الوجه ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ ﴾ لأجل تكوينه ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ نقترحها .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١ / ٤٩٩) عن ابن زيد ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٣٩) رقم (٥٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٢٦٤) ونسبه لابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس –رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١ / ٤٩٧) : والواحدي في أسباب النزول (ص : ٣٩) رقم (٥٥) عن مجاهد وقتادة والسدي .

(٣) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (١ / ٥٠٠) : « كل مانع مصليا في مسجد لله فرضا كانت صلاته فيه أو تطوعا وكل ساع في إخرابه فهو من المعتدين الظالمين » .

(٤) ينظر: الأم للشافعي (٤/١٢٨)، بدائع الصنائع للكاساني(٣/٥٨٣)، المغني لابن قدامة (٧/٢٤٩) .

﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (١) فإنهم في شدة لو وصفتها لك لم تتمالك ، أو لو وصفتها لك [لم أستطع أن أستوعب أوصافها ؛ لما يحصل بخاطري من التكدر بذلك](٢) .

وقيل : سأل رسول الله ﷺ الله بأن يأذن له في الاستغفار لأبيه ، فلم يأذن له ، وقيل : قال: «ليت شعري ، ما فعل أبواي » ؟! فنزلت ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾(٣) أي : أنت غير مسؤول عنهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ .

---

(١) كذا بالأصل، ولعلّ ذلك من كلام الملك جبريل ﷺ للنبي ﷺ وفي الكشاف للزمخشري (١/ ١٨٢): وقيل: معناه : تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول: كيف فلان ؟ سائلا عن الواقع في بلية، فيقال لك : لا تسأل عنه . ووجه التعظيم : أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته ، فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره ، أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره ، فلا تسأل .

(٢) قرأ نافع ويعقوب «ولا تَسأل» ـ بفتح التاء على البناء للمعلوم والنهي ، وقرأ الباقون «ولا تُسأل» ـ بضم التاء على البناء للمجهول والنفي . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (١ / ٣٦٨) ، الحجة لابن خالويه (ص:٨٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٣٥٦)، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٦٩) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٩١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٢١) .

(٣) إسناده ضعيف ، رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١ / ٥١٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٢٠٩) ونسبه لوكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر ، عن محمد بن كعب القرظي مرسلا . وقال السيوطي : هذا مرسل ضعيف الإسناد ، ورواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٢) رقم (٦٤) عن ابن عباس بنحو ذلك .

وهذه الرواية على قراءة من قرأ « ولا تَسألْ » بالجزم ، قال الطبري في تفسيره : «والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع على الخبر ؛ لأن الله جل ثناؤه قص قصص أقوام من اليهود والنصارى وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجراءتهم على أنبيائه ثم قال لنبيه ﷺ : إنا أرسلناك يا محمد بشيرا من آمن بك واتبعك ممن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه ، ونذيرا من كفر بك وخالفك فبلغ رسالتي فليس عليك من أعمال من كفر بك بعد إبلاغك إياه رسالتي تبعة ولا أنت مسؤول عما فعل بعد ذلك . ولم يجر لمسألة رسول الله ﷺ ربه عن أصحاب الجحيم ذكر فيكون لقوله ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وجه يوجه إليه ، وإنما الكلام موجه معناه إلى ما دل عليه ظاهره المفهوم حتى تأتي دلالة بينة تقوم بها الحجة على أن المراد به غير ما دل عليه ظاهره فيكون حينئذ مسلما للحجة الثابتة بذلك ولا خبر تقوم به الحجة على أن النبي ﷺ نهي عن أن يسأل في هذه الآية عن أصحاب الجحيم ولا دلالة تدل على أن ذلك كذلك في ظاهر التنزيل . والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية وعمن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر دون النهي عن المسألة عنهم . فإن ظن ظان أن الخبر الذي روي عن محمد بن كعب صحيح فإن في استحالة الشك من الرسول ﷺ في أن أهل الشرك من أهل الجحيم وأن أبويه كانا منهم ما يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب إن كان الخبر عنه صحيحا مع أن ابتداء الخبر=

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما تعتقدونه أنه هدى فهو هوى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ ولم يقل : هداهم .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يتبعونه حق اتباعه[1]؛ كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس :٢] وقيل : يقرؤونه حق القراءة بالترتيل ، وإعطاء كل حرف حقه .

﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ ثلاث نكرات في حيز النفي يفيد العموم ، أي : لا تجزي نفس قط عن نفس قط شيئا من الأشياء ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ و «هم» في قوله: ﴿وَلَا هُمْ﴾ راجع إلى مرجع الضميرين من قبله . (١٠/ب) ﴿يُنصَرُونَ﴾ أي: يُخلَّصون، ومنه : ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ ، [هود :٦٣] ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٧٧] فمتى عدي الجزاء بلفظة «من» كان بمعنى التخلص ، وإن عدي بـ «على» كان بمعنى الظهور والغلبة.

﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ امتحن ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ قيل : هي قوله : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إلى آخر الكلام

= بعد قوله : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ بالواو بقوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وتركه وصل ذلك بأوله بالفاء وأن ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أوضح الدلائل على أن الخبر بقوله : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أولى من النهي والرفع به أولى من الجزم . وقد ذكر أنها في قراءة أبي : « وما تسأل» وفي قراءة ابن مسعود : «ولن تسأل» وكلتا هاتين القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه دون النهي» . انتهى من تفسير الطبري (١/ ٥١٦) .

(١) رواه الطبري في تفسيره (١ / ٥١٩) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما . ورواه في (١ / ٥٢١) عن عكرمة قال : «يتبعونه حق اتباعه أما سمعت قول الله ـ عز وجل : ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ قال : إذا تبعها» .

وقيل: هي الفطرة ، وهي عشر: خمس في الرأس، وخمس في الجسد[١] ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾أي: قام بهن . سأل إبراهيم الإمامة لذريته ، فقال : ليس يصلح كل ذريتك للإمامة .

﴿مَثَابَةً﴾ مرجعا يثوب الناس إليه . وقيل : يرجع كل حاج ؛ لأنه يأتيه لطواف القدوم ، ثم يرجع إليه لطواف الركن بعد الوقوف بعرفة ، ثم يرجع إليه لطواف الوداع . ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قيل: فيه دليل على وجوب ركعتين بعد الطواف[٢]. وقيل: مصلى: مدعى ، أي : موضع دعاء ؛ حملا على الصلاة اللغوية . بدأ بالطائفين ؛ لاختصاص الطواف بما حول البيت من حرمة، ثم بالعكوف ؛ لأنه مختص بالمساجد ولا يختص بالكعبة ، ثم بالركع السجود به الذي لا يختص بالكعبة ولا بالمساجد ؛ كما قال ﷺ : «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[٣].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

---

(١) روى مسلم في صحيحه رقم (٢٦١) عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « عشر من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء». قال زكريا ـ هو ابن أبي زائدة أحد رجال السند في هذا الحديث ـ قال مصعب ـ هو ابن شيبة من رجال السند : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة . زاد قتيبة: قال وكيع : انتقاص الماء يعني: الاستنجاء. والحديث رواه أيضا أحمد في المسند (٦ / ١٣٧)، وأبو داود رقم (٥٣) ، والترمذي رقم (٢٧٥٧) ، وابن ماجه رقم (٢٩٣) .

(٢) هذا مذهب الأحناف وأحد قولين للشافعية وذهب المالكية والحنابلة إلى أنهما سنة مؤكدة غير واجبة . **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ٣٣٤) ، المغني لابن قدامة (٣ / ٤٠٤) ، المهذب للشيرازي (١/ ٤٠٢) .

(٣) هذا جزء من حديث رواه البخاري رقم (٣٣٥) ، ومسلم رقم (٥٢١) وتمامه عند البخاري: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» .

نزلَ إبراهيمُ بهاجرَ وإسماعيلَ بين جبال مكة ، وليس هنـاك بنيـان ، فـسأل الله أن يجعـل ذلك المكان بلداً، ثم جاء لزيارة ابنه فرآها قد صارت بلدا فسأل الله - تعالى- أن يجعل ذلك البلد آمنا، وسأل إبراهيم الرزق لمن آمن منهم بالله ، فقال - تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ يعـني : إنـي لا أقطع الرزق عن الكافر بسبب كفره ، بل أرزق المؤمن ، والكافر أمتعه قليلاً .

قوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ رفع البنيـان سـافا فـوق سـاف [(١)] وإذا رفـع البنيان بالأساس فارتفع فقد رفعت القواعد . وقيل: يقال : قعد البناء ثبـت بالقواعـد وهـي الأساس والأصل لما فوقه . وقيل : يرفع إبراهيم ما سقط من جدران البيت .

أي : قائلين : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ وهذا الفعل في محل النصب على الحال .

وقوله: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ إلى آخره ، جمل ثلاث بعد القول [حال أي : يرفعانها قـائلين] هذا القول . وقوله ﷺ : «أنا دعوة إبراهيم»[(٢)] حين قـال : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ ﴿ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾. أهانها وبخسها ؛ كما تقول: سفهت نفس زيـد ، فحـول وصـار «سـفه زيـد نفسا» (١١/أ) كقولك : تصبب عرق زيد ، وتصبب زيد عرقا ، ثم اتصل الضمير بـالنفس، فصار: سفه نفسه .

﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ تقديره: وإنه صالح في الآخرة من الـصالحين، ولا يجـوز أن تعمل الصالحين في قوله : ﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ؛ لأن اللام في الـصالحين موصـولة ، ومعمـول الـصلة لا يجـوز أن يتقـدم علـى الموصـول . كـذلك قولـه : ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف:٢٠].

وأجاز ابن السراج[(٣)] أن يعمل فيما تقدم من المجرور وغيره ، وجعل الألـف والـلام غـير

---

(١) **الساف في البناء** : كل صف من اللبن يقال : ساف من البناء سافان وثلاثة آسف . وقيل : كل سطر من اللبن والطين في الجدار ساف ومدماك . **ينظر** : لسان العرب (سوف) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٠) ، والبيهقي في دلائـل النبـوة (١/ ٨٣-٨٤) قـال الحاكم: صحيح الإسـناد ولم يخرجـاه ووافقـه الـذهبي . وصـححه الـشيخ الألبـاني في السلـسلة الـصحيحة رقـم (١٥٤٥) .

(٣) هو محمد بن السري أبو بكر بن السراج النحوي ، أحد العلماء المشهورين باللغة والنحـو والأدب، أخـذ عن المبرد ، وأخذ عنه أبو القاسم الزجاجي والسيرافي والفارسي ، وله مصنفات منها: الأصول وغـيره=

موصولة ، وإنما هي لمجرد التعريف ، ومثل هذه الآيات : ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] .

أي : إني قال لعملكم من القالين . وقوله : ﴿فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠] أي: ناصح من الناصحين ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٣] أي: شاهدين عليها من الشاهدين ، وأمثالها كثير(١) .

=وتوفي سنة ست عشرة وثلاثمائة . تنظر ترجمته في : أخبار النحويين البصريين (ص : ١٠٨) ، إنباه الرواة (٣ / ١٤٥) ، بغية الوعاة (١/ ١٠) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٨ / ١٩٧) .

وينظر قوله في : الأصول في النحو (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤) وعبارته : وقد كان بعضُ مشايخ البصريين يقول: إنّ الألف واللام ها هنا ليستا في معنى (الذي) وأنّهما دخلتا كما تدخلُ على الأسماء للتعريف وأجاز أن يقدم عليها إذا كانت بهذا المعنى ومتى كانت بهذا المعنى لم يجزْ أن يعمل ما دخلت عليه في شيءٍ فيحتاج فيه إلى عامل فيها .

(١) هذه مسألة تقديم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول ، والخلاف بين النحويين في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب: الأول : المنع مطلقا ، وعليه البصريون . الثاني : الجواز مطلقا ، وعليه الكوفيون واختاره أبو حيان والسمين الحلبي والسيوطي ؛ للتوسع فيهما . الثالث : الجواز مع« أل» إذا جُرّت بـ« من» .

قال الزجاجي في كتاب اللامات (١ / ٥٨) ط . دار الفكر ـ دمشق ١٩٨٥ م ط ٢ ـ تحقيق : الدكتور مازن المبارك: باب في تبيين وجوه دخول الألف واللام على الأسماء المشتقة من الأفعال : اعلم أنها تدخل على ثلاثة أوجه : أحدها : أن تكون بتأويل الذي فتحتاج إلى صلة وعائد وتجري في ذلك مجرى الذي ، كقول القائل : ضرب زيد عمرا ، فقيل : أخبر عن زيد ، فقال : الضارب عمرا زيد ، ففي الضارب مضمر يعود على الألف واللام اللذين بمعنى الذي وأنت لم تذكر الذي وإنما ذكرت ما يدل عليه فجئت بالعائد لذلك . والوجه الثاني : أن تدخل لتعريف هذه الأسماء المشتقة من الأفعال لا بتأويل الذي ولكن كما تعرف أسماء الأجناس نحو الرجل والفرس.فتقول : الضارب والقائم تريد به التعريف لا معنى الذي قال أبو عثمان المازني : والدليل على صحة هذا التأويل أنك تقول : نعم الضارب ونعم القائم وغير جائز أن تقول : نعم الذي عندك لأن نعم وبئس لا يدخلان على الذي وأخواتها ودخولهما على القائم والضارب يدل على أن الألف واللام فيهما ليستا بمعنى الذي ومن هذا الوجه الثاني : قول الله ـ عز وجل: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ قال المبرد والمازني وغيرهما من البصريين : ليست الألف واللام بمعنى الذي ؛ لأنه لو كان التقدير : وأنا من الشاهدين على ذلك بمعنى من الذين شهدوا على ذلك لم تقدم صلة الذي عليه . وكذلك لو كان التقدير: وكانوا من الذين زهدوا فيه لم يجز تقديم صلة « الذي » عليه . ولكن الألف واللام للتعريف لا بمعنى «الذي » . واختار هذا أيضا العكبري في التبيان (١ / ٦٤) .

ثم ذكر الزجاجي الوجه الثالث وهو مذهب الكوفيين: أنها تكون بمعنى «الذي» ويصلونها بما توصل به الذي. وهم يجوزون أن يتقدم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول مطلقا ؛ للتوسع فيهما . وقد قال بهذا=

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾

﴿ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ أعطاكم صفوته ، فالزموا الإسلام حتى إذا أدرككم الموت، أدرككم وأنتم عليه كأن الميتة التي ليست على الإسلام منهي عنها، ولذلك قال: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . وقد جعل إسماعيل من بني إسرائيل، وإنما هو عم لهم ، فجعل العم بمنزلة الأب ، كما جعلت الخالة أما في قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف :١٠٠] وإنما كان المرفوع أبوه وخالته [(١)] .

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٣٤) وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٤١) ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣) ﴾

﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ بل نكون أهل ملة إبراهيم حتى نطابق هوداً أو نصارى .

= القول أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٢٩١) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٤/ ١٦٥) ، واختاره السيوطي في همع الهوامع (١ / ٢٨٧) .

(١) روى البخاري في صحيحه رقم (٢٦٩٩) ، وأحمد في المسند (٤ / ٢٩٨) ، وأبو داود رقم (٢٢٧٨)، والترمذي رقم (١٩٠٤) عن البراء بن عازب ﷺ في حديث طويل وفيه : «الخالة بمنزلة الأم» .

لو آمنوا بمثل ما آمنا به لكفروا ، فنحن آمنا بالله ، وليس لله مثل نؤمن به ، بل لفظة مثل زائدة ، أي : فإن آمنوا بما آمنتم به . وقيل : ليست زائدة . والتقدير: فإن دخلوا في الإيمان بمثل ما دخلتم فيه من الثبات على الحق ، وعدم الريب والشك.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر ، والتقدير : صبغ الله صبغته . ﴿شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي : شهادة حصلت من جهته وبتوفيقه .

ومثل هذا التفضيل جعلناكم أمة وسطا ، أي : خياراً ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم :٢٨] أي: أفضلهم. وقدم «شهداء» على «الناس» ؛ لأن شرفهم في كونهم شهداء، وأخر «شهيدا» في قوله: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ لأن الشرف في تزكية الرسول لهم ، وثنائه عليهم .

﴿الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ . وقوله : ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي : لنرى[(١)] . وقيل : لنميز . وقيل : لنعلم العلم (١٢/ أ) واقعا، وفيه نظر[(٢)] . ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ التحويلة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ لما حصل بسببها من استهزاء أصحاب الأديان ؛ لأنهم جعلوا النسخ يقتضي البداء وهو لا يليق بالله – جل جلاله[(٣)] .

---

(١) قال الطبري في تفسيره (٢ / ١٤) : «وهذا تأويل بعيد من أجل أن الرؤية وإن استعملت في موضع العلم من أجل أنه مستحيل أن يرى أحد شيئا فلا توجب رؤيته إياه علما بأنه قد رآه إذا كان صحيح الفطرة فجاز من الوجه الذي أثبته رؤية أن يضاف إليه إثباته إياه علما وصح أن يدل بذكر الرؤية على معنى العلم من أجل ذلك ، فليس ذلك وإن كان في الرؤية لما وصفنا بجائز في العلم فيدل بذكر الخبر عن العلم على الرؤية ؛ لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ويستحيل أن يرى شيئا إلا علمه كما قد قدمنا البيان مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال : علمت كذا بمعنى رأيته وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد من الكلام إلى ما كان موجودا مثله في كلام العرب دون ما لم يكن موجودا في كلامها فموجود في كلامها رأيت بمعنى علمت وغير موجود في كلامها علمت بمعنى رأيت فيجوز توجيه «إلا لنعلم» إلى معنى «إلا لنرى» .

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (١ / ٢٠٠) .

(٣) قال الإمام ابن حزم في كتاب الإحكام (٤ / ٤٧١) : « فإن قال قائل : ما الفرق بين البداء والنسخ ؟ قيل له ـ وبالله تعالى التوفيق ـ الفرق بينهما لائح وهو أن البداء هو أن يأمر بالأمر والآمر لا يدري ما يؤول إليه الحال والنسخ هو أن يأمر بالأمر والآمر يدري أنه سيحيله في وقت كذا ولا بد قد سبق ذلك في علمه وحتمه من قضائه فلما كان هذان الوجهان معنيين متغايرين مختلفين وجب ضرورة أن يعلق على كل واحد منهما اسم يعبر به عنه غير اسم الآخر ليقع التفاهم ويلوح الحق فالبداء ليس من صفات الباري – تعالى ... وأما النسخ فمن صفات الله – تعالى ==

ولما حولت القبلة قال بعض المسلمين: ما يفعل الله بصلوات من مات مستقبلاً بصلاته بيت المقدس ، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (١) أي : صلاتكم إلى بيت المقدس ؛ لأنهم محسنون باستقباله بالأمر الأول ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)﴾

﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ ؛ كقوله : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨] ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

قدْ أتركُ القِرنَ مُصفرًّا أناملُهُ (٢)

قدْ يُدْرِكُ المُتأنّي بعضَ حاجَتِهِ (٣)

قدْ نخضِبُ العسرَ من مكنونِ قائِلِهِ   وقدْ يشطُّ على أرماحِنا البطلُ (٤)

= من جهة أفعاله كلها وهو القضاء بالأمر قد علم أنه سيحيله بعد مدة معلومة عنده عز وجل كما سبق في علمه - تعالى .

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ١٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٣) عن ابن عباس والبراء ابن عازب ﷺ.

(٢) هذا صدر بيت لعبيد بن الأبرص وعجزه : ....   كأن أثوابه مجت بفرصاد

ينظر في: خزانة الأدب للبغدادي (١١/ ٢٥٣)، ديوان لبيد (ص:٦٤)، شرح أبيات سيبويه للسيرافي (٢/ ٣٦٨) ، وبلا نسبة في : تذكرة النحاة لأبي حيان (ص:٧٦) ، رصف المباني (ص: ٣٩٣) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٠٢) ، لسان العرب (أسن) ، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٣٥) **والفرصاد:** نوع شجر.

(٣) هذا صدر بيت للقطامي وعجزه : ....   وقد يكون مع المستعجل الزلل

ينظر في : جمهرة أشعار العرب (٢ / ٨٠٥) ، ديوان القطامي (ص : ٢٥) ، ديوان المعاني (١/ ١٢٤)، وللأعشى **في** : تلخيص الشواهد (ص : ١٠٢) ، خزانة الأدب (٥ / ٣٧٧) ، وبلا نسبة في : لسان العرب (بعض) ، مجالس ثعلب (ص: ٤٣٧) .

(٤) هذا البيت للأعشى ، **ينظر في** : تاج العروس للزبيدي (شيط) ، ديوان الأعشى (ص : ١١٣)، شرح المفصل لابن يعيش (٥ / ٦٤) ، لسان العرب (شيط) .

وقد أغتدي والطيرُ في وُكناتِها [١]

في أن التوقع ، وقلة ما يأتي بعد قد ليس مراداً في هذه الأمثلة ، بل المراد الكثرة .

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ في جهات ﴿ ٱلسَّمَآءِ ﴾ تنتظر نزول الوحي باستقبال الكعبة .

﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ أي : جهته . واحتج بعضهم بهذه الآية على أن من بعد عن القبلة ففرضه جهتها ، لا استقبال عين الكعبة ؛ لأنه أمر هاهنا باستقبال المسجد، وهو أوسع من الكعبة [٢] . ﴿ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ لكونه مذكوراً في كتبهم .

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

قال عمر لعبد الله بن سلام ـ رضي الله عنهما: يقول الله في كتابه : ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ نشدتك الله ، هل كنت تعرف رسول الله ﷺ كما تعرف ابنك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين؛ لأنني عرفته بصفاته المذكورة في التوراة، وأما ابني فما أدري ما صنع النساء ، فقبل

---

(١) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : .... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ينظر في : إصلاح المنطق لابن السكيت (ص : ٣٧٧) ، خزانة الأدب (٣ / ١٥٦) ، ديوان امرئ القيس (ص: ١٩) ، شرح المفصل (٢ / ٦٦) ، لسان العرب (قيد) ، وبلا نسبة في : الأشباه والنظائر للسيوطي (٢/ ٤١٠)، خزانة الأدب (٤/ ٢٠٥) ، الخصائص لابن جني (٢/ ٢٢٠) ، رصف المباني (ص : ٣٩٢) ، شرح شواهد المغني (٢ / ٨٦٢) ، المحتسب لابن جني (١ / ١٦٨) ، مغني اللبيب (٢ / ٤٦٦) .

(٢) **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني (١ / ٣٢٩) ، المغني لابن قدامة (١ / ٤٩٠) .

عمر رأسه وقال : وفقك الله يا ابن سلام[١] .

﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنه حق ، وأن الكتمان محرم .

﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا ﴾ إلى الخيرات الفاضلات من الجهات . ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ ليجازيكم على امتثال الأمر باستقبال الكعبة . أو بامتثال جميع الأوامر.

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ أي : شبهة ؛ لأن كتابهم يدل على أنهم سيحولون إلى الكعبة ، فيقولون : هؤلاء لا أمجاد لهم باقية ، يقولون : فإن كان استقبال بيت المقدس (١٢/أ) هو الحق فلم صرفوا عنه الآن ؟ وإن كان استقبال الكعبة هو الحق فلم لا تعبدوا به من قبل ؟ وجهلوا أن الله يفعل ما يشاء ، فيحرم الشيء في وقت ، ويحلله في آخر، كما ينهى الطبيب المريض في أول المرض عن الزفر[٢] ، ثم يأمره بعد الأسبوع .

قوله : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾ معناه : لأتم نعمتي عليكم كما أتممتها ببعثة الرسول. وقيل: هو متعلق بما بعده ، أي : كما أرسلنا فيكم رسولاً ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ ﴾ في الرخاء ﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ في الشدة. أو: اذكروني بالتبجيل والتعظيم أذكركم بمثله، وفي الحديث فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه – سبحانه وتعالى : «من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[٣] .

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (١ / ٣٥٧) للثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس- رضي الله عنهما .

(٢) الزفر ـ بالكسر : الحمل والجمع أزفار ، وهو مصدر زفر الحمل يزفره زفرًا ، أي : حمله .
ينظر : لسان العرب (زفر) .

(٣) رواه البخاري رقم (١٦٤٣) ، ومسلم رقم (١٢٧٧) .

ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ﴾ أي : عمن يقتل ؛ كقوله : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [الأحقاف :١١] ولم يقل : ما سبقتمونا وكقوله : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران:١٦٨] ولو كانوا مخاطبين لإخوانهم لقال : لو أطعتمونا ما قتلتم .

﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ أي : بل هم أحياء . وعن بعضهم : «عجبت لمن ابتلي بأربع ، كيف لا يفزع إلى أربع ، من ابتلي بمصيبة كيف لا يقول : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ والله تعالى يقول : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ﴾ [البقرة:١٥٧] وعجبت لمن خاف من ظالم كيف لا يقول : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] والله – تعالى- يقول : ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر: ٤٥]، وعجبت لمن تمالأ عليه الناس كيف لا يقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ والله – تعالى- يقول : ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ [آل عمران:١٧٤] وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف لا يقول : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والله يقول : ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]» .

﴿ٱلصَّفَا﴾ أصله: الصلب ، ثم خص به الحجر المعروف بمكة . ﴿وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾ الحجر ثم فعل به ما فعل بالصفا ، وهو كتخصيص الكتاب بسيبويه، والبيت بالكعبة ، وابن عمر (١٢/ ب) وابن عباس وابن الزبير بالعبادلة دون إخوانهم . والشعائر: أعلام الدين .

وقال عروة لعائشة : قوله تعالى : ﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فلا أرى بأسا على من حج البيت أن لا يطوف بهما .

فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي ، لو كان كما قلت لكان : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ، وإنما تحرجوا من الطواف بهما ؛ لأنه كان على الصفا صنم ، وعلى المروة آخر، فإذا سعوا بينهما تمسحوا بهما، فتحرج المسلمون من ذلك ، فرفع الحرج عنهم(١) .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦ / ٤٢١) ، والحاكم في المستدرك (٤ / ٧٠) وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل رقم (١٠٧٢) .

والسعي ركن من أركان الحج لا يتم إلا به، ولا يجبر بدم . وسعى رسول الله ﷺ وقال: «أيها الناسُ اسعوا فإنَّ اللهَ كتبَ عليكُمُ السَّعْيَ».

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة. ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعاقبهما ، يذهب هذا ويخلفه الآخر .

وقيل : اختلافهما في الطول والقصر. ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ معطوف على ﴿وَمَآ أَنزَلَ﴾ أي : وفيما بث فيها . وقيل : معطوف على ﴿فَأَحْيَا﴾ والتقدير: وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض، وبث به الدواب ؛ لأن الماء سبب عيش الحيوان .

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ بين جنوب وشمال ، وصبا[1] ودبور[2] . وقيل: تصريفها: يجعلها

---

(١) **الصبا:** ريح معروفة تقابل الدبور الصحاح . الصبا ريح ومهبها المستوي: أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . **ينظر** : لسان العرب (صبا) .

(٢) **الدبور** ـ بالفتح : الريح التي تقابل الصبا والقبول ، وهي ريح تهب من نحو المغرب والصبا تقابلها من ناحية المشرق . **ينظر** : لسان العرب (دبر) .

عاصفة ، أو رخاء لينة [١] . ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ كحبهم لله ؛ لقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

﴿ وَمَثَلُ﴾ داعي ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ وقيل: ومثل الذين كفروا ، كمثل مدعو الذي ينعق . وقيل : الوجهان ضعيفان ؛ لأن البهائم التي تنعق بها تسمع الصوت، وتسمع منه طلب الانتهاء عما نهيت عنه، وأما الأصنام فلا يقرع سمعها صوت ولا غيره، فلا يقع التشبيه مطابقا، بل التقدير: مثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام عند ضروراتهم، كمثل الذي ينعق بسائر الجمادات. قوله : ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ بعد قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ .

والمؤمنون لا يعبدون إلا الله ؛ قيل : هو بعث لهممهم ، وتهييج لعزائمهم ، وهو كما تقول لابنك : إن كنت ابني فأطعني ، وأنت غير شاك في بنوته ، لكن مرادك : أن قضية البنوة تقتضي طاعة الأب ، ويمكن أن يقال: إن تقديم خبر كان يدل على الحصر، والتقدير : إن كنتم ممن يخصه بالعبادة ، لا ممن يعتقد الشركة .

ويروى عن داود الظاهري أنه أباح شحم الخنزير ومخه ، وكل ما لا [يؤكل منه ، فإنما] يخص ذلك بالتحريم [٢] . والإهلال: رفع الصوت ، وكانوا إذا ذبحوا (١٣/أ) لأصنامهم رفعوا أصواتهم بذكر اللات والعزى . ويقال : المستهل : المولود صارخا ، وسمي الهلال هلالاً ؛ لأنهم كانوا إذا رأوه رفعوا أصواتهم بالتكبير [٣] .

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ﴾ على إمامه ﴿ وَلَا عَادٍ﴾ متجاوزًا حدَّ الشبع .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى

---

(١) **الرخاء من الرياح** : اللينة السريعة التي لا تزعزع شيئا . **ينظر** : لسان العرب (رخا) .

(٢) **ينظر** : المحلى لابن حزم (٧ / ٣٩١) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٨٥) .

ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ
﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ
ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ
أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ استبدلوها. ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ ﴾ أي : فما أطول حبسهم في النار، والصبر: الحبس ، ومنه يقال: قتله صبرا إذا أمسكه ليقتل بين يديه . وقيل : ما استفهامية ، وليست تعجبية.

قوله: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ يريد: الزكاة . وقيل: يريدها هي والتطوع. قوله : ﴿وَٱلْمُوفُونَ ﴾، ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ منصوب ، وهو من باب عطف الصفات بالواو، واقتطاعها بالرفع والنصب جائز.

﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ﴾ عما يجب له من الدم على مال، فالواجب من الطالب اتباع المعروف، ومن المطلوب أداء بإحسان .

وكان في القتل العمد على عهد موسى القصاص لا غير، وعلى عهد عيسى الدية لا غير، وخيرت هذه الأمة بينهما، والتخيير تخفيف . ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ وقتل بعد العفو على مال، قتل قصاصا.

﴿ ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أفصح من قول العرب : القتل أنفى للقتل ؛ لأنهم جعلوا القتل كله نافيا للقتل ، وليس النافي على التحقيق إلا قتل القصاص ؛ ولأنه جعله أنفى ، وأفعل التفضيل تقتضي الاشتراك غالبا ، فيكون ترك القتل نفيا للقتل ، وليس كذلك ؛ ولأن القصاص حياة يحصل المعنى ، وهو عشرة أحرف ، وقولهم : القتل أنفى للقتل أربعة عشر حرفا ؛ لأنه أخصر ؛ لأنه بين كل حركتين من كلام العرب ساكن فلا ينبسط اللسان بالنطق؛

لأن السكون قطع للحركة ، واحتباس عنها[١]. والمراد : ولكم في القصاص حياة أي: حياة مضمومة إلى الحياة الأصلية ، فلو عرف الحياة فقال: «ولكم في القصاص الحياة» لاختل المعنى، وكان يظن أن الحياة الأصلية مستفادة من القصاص، ونظيره قوله ـ تعالى ـ في العسل: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ ﴾ [النحل: ٦٩] ولم يقل: فيه الشفاء ؛ لئلا يظن أن الشفاء منحصر في العسل[٢].

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

كانت الوصية بما يخلف الإنسان فرضا عليه قبل نزول آيات المواريث . ﴿حَضَرَ﴾ كناية عن حضور أسبابه . والخير: المال والاكتساب ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ٣٣] فلما نزلت آية المواريث نسخت وجوب الوصية[٣]. ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ من

---

(١) قال البيهقي في كتاب الاعتقاد (١ / ٢٦٠) : وقد استحسن الناس في الإيجاز قولهم : القتل أنفى للقتل وبينه وبين قول الله – سبحانه : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ تفاوت في البلاغة والإيجاز ، وبيان ذلك: أن في هذا الكلام كل ما في قولهم القتل أنفى للقتل وزيادة معان ليست فيه منها: الإبانة عن الفداء لذكر القصاص، ومنها الإبانة عن الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة ، ومنها بعده عن التكلف وسلامته من تكرار اللفظ الذي فيه على النفس مشقة وعلى السمع مؤونة .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٧٦): قال بعض من تكلم على الطب النبوي: لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال: فيه شفاء للناس أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار والشيء يداوى بضده .

(٣) ينظر: الأم للشافعي (٧ / ٤٦٠) ، المغني لابن قدامة (٦/ ٤٤٤) قال ابن قدامة في المغني : ولا تجب الوصية إلا على من عليه دين أو عنده وديعة أو عليه واجب يوصي بالخروج منه فإن الله –تعالى– فرض أداء الأمانات وطريقه في هذا الباب الوصية فتكون مفروضة عليه ، فأما الوصية بجزء من ماله فليست بواجبة على أحد في قول الجمهور ، وبذلك قال الشعبي والنخعي والثوري ومالك والشافعي وأصحاب الرأي وغيرهم ، وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أن الوصية غير واجبة إلا على من عليه حقوق بغير بينة وأمانة بغير إشهاد إلا طائفة شذت فأوجبتها روي عن الزهري أنه قال : جعل=

الشاهدين (١٣/ ب) للوصية والمتولين لأمرها، فالإثم عليهم لا على الموصي.

كان الواجب في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء، وأيام البيض، وهو المراد بقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ثم نسخ ذلك بصيام شهر رمضان[١].

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: أصل الصوم، لا وقته وعدده، فإن العرب كرهوا عبادة الصوم، فقيل لهم: هو عبادة قديمة لم تخصوا بها دون سائر الأمم.

و﴿أَيَّامًا﴾ ظرف، والعامل فيها الصيام الذي أنزل فيه أي: في شرفه وفضله.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)﴾

﴿فَمَن شَهِدَ﴾ أي: كان مقيما غير مسافر فالواجب عدة، أو فعليه عدة. ومنع داود المسافر

= الله الوصية حقا مما قل أو كثر وقيل لأبي مجلز: على كل ميت وصية؟ قال: إن ترك خيرا وقال أبو بكر عبد العزيز: هي واجبة للأقربين الذين لا يرثون وهو قول داود وحكي ذلك عن مسروق وطاوس وإياس و قتادة و ابن جرير واحتجوا بالآية وخبر ابن عمر وقالوا: نسخت الوصية للوالدين والأقربين الوارثين وبقيت فيمن لا يرث من الأقربين.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ١٣٠).

والمريض أن يصوموا رمضان، وقال: الواجب في حقه وحق المسافر عدة من أيام أخر[١].

كان في ابتداء الإسلام إن شاء القادر أن يصوم فعل ، وإن شاء أن يفطر ويكفر جاز. ومنه : ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا فَهُوَ خَيۡرٌ لَّهُۥ﴾ ثم نسخ بقوله : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ فتحتم الصيام .

قوله : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ يريد الاطلاع وقربه - سبحانه - ليس معلقا على شرط، بل الجواب محذوف ، والمراد: وإذا سألك عبادي عني فقل : إني قريب.

وكان في ابتداء وجوب الصوم يجوز الأكل إلى العشاء ما لم ينم ، فإن نام قبل العشاء حرم عليه الأكل إلى المغرب من الليلة القابلة ، وكذلك الجماع ، وإن بعض الصحابة جامع امرأته بعد العشاء وشكا ذلك إلى النبي ﷺ فنزل تحليل الأكل والجماع إلى طلوع الفجر[٢]. وعنى بالخيط الأبيض: الفجر ، وبالخيط الأسود: الليل. ﴿ وَتُدۡلُواْ﴾ يجوز أن يكون مجزوماً، عطفا على قوله : ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ ﴾ أو منصوبا بالواو.

---

(١) ذكر ابن عبد البر في الاستذكار (٣ / ٢٩٨ - ٣٠٠) عن أنس بن مالك أنه قال : «سافرنا مع رسول الله ﷺ في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم» . وأن عمرو الأسلمي قال لرسول الله ﷺ : «يا رسول الله إني رجل أصوم أفأصوم في السفر ؟ فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فصم وإن شئت فأفطر» وأن عبد الله بن عمر كان لا يصوم في السفر ، وعن هشام بن عروة عن أبيه: «أنه كان يسافر في رمضان ونسافر معه فيصوم عروة ونفطر نحن فلا يأمرنا بالصيام» . ثم قال أبو عمر بن عبد البر : قوله : وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ يقولون : إنه من كلام ابن شهاب ، وفيه دليل أن في حديث رسول الله ﷺ ناسخا ومنسوخا ، واحتج من ذهب إلى أن الفطر أفضل في السفر لأن آخر فعل رسول الله ﷺ الفطر في السفر ، ورواه معمر عن الزهري وقال فيه : قال الزهري فكان الفطر آخر الأمرين ، وفي هذا الحديث إباحة السفر في رمضان . وفي ذلك رد لقول من قال : من دخل عليه رمضان لم يجز له أن يسافر فيه إلا أن يصوم ؛ لأنه قد لزمه صومه في الحضر ولو دخل عليه رمضان في سفره كان له أن يفطر في سفره ذلك ، قال: وفي هذا الحديث أيضا رد لقول من زعم أن الصيام في السفر لا يجزئ ؛ لأن الفطر عزيمة من الله - تعالى- روي معنى ذلك عن عمر وابن عمر وأبي هريرة وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس على اختلاف عنه وعن الحسن البصري مثله ، وبه قال قوم من أهل الظاهر ، وأحاديث هذا الباب تدفع هذا القول وتقضي بجواز الصوم للمسافر إن شاء وأنه مخير إن شاء صام وإن شاء أفطر ؛ لأن رسول الله ﷺ صام في السفر وأفطر ، وعلى التخيير في الصوم أو الفطر للمسافر جمهور العلماء وجماعة فقهاء الأمصار .

وقال ابن قدامة في المغني (٣/ ٩٠) : والأفضل عند إمامنا (يعني: الإمام أحمد بن حنبل) - رحمه الله - الفطر في السفر وهو مذهب ابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والأوزاعي وإسحاق ، وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي : الصوم أفضل لمن قوي عليه ويروى ذلك عن أنس وعثمان بن أبي العاص .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ١٦٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٧٧) .

سأل معاذ بن جبل فقال: ما بال الهلال يكون صغيرا ، ثم يكبر ، ثم يصغر ، فهلا بقي على حالة واحدة، كالشمس والكواكب؟! فأجيب بأنه: جعل ذلك ميقاتاً لديون الناس وآجالهم، وعددهم[(١)].

والعرب ما كانت تحسن الكتابة ، فكانوا إذا رأوا الهلال عرفوا انقضاء الشهر. وكانت العرب إذا أحرموا بالحج لا يدخل الإنسان منهم داره من بابها لكن يفتح من ظهر البيت بابا يدخل منه ويخرج ، وإن كان في بيت شعر دخل من خلف الخباء إلا قريشا وكنانة ، فكانوا لا يوجبون عليهم ذلك ، ويسمونهم الحمس[(٢)] ثم دخل (١٤/أ) النبي ﷺ وهو محرم بيتاً من بابه، فتبعه رجل أنصاري، فأنكر عليه السلام ذلك فقال النبي: أنا أحمس. فقال: وأنا على دينك ومذهبك، فنزلت[(٣)]. وقيل: ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ أي: من الوجوه التي توصل إليها.

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ
(١٩٠) وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٩١) فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩٣) ٱلشَّهْرُ
ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُحْسِنِينَ (١٩٥) وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن
تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ
كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١٩٦) ﴾

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٩٠) ونسبه لابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عباس .

(٢) **الحمس والمتحمس**: الشديد والأحمس أيضا: المتشدد على نفسه في الدين وعام أحمس وسنة حمساء: شديدة وأصابتهم سنون أحامس ، والحمس: قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون. وقيل: كانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون. **ينظر**: لسان العرب (حمس) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ١٨٧) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٨٣) ، والواحدي في أسباب النزول (ص:٥٦) رقم (١٠٠، ١٠١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٩١) لابن أبي حاتم ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ كان قتال المشركين محرما ، ثم نزل الإذن بقوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج:٣٩] وأوجب في هذه الآية قتال من قاتل، دون من كف. وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ الذين هم أهل للقتل بخلاف النساء والصبيان، وتكون الآية محكمة .

﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ بقتل من لم يقاتل على القول الأول ، وبقتل النساء والصبيان على الثاني . وقرئ : ﴿وَلَا تَقۡتُلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يَقۡتُلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ [١] أي: فإن قتلوا بعضكم . ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين قاتلوا بعد النهي والانتهاء . ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ قيل: بترك القتال ؛ فإنه متى ترك تسلط الكفار على المسلمين فقتلوا وسبوا .

قال بعض الصحابة [٢] : أراد أن من قاتل وكسب فاستقل بالحرث والزرع ، فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة . ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ أي : ائتوا بهما تامين ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾ الإحصار في المرض ، والحصر في العدو وقد جاءت هذه الآية في إحصار العدو وهي لغة. ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ﴾ فالواجب ما استيسر ، أو فعليكم ما استيسر، وهذا الدم الواجب في التمتع عند أبي حنيفة : دم قربان فيأكل منه كما في الهدايا والضحايا ، وعند الشافعي: دم جبران فإن المتمتع ذبح أحد الميقاتين، فلا يأكل منه كسائر دماء الجبرانات [٣] .

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ الباقون « تقاتلوهم حتى يقاتلوكم » . **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ٦٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٩٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٤٨١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٧٩) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٢٣٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٢٦) .

(٢) روى الطبري في تفسيره (٢/ ٢٠٤) عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قال: فصففنا صفين لم أر صفين قط أعرض ولا أطول منهما والروم ملصقون ظهورهم بحائط المدينة قال: فحمل رجل منا على العدو فقال الناس: مه لا إله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة قال: أبو أيوب الأنصاري: إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة أو يبلي من نفسه إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار إنا لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا بيننا معشر الأنصار خفيا من رسول الله إنا قد كنا تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله الخبر من السماء وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة الآية فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد .

(٣) قال ابن رشد في بداية المجتهد (١ / ٢٧٧) : «واختلفوا في الأكل من الهدي الواجب إذا بلغ محله ؛ فقال الشافعي : لا يؤكل من الهدي الواجب كله ولحمه كله للمساكين ، وقال مالك : يؤكل من كل الهدي الواجب إلا جزاء الصيد ونذر المساكين وفدية الأذى . وقال أبو حنيفة : لا يؤكل من الهدي الواجب إلا هدي المتعة وهدي القرآن ، وعمدة=

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ يعني : الهدي ولا ثمنه فاضلاً عن قوته وقوت من تلزمه نفقته، فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع . قيل : إذا استقر في منزله بعد الحج ، وقيل : إذا شرع في العود متوجهاً إلى وطنه . وقيل : إذا فرغ من أعمال الحج .

قوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ بين أن مجموع الصومين كفارة واحدة ؛ لئلا يتوهم أن الواجب أحد الأمرين، إما ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجع ، وقوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ يريد أن العشرة مع تفرقها كاملة في التكفير، بخلاف تتابع الصوم في كفارة القتل الخطأ فإن التتابع شرط فيها[1].

﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي﴾ أشار (١٤/ب) إلى وجوب الكفارة وهو عند الشافعي مختص بمن لم يكن من أهل مكة، أو كان من مكة على مسافة لا تقصر فيها الصلاة ، فإن كان من أهلها لم يذبح ميقاتا فلا فدية عليه ، وعند أبي حنيفة: أشار بقوله ذلك إلى جواز التمتع ، فعنده أن التمتع لا يصح من المكي[2].

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ

= الشافعي تشبيه جميع أصناف الهدي الواجب بالكفارة وأما من فرق فلأنه يظهر في الهدي معنيان أحدهما أنه عبادة مبتدأة . والثاني: أنه كفارة وأحد المعنيين في بعضها أظهر فمن غلب شبهه بالعبادة على شبهه بالكفارة في نوع من أنواع الهدي كهدي القران وهدي التمتع وبخاصة عند من يقول : إن التمتع والقران أفضل لم يشترط أن لا يأكل ؛ لأن هذا الهدي عنده هو فضيلة لا كفارة تدفع العقوبة ومن غلب شبهه بالكفارة قال لا يأكله لاتفاقهم على أنه لا يأكل صاحب الكفارة من الكفارة». وقال الشوكاني في نيل الأوطار (٥/ ١٩٢) : «والظاهر أنه يجوز الأكل من الهدي من غير فرق بين ما كان منه تطوعا وما كان فرضا لعموم قوله تعالى : ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ ولم يفصل » .

(١) **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ٢١٠) ، المغني لابن قدامة (١١ / ٢٧٧) ، مغني المحتاج للشربيني (١/ ٥١٣) .

(٢) **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ٣٧٧) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٤٦٣) ، المبسوط للسرخسي (٤/ ٢٧) ، المغني لابن قدامة (٣ / ٢١٥) .

كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾ أي: من الإحرام بالحج أشهر ، وجعل بعض شهر ذي الحجة بمنزلة شهر كامل . الرفث : الجماع ، وكل لفظ يستحيي من ذكره . وقوله : ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ خبر معناه النهي . قوله : ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خبر عن نهي . ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني : التجارة في مواسم الحج . وقوله :﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي : لأجل أنه هداكم ، كقوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء :٢٤] ثم لتكن إفاضتكم من عرفات . كانت الحمس تقف بالمزدلفة ، فيفيضون منها ويقولون : نحن خدام الحرم فلا نخرج منه ، عرفة من الحل والعلمان في أول عرفة علامة على أنها الحرم وابتداء الحل . ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ من يكون سؤاله مقصوراً على أمر دنياه ، ومنهم من يطلب الحسنة في الدنيا والآخرة وقوله : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ يرجع إلى الفريقين . وقيل : إلى أحدهما .

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ يريد التكبير في أيام التشريق ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ وهما الحادي عشر والثاني عشر فنفر قبل الغروب ليلة الثالث عشر سقط عنه الرمي في اليوم الثالث ، ويكون قد رمى تسعا وأربعين حصاة سبعاً يوم النحر وإحدى وعشرين يوم الحادي عشر وإحدى وعشرين يوم الثاني عشر ﴿وَمَن تَأَخَّرَ ﴾ حتى غربت عليه شمس ليلة الثالث عشر لزمه أن يرمي يوم الثالث عشر . ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ ﴾ أي : في الحياة الدنيا ﴿قَوْلُهُۥ﴾ لفصاحته . وقيل : إذا تحدث في أمور الدنيا كان فصيحاً ، وأما

في أمور الآخرة فهو كالألكن[١]، وعلى الأول: إذا وقف في موقف القيامة جعلت الحبسة في لسانه[٢]، وزال ما كان يوصف به من الفصاحة .

الخصام: المخاصمة أي : وهو ألد في الخصومة . وقيل: الخصام جمع خصم أي : وهو ألد الخصوم . ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ عنك وقيل له : ﴿ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ أي: حملته على الإثم ؛ كما تقول : أخذت فلانا بالاشتغال (١٥/أ) بالعلم .﴿ يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ أي : يبيعها وهو رجل قام بكلمات الحق عند الولاة الجائرين فقتل[٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ
إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ
ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ
وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ
ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ
وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ
ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم
مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ
﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن
تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ

---

(١) **اللكنة** : عجمة في اللسان يقال : رجل ألكن بين اللكن . **والألكن** : الذي لا يقيم العربية من عجمة في لسانه ، يقال: لكن لكنا ولكنة ولكونة ، ويقال : به لكنة شديدة ولكونة ولكنونة . **ينظر** : لسان العرب (**لكن**) .

(٢) الحبسة والاحتباس في الكلام : التوقف وتحبس في الكلام : توقف . والحبسة : تعذر الكلام عند إرادته . **ينظر**: لسان العرب (حبس) .

(٣) روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣ / ٢١٥) عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال : «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ». وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

السلم : الصلح . وقيل : استأذن ابن سلام أن يقرأ في التوراة في الصلاة فنزلت نهيا له ولأمثاله [١] . ﴿ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي : أمره [٢] .

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الضلال ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ وقيل: كانوا على الحق فاختلفوا ، فبعث الله ؛ كقوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [يونس:١٩] ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي : الكتب . وقوله : ﴿لِيَحْكُمَ﴾ أي : الله أو الكتاب .

سألوه عما ينفقونه فبين لهم المصرف ؛ لأنهم إلى بيانه أحوج .

بعث رسول الله ﷺ سرية مع عبد الله بن جحش فلقوا المشركين فقتلوا رجلاً من المشركين ، وكانوا يظنون أن الشهر الحرام قد فرغ ودخل شهر الحل فشنع اليهود على المسلمين وقالوا: استحل محمد الشهر الحرام، وسألوا عن ذلك تعنتاً، فقال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [٣] أي : إثم كبير . وقوله : ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ لا معطوف ، وكأنه يقول : الذي فعلتموه من صدّ النبي وأصحابه عن المسجد الحرام أكبر مما فعله المسلمون .

قوله: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ شرط في إحباط العمل بالردة: الموت على الكفر، ولم يشترطه أبو حنيفة [٤] لقوله – تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ [المائدة:٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٣٢٤) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٦٩) ، رقم (١٢٩) عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٢) الصواب في ذلك : إثبات ما أثبته الله – تعالى– لنفسه في كتابه وما وصفه به نبيه ﷺ من غير تمثيل ولا تشبيه ، وفي إطار قوله – تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وهذه عقيدة السلف الصالح ﵏ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٣٤٨).

(٤) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني (١ / ٢٦٥) ، المبسوط للسرخسي (٢ / ٩٦) .

وروي أن عبد الله بن جحش قال: يا رسول الله ، هل تعتد لنا بهذه السرية غزوة ؟

فنزلت : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

الميسر : القمار . ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ هو ما صفا من أخلاق الناس . قال الشاعر [من الطويل] :

خُذي العفوَ مني تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حينَ أغضبُ(٢)

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ يفسر الآيات . وقيل : يفسر آيتين .

ولما نزل قوله - تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ [النساء : ١٠] الآية تحرج المسلمون من مخالطة اليتامى ومؤاكلتهم وأن يخلطوا نفقتهم بنفقتهم فنزلت ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٣٥٦) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١ / ٦٠٣) لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٢) ينظر البيت في : تاج العروس للزبيدي (عفا) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٦٢) ، لسان العرب (عفا) ، بلا نسبة . ونسبه الأصفهاني في الأغاني (٢٠/ ٣٧٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦ / ٤١٩) لأسماء بن خارجة الفزاري في أبيات قالها لزوجته وينصح بها ابنته عند زواجها وبعد هذا البيت يقول :

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ ﴾ الآية[١] ﴿ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ لكلفكم المشقة ، وأصل العنت أن يكسر العظم ثم يجبر معوجا ، فيكسر ثانياً ليعاد جبره مستقيمًا فيقيمه بكل مشقة [٢] (١٥/ ب) ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ عام مخصوص بقوله: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة:٥] . ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي: فأولياء الله يدعون إلى الجنة والمغفرة حتى يطابق قوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ .

«كانت اليهود إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها وأفردوا لها أوعية تستعملها تلك المدة فسأل المسلمون رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾»[٣] أي : شيء مستقذر ﴿ فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ أي: في زمن الحيض ، أو في محل الحيض ، وهو الفرج . ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ أي : ينقطع ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أي : اغتسلن بالماء . فلحل الوطء شرطان: فلو اغتسلت قبل انقطاع الدم لم يحل ، ولو انقطع الدم ولم تغتسل ، لم يحل هذا مذهب الشافعي ومالك ، وقال أبو حنيفة : إذا انقطع دمها في وقت عادته ، وغسلت الفرج من آثار الأذى حل وطؤها ؛ لأنها قبل الغسل كالجنب[٤] .

﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي : في الغسل في محل البذر ، وهو الفرج .

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٧٣ – ٧٤) رقم (١٣٤) ، وأبو داود رقم (٢٨٧١) ، والنسائي (٦/ ٢٥٦) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٧٨) ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) يقال للعظم المجبور إذا أصابه شيء فهاضه: قد أعنته فهو عنت ومعنت . قال الأزهري : معناه أنه يهيضه وهو كسر بعد انجبار وذلك أشد من الكسر الأول . ينظر : لسان العرب (عنت) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٠٢) ، وأبو داود في سننه رقم (٢٥٨) ، والترمذي رقم (٢٩٧٧) .

(٤) ينظر : الأم للشافعي (١/ ١٣٠) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٨٨) ، المغني لابن قدامة (١/ ٢٤١) .

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةً ﴾ أي : مانعا من البر ؛ فيحلف أنه لا يكلم فلانا ولا يصلي التطوع، أو لا يبر أمه ، فإذا عيب اعتذر باليمين وجعلها عرضة مانعة من البر، أي : لا تجعلوا اسم الله معرضا للحلف ، كقول الشاعر [من الطويل] :

فَلا تَجْعلَنِّي عُرضَةً لِلَّوائمِ [١]

﴿بِاللَّغْوِ﴾ عند الشافعي: قول الرجل: لا والله ، بلى والله من غير قصد إلى عقد اليمين[٢] وهو مأخوذ من اللغو ، وهو إذا جاء في الدية بناقة معها فصيل يقال : هذا الفصيل لغو لا يعتد به . إذا حلف أنه لا يطأ زوجته مدة لا تزيد على أربعة أشهر لم تتوجه عليه من الزوجة مطالبة حتى تمضي أربعة أشهر، فإذا مضت فإنه يطالب بالوطء أو الطلاق ، فللزوج أن يتربص أربعة أشهر.

والمطلقات الخاليات من الحمل ، للصغر والإياس يتربصن مدة العدة ، وهي ثلاثة أطهار عند الشافعي ، وثلاث حيض عند أبي حنيفة[٣].

---

(١) هذا عجز بيت لأبي تمام وصدره: دعوني أنح وجدا كنوح الحمائم ....

ينظر في: تفسير القرطبي (٣/ ٩٤) ، تفسير أبي السعود (١/ ٢٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٥٤٨) بنحوه ، الكشاف لزمخشري (١/ ٢٦٧) .

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٧/ ١١٠) .

(٣) اختلف السلف والخلف والأئمة في المراد بالأقراء ما هو على قولين : أحدهما : أن المراد بها الأطهار ، وروي ذلك عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسالم والقاسم وعروة وسليمان بن يسار وأبي بكر بن عبدالرحمن وأبان بن عثمان وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري وبقية الفقهاء السبعة ، وهو مذهب مالك والشافعي وغير واحد وداود وأبي ثور وهو رواية عن أحمد واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق :١] أي : في الأطهار ولما كان الطهر الذي يطلق فيه محتسبا دل على أنه أحد الأقراء الثلاثة المأمور بها .

والقول الثاني : أن المراد بالأقراء الحيض فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة زاد آخرون : وتغتسل منها، وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأصح الروايتين عن الإمام أحمد بن حنبل وحكي عنه الأثرم أنه قال : قال الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ : الأقراء : الحيض وهو مذهب الثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة والحسن بن صالح وأبي عبيد وإسحاق بن راهويه . واستدلوا بما روي عن فاطمة بنت أبي حبيش أن رسول الله ﷺ قال لها : « دعي الصلاة أيام أقرائك » فهذا لو صح لكان صريحا في أن القرء هو الحيض ولكن في سند الحديث المنذر بن المغيرة ؛ قال فيه أبو حاتم : مجهول ليس بمشهور وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن جرير : أصل القرء في كلام العرب : الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه في وقت معلوم ولإدبار الشيء المعتاد =

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ يريد أن للزوج أن يراجعها ما دامت في العدة ، ولم تستوف الطلاق، ولم يكن الفراق خلعا ، ﴿وَلَهُنَّ﴾ من استحقاق المعاشرة بالمعروف﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ . ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ بقيامه بمصالحها ، ومنعها من الخروج من منزله (١٦/أ) وإدخال من لا يريد دخوله ، وتأديبها إذا نشزت .

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

الطلاق الذي يستحق فيه الرجعة مرتان إذا كان المطلق حرًّا ، له الرجعة. ولا يحل لكم أن تضاروها ، تفتدي بصداقها أو بغيره ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ ﴾ خصص جواز الخلع بحالة الشقاق ، وهو مذهب جماعة من العلماء , والشافعي يجيزه من غير شقاق كالطلاق[(١)] .

= إدباره لوقت معلوم وهذه العبارة تقتضي أن يكون مشتركا بين هذا وهذا ، وقد ذهب إليه بعض الأصوليين والله أعلم . وهذا قول الأصمعي : أن القرء هو الوقت . وقال أبو عمرو بن العلاء : العرب تسمي الحيض قرءا وتسمي الطهر قرءا وتسمي الطهر والحيض جميعا قرءا . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : لا يختلف أهل العلم بلسان العرب والفقهاء أن القرء يراد به الحيض ويراد به الطهر وإنما اختلفوا في المراد من الآية ما هو على قولين . ينظر تفصيل ذلك في :الاستذكار لابن عبد البر (٦/ ١٤٥) ، الأم للشافعي (٥ / ٣٠٢) ، بدائع الصنائع للكاساني (٣/ ٣٠٥) ، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ٨١٤) ، المبسوط للسرخسي (٣/ ١٥٢) ، المغني لابن قدامة (٣/ ٢٦٨) .

(١) قال طائفة كثيرة من السلف وأئمة الخلف: أنه لا يجوز الخلع إلا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة فيجوز للرجل حينئذ قبول الفدية واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ قالوا : فلم يشرع الخلع إلا في هذه الحالة فلا يجوز في غيرها إلا بدليل . والأصل عدمه وممن ذهب إلى هذا : ابن عباس وطاوس وإبراهيم وعطاء والحسن والجمهور حتى قال مالك والأوزاعي : لو أخذ منها =

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ أي : ثالثة أو ثانية , إذا كان عبدًا ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾ ثم يطؤها ذلك الزوج ، ثم تنقضي عدتها ، ثم يعقد عليها الزوج الأول ، فتحل حينئذ . ﴿فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ ﴾ أي : إذا قاربن بلوغ أجلهن ، أما إذا بلغن الأجل فليس له عليها إمساك بغير رضاها . وكان الرجل يطلق المرأة فيصبر حتى إذا أشرفت على انقضاء العدة راجعها ، ثم يطلقها ، فتشرع في عدة ثانية ، حتى إذا قاربت فراغها راجعها ، ثم يفعل في الثالثة كذلك ضرارا ، فنهى الله عن ذلك وقال : ﴿ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعۡتَدُواْ ﴾ .

أصل العضل : احتباس البيضة في الدجاجة ، فلا تخرج ، فشبه به كل أمر فظيع ، وكل مرض تعسر معالجته .

وقوله: ﴿أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ ﴾ يريد: نهي الولي عن أن يمنع المرأة من الرجوع إلى زوجها، وطلب عودها إلى العصمة. ويحكى: «أن معقل بن يسار زوج أخته من زوج فتركها الزوج حتى انقضت عدتها فجاء يخطبها من أخيها ، فقال له أخوها معقل: أفرشتك أنكحتك ففارقتها، ولم تراجعها حتى انقضت العدة ثم جئت تخطبها، لا أعيدها إليك فنزلت الآية(١)».

وقيل : أزواجهن تسمية للشيء بما يؤول إليه أي : لا تمنعوهن من التزويج بأي رجل كان كفؤا ويكون «أزواجهن» مجازا .

﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ

= شيئا وهو مضار لها وجب رده إليها وكان الطلاق رجعيا. قال مالك : وهو الأمر الذي أدركت الناس عليه . وذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ إلى أنه يجوز الخلع في حال الشقاق وعند الاتفاق بطريق الأولى والأحرى وهذا قول جميع أصحابه قاطبة . ينظر تفصيل ذلك في : الأم للشافعي (٥/ ١٦٤) ، بدائع الصنائع للكاساني (٣/ ١٤٩) ، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ٧٨١) ، المغني لابن قدامة (٨ / ١٧٧) .

(١) رواه البخاري رقم (٤٥٢٩) ، والترمذي رقم (٢٩٨١) .

وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ (٢٣٥) لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٢٣٦)﴾

﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ﴾ خبر معناه الأمر ، قال بعضهم : إن كان الحمل تسعة أشهر فترضع واحدًا وعشرين شهراً عملاً بقوله : ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وإن كان الحمل ستة أشهر فترضع أربعة وعشرين شهراً . وقيل: الآية على عمومها سواء طالت مدة الحمل أو قصرت . والمولود له: هو الأب ﴿رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ﴾ أي: الوالدات المستمرات على الزوجية . وقيل: المطلقات . وقيل: الأمهات. (١٦/ ب) .

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ قيل: معناه لا تضارر ﴿وَٰلِدَةٌ﴾ فاعل ﴿وَلَا﴾ يضار أب ﴿مَوۡلُودٞ لَّهُۥ﴾ بأن يريد قلعه منها وقد ألف ثديها. وقيل : معناه لا تضارر «ووالدة» مفعول لم يسم فاعله . أي : لا ينتزع الولد منها كرها وهي راغبة في رضاعته بأجرة مثله ولا يضارر الأب أيضاً . وقوله : ﴿وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَ﴾ قيل: المراد : وعلى الباقي من الأبوين . وقيل : وعلى العصبة الوارثين إرضاعه، كما لهم ميراثه لو مات وله مال. وقيل: وعلى الوارث مطلقاً عصبة كان أو غير عصبة . ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ﴾ من غير ضرر يلحق الولد ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ﴾ الولد أي : لأولادكم ﴿إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ﴾ قررتم من الأجرة ، وليس التسليم شرطاً فلو قرر لها في ذمته شيئاً ورضيت به جاز .

أي : وأزواج ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ﴾ ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا﴾ فإذا انقضت العدة فلها أن تتصرف بالخروج من المنزل وترك الإحداد . والتصريح بخطبة المعتدة حرام . وأما التعريض كقوله : رب راغب فيك ، مثلك ما تبقى بغير زوج ، ولعل الله أن ييسر لي تزويجاً ـ فهو جائز في عدة الوفاة ؛ إذ لا زوج يتأذى بالخطبة ، وهو حرام في الرجعية وفي البائن قولان للشافعي[١] . ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحاً ؛ كقول الشاعر [من الطويل] :

---

(١) ينظر في ذلك: الأم للشافعي (٥/ ١٩٠) ، بدائع الصنائع (٣/ ٣٢٢)، المبسوط للسرخسي (٧/ ٦١٨)، المغني لابن قدامة (٧ / ٥٢٤) .

ألا زعمــتْ بـبسباسةُ القــومِ أنــني كَبِـرْتُ وأن لا يُحسِنَ الـسِّرَّ أمثـالي [(١)]

وقيل : لا تساروها . ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ أي : حتى تنقضي العدة . ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي : لا تبعة ولا مطالبة بمهر﴿إِن طَلَّقْتُمُ﴾ قبل المسيس والفرض ، بل الواجب المتعة ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ وظاهر هذه الآية اعتبار حال الزوج في قدر المتعة .

وقيل : تعتبر المتعة بحال المرأة قياسا على المهر ، والأول أشبه بنص القرآن .

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

﴿ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ وهو الزوج . وقيل : الولي [(٢)] . ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ يقال : إن الذي بيده العقد هو الولي ؛ لأنه لم يقل أحد أنه يستحب للولي العفو، وإنما الكلام في الجواز . و﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ يعني: الفضلى من قوله تعالى: (١٧/أ) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ [القلم: ٢٨] أي : أعدلهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]

---

(١) البيت لامرئ القيس ، ينظر في : جمهرة اللغة لابن دريد (ص : ١٢١) ، ديوان امرئ القيس (ص : ٢٨) ، غريب الحديث لابن سلام (١ / ٢٣٨) وفيه الشطر الأول : ألا زعمت بسباسة اليوم أنني ....

وفي لسان العرب (لها) يروى الشطر الثاني: .... كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي

وبسباسة : اسم المرأة . والسر هنا الجماع .

(٢) الجديد من قولي الشافعي ومذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة والأوزاعي واختاره ابن جرير أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ، ومأخذ هذا القول : أن الزوج بيده عقدها وإبرامها ونقضها وانهدامها وكما أنه لا يجوز للولي أن يهب شيئا من مال المولية للغير فكذلك في الصداق. والوجه الثاني وهو مذهب مالك وقول الشافعي في القديم ويروى عن الحسن وعطاء وطاوس والزهري وربيعة وزيد بن أسلم وإبراهيم النخعي وعكرمة في أحد قوليه ومحمد بن سيرين في أحد قوليه أنه الولي، ومأخذه: أن الولي هو الذي أكسبها إياه فله التصرف فيه بخلاف سائر مالها . تنظر في : الأم للشافعي (٥ / ١٠٩) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢/٥٧٩) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/٦٩١) ، المغني لابن قدامة (٨/ ٧٠).

أي : خيارا ؛ ولأن الأطراف تعتريها الجوائح والخلل ، والوسط محمى ، قال الشاعر يصف عمورية[(١)] [من البسيط] :

كانتْ هي الوَسَطُ المَحْمِيُّ فاكتنفَتْ ... بها الحوادثُ حتَّى أصْبَحَتْ طَرَفاً[(٢)]

وهي صلاة العصر . وقيل: الصبح. وقيل: المغرب. وقيل العشاء. وقيل: صلاة الجمعة. وقيل: أبهمها الله ؛ ليواظب الناس على الكل فتحصل لهم الوسطى قطعا كما أبهم ساعة الجمعة ، وأبهم الولي من أوليائه في جملة خلقه .

القنوت: طول القيام. وقيل: السكوت في الصلاة. ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ فصلوا رجالا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ وهذه صلاة المسابقة [(٣)] وهي أشد أحوال صلاة الخوف ويصلون مستقبلي القبلة، وغير مستقبليها.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ لأجل أنه علمكم ؛ كقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤] .

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)﴾

﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ هذه منسوخة بالآية السابقة. والآية السابقة وإن كانت

---

(١) **عمورية** ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه : بلد في بلاد الروم فتحها المعتصم ، قيل : سميت بعمورية بنت الروم ابن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام وقد ذكرها أبو تمام فقال :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... عنك المنى حفلا معسولة الحلب .

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤ / ١٥٨) .

(٢) البيت لأبي تمام ، **ينظر في:** فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢ / ١٨٨) ط. المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٥٦هـ ، الكشاف للزمخشري (١ / ١٩٨) .

(٣) أورد الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ١٩٦) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة المسابقة ركعة أي وجه كان الرجل يجزئ عنه أحسبه قال: فعل ذلك لمن بعده . وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني وهو ضعيف جدًّا .

سابقة في التلاوة فهي متأخرة في التنزيل . وقيل : لا نسخ ، بل المتوفى عنها زوجها إن اختارت المقام في بيتها سنة لم يجز إخراجها للولي ، ولا للورثة ، إلا إذا شاءت . وإن شاءت مفارقة المنزل بعد أربعة أشهر وعشر جاز لها ذلك .

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ المطلقات ثلاثة أنواع :

الأولى : مطلقة قبل الفرض والمسيس ، فلا مهر لها ، و لها المتعة .

الثانية : مطلقة بعد الفرض وقبل المسيس ، فلها نصف المهر دون المتعة .

الثالثة : المطلقة بعد الفرض والمسيس ، ففيها قولان للشافعي وظاهر القرآن وجوبها ، لقوله ها هنا: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ (١) .

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٩٨): استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى وجوب المتعة لكل مطلقة سواء كانت مفوضة أو مفروضا لها أو مطلقة قبل المسيس أو مدخولا بها وهو قول عن الشافعي ـ رحمه الله ـ وإليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير ومن لم يوجبها مطلقا يخصص من هذا العموم مفهوم قوله – تعالى : ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وأجاب الأولون بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم فلا تخصيص على المشهور المنصور .

وتنظر المسألة في: الاستذكار لابن عبد البر (٦ / ١٢٠) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ٥٩٩) ، السيل الجرار للشوكاني (٢ / ٢٨٣) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ـ تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، المبسوط للسرخسي (٥ / ١٩) .

﴿ أَلَمْ تَرَ﴾ معناه : أعجب ﴿ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ جمع ألف من العدد أي : أكثر من عشرة آلاف . وقيل : الألوف : جمع إلف ، أي : قلوبهم مجتمعة على تحسين ما فعلوه . ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ فروا من الطاعون . وقيل : من القتال . والآية التي قبل هذه ، والتي بعدها تدلان على أن الفرار من القتال ، فأماتهم الله إماتة رجل واحد ، فكأنه قيل لهم : موتوا . فماتوا ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ بإحيائهم بعد موتهم . أو على الناس الذين رأوهم ؛ ليعتبروا . شبه الله ما يعطى صدقة بالقرض وأنه يعطيه ؛ ليأخذ بدله (١٧/ب) في الآخرة ، والقرض الحسن : أن يكون حلالا طيبا ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، وأن يكون في زمن الجوع والقحط وأمام قضاء الحاجات ، وأن يخص به اليتيم والقريب والأحوج وأن لا يتبعها منًّا ولا أذى . و﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ سبعمائة ضعف.

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة :٢٦١] زيادة على ذلك؛ لقول النبي ﷺ في الصدقة: «إنها تقع في يد الرب قبل أن تقع في يد العبد ، فيربِّيها كما يربي أحدكم فلوه - أو فصيله - حتى تكون مثل جبل أحد»[1] . وجبل أحد أكبر من قدر صدقته بسبعين ألفا ، أو بسبعمائة ألف ضعف . ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ ﴾ الرزق ويبسطه، ويقبض القلوب ويبسطها، ويقبض كل ما شاء أن يقبضه ، ويبسط كل ما شاء أن يبسطه ، وإلى دار جزائه يرجعون الملإ الأشراف ؛ سموا بذلك لأنهم يملؤون القلوب مهابة ، والعيون جمالا .

وقيل : لأنه يمالئ بعضهم بعضا ، أي : يعاونه . وقيل : هو من الملاة ، أي : هم مليُّون بما يراد منهم من الجاه والمال .

﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ هو أشمويل . ﴿ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ كانت العمالقة قد غلبت على بني إسرائيل ، وسبوا نساءهم وأولادهم ، وأخذوا منهم التابوت ، وكان فيه عصا موسى ، وعمامة هارون ، وشيء من رضاض الألواح ، وقفيز من المن[2] . وكانوا يقدمون التابوت ويقاتلون من ورائه فينصرون ، فلما أخذته العمالقة وضعوه في بلد فأصاب أهله

---

(١) رواه البخاري رقم (١٤١٠) ، ومسلم رقم (١٠١٤) بنحوه .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٦١٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٧٥٨) ورضاض الشيء : فتاته وكل شيء كسرته فقد رضرضته ، والقفيز : مكيال يتواضع الناس عليه وهو عند أهل العراق ثمانية مكاكيك ، والمنّ : طل ينزل من السماء وقيل : هو شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل وقيل : هو شيء كان يسقط على الشجر حلو يشرب . **ينظر** : لسان العرب (منن) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/ ٩٠) .

الناسور[1] ثم إلى أخرى فأصابهم ذلك ، فاجتمع رأيهم على إعادة التابوت ، فقيل: جاءت الملائكة يحملونه من السماء والأرض. وقيل: وضعوه على عجلة وشدوها بثورين، وضربوها متوجهين إلى بني إسرائيل .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ فأنكروا ذلك ؛ لأنه لم يكن من سبط المملكة ، وكان فقيرا أضاع حماره ، فخرج في طلبه ، فمر بدار أشمويل، فدخل عليه يسأله الدعاء، وكان الله قد أوحى إليه : إذا جاءك من طوله طول هذه العصا، ونشَّ الدهن الذي في القرن الذي عندك فذاك هو الملك، فلما دخل طالوت نشَّ الدهن، فقام النبي أشمويل وقاسه بالعصا ، فكانت طوله ، فقال : أنت الملك[2]. وقوله : ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أي :

---

(١) الناسور- بالسن والصاد جميعا : علة تحدث في مآقي العين يسقي فلا ينقطع ، وقد يحدث أيضا في حوالي المقعدة وفي اللثة وهو معرب . ينظر : لسان العرب (نسر) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢ / ٦٠١ ، ٦٠٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٧٥١،٧٥٢) ونش الدهن والماء والخمر نشا ونشيشا : سمع له صوت على المقلى أو في القدر و نشيش اللحم : صوته إذا غلي والقدر =

بالحروب وتدابيرها. وقيل: بل (١٨/أ) كان عالما بأمر الشريعة. ﴿ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾ أي: سكون وطمأنينة أن النصر يحصل بتقدم التابوت، بدليل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٤].

ابتلى الله- تعالى- أصحاب طالوت بتحريم شرب ماء نهر مع شدة عطشهم، ولم يسمح لأحد منهم إلا باغتراف غرفة بيده، فلم يطعه إلا قليل منهم، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أصحاب بدر.

﴿ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ أي: يعلمون. ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والعون. ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ وآتى الله داود ﴿ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ لاستولى الكفار على بلاد المسلمين، ودثرت[1] كلمة الحق.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى ما سبق ذكره، إما في هذه السورة، وهم موسى وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وداود، وإما في سائر ما سبق نزوله من القرآن.

= تنش: إذا أخذت تغلي. ونش الماء: إذا صببته من صاخرة طال عهدها بالماء والنشيش: صوت الماء وغيره إذا غلي. والقرن ـ بالتحريك: الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرز وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد.
ينظر: لسان العرب (نشش، قرن).

(١) الدثور: الدروس وقد دثر الرسم وتداثر ودثر الشيء يدثر دثورا واندثر: قدم ودرس. لسان العرب (دثر).

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ يريد به : النبي ﷺ فذكره بالكناية دون التصريح باسمه ؛ لأنه العلم المشهور الذي لا يلتبس ، وهو المفضل بالدرجات حتى عدت معجزاته وآياته ألفا . وفي تأييد عيسى بروح القدس وجهان: أحدهما : أنه روح عيسى الطاهرة . والثاني: أنه جبريل وكل بحفظه .

﴿ٱلْحَىُّ﴾ الواجب الحياة ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ القائم بمصالح كل شيء ، والسنة : النعاس؛ قال الشاعر [من الكامل] :

وَسْنانُ أرصدَهُ النُّعاسُ فرنَّقَتْ في عَيْنِهِ سِنَةٌ وليسَ بِنائِمِ[(١)]

وقدم السنة على النوم ، وهو عكس الترقي ؛ كقوله : ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ أي : لا تسلبه صحة النظر السنةُ ، ولا أقوى منها ، وهو النوم . وهذا ترق صحيح وهذا مكمل لقيوميته، كما جاء في الحديث : «إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام»[(٢)] .

ولا يتجاسر أحد على الشفاعة عنده إلا بالإذن . يعلم ما سبق من أمور خلقه، وما يأتي، ولا يعلمون من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أن يعلمهم إياه . ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أي : ملكه ، وقيل: علمه ، مأخوذ من كرسي الملك ، والعالم . وقيل : الكرسي مخلوق ، ليس بعد العرش أعظم منه والسماوات والأرض بالنسبة إليه كحلقة في فلاة[(٣)] . ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: ولا يثقله القيام بمصالح كل ذلك . وفي آية الكرسي ستة عشر اسماً ، ما بين ظاهر

---

(١) البيت لعدي بن الرقاع ، **ينظر في** : تاج العروس (نعس) ، تهذيب اللغة للأزهري (نعس) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٣٠٠) ، جمهرة اللغة (ص : ٨٦٣) ، ديوان عدي بن الرقاع (ص : ١٠٠) ، لسان العرب (نعس) وأقصده النعاس : أصابه . ورنقت : كدرت .

(٢) رواه مسلم رقم (١٧٩) ، وأحمد في المسند (٤ / ٣٩٥) ، وابن ماجه رقم (١٩٠) عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣ / ١٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ١٧) ونسبه لأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي ، فقال: «يا أبا ذر ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٢٢٣) رقم (١٠٩) وقال : لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئا معنويًا .

ومضمر (١٨/ب) والسابع عشر خفي، فزعم بعضهم أنها أحد وعشرون اسما، وهو غلط[١]. وفضلت آية الكرسي على غيرها؛ لأنها مقصورة على أوصاف الإله سبحانه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

وفي الحديث الصحيح: «إذا ذهبتَ إلى فراشِكَ فاقرأْ آيةَ الكُرْسِيِّ؛ فإنه لن يزالَ عليكَ منَ اللهِ حافظٌ، ولا يقربُكَ شيطانٌ حتى تُصبحَ»[٢]. وسأل النبي ﷺ أبي بن كعب عن أعظم آية في القرآن فقال: آية الكرسي، فضرب بيده إلى صدره، وقال: «لِيَهْنِكَ العلمُ يا أبا المُنذِرِ»[٣].

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ قيل: نسخت بآية السيف[٤]. وقيل: لا يتصور الإكراه على العقائد، فإنها باطنة لا يطلع عليها. والطاغوت: كل معبود سوى الله - تعالى- وجاء تذكيره وتأنيثه وجمعه وإفراده. فتأنيثه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]

---

(١) قال العز بن عبد السلام في كتاب الفوائد: فائدة: قيل: سبب شرف آية الكرسي وكونها سيدة آي القرآن أنها تضمنت واحدا وعشرين اسما لله. وهي: الله وهو والحي والقيوم والضميران فيهما لأنهما صفتان يتحملان الضمير، والهاء في لا تأخذه سنة: والهاء في «له» والهاء في «عنده» والهاء في «بإذنه» والضمير في «يعلم» والهاء في «علمه» والضمير والهاء في «كرسيه» والهاء في «يؤوده» والهاء في «حفظهما»؛ لأن الناس اختلفوا في أن المصدر كالفعل أم لا؟ فهذا على أحد القولين وليس المشهور. و«هو» و«العلي العظيم» وضميراهما.

ينظر: الفوائد للعز بن عبد السلام (ص: ٢٣٠).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٠٣٣)، والترمذي رقم (٢٨٠٥) وفيه قصة عن أبي هريرة ﷺ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب ذاك شيطان».

(٣) رواه مسلم رقم (٨١٠)، وأبو داود رقم (١٤٦٠).

(٤) هي الآية (٢٩) من سورة التوبة، قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

وتذكيره : ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١] وجمعه كقوله : ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ وإفراده في الآيتين السابقتين ، وهو مأخوذ من الطغيان ، وهو مجاوزة الحدّ ومنه : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] ﴿فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة:٥] وهي الصيحة التي تجاوزت الحدّ . ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ ولم يكن لهم نور حتى يخرجوا منه ، لكنهم لما تمكنوا منه صار كالخارج من أيديهم . وهو كقوله : ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦] ولم يكن معهم هدى، لكن كانوا متمكنين منه ، وجمع الظلمات، وأفرد النور ؛ لأن طرق الضلال متعددة، وطريق الحق واحدة .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ فجعل نعمة الله عليه سببا في المجادلة في آياته . ولما احتج عليه إبراهيم بعجزه عن الإحياء والإماتة ، أحضر من وجب عليه القتل فعفا عنه ، وبريئا فقتله وهو جواب فاسد ؛ لأن قتل المستحق ليس بإحياء . انتقل إبراهيم في تعجيزه إلى ما لا يستطيع المكابرة فيه ، وهو الآيات السماوية، وليس ذلك بانقطاع من إبراهيم ، ولكنه انتقال من مثال الإحياء ، إلى مثال التصرف في الشمس ، والحجة بالتعجيز باقية .

أو هل رأيت ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ وهي قرية بجبل بيت المقدس ، تسمى قرية العنب ، وهي خاوية على عروشها. أي : سقطت عروشها أولا ، ثم سقطت الجدران فوق العروش قيل : كان المار كافراً لقوله : ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ دل على أنه قبل ذلك لم يكن عالماً بقدرة الله . وقيل : لم يكن كافرا ، وهو المشهور[1] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١ / ٣١٥) : «اختلفوا في هذا المار من هو ، فروي عن علي بن أبي طالب أنه قال : هو عزير ، وهذا القول هو المشهور وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد : هو إرميا بن حلقيا، وعن=

قيل: أحياه الله (١٩/ أ) في آخر النهار ، وكان قد قبض روحه في أول النهار ، فلما قال : ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ التفت فرأى الشمس لم تغرب فقال : ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ .

قيل : قاله وعنده تردد هل هو يوم أو بعض يوم ، كما قال أهل الكهف : ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩] وأصل السنة : سنوة ، أو نسهة ، فيه قولان . فإذا قلت : عاملته مساناة ، جاء فيه مسانهة ، ومساناة جاء على الوجهين . ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ معطوف على علة محذوفة ، أي : جعلنا ذلك لهدايتك ولنجعلك . وقيل: التقدير: وفعلنا ذلك لنجعلك . وقيل : ولنجعلك فعلنا ذلك . وأمثلة هذه الآية في القرآن كثيرة . من قرأ «اعلم» على الأمر(١) فقد خاطب المار بذلك رفيقا معه ، جادله في القدرة على إحياء الموتى .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ

=وهب بن منبه أنه قال : هو اسم الخضر عليه السلام ، وذكر أقوالا أخرى ، ثم قال : وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها ... ولما تبين له هذا كله قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير أي : أنا عالم بهذا وقد رأيته عيانا فأنا أعلم أهل زماني بذلك» .

(١) قرأ بذلك على الأمر حمزة والكسائي ، وقرأ الباقون « أعلم» على المضارع . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ٢٩٦)، الحجة لابن خالويه (ص:١٠٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٦٢٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، الكشاف للزمخشري (١/ ٣١٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٣١) .

ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

سأل إبراهيم أن يريه الله إحياء الموتى لتنضم إلى الدلائل العقلية المشاهدة . وقيل : وعده الله بأن يتخذه خليلاً ، فقال : متى يا رب ؟ فقال : إذا أحييت الموتى بدعائك ، فسأله أن يريه إحياء الموتى ؛ ليتحقق حصول الخلة ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي : اجمعهن ، وأراد بذلك أن يتحقق نظره في الطيور ، حتى إذا فرق لحمها على الجبال أحياها الله وجاءت تسعى ، ولا يرتاب أنها هي، ولا يظن أنها طيور غيرها التبست؛ لأنه قد شاهدها من قبل ، ولذلك قال : ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ولم يصفها بالطيران ؛ لئلا يظن أنها طيور أخر جاءت من الجو . ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ كمثل زارع حبة أو مثل نفقة الذين ينفقون ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ «وجاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة مخطومة فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال النبي ﷺ : «لَكَ بها يومَ القيامةِ سبْعُمائة ناقةٍ مَخْطومةٍ»[1] .

اعلم أن العبادات بعد الفراغ منها لا تقبل البطلان عند كثير من الفقهاء إلا فيما يستدام حكمه كالوضوء ، وهذه الآيات تدل على قبولها للبطلان بالمنّ والأذى بعد صحتها وقبولها. وقاس الإبطال الطارئ على المقارن ، فإن المقارن يبطل قولاً واحداً ، وهو الرياء، فقال: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ الطارئين على الرياء المقارن ، ثم ضرب لهما مثلين . ضرب للمقارن مثل صخرة صماء لا يثبت فوقها تراب ينبت فأصابها مطر كثير وهو الوابل، ففرق التراب عن ظاهرها فلم يثبت مع أن المطر والتراب كانا صالحين (١٩/ ب) للإنبات . ومثل للطارئ برجل له ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ فوصفها بالكمال ووصف صاحبها بأنه أدركه الكبر ، وعجز عن إنشاء مثلها ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ عاجزون عن إنشاء مثلها ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ وهي الريح المستديرة على نفسها وتسميها العامة «زوبعة»[2] ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: في مطابقة المثلين إلى ما مثل بهما ، وقل من يدرك هذه المطابقة .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٩٢) ، والنسائي في سننه (٦ / ٤٩) عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ .

(٢) **الزوبعة** : ريح تدور في الأرض لا تقصد وجها واحدا تحمل الغبار وترتفع إلى السماء كأنه عمود، وصبيان الأعراب يكنون الإعصار أبا زوبعة يقال: فيه شيطان مارد، زوبعة اسم شيطان مارد أو رئيس من رؤساء الجن ومنه سمي الإعصار زوبعة . **ينظر**: لسان العرب (زبع) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾

﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ إن أريد به الفرض وحده دخلت فيه زكاة التجارة ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يدخل فيه زكاة الحبوب والمعادن والركاز [(١)].

﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ﴾ أي : ولا تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ ولو كان لك دين على رجل ، فقال لك : هذا مال حلال ، وهذا مال حرام ، فخذ حقك من أيهما شئت ما كنت تأخذ الحرام وتختاره على الحلال إلا بإغماض[(٢)] ومسامحة ، فكيف تتقرب إلى الله بالصدقة بالحرام ﴿ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ ويخوفكم أن تبذلوا أموالكم في الصدقة ﴿ وَيَأْمُرُكُم ﴾ بالخصلة الفحشاء، وهي البخل ويسمى البخيل فاحشا ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات:٨] قال طرفة [من الطويل]

أرى الموتَ يعتامُ الكريمَ ويصطفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشددِ[(٣)]

---

(١) **الركاز:** قطع ذهب وفضة تخرج من الأرض أو المعدن . قال أبو عبيد بن سلام : اختلف أهل الحجاز والعراق فقال أهل العراق في الركاز: المعادن كلها فما استخرج منها من شيء فلمستخرجه أربعة أخماسه ولبيت المال الخمس قالوا: وكذلك المال العادي يوجد مدفونا هو مثل المعدن سواء ، قالوا : وإنما أصل الركاز: المعدن والمال العادي الذي قد ملكه الناس مشبه بالمعدن . وقال أهل الحجاز : إنما الركاز كنوز الجاهلية وقيل: هو المال المدفون خاصة مما كنزه بنو آدم قبل الإسلام ، فأما المعادن فليست بركاز وإنما فيها مثل ما في أموال المسلمين .

ينظر: غريب الحديث لابن سلام (١/ ٢٨٤) ، لسان العرب (ركز) .

(٢) **الإغماض:** المسامحة والمساهلة وغمضت عن فلان : إذا تساهلت عليه في بيع أو شراء .

ينظر : لسان العرب (غمض) .

(٣) **ينظر** البيت في : روح المعاني للألوسي (٤ / ٦٠) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٧٢) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ١٥٤٥) ، غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٨٨)، لسان العرب (شدد) .

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ ﴾ أي : السنة ؛ لقوله : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤] ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقيل: الحكمة: العلم والعمل به.الألباب:العقول ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ أي : يجازي عليه. وذكر الوفاء بالنذر كما قال : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ [الإنسان: ٧] ولم يقل : ينذرون، فلا يوصف النذر بأنه مستحب ، ففيه إساءة أدب يقول : إن شفى الله مريضي فلله عليَّ دينار، فكأنه يقول : وإن لم يشف مريضي فلا أعطي شيئا. وإذا جاء جواب الشرط بالفاء ، وبعده جملة اسمية وعطف عليها بفعل مضارع جاز في الفعل المضارع الجزم عطفا على موضع الفاء ، والرفع عطفا على ما بعد الفاء؛ لأنه مستحق الرفع [1] ؛ كقوله : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ وجاء في هذه الآية الوجهان : ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ ﴾ «ويكفرْ» قرأ بهما في السبعة[2] (٢٠/أ) .

وكذلك قوله : ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ ﴾ «ويذرْهم» قرئ بهما [3] .

﴿ ۞ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾

---

(١) قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية (٢ / ١٥٩) : إذا أخذت أداة الشرط جوابها ، وذكر بعده مضارع بعد فاء أو واو جاز جزمه عطفا على الجواب، ورفعه على الاستئناف، ونصبه على إضمار «أن». وينظر: الكتاب لسيبويه (٣ / ٨٩ ، ٩٠) ، همع الهوامع للسيوطي (٢/ ١٣١٨- ١٣١٩) .

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف «ونكفرْ» ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة ويعقوب «ونكفر» وقرأ الباقون «ويكفرُ» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ٣٢٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٠٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٦٥١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٩١) ، الكشاف للزمخشري (٣١٦/١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٣٦) .

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٨٦) وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب ويذرُهم بالرفع ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف «ويذرْهم» بالسكون ، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر «ونذرهم» بالجمع والرفع . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٤٣٣) ، الحجة لابن خالويه (ص: ١٦٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٠٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٩٨) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٠٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٣) .

﴿ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ ﴾ أي : جزاؤه ﴿ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ حبسهم العذر والفاقة عن الضرب في الأرض والسعي في المكاسب . ﴿ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا ﴾ أي : لا سؤال فلا إلحاف كقوله [من الطويل] :

على لاحبٍ لا يُهتدَى بمنارِهِ ... (١)

وكقوله [من السريع] : ولا ترى الضبَّ بها يَنجَحِرِ (٢)

أي : لا منار فلا هداية ، ولا ضب فلا انجحار . وقوله : ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾ [يوسف: ٤٠] أي : لا وجود لها ، فلا نزول ، والأكثر خلاف هذا . ألحف في المسألة إذا أطالها وكررها .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٢٧٤) ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٧٥) يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٢٧٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ

(١) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : .... إذا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا

ينظر في : أساس البلاغة للزمخشري (سوف) ، تاج العروس للزبيدي (ديف ، سوف) ، تهذيب اللغة للأزهري (٥ / ٧٠) ، ديوان امرئ القيس (ص: ٦٦) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٣١٨) ، لسان العرب (ديف - سوف) ، مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٣١٨) أي: لا منار ولا اهتداء .

(٢) هذا عجز بيت لابن أحمر ، وصدره : لا تُفْزِعُ الأَرْنَبَ أَهْوَالُهَا ....

ينظر في: الإيضاح في علوم البلاغة (١/ ١٧٦) ، تاج العروس (فلت) ، روح المعاني للألوسي (٤/ ٨٨) ، الفائق للزمخشري (١/ ١٣) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٤٢٦) والمعنى: لا تخيف الأرنب أهوال تلك الصحراء ، أي : لا هول فيها حتى يفزعه ، ولا ترى الضب فيها يدخل جحره ، أي : لا ضب ولا انجحار .

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

﴿ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ذكروا أنها أربعة أنواع . والحق أنها اثنان ؛ لأن المنفق سرًّا إما في ليل أو نهار ، والمنفق جهراً كذلك والمنفق ليلاً إما سرًّا أوجهراً ، والمنفق نهارا كذلك ﴿ لَا يَقُومُونَ ﴾ من قبورهم إلا كقيام ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ سبب قولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ . فإن قيل : قياسه : إنما الربا مثل البيع .

قيل: ما أشبه شيئا فقد أشبهه ذلك الشيء . ومنه قول مريم : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٦] وقوله : ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وقوله : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل ١٧] وقولهم : ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ قياس في معرض النص ، فكان باطلا .

لما حرم الله الربا قال قوم : لا ننشئ ربا ، لكنا نستخرج بقية ما استحققناه بمعاملة الربا فنزلت ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ (١) وقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بعد قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعث لهممهم ، وقد تقدم نظيره . ﴿ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يعني : مخالفة . ويقال : إنه يقوم يوم القيامة كالمتهيئ للحرب . ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ أي : وجد فالواجب نظره . وقيل: فنظرة إلى ميسرة أولى .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣ / ١٠٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ١٠٧) .

قيل: آخر ما نزل من القرآن:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية. فقال ﷺ: «ضعوها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة»[١] قال ابن عباس: أشهد أن السلم أحله الله في كتابه، وأنزل فيه أطول آية[٢] قوله: ﴿ فَاكْتُبُوهُ ﴾ أمر إرشاد، قوله: ﴿ أَوْ ضَعِيفًا ﴾ يريد: ضعف العقل ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ ﴾ ويقبل إقرار الولي على الصبي فيما عامل الولي عليه ولا يشترط (٢٠/ب) في قبول شهادة رجل وامرأتين أن لا يوجد شاهدان. ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾ لأن النساء أقل ضبطا وأقرب إلى النسيان. وقيل: فتذكر إحداهما الأخرى، أي: تجعلها كالذكر.

﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ للتحمل أو للأداء أو لهما. «أقسط، وأقوم»: جاءا في أفعل التفضيل من فعل رباعي من أقسط الرجل: إذا عدل، وذلك جائز: إذا كان الرباعي مزيدا فيه؛ كقولهم: ما أعطاه للمائة وفعل التعجب وأفعل التفضيل سواء في ذلك ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ ﴾ محتمل: ولا يضارر، ولا يضارر، بكسر الراء الأولى وفتحها. ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ كلام مستأنف، لا تعلق له بقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ولو تعلق به لكان منصوبا.

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣) لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) آمَنَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ١١٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٦) ونسبه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس أنها آخر آية نزلت، دون زيادة «ضعوها على رأس ثمانين ومائتين». وذكر هذه الزيادة الفراء في معاني القرآن (١/ ١٨٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ١١٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٠٥) رقم (١٢٩٠٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣١٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٧) ونسبه للشافعي وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

ولا يشترط في الرهن كونه في السفر، ولا عدم الكاتب، بل جرى ذلك مجرى الغالب .

﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قيل : من كتمان الشهادة ؛ لأنها من أعمال القلوب.

وقيل: شقت على الصحابة حين نزلت وقالوا : أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا [فنسخ ذلك] بقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [1] والوقف عند قوله : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ .

وقيل : الوقف على ﴿ مِن رَّبِّهِۦ﴾ والمؤمنون مبتدأ [2] .

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ بتكذيب بعض ، وتصديق بعض . ويقال في الخير : كسبت، وفي الشر: اكتسبت ؛ لأن المعاصي موافقة لشهوات النفس ، فعملها فيه أتم وأكثر اجتهاداً . والافتعال أتم من الفعل . والإصر: الثقل مثله ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧] ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ [آل عمران: ٨١] أي: عهدي ؛ لأن العهود يثقل الوفاء بها.

* * *

(١) رواه مسلم رقم (١٢٥) ، والترمذي رقم (٢٩٩٢) ، وابن حبان رقم (٥٠٦٩) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٦) .

(٢) قال الأشموني في منار الهدى (ص : ٦٨) : الوقف على « والمؤمنون » تام ، وعلى «من ربه» حسن .

سورة آل عمران [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ فيها الأقوال التي في الحروف التي في أوائل السور إلا كونها أسماء لله؛ فإنه يصير التقدير " الم الله " كذا قيل.

وذكر في القرآن ﴿نَزَّلَ﴾ ؛ لنزوله منجما، وفي التوراة والإنجيل أنزل؛ لأن كل واحد منهما نزل جملة ، والفرقان: مصدر فرق؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل وهو من المصادر ، كالغفران والرجحان.

العزيز: الغالب ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣] قال الشاعر [من الوافر] :

كأن القلبَ ليلةَ قيلَ يُغْدَى ... بليلى العامرية أو يُراحُ

قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتتْ ... تجاذِبُهُ وقد علَقَ الجناحُ

فلا في الليل نالت ما تُرَجِّي ... ولا في الصبح كان لها براح[(١)]

وفي البيت الثاني تنبيهان: أحدهما: أن قوله «عزها» قد تصحف «غرها» .

الثاني: أن ابن عبد البر قال في «الاستذكار»[(٢)] إن الرواية : «وقد غلق الجناح »، بالغين

---

(١) الشعر لتوبة بن الحمير ، **ينظر في:** الأغاني للأصفهاني (٢/ ٤٥) ، ديوان الحماسة (٢/ ١٠٩) والمعنى: **يغدى:** يذهب بها في الصباح . **ويراح:** يذهب بها في العشي . **وعزها:** غلبها . **والشرك:** من حبال الصيد. والمعنى: لما أحسست بالليلة التي همت ليلى بالفراق في صبيحتها أو في الرواح من عشيتها صار قلبي في الخفقان كقطاة وقعت في شرك فبقيت ليلتها تجاذبه والجناح قد علق لا متخلص له .

(٢) **ينظر:** الاستذكار لابن عبد البر (٢٢/ ٩٦) رقم (١٩٥٦) .

المعجمة ، من قوله ﷺ: «لا يغلق الرهن من راهنه الذي رهنه [١] »وهو غريب ، والمشهور هو الأول .

تقول العرب: من عز بزّ [٢] أي : « من غلب سلب » والعزيز أيضا : الممتنع . ويقال: تعزز في قلعته ، أي: امتنع بها. والعزيز: الذي لا يوجد مثله. تقول : هذا صنف عزيز فيفسر كل مكان بما يليق به واللائق هنا الغلبة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ
كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ
هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ
تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ
أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾

جاء وفد نجران يجادلون رسول الله ﷺ في أمر عيسى فقال لهم : « ألستم تعلمون أن عيسى صور في الرحم ، وكان لا يعلم من العلم إلا ما علمه الله » فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [٣] .

﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ وهي النصوص التي لا تحتمل إلا معنى واحداً ، والظواهر التي تحتمل معنيين فصاعدا ، إلا أن أحدهما سبق إلى الذهن ، فالنص والظاهر يشتركان في الرجحان ، إلا أن النص مانع من النقيض ، والظاهر غير مانع.

---

(١) رواه الشافعي في مسنده رقم (٥٦٨)، والدارقطني في سننه (٣/ ٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٩) عن سعيد بن المسيب، وصححه الشيخ الألباني – رحمه الله – في إرواء الغليل رقم (١٤٠٦) .

(٢) ينظر المثل في: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٢/ ٢٢٩) رقم (٢٩٢٩) ، مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٢٧٤) ، المستقصى في الأمثال للزمخشري (٢/ ٣٥٧) رقم (١٣١٣) .

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٩٩ ، ١٠٠) رقم (١٩٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥) لابن جرير الطبري وابن أبي حاتم .

والمتشابه: الذي يحتمل معنيين فصاعدا، فإن تساويا، فهو مجمل، وإن ترجح أحدهما فالمرجوح مؤول، فالمجمل والمؤول يشتركان في عدم الرجحان، إلا أن المجمل ليس بمرجوح، والمؤول مرجوح. والقدر المشترك بينهما هو المتشابه.

واعلم أن لفظ المتشابه متشابه، فيطلق المتشابه على الملتبس، وهو اللائق بهذه الآية ويطلق فيراد به الذي يشبه بعضه بعضا ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1] فلذلك جاء ها هنا انقسام الآيات إلى محكم ومتشابه، وجاء في آيتين جعل الكتاب كله متشابهاً، وجعله كله محكما، ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣].

﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ يعني: الآيات المحكمات يرجع إليها في كل المتشابه.

﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الزيغ واللحد والحنف في اللغة هو الميل، لكن جاءت الشريعة باستعمال الزيغ واللحد في الشر، واستعمال الحنف في الخير.

﴿شَيْـًٔا﴾ يجوز أن يكون مفعولا (٢١/ب) به، ويجوز أن يكون مصدراً.

﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة وكثر استعمال الأخذ في القرآن في العقوبة.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ
رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِى الْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ
لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَٰطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَٰمِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ
الْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّٰبِرِينَ
وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِالْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة ١٠] ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ

(١) سورة البقرة، الآية (١١٨).

رَبِّكَ ﴾ [هود :١٠٢] [النازعات] ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ ﴾ [القصص: ٤٠] .

تقول: حلف زيد بالله لأفعلن، فتحكي لفظه، وليفعلن فتحكي معناه كذلك (سيغلبون) حكى معناه بقوله لهم، أي: قل لهم لفظا يؤدي معنى ما قلته لك .

ومن قرأ ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ [1] حكى لفظه . ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ يريد يوم بدر ، وكان المسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكفار ما بين التسعمائة إلى الألف ، يرى المؤمنون الكفار مثلي أنفسهم ، قللهم في أعينهم ؛ ليهجموا عليهم . وقيل: يرى الكفار المؤمنين مثلي الكفار، ليزداد عظمهم .

قوله : ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ ليس معطوفا علي البنين ؛ لأن المراد حب الشهوات من النساء والبنين وحب القناطير. ﴿مَتَٰعُ﴾ أي: شيء استمتع به ، ويراد به: القلة ، والمآب : المرجع. الإشارة بذلكم إلى ما زين للناس حبه من الشهوات المذكورة.

﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والنفاس والبول ومساوئ الأخلاق ، وقبائح الأفعال ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ مبتدأ ، وليس بصفة للعباد . وجعلوا الإيمان سببا للغفران والخلاص من النيران. وكذلك في آخر السورة ، وزاد فيه : الوفاة مع الأبرار، بعد قوله : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٣] .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ أقام الأدلة الشاهدة على وحدانيته من عجائب أفعاله ، وتنوع مخلوقاته، فقام ذلك مقام الشهادة بالوحدانية ، فعبر عن الشهادة بالإعلام ، أو بإقامة الشهادة .

﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ عائد إلى الله وحده ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ كما تقول : عندي في هذه المسألة كذا .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف " سيغلبون "، وقرأ باقي العشرة " ستغلبون ". **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٣٩٢) ، حجة ابن خالويه (ص : ٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٠١) ، الكشاف للزمخشري (١/ ١٧٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٣) .

وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في نبوة محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بإخبار أنبيائهم بصفاته في كتبهم ، ولم يحملهم على ذلك إلا البغي، وهو المفعول لأجله ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يحاسبه الله ويعذبه ، وجاز العطف على ضمير أسلمت بقوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ لحصول الفصل بينهما.

﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ همزة إنكار . وقيل: استفهام ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: مع علمهم بأن قتلهم واقع بغير حق ، لم تقع شبهة تورطهم في ذلك.

وروي أن أنبياء بني إسرائيل قاموا في الناس فوعظوهم في قتل الأنبياء ، فقام جماعة من المؤمنين فأنكروا قتل الأنبياء ، فقتلوا الآخرين ، وأقاموا سوق بقلهم في آخر النهار.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: فاجعل عوض البشارة بالخير إنذارهم بعذاب أليم ؛ كقوله [من الوافر] : .... تحيةُ بينِهم ضَرْبٌ وجيعُ(١) .

والتغيُّر يكون بخير وبشر، فهو حقيقة بالنسبة إلى أصل الوضع ، لكنه صار منقولا في العرف إلى أحد الأنواع وهو الخير ، فالإخبار بالشر حقيقة بالنسبة إلى أصل الوضع ، مجاز بالإضافة لنسبته إلى العرف ، وهو كالدابة كانت عامة في كل ما دب ودرج في أصل الوضع ، ثم خصصها العرف بذوات الأربع ، فصارت مجازا عرفيًا فيما عداها .

---

(١) هذا عجز بيت لعمرو بن معدي كرب وصدره : وخيل قد دلفت لها بخيل ....
ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي (٩ / ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨) ، ديوان عمرو بن معدي كرب (ص : ١٤٩) ، شرح أبيات سيبويه (٢ / ٢٠٠) ، الكتاب لسيبويه (٣ / ٥٠) ، وينظر بلا نسبة في : أمالي ابن الحاجب (١/ ٣٤٥) ، الخصائص لابن جني (١ / ٣٦٨) ، شرح المفصل لابن يعيش (٢ / ٨٠)، الكتاب لسيبويه (٢ / ٣٢٣) ، المقتضب للمبرد (٢ / ٢٠ ، ٤ / ٤١٣) .

أصل «الحبط» انتفاخ البطن ، وهو مجوف ، ومنه: الحبنطي ، للكبير البطن ، بزيادة النون والألف، بدليل قولك في تصغيره: حبيط أو: حبينط ، شبه حبوط أعمالهم بهلاك من حصل له الحبط.

ونفي الناصر الواحد أبلغ من نفي الجمع . وإنما قيل : ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ردًّا لما كانوا يعتقدونه من شفاعة الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ [يونس: ١٨] ، ونصرتها لهم ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [يس] ذلك بسبب استهانتهم بعذاب الآخرة .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ .

وظنهم قصر مدته في حقهم ، وزعمهم أنهم لا يعذبون ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وهو افتراء اختلقوه واغتروا به. ﴿ فَكَيْفَ ﴾ يكون حالهم إذا جمعوا في القيامة ووفي كل أحد جزاء كسبه. ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أعظم من الملك ؛ لأنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، ولا يلزم أن يكون الملك كذلك .

وقوله: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ أدب مع الله عز وجل ؛ لأن قسيمه وهو الشر مخلوق لله ، لكن

الأدب: الانكفاف عن إطلاق نسبته إلى الله – تعالى- كما لا يقال: يا خالق الكلاب والذباب اغفر لي ، وإن كان حقًا في نفسه .

﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾ أي: ما نقص من أحدهما زاد في الآخر . وقيل: يغشي الليل النهار، ويغشي النهار الليل. ﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ﴾ أي : وتخرج المؤمن من الكافر. وقيل: الآدمي من النطفة ﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ الكافر من المؤمن . وقيل : النطفة من الحيوان. ﴿ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ أي كثير.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ ﴾ يخصونهم بالمودة ، أي: يطلعونهم على عورات المسلمين ، ويودون لو ظهر الكفار على المؤمنين ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ﴾ ولاية ﴿ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ ﴾ ذلك في صحبتهم ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ عقوبته ؛ فإن ذاته لا تخشى كما قال: ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧] . ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ مستأنف ، لا يجوز عطفه على جواب الشرط ؛ لأن علمه بذلك ليس معلقا بإبدائنا وإخفائنا ، ولو كان متعلقا به لكان مجزوما . قيل : الوقف على قوله : ﴿ مُّحۡضَرٗا ﴾.

وقيل: بل الوقف على قوله: ﴿ وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ ﴾ لأن كليهما يحضر يوم القيامة(١).

وأما قوله: ﴿ تَوَدُّ ﴾ فهو خبر على القول الأول؛ لقوله: ﴿ وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ ﴾ . وعلى الثاني: حال، أي:وادّة .لكن يقوي الأول قوله: ﴿ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا ﴾؛ لأنها لا تود ذلك في الخير، فيختص وادّه بقسم ما عملت من سوء. والرأفة: أشد الرحمة . ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ ﴾ تريدون محبة الله فأطيعوا رسوله يحببكم ، ويغفر لكم . ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ يجوز أن يكون مضارعا مجزوما خطابا ، وأن يكون ماضيا . قيل : يقال : آل زيد ، ويعنون زيدا ، ومنه : آل إبراهيم، وآل عمران . وقيل : آل إبراهيم : ذريته . وإن أريد بعمران : أبو موسى وهارون فهما آله ، وإن أريد بعمران : أبو مريم ، فآلهُ يحيى وعيسى ومريم ، وإن أريد بالعالمين : عالمي زمانهم .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ

(١) **ينظر** : منار الهدى في الوقف والابتدا للأشموني (ص : ٧٥) .

إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ في اتباعهم للحق، فصار كل واحد منهم كالجزء من الجملة، ومنه قوله ﷺ: «من غشنا فليس منا»[(١)] وقال الشاعر [من الوافر]:..................

فإني لستُ منكَ ولستَ مني.

كانت حنة أم مريم نذرت وهي حبلى أن ولدها يكون خادما للكنيسة، وكان ذلك جائزاً في شرعهم، فولدت أنثى وهي مريم، فشكت إلى ربها إخلاف ظنها أن يكون حملها ولدا ذكرا يخدم الكنيسة. فمن قرأ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ بضم التاء، كان من كلامها، يعني: وأنت يا رب العالم بذلك. ومن قرأ ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾[(٢)] وهو شاذ، كان من الله، أو من كلام الملائكة. قيل لها: لا تحتقري هذه المولودة، فالله أعلم بجلالة قدرها وأنه يخرج من ذريتها نبي كريم على الله، يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ومن قرأ ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ كان من كلام الله، وليس خطاباً لها (٢٣/أ) ومعناه: أعلم بشرف هذه المولودة. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ومريم هي الخادمة. وقيل: مريم الكثيرة الزيارة للرجال والأول أشبه بهذه المولودة.

﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مولود يولد إلا ويمسه الشيطان غير مريم وابنها؛ لأنه جعل بينه وبينهما حجاب، فأراد الشيطان الطعن عند ولادة كل واحد منها فطعن في الحجاب، ولم يصل»، ثم تلا ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠١)، وأحمد في المسند (٢ / ٤١٧)، وابن ماجه رقم (٢٥٧٥) بهذا اللفظ ورواه بلفظ «من غشنا فليس منا» مسلم رقم (١٠٢)، وأحمد في المسند (٢/٢٤٢)، وأبو داود رقم (٣٤٥٢)، والترمذي رقم (١٣١٥)، وابن ماجه رقم (٢٢٢٤)، واللفظان عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) قرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب «وضعتُ»، وقرأ ابن عباس «وضعتِ»، وقرأ باقي العشرة «وضعتْ».

تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٢/٤٣٩)، الحجة لابن خالويه ص (١٠٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٧٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٣٥)، الكشاف للزمخشري (١/١٨٦)، النشر لابن الجزري (٢/٢٣٩).

ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (١).

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
(٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٨)
فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣٩) ﴾

قرئ شاذا ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ ﴿ وَأَنۢبَتَهَا ﴾ ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ بالنصب (٢)، وعلى صيغة الدعاء في الأفعال الثلاثة. فحملتها حنة عند وضعها، وكان أبوها عمران صاحب قربانهم، فتنافس فيها أحبارهم أيهم يكفلها فتقارعوا، وكانوا يكتبون التوراة، وهم على شاطئ نهر، فألقوا أقلامهم، وقلم زكريا معهم، فثبت قلم زكريا، وسارت أقلامهم مع الماء وهو معنى قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾.

وقولها: ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ إشارة إلى أنه مما لا يكتسب بفعل الآدميين، وإلا فالأرزاق كلها من عند الله، ونظيره: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ من لَّدُنَّا علمًا ﴾ أي: ليس ذلك العلم مما يكتسب بالمباحث ولا بالدراسة. ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أصلها أن تكون للمكان، وتستعار للزمان، وهما في هذا الوضع محتملان، وكذا قوله: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ مذهب البصريين: أن النداء لا يغني فيه القول، بل لابد من صريح القول، فالتقدير: فنادته الملائكة قائلين. وقال الكوفيون: لا يحتاج إلى إضمار القول؛ لقيام النداء بمعناه، ومثله قول الشاعر [من الرجز]:

إنــا لقينــا رجــلاً عُريانــا   رَجُــلانِ مِــنْ ضَبّــةَ أخبرانــا (٣)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٥٤٨)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٦٦).

(٢) قرأ بها مجاهد، تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤٤٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٧٦)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٣٥)، الكشاف للزمخشري (١/ ١٨٧).

(٣) ينظر الرجز بلا نسبة في: خزانة الأدب للبغدادي (٩/ ١٨٣)، الخصائص لابن جني (٢/ ٣٨٨)، شرح شواهد المغني (٢/ ٨٣٣)، الكشاف للزمخشري (١/ ١٩١)، المحتسب لابن جني (١/ ١٠٩، ٢٥٠)، مغني اللبيب لابن هشام (٢/ ٥٩).

فالبصري يقول : أخبرانا فقالا: إنا لقينا. والكوفي لا يحتاج إلى ذلك[(١)]. فمن فتح أن فالتقدير: فنادته بأن الله[(٢)]. والمحراب: صدر المجلس. وقيل: المجلس الحسن ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ [سبأ: ١٣] .

﴿ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ قيل: بعيسى . وقيل : بالتوراة والإنجيل ﴿ وَحَصُورًا ﴾ منع نفسه من إتيان النساء . وقيل : كانت به عِنَّة[(٣)]. والأول أصح ؛ لأن العِنَّة مرض لا يثاب من بلي بها على ترك الزنى ، ولا يمدح بها ، وإنما يمدح على مجاهدته نفسه فيما يستطيعه.

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٨٢) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٣٥٩) ، مغني اللبيب لابن هشام (٢ / ٥٩) .

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة ونافع «إن الله يبشرك» ، وقرأ الباقون «أن الله يبشرك» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤٤٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٨٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٠٥) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٣٥٩) ، المحتسب لابن جني (١ / ١٦١) .

(٣) **العنين** : الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن ، والاسم منه العنة وهو: الاعتراض والحبس ، كأنه اعترضه ما يحبسه عن النساء ، وامرأة عنينة كذلك : لا تريد الرجال ، ولا تشتهيهم . **ينظر**: لسان العرب : (عنن) .

العاقر: الرملة التي لا تنبت ، شبهت بها المرأة التي لا تلد ، ولم يقل : عاقرة ؛ لاختصاص الوصف بالمؤنث ؛ كالطامث والحائض .

﴿رَمۡزًا﴾ أي: إشارةً ، وكان يستعصي عليه الكلام ولسانه كما قال: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ [مريم] وكان إذا أراد ذكر الله انطلق لسانه .

﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ يريد الألفاظ التي يدل عليه هذا المجموع ، وإلا فالاسم عيسى وحده . سمي مسيحًا ؛ لأنه وُلد ممسوحا بالدهن. وقيل: مسيح القدم أي : ليس لرجله أخمص ، وهذا ضعيف ؛ لأن الأخمص به تستمسك الرجل عند زللها ، ولا يمدح به من ابتلي به . وقيل : هو مأخوذ من السياحة في الأرض وهذا يقتضي تأخر التسمية بذلك حتى يصير سائحا . وقيل: سمي مسيحا ؛ لأنه يمسح أرباب العاهات والأمراض فيعافون وعليه الإشكال الذي قبله.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا﴾ فإن قلت: الكلام في الكهولة ليس بعجب ! فجوابه من وجوه : ويكلم الناس في المهد وكهلا كلاما متساويًا لا يختلف في الصغر والكهولة. وقيل : يكلم الناس في المهد وكهلاً إذا نزل من السماء في آخر الزمان . وقيل : كل من تكلم في المهد مات قبل أن يصير رجلا ؛ لئلا يفتتن به إلا عيسى ، فيكون هذا بشارة بحياته إلى الكهولة . وقيل : يكلم الناس في المهد بالحكمة ، وكهلا بالنبوة . الهاء في فيه تعود على الكاف في «كهيئة» ، أي : ينفخ في الذي هو مثل الطير.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ من لحمان الإبل، والتصرف في السبت، وغيرهما من الأحكام التي خالفت شريعة عيسى ﷺ فيها دين اليهود ، وسمي ما أوتيه عيسى آية ؛ لأن كل واحد منها آية ، تقول: كسانا الأمير حلة ، أي : كل واحد ؛ لأن عيسى ﷺ أوتي إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وشفاء كل واحد من أولئك المرضى وأرباب العاهات آية .

﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ
وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ
مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ
ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ

وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ أي: علم علمًا جليًّا يشبه المعلومات بالحس ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ ذاهبا أو متوجها ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ أصحاب عيسى، وكانوا قصَّارين يحورون الثياب أي: يبيضونها، قيل: ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ بذلك. وقيل: مع أمة محمد؛ لأنهم شهدوا على الناس ﴿وَمَكَرُواْ﴾ وأخفى الله ما يريده منهم من الشر، وسمي جزاء المكر مكرا ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: مُنيمُك. فرفع إلى السماء نائما؛ كي لا يجزع عند بُعده عن الأرض صاعدًا. وقيل: متوفيك: ملاقيك بأنبيائي و ملائكتي. وقيل: متوفيك بعد نزولك إلى الأرض، والواو لا تقتضي الترتيب [1]. والتقدير: إني رافعك إليَّ ومميتك.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن

---

(١) الواو لا تقتضي الترتيب: هذا على قول جمهور النحاة، وقال جماعة: إنها للترتيب، ونقل السيرافي الإجماع على ذلك، ورد ذلك ابن هشام في قطر الندى. **وينظر** تفصيل هذه المسألة في: أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ٣٠٢-٣٠٤)، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١/ ٤١٧، ٤١٨)، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ١٥٥، ١٥٦).

تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا
لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ
يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ
لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ
وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أمة محمد ﷺ ؛ لأنهم صدقوا بجميع ما في الإنجيل من صفات النبي ﷺ ﴿ذَٰلِكَ﴾ يجوز أن يكون في موضع رفع أو نصب ؛ لاشتغال الفعل بضميره ؛ كقوله : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾ [يس: ٣٩] بالرفع والنصب(١) .

﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ أي: المحكم ، كقول الشاعر [من الكامل] :

وقصيدةٍ تأتي الملوكَ حكيمةٍ ... قد قلتُها ليُقالَ مَنْ ذا قالَها (٢)

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ﴾ في حصوله بغير الأم ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ وزاد آدم بفقد الأم .

﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ أي : قدّر خلقه. ولذلك قال : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن﴾ بخلاف قوله في سورة الفرقان : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان] فإنه عطف التقدير على الخلق ،

---

(١) سورة يس ، الآية (٣٩) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو « والقمرُ» ، وقرأ باقي العشرة «والقمرَ».
تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٣٦) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٩٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٨٥)، السبعة لابن مجاهد (ص:٥٤٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٥٣) .

(٢) البيت للأعشى ، ينظر في : تاج العروس للزبيدي (حكم) ، تفسير القرطبي (٨ / ٢٧٧) ، خزانة الأدب للبغدادي (٤/ ٢٥٩)، الدرر اللوامع للشنقيطي (١/ ٢٦٩) ، ديوان الأعشى (ص: ٧٧)، روح المعاني للألوسي (٢١/ ٦٥) ، شرح شذور الذهب (ص: ١٧٩) ، العين للخليل (٣ / ٦٧)، قطر الندى لابن هشام (ص : ١٠٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٢٦) ، لسان العرب (حكم) .
ويروى الشطر الأول منه : وغريبة تأتي الملوك غريبة . وسيأتي بهذه الرواية في أول سورة يونس .

فكانا متغايرين. ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾أي : من وفد نجران وغيرهم .

أصل « تعالوا» أن يقال لمن كان في مكان منخفض ، فتناديه من مكان عال : تعال أي: ارتفع حتى أجتمع بك ، ثم كثر استعماله فصار يدعو به المساوي من ساواه في المكان ، ويدعو به الذي هو أسفل للذي فوقه .

الكلمة: الجملة المقيدة وهو من قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فتزعمون أنه كان يهوديًا أو نصرانيًا ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ﴾اللذان شرح فيهما شريعة موسى وعيسى ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ من بعد موت إبراهيم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يتولى مصالحهم ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ «لو» بمعنى «أن» .

أجمع رأي جماعة من اليهود على أن يجتمعوا ويؤمنوا بالنبي ﷺ ، ويقولوا : وجدنا نعته في التوراة ، يفعلون ذلك أول النهار ، ثم يرتدون آخر النهار ويقولون : تبين لنا فساد ما اعتقدناه أول النهار، فيحصل بذلك ريبة في قلوب أهل الكتاب والمشركين[1] .

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ
يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ
مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى
ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا
لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ٣١٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٢) رقم (٢١٤، ٢١٥).

﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ أي : لا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أو متعلق بما بعده مضمر ، أي : إلا أن يؤتى أحد مثلكم ما أوتيتم شككتم وتركتم دين آبائكم ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ العطايا .

﴿ قَآئِمًا ﴾ بالمطالبة والإلحاح ، وكان اليهود يقولون لأوليائهم : ليس علينا في أخذ أموال الأميين جناح. ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: يحبهم ، فعوض الضمير بالاسم الظاهر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ نزلت في الأشعث بن قيس[١] اختلف هو ورجل آخر في حدود أرض، فقال النبي ﷺ لخصم الأشعث : تحلف ، فقال الأشعث : يا رسول الله إنه فاجر لا يبالي على ماذا حلف[٢] .

﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ نظر رحمة . وقيل: هو كناية عن الغضب ، تقول: فلان لا ينظر إلى فلان أي : يبغضه ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ولا يثني عليهم ، أي : ولا يطهرهم .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ قولك: «ما كان له أن يفعل تارة» يكون في المستقبل ؛ كقوله: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ﴾ [النمل: ٦٠] ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١] وتارة يكون للممنوع شرعاً والممنوع شرعا كالممنوع حسًّا ؛ كقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١] ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٧] ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [يوسف : ٣٨] .

والرباني: الذي يعلم الناس الخير ، وكان يقال لابن عباس: هو رباني هذه الأمة. وقيل: هو الذي يُربى في التعليم بصغار العلم قبل كباره ، ويقويه قراءة ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ﴾ بالتشديد[٣] .

---

(١) هو الأشعث بن قيس بعد معد يكرب الكندي ، أبو محمد ، وفد على الرسول ﷺ سنة عشر في ثمانين راكبا من كندة ليعلنوا إسلامهم ، وقد ارتد مع من ارتد من الكنديين ، وأسر في حروب الردة ، فلما أحضر إلى أبي بكر أسلم فأطلقه ، وشهد كثيرا من وقائع الإسلام منها اليرموك والقادسية ، قطن الكوفة وتوفي بها في آخر سنة أربعين من الهجرة . **تنظر** ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/١٠٩-١١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٥٨، ٢٤١٧، ٢٥١٦، ٢٦٦٧، ٢٦٧٧)، ومسلم رقم (١٣٨).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بما كنتم تعلَمون الكتاب بالتخفيف ، أي : بعلمكم الكتاب ، وقرأ=

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ اللام: لام الابتداء، ودخلت على «ما» الشرطية. و«جاءكم»: معطوف على «أتيتكم» ﴿ إِصْرِى ﴾ أي: عهدي.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ احتج به من زعم أن الإيمان هو الإسلام؛ لأنه لو ابتغى الكافر الإيمان لقبل، فلو كان غير الإسلام لما قبل[1].

= الباقون بالتشديد «تعلّمون» أي: تعلمون الناسَ الكتاب. تنظر القراءة في: البحر المحيط لأبي حيان (٢/٥٠٦)، الحجة لابن زنجلة (ص: ١٦٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/١٤٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، الكشاف للزمخشري (١/ ٣٧٨).

(١) اختلف العلماء في هذين المصطلحين الإيمان والإسلام هل هما واحد أو مختلفان؟ وصنفوا في ذلك تصانيف متعددة؛ فمنهم من يقول: إن جمهور أهل السنة على أنهما شيء واحد، منهم محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر، ومنهم من يحكي عن أهل السنة التفريق بينهما كأبي بكر بن السمعاني وغيره. وقد نقل هذا التفريق بينهما عن كثير من السلف، على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما. قال=

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة . ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ يريد به ما قال مشايخ الصوفية : إن من دام على فسق أو كفر إلى أن هرم ، فبعُد أن تصح منه توبة ، أو يدوم عليها فأخبر ها هنا أن من كفر بعد الإيمان ، ثم ازداد كفرا لا تصح له توبة نصوح ، فلا تقبل توبته ؛ لعدم نصوحها .

قوله : ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ يعني : ولو بذله لما قبل ، وليس المعنى أنه يحصل له الفداء به ؛ فقد قال في آية أخرى : ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٤٧] أي : لبذلوه ، ويدل على عدم قبول الفدية قوله : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] والعدل: الفدية ، وفي الأنعام : ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠] .

«كان لأبي طلحة[١] حائط بالمدينة ملتف الأشجار ، فنظر يوما إلى طائر قد دخل بين الأشجار ، وطلب مخلصا ، فلم يجده ، فأعجبه ذلك ، فلما نزل قوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال يا رسول الله: إني سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله ولرسوله ، يعني بها ذلك الحائط فقال رسول الله ﷺ : «بخ بخ» ، ذلك مال رابح فقال : ضعها يا رسول الله حيث شئت ، قال النبي ﷺ: إني أرى أن تجعلها في الأقربين . فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه »[٢].

واسم هذا الحائط: بَيْرُحاء ـ بفتح الباء ، وسكون الياء ، وضم الراء ، ممدود لا ينصرف. وبير مضافة إلى حا. وقيل: كالوجه الثاني مقصورة الألف، بوزن فيعلى. كذا ضبطه

=ابن رجب الحنبلي : وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف فيقال : إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق . والتحقيق في الفرق بينهما : أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته ، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له ، وذلك يكون بالعمل وهو الدين .

ينظر : جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب (ص : ٤٤) .

(١) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي ، اشتهر بكنيته ، وهو من أفاضل الصحابة ، شهد بدرًا وأحدًا ، وأبلى في الإسلام بلاءً حسنًا ، توفي في خلافة عثمان بن عفان ، وقيل : بعد وفاة النبي ﷺ بأربعين سنة . **تنظر** ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤/١١٣-١١٥) ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/٥٦٦، ٥٦٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٦١) ، ومسلم رقم (٩٩٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

الزمخشري[١] وقيل : بيرُحاء بكسر الباء ، وسكون الياء ، وضم الراء ، إلا أنه مصروف .

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

روي : أن يعقوب عليه السلام أصابه عِرْق النِّسا[٢]، وتألم منه ، فنذر لئن شفاه الله ، ليُحَرِّمَنَّ على نفسه أحب الطعام إليه ، وكان يحب ألبان الإبل ولحومها ، فلما شفي حرمها[٣]، وأما بقية المحرمات فسببها ظلمهم وصدهم عن سبيل الله ، وأخذهم الربا بعد تحريمه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل، فلما سمع اليهود ذلك قالوا: إن هذه المحرمات ما كانت عقوبة ، وإنما هي شريعة شرعها الله ، فقال عليه السلام : ﴿ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ ونزلت ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٦٠] الآيتين، ونزلت ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] إلى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام] وفيه تعريض بأنهم الكاذبون .

---

(١) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (١ / ٣٨٤) .

(٢) **عِرْقُ النَّسا** : وجَعٌ يبتدئ من مفصل الورك وينزل من خلف على الفخذ ، وربما امتد إلى الكعب ، وكلما طالت مدته زاد نزوله ، ويهزل الرجل والفخذ . قال الأصمعي: لا يقال : عرق النسا. والعرب لاتقول: عرق النسا. كما لا يقولون: عرق الأكحل. ولا: عرق الأبجل: إنما هو النسا والأكحل والأبجل. وقال ابن بري : فإذا ثبت أنه مسموع فلا وجه لإنكار قولهم : عرق النسا قال : ويكون من باب إضافة المسمى إلى اسمه كحبل الوريد ونحوه . **ينظر** : زاد المعاد لابن القيم (٢ / ٨٦) ، لسان العرب (نسا) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣١١٧) ، والطبري في تفسيره (٤/١-٢) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢ / ٣٢٠) وحسنه الترمذي ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال في هذه الآيات : ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ أي : وكذبتم أنتم في دعواكم أن تحريمها لم يكن عقوبة ، والفرية إن كانت في معنى التكذيب فنصب الكذب بأنه مصدر ، على معنى الفعل كقولهم : قعدت جلوسًا . وإن كانت الفرية أخص من الكذب ؛ لأنها الكذب المختلق الذي لم يسبق قائله إليه فنصب الكذب بالمفعولية .

﴿ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ في التوحيد ؛ لقوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلا عن الأديان إلا عن الإسلام .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ متعبدًا ومتوجها إليه للصلاة ومحجوجًا . قيل : بكة مكة.

وقيل: مكة البلد ، وبكة موضع المسجد سميت بكة ؛ لأنها تدق أعناق الجبابرة ، من قصدها من جبار قصمه الله .

﴿ مُبَارَكًا ﴾ يجوز أن يكون مباركا فيه ؛ كقوله : ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا (٣٤)﴾ [الإسراء] عنه، ويجوز ألا يحتاج إلى إضمار جار ومجرور ويقال : باركك الله . ومنه ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [النور: ٣٥] . وقوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾[النمل:٨] ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ ولم يذكر إلا مقام إبراهيم ، وأمن من دخله، فقيل: في مقام إبراهيم آيات: إحداها : بقاؤه من العهد القديم ما يقارب ألفي سنة ، ومنها : بقاء أثر رجْل إبراهيم في الحجر، ومنها: تأثير رجْل الآدمي في الحجر الصلب . وقيل: إذا دلت القرينة على الثالث ، جاز حذفه لفظا ؛ كقول الشاعر [من البسيط] :

كانتْ حنيفةُ أثلاثا فثلثُهُمُ مِنَ العبيدِ وثلثٌ مِنْ مَواليها(١)

فيعرف أن الثالث من كان حرّ الأصل .

قوله: ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ ﴾ بدل البعض من الكل، والضمير المصحح محذوف ، والتقدير: من استطاع منهم ؛ كقولك: السمن منوان بدرهم ، أي : منه . ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي: تبغون لها عوجا ﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ على استقامتها .

---

(١) البيت لجرير ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ١٧٠) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٨٨) .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

«مر شاس بن قيس اليهودي على ملإٍ فيه المهاجرون والأنصار ، فساءه تآلف قلوبهم واجتماعهم بعد قتالهم بالسيوف في يوم بعاث[١] ، فجلس إليهم، وأنشد ما تقاولت به الأنصار في حروبهم، وما افتخرت به الأوس على الخزرج ، والخزرج على الأوس، فغضب الفريقان ، وأخذتهم الحمية ، وقام بعضهم إلى بعض ، وقال : السلاح السلاح، فسمع النبي ﷺ ، فجاء إليهم ، فوعظهم ، وذكرهم وقال : «أتدعون بدعوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم» فأصلح بينهم ، فقاموا فتعانقوا وتباكوا ، وعلموا أن تلك نزعة من الشيطان ، ونزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا ﴾ الآيتين»[٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ

---

(١) **يوم بعاث** : يوم معروف من أيام الأوس والخزرج ، اقتتلتا فيه ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج وقد تفاخر الأوس والخزرج ذات يوم بهذا اليوم وكادوا يقتتلون فخرج عليهم الرسول ﷺ مع نفر من أصحابه وقال لهم : يا معشر المسلمين الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم.
ينظر : تفسير الطبري (٤ / ٢٣) ، غريب الحديث لابن الجوزي (١ / ٧٨) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٦/٤) ، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٩ ، ١٢٠) رقم (٢٣٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥٧/٢) لابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟
وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ
يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا
وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

ولما نزلت ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ شقت على الصحابة ، وقالوا: أينا يطيق أن يتقي الله حق تقاته ، فنزلت ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] فقيل: نسختها. وقيل: قيدت مطلقها. وقيل: تقوى الله حق تقاته المراد به: ما كان مستطاعا، أي : ودوموا على الإيمان، حتى إذا جاء الموت صادفكم مؤمنين ، وإلا فالموت لا ينهى عنه .

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ قبل بعثة النبي ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ ببعثته .

﴿يَوْمَ﴾ ظرف لا يعمل فيه عذاب الذي هو المصدر ؛ لأن المصدر إنما عمل ؛ لشبهه بالفعل ، والفعل لا يوصف ، فإذا وصف المصدر، بعد عن شبه الفعل. بل العامل في الظرف هو العامل في المجرور المقدر في لهم والتقدير : استقر لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه .
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ أي : فيقال لهم: ﴿ أَكَفَرْتُم ﴾ ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ خبر. ويجوز أن يكون معناه الأمر، أي: ارجعوا بأموركم كلها إليه؛ كقوله : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾ [البقرة:٢٣٣] ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿كُنتُمْ﴾ أي: في الأزل عند الله ، أي: كنتم للناس خير أمة تقاتلونهم بالسيوف ، وتأتون بهم في السلاسل فيدخلون في

الإيمان(١) . ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ولا يستطيعون أن يقهروكم . وقوله : ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ مستقبل ليس معطوفا على ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾ ؛ لأنه مرفوع بثبوت النون، ويقاتلوكم، ويولوكم مجزومان بالشرط والجزاء ، ويوضح ما ذكرته : أن تولية الأدبار إنما هو في القتال ، فلذلك جعل جزاء له . وأما كونهم لا ينصرون ، فهو أمر مستقر ليس معلقا على شرط .

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي : أحاطت بهم إحاطة الخيمة بمن فيها ، أينما قدر عليهم إلا بسبب وحبل من الناس بالأمان .

﴿وَبَآءُو﴾ احتملوا ، وكانوا كفوًا له. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ أي : لن تدفع عنهم من عذاب الله شيئا . ﴿مَثَلُ﴾ مهلك ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيها صر ، أي : باردة . وقيل: لها صوت .

﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾من غير أهل ملتكم يطلعونهم على عورات المسلمين ، لا يقصرون في إفساد ما بينكم ﴿وَدُّوا۟ مَا﴾ يشق عليكم ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ يريد به الرخاء والأمن والسعة ، وليس المراد : الطاعة ؛ إذ لا يقال لمن صلى : أصابته حسنة .

﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي : قحط وخوف وفاقة ؛ إذ لا يقال لمن عصى : أصابته سيئة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ
بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟
عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن
يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم

---

(١) روى البخاري (٤١٩١) عن أبي هريرة ﷺ : « ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام » .

مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ إلى أُحُد ﴿مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِ﴾ مواضع يحلون فيها قائمين وقاعدين. ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾ بنو سلمة وبنو الحارث . قال جابر بن عبد الله : فينا نزلت معشر الأنصار، وما أود أنها لم تنزل؛ لقوله في آخرها: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[1].

﴿وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ بقلة العَدَد والعُدَد، ولم يكن معهم في يوم بدر إلا فرسان. قيل: فلم يصبروا، وفارقوا المركز الذي وضعهم رسول الله ﷺ فيه، فانهزموا . وقيل : أمدهم بالملائكة، ولكنهم لم يقاتلوا إلا في وقعة بدر .

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ وما جعل الإمداد بالملائكة ﴿إِلَّا بُشۡرَىٰ﴾ وإلا فملَك واحد وهو جبريل عليه السلام حمل مدائن قوم على جناحه وقلبها بهم ، وصاح بقوم ثمود صيحة واحدة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

كبته : إذا غاظه أشد الغيظ . «وكان رسول الله ﷺ يقنت في الصلاة ويقول : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف»[2] فنزلت ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ﴾ فكان كذلك ؛ هدى الله منهم قوما للإسلام .

قوله : ﴿أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾ : مع أنه يحرم الربا وإن كان أقل من ذلك ؛ لأنه أراد أن يحكي قبيح ما صنعوا ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾ [النساء: ٦] ويحرم أكل

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٥٥٨) ، ومسلم رقم (٢٥٠٥) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري رقم (١٠٠٦ ، ٤٥٦٠) ، ومسلم رقم (٢٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

مال اليتيم سواء أسرف وبذّر أو لم يكن ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ إلى أفعال أو أقوال تكون سببا للمغفرة والرضوان. ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: مثل عرضها لو انضمت كل واحدة إلى بواقيها ﴿أُعِدَّتْ﴾ هيئت وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن ، خلافا للمعتزلة[١] .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ نعت مجرور ، ويجوز فيه النصب بإضمار أعني، والرفع على الابتداء والخبر ، أي هم الذين . يقال: كظم القربة: إذا ملأها وسد فاها، والكظام: الخيط الذي يشد به فم القربة ، والغيظ يحمل الإنسان على أقوال وأفعال لا تليق ، فشبه مانع نفسه منها بمن كظم القربة أي: منعها من التبدد ﴿إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ أي: كبيرة ﴿ أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالصغائر. والإصرار: الربط والتصميم على ملازمة أمر، ومنه: الصرة لما تجمع من الدراهم وتربط شبه المصر على المعصية بالرابط على الشيء ، المانع من تبدده .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: مضت من قبلكم عادة الله في إهلاك المكذبين وأنه إذا حل بهم العقاب لم تفد التوبة ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ٨٥].

﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ آثار المهلكين وكانت قريش ومن معهم يجلبون الميرة[٢] في

---

(١) تقدم الحديث عن هذه المسألة في أول سورة البقرة عند قوله – تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

(٢) الميرة: الطعام يمتاره الإنسان. وقيل: هي جلب الطعام . وقيل: جلب الطعام للبيع وهم يمتارون =

رحلة الشتاء والصيف ؛ فإن مكة واد غير ذي زرع ، فيذهبون في الصيف إلى الشام ؛ لأنها بلاد باردة ، فيمرون على بلاد ثمود ، وإلى مواضع بلاد قوم لوط التي قلبت بهم . ويسافرون في الشتاء إلى بلاد اليمن ؛ لأنها بلاد حارة فيمرون على بلاد عاد بالأحقاف.

والمراد بالهداية ها هنا : حصولها في القلب بخلاف قوله : ﴿ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[فصلت: ١٧] فالمراد فيها البيان . وها هنا جعل البيان عامًّا والهدى خاصًّا . والوهن: الضعف . القَرح بالفتح المصدر . والقُرح : الموضع المجروح ، أو نفس الجراحة ، وكان قد قتل من المسلمين بأحد سبعون ، وقتل المسلمون من الكفار ببدر سبعين ، وأسروا سبعين ، فلذلك قال : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقال ها هنا: ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أراد المماثلة في ألم القلب ، لا في العدد ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ﴾ذنوب ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ أي : مع أنه يعلم ؛ كقوله : ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الشورى: ٣٤-٣٥] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ والشهادة .

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

= لأنفسهم ويميرون غيرهم . ينظر: لسان العرب (مير).

لما انهزم المسلمون في نوبة أحد صرخ صارخ : إن محمدا قد قتل فضعفت قلوب أقوام وانهزموا فعاتبهم الله بقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ فيحتمل أن يراد به الحقيقة ، أي: وليتم مدبرين ، ويجوز أن يراد : رجعتم عما أنتم عليه من التصميم على الحق .

وقد روي أن ناسا من ضعفاء المؤمنين قالوا: وددنا لو وجدنا من يأخذ لنا أماناً من عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول[(١)] ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. أي : بقضائه وقدره .(وكائن) على وزن فاعل ، وكأيِّن[(٢)] ، وهما لغتان معناهما : وكم . قرئ « قاتل معه» ، وقرئ «قُتِلَ معه»[(٣)] .

﴿رِبِّيُّونَ﴾ أي : علماء . فقيل : معناه : وكأين من نبي قتل ، وكان معه جماعة فثبتوا على دينهم بعد قتل نبيهم ، فهلا فعلتم مثل ما فعلوا ، فالمفعول الذي لم يسم فاعله مضمر في قُتل. وقيل : المفعول الذي لم يسم فاعله «ربيون» . قالوا : وما سمعنا بنبي قُتل في حرب. وقوله : ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ فما ضعفوا . ظاهره يدل على إخلاف الوهن والضعف أي : لم يشغلهم ذلك عن طلب المغفرة فبدؤوا بطلبها ، ثم سألوا تثبيت الأقدام في اللقاء، والنصرة على الكفار ، مع أن مثل الشدة (٢٧/ ب) تنسي الإنسان ما سواها ووصف ثواب الآخرة بالحسن ، دون ثواب الدنيا ؛ لأن ثواب الآخرة أكمل وأحسن وأجمل .

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ

(١) هو عبد الله بن أبي مالك بن الحارث من بني عوف بن الخزرج ، وسلول جدته نسب إليها ، وهو رئيس المنافقين . توفي سنة ٩هـ ، وابنه عبد الله من فضلاء الصحابة شهد بدرا ، وكان قد همَّ بقتل أبيه فمنعه الرسول ﷺ . **تنظر** ترجمته في : السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٥٢٦) ، جمهرة الأنساب (ص:٣٥٤) .

(٢) قرأ ابن كثير «وكائن» وقرأ الباقون «وكأين» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٧٢) ، حجة القراءات لابن زنجلة (١ / ١٧٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٢٢٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢١٦) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٤٢٤) .

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «قُتِلَ» ، وقرأ باقي العشرة «قاتل» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٧٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ١٧٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢١٧) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٤٢٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٤٢) .

ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ۞

﴿ تَحُسُّونَهُم ﴾ تقتلونهم وكان في جبل أحد فرضة[1]، فجعل النبي ﷺ فيها خمسين من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير[2]، وقال لهم: «كونوا من ورائنا»، وقال لهم: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تزايلوا مركزكم واثبتوا، وكذلك «إن رأيتمونا قد هزمناهم وتقدمنا فلا تزايلوا المركز». وشرع المسلمون في القتال، فانهزم الكفار أولا وكان خالد بن الوليد إذ ذاك كافرا، فأخذ جماعة من خيل المشركين، وجاء من وراء جبل أحد، فدخل من الفرضة وكان بعض الرماة قد زايل المركز؛ طالبا للغنيمة، فنهاهم مقدمهم عبد الله بن جبير، وقال: أنسيتم وصية رسول الله ﷺ، فلم تطيعوه، ولم يبق معه إلا القليل، فلما جاء خالد لم يجد من الرماة إلا قليلا، فقتل عبد الله بن جبير وناسا من أصحابه، وخرج فجاء إلى المسلمين من ورائهم، فعادت الهزيمة على المسلمين[3]. وقوله: ﴿ وَعَصَيْتُم ﴾أي: في مزايلة المركز. ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ من هزيمة الكفار ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾

---

(١) **فُرضة الجبل**: ما انحدر من وسطه وجانبه، **والفرضة من النهر**: مشرب الماء، **ومن البحر**: محط السفن، والجمع فرض وفراض. **ينظر**: لسان العرب (فرض)، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣/ ٤٣٣)، لسان العرب (فرض).

(٢) هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري أخو خوات بن جبير، شهد العقبة وبدرًا، واستشهد بأحد وكان أمير الرماة يومئذ وهم خمسون رجلا وثبت حين ذهبت الرماة ليأخذوا من الغنيمة فاستشهد يومئذ ومُثِّل به قتله عكرمة بن أبي جهل. **تنظر** ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤ / ٣٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ٣٣١).

(٣) رواه البخاري رقم (٢٨١٢)، وأبو داود رقم (٢٢٨٨).

وجعل الهزيمة عليكم .

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ ذاهبين هاربين من الكفار ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ يا عباد الله إليّ ، فجازاكم ﴿غَمَّۢا﴾ في صدوركم بما حصل من الهزيمة ، وبسماع الصريخ بموت النبي ﷺ ﴿بِغَمٍّ﴾ حصل من جهتكم لرسول الله ﷺ بهزيمتكم .

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من الجراحات. الوقف على قوله : ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [1] وقوله : ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾

مستأنف مرفوع ، ولو كان معطوفا لانتصب . قال بعض الصحابة : «لقد سقط سيفي من يدي ثلاث مرات من النعاس [2]».

«وكان النبي ﷺ قد استشار الصحابة لما سمع بمجيء المشركين ، فأشار قوم ممن فاتته وقعة بدر : اخرج بنا يا رسول الله إلى هؤلاء الأكلب . وقالت طائفة كبيرة : اثبت بنا يا رسول الله في منازلنا ، فوالله ما خرجنا منها لعدو إلا انهزمنا ، ولا دخل علينا عدو المدينة إلا هزمناه . فلم يزالوا بالنبي ﷺ حتى دخل، فلبس لأمة [3] حربه، فلما خرج قالوا : يا رسول الله افعل ما بدا لك ، فإن شئت فاثبت في المدينة ، فقال : ما كان لنبي أن ينزع لأمته إذا لبسها حتى يلقى العدو [4]». فلما انهزم المسلمون قال الفريق الذين أشاروا بالقعود: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ .

---

(١) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني (ص : ٩٠) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٤١) عن أنس عن أبي طلحة - رضي الله عنهما - قال : « كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط فآخذه » .

(٣) **اللأمة** : الدرع . **وقيل** : السلاح ، **ولأمة الحرب** : أداته وقد يترك الهمز تخفيفا . **وقيل** : هي أداة الحرب كلها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع .

ينظر : لسان العرب (لأم) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/ ٢٢٠) .

(٤) رواه البخاري تعليقا (١٥/ ٢٨٣) في كتاب الاعتصام:باب قوله- تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨] ، وقوله - تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] قال الحافظ في الفتح : وصله الطبراني والحاكم وصححه عن ابن عباس وأخرجه أحمد مرفوعا (٣/ ٣٥١)، من حديث جابر ﷺ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ بنو سلمة ، وبنو الحارث ، وقد مر ذكرهم(١).

﴿ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ أي : قالوا عنهم بعد موتهم ؛ كقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١] ولم يقل : ما سبقتمونا . أي : قالوا لأجلهم وبسببهم.

ولو كان القول مع إخوانهم لقال: لو أطعتمونا لما قتلتم ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ تحصل من الشهادة خير مما تجمعون من الأموال . «ما» في ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ زائدة ، وقد تخطاها العامل ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ . قال الحسن : «كان رسول الله عن مشاورتهم غنيًا ، وإنما أراد به أن يستن به الحكام بعده »(٢) ، ولأن من استشرته فقد استملت قلبه ، واجتلبت حبه .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ

(١) عند الآية (١٢٢) من سورة آل عمران .

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٥٨) ونسبه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن الحسن قال : قد علم الله أنه ما به إليهم من حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده .

قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ
أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟
قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ
وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا
تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ۞

قيل : فقدت قطيفة حمراء من المغنم ، فقال قائلون : لعلَّ رسول الله يكون قد أخذها من صفي المغنم فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[1] والغلول: الأخذ من الغنيمة قبل القسمة. وقرئ « أن يُغَلَّ »[2] مبني لما لم يسم فاعله ، أي : ينسب إلى الغلول .

﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حاملا له على رقبته. ﴿ هُمْ ﴾ ذوو ﴿دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

﴿ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعلمون صدقه وأمانته وطهارة نشأته . ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ بمزايلة المركز ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي : بقضائه . ﴿ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ﴾ عن أنفسكم ﴿ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ ﴾ مكان قتال ﴿ لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ﴾ وهذا قول عبد الله بن أبي وأصحابه ، ومن كان رأيُهم المقامُ في المدينة ﴿ فَٱدْرَءُوا۟ ﴾ فادفعوا .

﴿ بَلْ ﴾ هم ﴿ أَحْيَآءٌ ﴾ ﴿ مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من ذريتهم وجميع مخلفيهم ، فإن الله يخلفهم أحسن الخلافة . ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ ﴾ أي : وبأن الله . ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بذلك أيضا .

لما انهزم المسلمون في وقعة أحد وذهب الكفار راجعين ، فتشاوروا فقالوا : ماذا صنعتم؟ قتلنا أصحاب محمد ، حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ، ارجعوا بنا حتى نستأصلهم (٢٨/ ب) فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يخرجوا لطلب الكفار فخرجوا وبهم الجراحات ،

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٩٧١) ، والترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٠٠٩) وحسنه .
(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم « أن يَغُلَّ » ، وقرأ باقي العشرة «يُغَلَّ». **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ١٠١) ، الحجة لابن خالويه (ص: ١١٥، ١١٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ١٧٩، ١٨٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٢٤٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢١٨) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٢٢٧) النشر لابن الجزري (٢ / ٢٤٣) .

منهم من يتوكأ على صاحبه ، وقال ﷺ: «لا يخرجن معنا إلا من كان شهد الوقعة» ، وخرج المسلمون سالمين ، وجاء نعيم بن مسعود[١] وكان إذ ذاك كافرا ، لكنه كان محبًّا للنبي ﷺ ، فقال : يا محمد ، عز علينا ما جرى على أصحابك ، إني ذاهب إلى أبي سفيان بن حرب أخذله عنكم[٢]، فقال له: افعل. فلحق بأبي سفيان وهو يريد الرجوع إلى المدينة، فقال له: ليس هذا برأي ، قد قاتلتموهم وانتصرتم عليهم ، ألا ترجعوا ؛ لئلا تكون الكرة عليكم، فيذهب ما انتشر لكم في البلاد من السمعة، ولقد رأيت محمدا وأصحابه قد جمعوا خيلا ورجلا كثيراً وهم يتحرقون عليكم تحرقا، حتى قلت أبياتاً منها:

كادتْ تهدُّ من الأصواتِ راحلتي إذا سالتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا
ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ
وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ
﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا
فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ
وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ
وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ
هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ
ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

---

(١) هو نعيم بن مسعود بن عامر ، أسلم أيام الخندق ، وموقفه في تخذيل المشركين وبني قريظة يوم الأحزاب مشهور مشهود له ، سكن المدينة وتوفي في خلافة عثمان ﷺ.

تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٣ / ٥٦٨) .

(٢) **أخذله عنكم** : يقال : خذل فلانا وخذل عنه : تخلى عن عونه ونصرته، وخذله : حمله على الفشل وترك القتال، وخذل عنه أصحابه حملهم على خذله . **ينظر** : لسان العرب (خذل) .

فانثنى رأي أبي سفيان عن العود للقتال ، فرجع النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة سالمين ، فأنزل الله : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [(١)] من ها هنا لبيان الجنس ، فإن كل من استجاب لله وللرسول فقد أحسن ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾ يعني أبا سفيان . ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ كافينا الله ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ طاعة الرسول بالخروج .

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ يخوفكم أولياءه ؛ لأنه إنما يخوف المؤمنين .

وقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تهييج للعزيمة ، وبعث للهمة . ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ إملاءنا لهم خيرا لهم . والإملاء : الإمهال .﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ فتبين طاعة المطيع وعصيان العاصي . ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ فيطلعه على ما يشاء من غيوبه .

﴿ هُوَ خَيْرًا ﴾ «هو» فصل أو عماد ، وفي الحديث الصحيح : «ما من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع يأخذ بلهزمتيه ، يعني: شدقيه ، ويقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، حتى يقضى بين الناس ثم تلا : ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (٢٩/أ) الآية» [(٢)].

لما نزل ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ قالت اليهود : أفقير ربك يا محمد حتى يطلب منا القرض ، فنزلت هذه الآية . وهذا جهل من اليهود ، أو تجاهل ؛ لأن الله - تعالى- إنما شبه ما يعطى في سبيل الله بالقرض ؛ لأنه يعطيه ليأخذ بدله وما يلزم من تشبه الشيء بالشيء من وجه أن يشبهه من كل الوجوه . لما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي قيل : ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] ولو كان الفعل مكتسبًا بغير اليد .

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٧٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٠٣، ٤٥٦٥، ٤٦٥٩) ، ومسلم رقم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ .

كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

وقال : ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وهو كقولك : أغلقت الأبواب ، وغلقت الأبواب ، كان القربان في عهد موسى يجعل في مكان منفرد ، فتنزل نار من السماء تأكله إذا كان حلالا .

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ شيء يستمتع به مدة ثم يزول فيغيّر صاحبه به. ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي : من الأمور التي تحتاج إلى عزم قوي ، ومجاهدة للنفس . وجواب الشرط محذوف ؛ لأن كونه من عزم الأمور ليس معلقا على شرط .

﴿ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ نسبه إليهم ؛ لأنه مأخوذ عليهم ؛ كقوله : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ كسوه بالذهب ، وغشوه بالحرير ، وطيبوه بالمسك ، ولم يعملوا به فنبذوه وراء ظهورهم ، ولو عملوا به لم يكونوا نابذين له وراء ظهورهم .

وقيل لابن عباس : لئن كان كل من فرح بما أوتي معذبا فقد هلكنا ! فقال : هذه الآية نزلت في اليهود ؛ لأن قبلها : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، وبعدها ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾ وذلك أن النبي ﷺ سأل اليهود عن شيء فأخبروه بخلاف الحق ، وأروه أنهم قد نصحوه واستحمدوا له فيما نقلوا ، فنزلت هذه الآية

﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾[(١)].

﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ موضع الخبر الثاني لقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تكرير للعامل لبعد العهد به؛ كقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون].

﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ قيل: في الصلاة. وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين[(٢)]: «صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب»[(٣)].

أي: قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ أي: لا يكون لأعمال العباد ثواب ولا عقاب.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا
يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ
الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾
فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا
يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾
لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا
عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ١٢٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٣٧)، رقم (٢٧٥)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠٥) نسبته لابن أبي حاتم وابن المنذر،عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف، أسلم قديما هو وأبوه وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات ولم يزل في بلاد قومه ويتنزل إلى المدينة كثيرا إلى أن قبض رسول الله ﷺ فتحول إلى البصرة فنزلها وولي قضاءها إلى أن مات بها. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤ / ٧٠٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١١١٧)، وأحمد في المسند (٤ / ٤٢٦)، وأبو داود رقم (٩٥٢)، والترمذي رقم (٣٧٢) من حديث عمران بن حصين.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ مخلداً ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ . وقوله : ﴿يُنَادِى﴾ أي : يرفع صوته يدعو الناس إلى الإيمان . ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أي: في زمرتهم . ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ قيل : على تصديق رسلك . وقيل : على ألسنتهم . روي أن أم سلمة [1] قالت : «يا رسول الله لو كان في النساء خيرا لأنزل فيهم قرآناً ، فنزلت ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ ونزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] [2] ».

﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ كالتجارة ، وكثرة أموالهم ، فذلك ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ جهنم . النزل : دار الضيافة التي تهيأ للوافد قبل وصوله .

﴿ٱصْبِرُوا۟﴾ عند الشدائد ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ عند اللقاء ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ قيل : المراد : ورابطوا الثغور. وقيل : هو من رباط الخيل ، أي : سابقوا إلى مرابطتها كل سابق .

* * *

(١) هي السيدة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين ، تزوجها أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال ، وأسلما وهاجرا الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة فمات زوجها ، فتزوجها ﷺ سنة أربع من الهجرة . وتوفيت سنة ستين هجرية .
تنظر ترجمتها في : الإصابة لابن حجر (٤ / ٤٥٩ ، ٤٦٠) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٣٥) والحديث رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٠٢٣) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٣٠٠) ، وابن جرير في تفسيره (٤ / ١٤٣) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٤٣) رقم (٢٨٥) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٢ / ١٩٧) ، لسعيد بن منصور وابن المنذر وعبد الرزاق وابن أبي حاتم ، من حديث أم سلمة وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٢٠) .

سورة النساء [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ .

قوله : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ معطوف على فعل محذوف ، التقدير : خلقكم من نفسٍ واحدة أنشأها ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، فحذف المعطوف عليه أولا ؛ لدلالة الكلام عليه ، ثم فسر كيفية خلق الكل من نفس واحدة ، بأنه خلق منها زوجها ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ وقيل: قوله : ﴿وَخَلَقَ﴾ معطوف على قوله ﴿ خَلَقَكُم ﴾ والتقدير: الذي خلقكم من نفس واحدة، والذي خلق منها زوجها ، والذي بثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء فيكون الخطاب على الأول لبني آدم كلهم ، وعلى الثاني لقريش . قرئ « والأرحامِ »[1] بالخفض عطفا على الهاء في «به» وهو عطف المجرور الظاهر على المجرور المضمر ، والأكثر أن يكون بإعادة الجار، وخلافه جائز ؛ كقوله [من البسيط] :

.... فما بِكَ والأيامِ منْ عجبِ [2]

وقول الآخر [من الوافر] :

أكُرُّ على الكتيبةِ لا أُبالي أَحَتْفي كانَ فيها أمْ سِواها [3]

---

(١) قرأ حمزة بن حبيب من العشرة «والأرحامِ» ، وقرأ باقي العشرة «والأرحامَ». **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ١٥٧) ، الحجة لابن خالويه (ص: ١١٨، ١١٩) ، حجة أبي زرعة (ص: ١٨٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٢٦) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٤١) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٧) .

(٢) هذا عجز بيت وصدره : فاليوم قد بتَّ تهجونا وتشتمنا فاذهب ....

ينظر بلا نسبة في: الإنصاف لابن الأنباري (١/ ٤٦٤)، خزانة الأدب للبغدادي (٥/ ٢٣)، شرح الأشموني للألفية (٢/ ٤٣٠)، شرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٠٧)، شرح المفصل لابن يعيش (٣ / ٧٨،٧٩) ، الكتاب لسيبويه (٢ / ٣٩٢) ، همع الهوامع للسيوطي (١ / ٣٨٢) .

(٣) البيت للعباس بن مرداس ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ٤٨) ، خزانة الأدب للبغدادي (٢/ ٤٣٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٥٣٠) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص ١٥٨)، وبلا نسبة في الإنصاف لابن الأنباري (١/ ٢٩٦)، خزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٤٣٨) .

ويروى الشطر الثاني : .... أفيها كان حتفي أم سواها

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا
(٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا
تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ (٣) وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ
لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا (٤) وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا
وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٥) وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم
مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ
وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
حَسِيبًا (٦) ﴾.

لا يجوز إعطاء اليتيم ماله قبل البلوغ ، وبعد البلوغ لا يسمون أيتاما حقيقة .

وقوله : ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾ سماهم يتامى ، مجازا باسم ما كانوا عليه ، وفيه تلويح بسرعة (٣٠/ أ) الإعطاء عقب البلوغ والرشد ؛ لأنه أقرب إلى إطلاق هذا المجاز، فلا يقال لابن خمسين عاما : إنه يتيم . ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ فإن علمتم . ويحرم أكل مال اليتيم ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ وبغير إسراف ولا بدار ، وإنما خصص الأول بالنهي ؛ لأنه أقبح ؛ كقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾ [آل عمران: ١٣٠] ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ كان ولي اليتيم يأخذ شاة سمينة من غنم مولاه ويعطي مكانها مهزولة ؛ ليبقى العدد بحاله ، فنهوا عن ذلك ، أي : ولا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم .

والحوب : الإثم . كانوا يتحرجون من أكل مال اليتيم ، ويتزوجون نسوة ولا يعدلون فيهن فقيل لهم : وإن خفتم التحرز في أموال اليتامى فاعدلوا أيضا في أمر الزوجات .

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ بالواو ، ولو قال : أو ثلاث أو رباع لفسد المعنى ؛ كما إذا أعطى رجل رجلا ألفا ، وقال : فرقها ثلاثة ثلاثة , أو أربعة أربعة ، أو خمسة خمسة ، لم يجز أن يخالف بينهم في العطاء ، فيعطي هذا أربعة وهذا خمسة . ولو قال : فرقها ثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة، وخمسة خمسة ، جاز أن يعطي هذا ثلاثة وهذا أربعة وهذا خمسة . ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ أي: فانكحوا واحدة ، أو ما شئتم من السراري ؛ فإن السراري لا حجر على مالكهن فيهن في قسم ولا مبيت . ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ أي : أن لا تجوروا . وهذا قول الأكثرين .

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾

قال الشافعي – رحمه الله : أي : لا يكثر من تعولون [١]، واحتج به الشافعي على وجوب نفقة الزوجات ، وأنكر جماعة من أهل اللغة ذلك ، فقالوا : يقال في الجور : عال يعول ، وهو المراد ها هنا ؛ كقوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ وانتصر الزمخشري للشافعي ، مع أنه حنفي ، وقال: روي ذلك عن أهل اللغة أنه يقال: من كثر عياله عال يعول ، وأعال يعيل [٢].

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ أي : طابت أنفسهن . وقال بعض العلماء : لا يجوز

---

(١) ينظر : أحكام القرآن للشافعي (١/ ٢٦١) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (١/ ٤٩٧، ٤٩٨) أورد هذا القول جماعة كأبي بكر بن داود الرازي ، والزجاج وغيرهما ؛ قال الرازي : «هذا غلط من جهة المعنى واللفظ ؛ أما الأول: فلإباحة السراري ، وإنه مظنة كثرة العيال كالتزوج . وأما اللفظ : فلأن مادة «عال» بمعنى : كثر عياله ، من ذوات الياء ؛ لأنه من « العيلة » ، وأما «عال» بمعنى : جار ، فمِنْ ذوات الواو ، فاختلفت المادتان ، وأيضاً فقد خالف المفسرين».

وقد رُدَّ على هؤلاء: أما قولهم : التسري أيضاً يكثر معه العيال ، مع أنه مباح ، فممنوع ؛ وذلك لأن الأَمَةَ ليست كالمنكوحة ، ولهذا يعزل عنها بغير إذنها ، ويؤجرها ، ويأخذ أجرتها ينفقها عليه وعليها وعلى أولادها . قال الزمخشري في «الكشاف» : وجهه أن يُجْعَل من قولك : عال الرجل عياله يعولهم؛ كقولك : مانهم يمونهم ، أي : أنفق عليهم ؛ لأن من كثر عياله ، لزمه أن يعولهم ، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب ، وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين (يعني: الشافعي رحمه الله) حقيق بالحمل على الصحة والسداد ، وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا ، ثم أثنى على الشافعي قائلاً : بأنه كان أعلى كعباً ، وأطول باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ، ولكن للعلماء طرقاً وأساليب ، فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات . وأما قولهم : خالف المفسرين ، فليس بصحيح ، بل قاله زيد بن أسلم وابن زيد. وأما قولهم: اختلفت المادتان ، فليس بصحيح أيضاً ، فقد حكي عن العرب: عال الرجل يعول: كثر عياله. وتعولوا : تفتقروا ، وكثرة العيال سبب للفقر . وقال ابن كثير : والصحيح قول الجمهور : ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي : لا تجوروا ، يقال : عال في الحكم إذا قسط وظلم وجار .

وينظر في ذلك : تفسير ابن كثير (١ /٥٩٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٠٤) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٤٩٧ ، ٤٩٨) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢ / ١١) ، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٩ / ١٤٤- ١٤٦) وقد رد السمين الحلبي في الدر المصون على قول أبي بكر الرازي ، ونصر تفسير الشافعي ـ رحمه الله ـ ووجَّهَهُ .

للمرأة أن تفتدي بجميع صداقها ، بل ببعضه ؛ لقوله : ﴿عَن شَيْءٍ مِّنْهُ﴾ (١) .

﴿هَنِيٓـًٔا﴾ غير منغص ، ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ يحسن استمراؤه . ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ يعني : النساء والصبيان . وقوله : ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي : اتجروا لهم فيها ؛ لئلا تأكلها النفقة .

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾

وقال في المحتضر: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ لأن القصد (٣٠/ ب) بهذا الأمر أن يواسي القريب المحجوب بشيء من المال الحاضر الذي امتدت عينه إليه ، وليس المراد أن يتجر في المال حتى يعطى من الفائدة .

وإذا حضر أحد عند من حضرته الوفاة ، ورآه يوصي ويجحف بالورثة ، فعلى الوارث أن ينهاه ، ويقدر في نفسه أنه هو المحتضر وإن رأى شخصا يغري الموصي بالإجحاف بالورثة، فعليه أن ينهاه وليدله علي الصواب بلطف .

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ أي : سبب عذاب نار . والصلي : الدخول في النار ، ثم الإطباق عليها كما يفعل في تنور الشواء ، ومنه : شاة مصلية .

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ يريد بالأنثيين : ما إذا كن في مسألتين ، وكانوا إخوة لأب وأم أو لأب ، فأما الإخوة لأم ، فذكرهم وأنثاهم سواء ، وأما إذا اجتمعت أختان من أب ، فلهما الثلثان وليس للأخ الواحد إذا انفرد الثلثان ، بل له المال كله ، وكذلك الأولاد.

﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾ قيل : «فوق» زائدة ؛ كقوله : ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [الأنفال: ١٢] وقيل : هذه الآية دلت على فرض البنت الواحدة ، وفرض ما زاد عن

(١) نقله الزمخشري في الكشاف (١ / ٤٧١) عن الليث بن سعد : أنه لا يجوز أن تتبرع المرأة إلا باليسير .

البنتين، وأما البنتان فاستحقاقهما الثلثين مأخوذ من الخبر والمعنى ؛ أما الخبر فروي : «أن زوجة سعد جاءت ومعها ابنتان ، وقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد ، وقد توفي وأخذ عمهما مالهما، والله لا ينكحان إلا بمال، فأعطى الرسول ﷺ البنتين الثلثين وللزوجة الثمن، وللعم الباقي[1]».

وأما المعنى : فإن الله – تعالى- فرض للأختين الثلثين بقوله : ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٧٦] فإذا فصل ذلك في الأختين ، فالبنتان أولى بذلك ؛ لأن الأخوات مع البنات عصبة ، لا تأخذ الأخوات إلا ما فضل عن فرض البنات .

قوله : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ ولو قال :لأبويه السدس. لظن أنهما يشتركان في السدس . ولو قال : ولأبويه الثلث لما عرف كيف يقسم؛ بالسوية بينهما ، أم للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والأخوان والأختان (٣١/أ) والأخ والأخت ، كل فريق منهم يحجب الأم من الثلث إلى السدس .

وقال ابن عباس : لا يحجبها إلا ثلاثة فصاعدا ثلاثة إخوة ، أو ثلاث أخوات ، أو أخوان وأخت، أو أخ وأختان ؛ لقوله – تعالى : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ﴾ والإخوة جمع وأقل الجمع ثلاثة [2] . وقال الحسن البصري : لا يحجب الأم من الثلث إلى السدس إلا ذكور الإخوة أو ذكورهم مجتمعين مع الإناث ، وأما الأخوات الخلص فلا يحجبونها إلى السدس ؛ لقوله – تعالى : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ﴾ لأن الإخوة تشمل الذكور المنفردين ، وتشمل الذكور المجتمعين مع الإناث ، ولا يدخل فيه الإناث الخلص[3].

﴿ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ فلا توصي لأحد من الورثة زيادة على ما أعطاه الله ؛ رجاء منك أنه ينفع أولادك ، وينفع من يخلفه بعدك من إلزامك ، فإنك لا تدري أيهم أقرب لك نفعا وأبعد ضررا. ﴿ فَرِيضَةً ﴾ مصدر التقدير : فرض الله ذلك فريضة .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٥٢)، وأبو داود رقم (٢٨٩١، ٢٨٩٢)، والترمذي رقم (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٤٩، ١٥٠)، رقم (٢٩٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٥/ ٦٢) ، والبيضاوي في تفسيره (١/ ١٥٣) ، وذكره ابن قدامة في المغني (٧/ ٢٨) من المسائل التي خالف ابن عباس فيها الصحابة ﷺ جميعا .

(٣) تنظر : المراجع السابقة .

للزوجتين والثلاث والأربع ما للواحدة من الربع أو الثمن ، ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ ﴾ أو امرأة ﴿ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾ يعني يرثه من عدم عمود النسب من أعلاه وأسفله فلا كلالة له مع وجود الأب والجد والأم والجدة وإن علوا ، ولا إن وجد الابن أو البنت أو بنت الابن ، أو ابن الابن .

والكلالة التي في آخر السورة (١) وهم الإخوة من الأب والأم ، أو من الأم . والكلالة ها هنا من الأم خاصة ، فيأخذون ما لأمهم ، فإن زاد أولاد الأم على واحد حصلت لهم القوة بالكثرة ، فأعطيناهم نصيب الأم في أكمل أحوالها، وهو الثلث وإن كان واحدا أو واحدة من الإخوة للأم، أعطي أقل فروض الأم وهو السدس .

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يجوز أن يكون مصدرا : يوصيكم الله في أولادكم . أو مفعولاً به . ﴿ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾ أي : لا يضار بوصية من الله ، ولا يزد عليها ، ولا ينقص فيها . قوله : ﴿ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ﴾ بزيادة أو نقص ، ويعتقد جوازه ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ .

(١) في الآية (١٧٦) قوله – تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾

كانت عقوبة الزنى في أول الإسلام على النساء : الحبس حتى يتوفاهن الموت ، أو يجعل الله لهن سبيلا . وعلى الرجال : الإيذاء بما يراه الإمام (٣١/ب) حتى يتوبوا ، أو يصلحوا، فقال النبي ﷺ: خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا؛ البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم [(١)] .

وظاهر هذا الخبر أن يجمع المحصن بين الجلد والرجم ، وليس كذلك لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ، ولم يجلدهما [(٢)]، فنسخ فعله ذلك الخبر .

قوله : ﴿ بِجَهَـٰلَةٍ ﴾ أي : بإقدام ، وليس يريد بالجهل : ضد العلم ، فإن الجاهل بالتحريم، لا حد عليه ، ولا إثم ، وإنما هو كقول الشاعر [من الوافر] :

ألا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ علينا فنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهلينا [(٣)]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٦٩٠) ، وأحمد (٥/ ٣١٣، ٣١٧) ، وأبو داود رقم (٤٤١٥)، والترمذي رقم (١٤٣٤) ، وابن ماجه رقم (٢٥٥٠) عن عبادة بن الصامت ﷺ .

(٢) أما رجم ماعز : فرواه البخاري في صحيحه رقم (٦٨٢٥)، ومسلم رقم (١٦٩١) ، وأحمد في المسند (٢/ ٤٥٣)، وأبو داود رقم (٤٤١٩)، والترمذي رقم (١٤٢٨). وأما رجم المرأة الغامدية : فرواه مسلم في صحيحه رقم (١٦٩٥) ، وأحمد في المسند (٤/ ٤٢٩، ٤٣٥)، وأبو داود رقم (٤٤٤٢) ، والترمذي رقم (١٤٣٥) .

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم ، **ينظر في** : أمالي المرتضي (١/ ٥٧)، بهجة المجالس (٢/ ٦٢١)، جمهرة أشعار العرب (١/ ١٤) ، خزانة الأدب للبغدادي (٦/ ٤٣٧)، ديوان عمرو بن كلثوم (ص:٧٨)، شرح شواهد المغني (١/ ١٠) ، شرح القصائد السبع (ص : ٤٢٦) ، لسان العرب (رشد) .

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ أي : بالغرغرة . وفي الحديث : «إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر[(١)]». فإذا حضر أسباب الموت لم يقبل من الكافر إيمانه ولا من المؤمن توبته .

كان الرجل إذا تُوفيَ وله زوجة طرح ابنُه أو وارثُه على خبائها ثوبه أو مئزرا ، ويعتقد أنه ورثها كذلك كما يرث أموال مورثه ومنافعه ، فإذا أراد دخل عليها وأبقاها في عصمته بغير مهر ، وإن شاء زوَّجها لمن شاء وأخذ المهر ، فنزلت ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [(٢)] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ يجوز أن يكون مجزوما بالنهي، ومنصوباً بالعطف على أن ترثوا. ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ فله حينئذ أن يضيق عليها ويمنعها من الخروج ، لتفتدي إن شاءت .﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ ﴾ فلا تعجلوا بالطلاق . ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

روي أن عمر قال على المنبر: يا أيها الناس لا تغالوا في مهور النساء ، فلو كان خيرا لسبقكم به رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا أعلم أحدا زاد على مهورهن إلا علوته بالدرة ، فكانت مهورهن خمسمائة درهم ، فقامت امرأة وقالت : يعطينا الله ويمنعنا عمر ، فقال لها عمر : وأين أعطاك الله ؟ فقالت : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ فقال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، كل الناس أفقه من عمر[(٣)] !

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٣٢، ١٥٣)، والترمذي رقم (٣٥٣٧)، وابن ماجه رقم (٤٢٥٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٧)، من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٨٠٢) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤ / ٣٠٦) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٥١)، رقم (٣٠٠) .

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٣٣) وقال: هذا منقطع . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٧) ونسبه لسعيد بن منصور وأبي يعلى وقال السيوطي : بسند جيد . =

قيل في قوله : ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ هو قول الولي للزوج : أزوجك على ما (٣٢/أ) أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ومن دأب الإنسان إذا تزوج ثيبًا أن يبغض زوجها الأول ، ويود أن ينتقصه كلما ذكر ، فلو جوز له أن يتزوج امرأة أبيه ، لأفضي إلى بغضه لأبيه ، وانتقاصه ومقته ، وكانوا يسمون الوالد من زوجة الأب : المقتي . ولذلك قال – تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا ﴾ وقوله : ﴿ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ يعني بالنكاح : العقد .

وقال أبو حنيفة : المراد به الوطء ، فإذا زنى رجل بامرأة ، حرمت على ابنه عنده ، وعند الشافعي : الزنى لا يحرم الحلال [1].

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ

= وهو جزء من قصة المرأة التي اعترضت أمير المؤمنين عمر ﷺ عندما أراد أن يحدد قدرًا معينًا من المهور في الزواج ، وهو أمر شائع ومشهور بين الناس ، وقد قال العلامة الشيخ ناصر الألباني – رحمه الله – في إرواء الغليل (٦ / ٣٤٧ – ٣٤٨) : أما ما شاع على الألسنة من اعتراض المرأة على عمر فهو ضعيف منكر ، يرويه مجالد عن الشعبي عن عمر ، وله طريق عند عبد الرزاق في المصنف (٦ / ١٨٠) ، رقم (١٠٤٢٠) وقال الشيخ الألباني عن هذا الطريق : إسناده ضعيف .

(١) قال الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار (٤ / ٤٧٩) : يرى الأحناف أن من زنى بامرأة ، أو لمسها أو قبلها أو نظر إلى فرجها بشهوة حرم عليه أصولها وفروعها وتحرم هي على أصوله وفروعه ، وتثبت حرمة المصاهرة عندهم بالزنى ومقدماته ودواعيه ، ولو زنى الرجل بأم زوجته أو بنتها حرمت عليه حرمة مؤبدة . ويرى جمهور العلماء أن الزنى لا تثبت به حرمة المصاهرة . واستدل الجمهور على هذا بما يأتي : بقوله – تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ فهذا بيان عما يحل من النساء بعد بيان ما حرم منهن، ولم يذكر أن الزنى من أسباب التحريم. وقال النبي ﷺ : «لا يحرم الحرام الحلال ، إنما يحرم ما كان بنكاح» وقد سأله رجل زنى بامرأة وأراد أن يتزوجها أو يتزوج ابنتها . ثم إن هذه مسألة مما تمس إليها الحاجة وتعم بها البلوى وما كان الشارع ليسكت عنها أو يفصل فيها ، وقد كانوا قريبي عهد بجاهلية تفشى فيها الزنى ، فلو فهم أحد منهم أن لذلك مدركا في الشرع أو تدل عليه علة وحكمة لسألوا عن ذلك وتوفرت الدواعي على نقل ما يفتون به. وينظر في ذلك : المبسوط للسرخسي (٤/ ٤١)، مختصر المزني (١/ ١٨١) ، المغني لابن قدامة (٧ / ٤٩٢).

مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ هذا عام لم يدخله تخصيص ، ويدخل فيه أمهات النسب وأمهات الرضاعة ، وإن علون . كذلك الكلام في بناتكم وكذلك الأخوات الأشقاء، ومن الأب أو الأم من النسب والرضاع ذكر من المحرمات سبعا .

ومن المصاهرة : أمهات نسائكم ، وربائبكم ، وحلائل أبنائكم ، وزوجة الأب ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴾ ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ فذكر من المصاهرة خمسا وبقي من المحرمات اثنان بالرضاع ، وهما ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ فالجملة : أربعة عشر . ويشترط في تحريم بنت الزوجة الدخول بأمها ، ولا يشترط في تحريم أم الزوجة الدخول ببنتها وهو ظاهر في الكتاب العزيز.

ومن جهة المعنى : أن المرأة إذا عقد عليها ، فالعادة جارية بذهاب الأم إلى بيت الأصهار والاجتماع بهم في تقرير أمر الدخول ، والسكن وغير ذلك مما جرت العادة بالحديث فيه فاحتيج إلى كون الأم محرما عقب العقد على ابنتها .

ولم تجر العادة أنه إذا عقد على امرأة تذهب ابنتها إلى بيت الأصهار ؛ لتقرير مصالح الدخول ، فلم يحتج إلى مقدم المحرمية .

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ يحترز به عن زوجة الابن المتبنى ، وهو حلال بمفهوم هذه الآية وبصريح قوله - تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب] .

﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ ﴾ أي : في عهد الجاهلية ، فلا يؤاخذون به بعد الإسلام . أو : إلا ما قد سلف بعد الإسلام وقبل نزول هذه الآية .

قوله : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ ويحرم تزويج المتزوجات . وقوله : (٣٢/ ب) ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ يريد به السبايا المزوَّجات ، فإنا إذا سبينا امرأة مزوجة ، ولم يكن زوجها معها

انفسخ نكاحها ، وحل للمسلمين أن يتزوجوها .

﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ نصب على المصدر ، ولا ينتصب على الإغراء ؛ لأن معمول المجرور لا يتقدم عليه . ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا ﴾ عدا ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ثم فسره بقوله : ﴿ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم ﴾ ﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ غير واطئين بالزنى . وكانت المتعة في ابتداء الإسلام بقوله : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ .

ثم نهى رسول الله ﷺ عنها يوم خيبر[1] .

ومن لم يكن تحته حرة ولا قدر على مهر حرة مسلمة جاز له أن يتزوج الأمة إذا خاف من الوقوع في الزنى ، فإن قدر على نكاح حرة كتابية ، فقد اختلف فيه مذهب الشافعي ووجه اشتراط إيمانها قوله : ﴿ أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ وكذلك الأمة التي ينكحها في جواز كونها كتابية وجهان[2] لقوله - تعالى: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ . قوله : ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي : أعطوا ساداتهن مهورهن .

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٧٤) : زواج المتعة كان مشروعا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك ، وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ مرتين . وقال آخرون : أكثر من ذلك . وقال آخرون : إنما أبيح مرة ثم نسخ ولم يبح بعد ذلك ، وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة ، وهو رواية عن الإمام أحمد وكان ابن عباس وأبي كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون : (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة) وقال مجاهد : نزلت في نكاح المتعة . ولكن الجمهور على خلاف ذلك . والعمدة ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب قال : «نهى رسول ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر». وروى مسلم عن سبرة بن معبد الجهني: «أنه غزا مع رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فقال:يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا.

وينظر في ذلك : الأم للشافعي (٥ / ٢٥٦)، المغني لابن قدامة (٧ / ٥٧١) .

(٢) **ينظر** : الأم للشافعي (٥/ ١٥) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ٥٤٦)، المغني لابن قدامة (٧/ ٥١١).

خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ
وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ
أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن
يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم
بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

والمسافحات: التي تزني بمن وجدت ، ومتخذات الأخدان : التي يكون لها شخص معين.

وقوله : ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ أي : إذا أسلمن فإن المحصنة والبكر في أمر حد الأمة سواء.

والعنت : المشقة الشديدة . ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ يعني : عن نكاح الأمة ؛ فلما فيه من استرقاق الولد ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ اللام بمعنى أن أي : يريد الله أن يبين لكم ؛ كقوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام: ٧١] ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾ [غافر: ٦٦] . وهذا يقع بعد الأمر والإرادة كثيرا .

السنن جمع سنة ، وهي الطريقة . وقوله : ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ استثناء من غير الجنس ومن قرأ تجارةً بالنصب تقديره : إلا أن تكون التجارة تجارة . ومن قرأ تجارةٌ بالرفع، جاز أن تكون كان ناقصة وتامة[1] .

وقوله : ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ يعني : من خالف أوامر الله هان عليه تعذيبه ؛ فإن الله – تعالى- لا يمتدح بقدرته على فاسق ؛ كقوله في نساء النبي : ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الأحزاب] يعني : إن المعصية تضع قدرهن إذا فعلن ذلك حتى صار تعذيبهن هينًا عليه.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا
﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف «تجارةً» وقرأ باقي العشرة «تجارةٌ» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٣١)، حجة أبي زرعة (ص : ١٩٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٥٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣١) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٠٢)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٩) .

نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ تمسكت المعتزلة بهذه الآية في أن من مات مُصِرًّا على كبيرة (٣٣/أ) يخلد في النار ولا يدخل الجنة ؛ لأنه يُشترَطُ في دخوله مدخلا كريما أن يجتنب الكبائر ، وأهل السنة تمسكوا بقوله - تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ويدخل فيه مرتكب الكبيرة ، والمصر على الصغيرة ، وأمر الكل موكول إلى المشيئة [١] . والكبائر : ما ثبت فيه حد .

وقيل: ما هدد فيه بدخول النار . وقيل : الكبائر أمهات المعاصي ، والصغائر توابعها فالزنى كبيرة ، وملامسة المرأة والخلو بها ومضاجعتها وتقبيلها صغائر ، وشرب الخمر كبيرة، وقد: «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة ؛ حاملها ، وبائعها ، ومشتريها ، وآكل ثمنها ، والمحمولة إليه ، وحاضرها ، وعاصرها ، ومعتصرها [٢]».

قوله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ هذا هو الحسد ، وهو أن يتمنى الحاسد نعمة المحسود ، فأما إذا طلب مثلها ، فهو غبطة غير محرمة . غير أن في هذه الآية زيادة ، وهو النهي عن تمني ذلك .

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ

---

(١) قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في العقيدة الطحاوية : "وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون فيها إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر - عز وجل- في كتابه : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته. فعلى هذا فإن فاعل الكبيرة والمصر على الصغيرة لا ينفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه، ولا يوصف بالإيمان الكامل ، ولا يحكم عليه في الآخرة بجنة ولا بنار ، بل هو في مشيئة الله - عز وجل- وإن مات بغير توبة ، إن شاء الله -عز وجل- غفر له بفضله ورحمته ، وإن شاء عذبه بعدله وحكمته".

ينظر: شرح الطحاوية (ص : ٣٦٩، ٣٧٠) **وينظر** عن رأي المعتزلة: الكشاف للزمخشري (١/ ٥١٩).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٥،٧١)، وأبو داود رقم (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٤، ١٤٥) من حديث ابن عمر . ورواه الترمذي رقم (١٢٩٥)، وابن ماجه رقم(٣٣٨١) ، عن أنس. وقال الشيخ الألباني في الإرواء (١٥٢٩، ٢٣٨٥) : وإسناده صحيح .

حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ (١) . استدل به أبو حنيفة على أن الحليف يرث السدس من مال محالفه ، وعند الشافعي وغيره : أن آية المواريث نسخت ذلك(٢).

وقوله: ﴿ مِمَّا تَرَكَ ﴾ أي: مما ترك المتوفَّى، أو المولى عليه. وقوله: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ تفسير للمضمر بعد كل الذي جعل التنوين في كُلٌّ بدلا عن الإضافة إليه (٣).

وقوله : ﴿ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ جاء في سببها أن رجلا كره من امرأته أمرا فلطمها لطمة طلب أهلها القصاص ، فنزلت هذه الآية(٤). وإن خاف نشوز المرأة اقتصر على ضربها، فإن نشزت مرة واحدة وعظها وهجرها في الفراش . وهل له أن يضربها؟ فيه قولان، ولا يحل هجران كلامها أكثر من ثلاث، لا هي ولا غيرها، فإن تكرر منها النشوز جاز له ضربها، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ تعريض بالعفو عن المرأة ، وعمن

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب «عاقدتْ» ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف «عقدت» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٣٨)، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٣) ، حجة أبي زرعة (٢٠١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٥٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣٣) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٠٤)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٩) .

(٢) ذهب أبو حنيفة وأصحابه وروي عن أحمد في رواية عنه إلى التوارث بالحلف ، وذهب الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه إلى رد ذلك . ينظر : بدائع الصنائع للكاساني (٤ / ٧) ، المبسوط للسرخسي (٦ / ٤٩) ، المغني لابن قدامة (٧ / ٨٣) .

(٣) قال ابن عاشور في تفسيره التحرير: والتنوير (١/ ٩٣٩): «وشأن كل إذا حذف ما تضاف إليه أن يعوض التنوين عن المحذوف فإن جرى في الكلام ما يدل على المضاف إليه المحذوف قدر المحذوف من لفظه أو معناه، فيجوز أن يكون المحذوف مما دل عليه قوله قبله (للرجال نصيب) و(للنساء نصيب) فيقدر: لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أي حظ من رزق الله أو: ولكل أحد جعلنا موالي مما ترك أي وراثا مما ترك على أن من صلة موالي لأنهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله: «الوالدان والأقربون» كأنه قيل: من هم؟ فقيل: الوالدان والأقربون .

وينظر في ذلك أيضا : الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٥٦) ، روح المعاني للألوسي (٥/ ٢١) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٥ / ٥٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٥١٢) لعبد بن حميد عن الحسن .

يذنب، بمعنى: أنه مع علوه وكبريائه يعفو عن المذنبين ، فأنتم أولى بالعفو .

وقوله : ﴿ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ بمعنى: بأمارة دلت على ذلك ، فأما إذا لم يكن عليه دليل فلا يجوز مؤاخذتها به . والواو في قوله : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ للتنويع .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ﴾

﴿ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ والأولى أن يكونا من أهلهما ؛ لأنهما أخبر بمصالحهما من الأجنبي .

وفي قول : هما وكيلان للزوج، فيوكل الرجل (٣٣/ ب) حكما في الطلاق وقبول العوض، وتوكل المرأة حكما في بذل العوض . وفي قول : هما حكمان يحكمان بما يريانه صوابا من الإصلاح والتفريق . وفي التنبيه : صحح هذا القول ، وغيره صحح الأول[1] .

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ يجوز أن يعود الضميران الأول إلى الحكمين والثاني إلى الزوجين ، إن يريد الحكمان مجرد الإصلاح يوفق الله بين الزوجين ببركة بعث [الصالحين] وقيل عكس هذا ، إن يرد الزوجان إصلاحا يوفق الله بين الحكمين .

---

(١) **ينظر** : التنبيه للشيرازي (١/ ١٧٠) ط عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ ـ تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، وعبارته : «وإن ادعى كل واحد منهما على صاحبه الظلم والعدوان أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم فإن بلغا إلى الشتم والضرب بعث الحاكم حرين مسلمين عدلين والأولى أن يكونا من أهلهما لينظرا في أمرهما ما فيه المصلحة من الإصلاح أو التفريق وهما وكيلان لهما في أحد القولين فلا بد من رضاهما فيوكل الزوج حكما في الطلاق وقبول العوض وتوكل المرأة حكما في بذل العوض وهو الأصح» . وقال في المهذب (٢ / ٧٠) ط . دار الفكر ـ بيروت : «واختلف قوله في الحكمين فقال في أحد القولين : هما وكيلان فلا يملكان التفريق إلا بإذنهما لأن الطلاق إلى الزوج وبذل المال إلى الزوجة فلا يجوز إلا بإذنهما . وقال في القول الآخر : هما حاكمان فلهما أن يفعلا ما يريان من الجمع والتفريق بعوض وغير عوض؛ لقوله – عز وجل: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ فسماهما حكمين ولم يعتبر رضا الزوجين» . **وينظر** كذلك : الأم للشافعي (٥ / ١١٦) .

﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ العبادة : غاية الذلة ولا تقال إلا في حق الله - تعالى- تقول : ذللت لزيد وخضعت له، ولا تقول: عبدته، يقال: ذو قرابة ، ولا تقول : قرابتي قال الشاعر [من البسيط]:

يبكي الغريبُ عليه ليسَ يعرفُهُ   وذو قَرابتِهِ في الحيِّ مسرورُ (١)

أما القرابة فهي نسبة بين الاثنين ، ولا يخبر عن الرجل بها .

﴿ وَٱلۡجَارِ ذِی ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ تضمنت وصفين يستحق بهما الجوارُ والقرابةُ ﴿ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾ له حق واحد . ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴾ قيل : هو المجالس لك في الحضر والسفر ، وأكثر الأحوال طمعا في برِّك . ﴿ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسافر أو المريد للسفر في غير معصية . ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ ﴾ يعاملون بالرفق والإحسان .

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَـٰفِرِينَ عَذَابࣰا مُّهِينࣰا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَ ٰلَهُمۡ رِئَاۤءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡـَٔاخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينࣰا فَسَاۤءَ قَرِينࣰا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡـَٔاخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةࣲۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةࣰ يُضَـٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمࣰا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدࣲ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰۤؤُلَاۤءِ شَهِيدࣰا ﴿٤١﴾ يَوۡمَىِٕذࣲ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثࣰا ﴿٤٢﴾ يَـٰۤأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِی سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰۤ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَاۤءَ أَحَدࣱ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَاۤىِٕطِ أَوۡ لَـٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَاۤءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَاۤءࣰ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدࣰا طَيِّبࣰا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ قيل: المراد به : النهي عن كتمان صفة الرسول ﷺ، وهم اليهود ، وأمروا سفلتهم بكتمانها. وقيل: المراد بالبخل: صدقة الأموال . وقيل : أراد جميع ذلك .

المثقال : هو المقدار ، والذرة : النملة الصغيرة الحمراء لا يكاد يتأثر من يجعلها في إحدى

---

(١) البيت لعثير بن لبيد العذري ، أو لحريث بن جبلة العذري ، أو لغيرهما .

ينظر في: تاج العروس (دهر)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٤٣) ، لسان العرب (دهر) .

كفيه ﴿ حَسَنَةً ﴾ قرئ بالرفع والنصب[1] بناء على أن كان تامة .

﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ أي : كيف يكون حالهم ﴿ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ أي : يصيروا ترابا ؛ كقوله ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [النبأ: ٤٠].

وقيل : يودون لو انشقت الأرض فتبلعهم ، أولو سويت الأرض المنخفضة بجثثهم .

﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قيل : المراد مواضع الصلاة ؛ لقوله : ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ ﴾ (٣٤/أ) وعند أبي حنيفة : لا تقربوا الصلاة نفسها وأنتم سكارى ، ولا تقربوا الصلاة وأنتم مجنبون ، إلا أن تكونوا مسافرين قد عدمتم الماء ، فتصلون مع الجنابة[2].

قيل : «كانت الخمرة مباحة في أول الإسلام ، ثم صلى رجل بقوم وهو سكران ، فحذف «لا» من سورة «قل يا أيها الكافرون» ، وقال : أعبد ما تعبدون ، وأنتم عابدون ما أعبد إلى آخرها ، فنزلت تحريم السكر في أوقات الصلوات ، ثم نزل بعد ذلك تحريم الشرب مطلقا»[3]. وقوله : ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ [المائدة: ٦] مجنبين أو محدثين حدثا أصغر ، وهو معنى قوله : ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ وقرئ «أو لمستم» ومن قرأ «لامستم»[4] فهي للمفاعلة التي لا تكون إلا من اثنين ، فينتقض وضوء اللامس والملموس . ومن قرأ «أو لمستم» فلا حجة فيه على وضوء الملموس ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً ﴾ ولا يقال : لم نجد ، إلا بعد الطلب ، والمعنى : فلم تجدوا ماء فاضلا عما يحتاج إليه لعطشه ، أو لعطش رفيقه ، أو عطش حيوان محترم ، كان وجود الماء كعدمه

---

(١) قرأ «حسنةٌ» ابن كثير ونافع وأبو جعفر، وقرأ باقي العشرة «حسنةً» .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٢٥١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٣٣) ، حجة أبي زرعة (ص : ٢٠٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٦٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣٣)، الكشاف للزمخشري (١ / ٥١١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٤٩) .

(٢) **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني (١ / ١٠٥) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٠٢٦) ، والطبري في تفسيره (٥/ ٩٥) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٤٥) لعبد بن حميد وأبي داود والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب ، وحسنه الترمذي .

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف «لمستم»، وقرأ باقي العشرة «لامستم». **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٥٨)، والحجة لابن خالويه (ص: ١٢٤) حجة أبي زرعة (ص: ٢٠٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٣٧٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣٤)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٠) .

فيتيمم ، وكذلك إذا وجد الماء يباع بأكثر من ثمن المثل ، لم يلزمه شراؤه ويتيمم.﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي : اقصدوا ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي : تقصدوا ويجب في التيمم القصد إلى الصعيد فلو نوى ووقف في مهب الرياح ، وسفت عليه الرياح لم يجزه ، ولو نوى ووقف عند ميزاب[1] ، وانصب عليه الماء جاز الوضوء . والمراد بالصعيد عند الشافعي : ما صعد على وجه الأرض من تراب له غبار يعلق بالوجه واليدين ؛ لقوله : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦] وعند غيره : بكل ما صعد على وجه الأرض[2] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾

﴿أَلَمْ﴾ معناه : اعجب ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ فيستبدلونها بالهدى الذي تمكنوا منه ، وصار كالحاصل لهم ﴿وَلِيًّا﴾ فعيل يجوز أن يكون بمعنى الفاعل ، أو وكفى بالله متوليا لأموركم . أو متولى ، أي : كفى بالله يتولونه ؛ كقوله - تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٥٦] ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ أي : قوم يحرفون ؛ كقوله : (٣٤/ب) [من الرجز] : .

جادَتْ بكفَّيْ كانَ منْ أرْمَى البَشَرْ[3]

---

(١) **الميزاب:** أنبوبة من الحديد ونحوه تركب في جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع ويسمى المزراب . **ينظر** : لسان العرب (زرب) ، المعجم الوسيط (زرب) .

(٢) **ينظر** : الأم للشافعي (١ / ١١٤) وعبارته : وكل ما وقع عليه اسم صعيد لم تخالطه نجاسة فهو صعيد طيب يتيمم به وكل ما حال عن اسم صعيد لم يتيمم به ولا يقع اسم صعيد إلا على تراب ذي غبار قال الشافعي : فأما البطحاء الغليظة والرقيقة والكثيب الغليظ فلا يقع عليه اسم صعيد وإن خالطه تراب أو مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد . ويجوز التيمم عند أبي حنيفة ومحمد - رحمهما الله- بكل ما كان من جنس الأرض كالتراب والرمل والحجر والجص والنورة والكحل والزرنيخ . وقال أبو يوسف : لا يجوز إلا بالتراب والرمل . **ينظر** : الهداية للمرغيناني (١ / ٢٧) .

(٣) **ينظر** الرجز بلا نسبة في: الإنصاف لابن الأنباري (١/ ١١٤-١١٥) ، الخزانة للبغدادي (٥/ ٦٥) ، الخصائص لابن جني (٢/ ٣٦٧)، شرح الأشموني (٢ / ٤٠١) ، شرح التصريح (٢ / ١١٩) ، شرح شواهد المغني (١/ ٤٦١) ، شرح المفصل لابن يعيش (٣/ ٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٦١٦) ، لسان العرب (كون) ، المغني لابن هشام (١/ ١٦٠) ، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ١٢٠) .

وكقوله [من الوافر] :

أنـا ابـنُ جـلا وطـلاعُ الثّنايـا متـى أضـعُ العِمامـةَ تعْرفـوني[(١)]

المعنى : بكفي رجل كان ، وأنا ابن رجل جلا ، فحذف الموصوف ، مع أن الصفة جملة وحكى ابن السراج عن العرب : ما منهما مات حتى جرى له كذا[(٢)].

وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ [البقرة: ٩٦] أي : قوم ، أو فريق . ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يزيلون ﴿ٱلْكَلِمَ﴾ المنزلة في التوراة والإنجيل ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي يجب تقريره فيها . وأما قوله : ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١] فالتقدير : يحرفون الكلم بعد استقرارها في مواضعها المرادة بها . ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أصله من لوى يلوي لوياً، اجتمعت الواو والياء ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الأولى في الثانية، ومثله: كوى كيًّا، وشوى شيًّا، وحوى حويًّا . وعكسه: سيد وميت، أصله : سيود ، وميوت. سبقت الياء بالسكون ، فقلبت الواو وأدغمت .

وقوله : ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يوهمون أن المراد: غير مسمع ما تكره ، وهم يريدون : اسمع لا سمعت . ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا إيمانا ببعض وكفرا ببعض وأولئك هم الكافرون حقا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

روي: «أن كعب الأحبار لما سمع قوله - تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟﴾ الآية أسرع بالاجتماع بالمسلمين وأسلم، وقال: خشيت أن يحول وجهي إلى قفاي قبل أن أصل إلى المسلمين». ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ حين مسخوا قردة .

وقوله : ﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ أي : الذين اعتدوا في السبت ، فنسب السبت إليهم .

---

(١) تقدم تخريج البيت عند تفسير الآية (٩٦) من سورة البقرة .

(٢) ينظر : الأصول في النحو لابن السراج (١ / ٩٥) .

﴿ ٱفۡتَرَىٰٓ ﴾ اقتطع واختلق موجب إثم عظيم ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ تمدح التزكية إذا أريد بها التطهير من المعائب كقوله : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾ [الشمس] وأطلق وأراد بها نسبة المحاسن إلى الرجل حقًّا كان أو باطلا، كما في هذه الآية . الفتيل: ما في شق النواة . والقطمير : هي القشرة البيضاء التي على النواة . والنقير : نقرة في ظهر النواة ، يقال : منها تطلع النخلة ، ومعنى ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ أي : لا تظلمون شيئا وكذلك القطمير والنقير .

﴿ مُّبِينًا ﴾ إما أن يكون بمعنى ظاهرا ، وإما مظهرا ، إن كان (٣٥/أ) من بان فهو بمعنى ظاهر ، وإن كان من أبان فهو بمعنى : مظهر .

الجبت: كل معبود سوى الله .وقيل: الجبت والطاغوت اسما صنمين كانا في الجاهلية . وقيل: الجبت : الساحر ، والطاغوت : الكاهن . الطاغوت: فعلوت لكل ما تجاوز الحد ، والمراد ها هنا: كل معبود سوى الله . وقيل : هو كعب بن الأشرف [١] وسبب الآية : أن مشركي قريش سألوا اليهود وقالوا : أهل كتاب وشريعة ، فأنتم أعلم منا فننشدكم الله أينا أقرب إلى الصواب ، نحن أم محمد ؛ فإنا نصل الرحم ، ونكرم الضيف ، ونفك العاني [٢]، ونسقي الماء ، ومحمد فرق جماعتنا وسفه أحلامنا [٣] وأحلام أسلافنا ، فقالت اليهود لهم : أمركم أصوب من أمر محمد فعجَّب [٤] الله نبيه من ذلك ، وأنزل هذه الآية [٥] .

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ

---

(١) هو أحد أعداء الرسول ﷺ والمحرضين عليه من طيئ ، وهو أحد بني نبهان وأمه من بني النضير، كان شاعرا ، وآذى بشعره نساء المسلمين وشبب بهن ، فأمر الرسول ﷺ بقتله فقتل سنة ثلاث من الهجرة .
تنظر ترجمته في : تاريخ الإسلام للذهبي(١/ ١٧٦ـ١٨٢) ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ص: ٢٨٢-٢٨٤).

(٢) **العاني** : الأسير . لسان العرب (عنى) .

(٣) **أحلامنا** : عقولنا، والمفرد (حلم) ومنه قوله – تعالى: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ ﴾ [الطور: ٣٢] .
ينظر : لسان العرب (حلم).

(٤) كذا بالأصل ولعله يريد أن هذا أمر عجيب من هؤلاء الضالين والمشركين يدعو إلى العجب .

(٥) رواه الواحدي في أسباب النزول ص (١٦٠، ١٦١) رقم (٣٢٠، ٣٢١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧١) لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ يعني : محمدا ﷺ على ما أوتي من النبوة .

وفي قوله: ﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ قولان :

أحدهما : يخلق الله لهم جلودا جديدة ليذوقوا العذاب . والقول الثاني : غَيَّرَ اللهُ صفاتِ تلك الجلود المحترقة فرجعت كأن النار لم تمسها ؛ إذ لا يعذب إلا الجلود التي عُصي الله بها . وقوله : ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ ﴾ جعل تغير الصفات بمنزلة تغير الذات . تقول : جاء فلان بوجه غير الوجه الذي ذهب به، ومثل هذين القولين في قوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وفي كون الظل ظليلا وجهان: أحدهما : ظل مضاعف . والثاني: ظل لا تنسخه شمس ، بل هو دائم الثبوت لا يتغير .

لما فتح رسول الله ﷺ مكة طلب مفتاح الكعبة من عثمان بن أبي شيبة [١] فأبى أن يعطيه فلوى عليٌّ يده ، وأخذه منه قهرا ، فلما قضى رسول الله ﷺ حاجته من الدخول في الكعبة سأل العباسُ رسولَ الله ﷺ أن يوليه السدانة[٢] ويعطيه المفتاح ، وقال : اجمع لي بين السدانة والسقاية ، فأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ فأمر النبي ﷺ عليًّا ، فرد المفتاح إلى عثمان بن أبي شيبة ، فقال : أخذت بقوة وآذيت ثم جئت ترده فقال : قد أنزل الله – تعالى – في شأنك هذه الآية ، فقال : إن هذا لدينٌ شريفٌ فأسلم ، وتقرر مفتاح الكعبة

---

(١) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسمه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، حاجب البيت، أسلم في هدنة الحديبية ، وهاجر مع خالد بن الوليد ، وشهد الفتح مع النبي ﷺ وتوفي سنة ٤٢هـ بالمدينة ، وقيل : بمكة . **تنظر** ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ٩٢، ٩٣)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢/ ٤٦٠) .

(٢) **السدانة** : خدمة الكعبة ، **والسادن** : خادم الكعبة القائم بأمر نظافتها وكسوتها وحفظها.

ينظر : لسان العرب (سدن) .

بيد بني شيبة إلى الآن(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ هم الحكام القائمون بأحكام الشريعة وقيل: هم أمراء الأجناد وقيل: هم العلماء. قوله: ﴿ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ أحسن عاقبة؛ كقوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣].

كان بين يهودي ومسلم منازعة، واليهودي محق، فطلب اليهودي المحاكمة إلى محمد ﷺ، وطلب المسلم المحاكمة إلى كعب بن الأشرف اليهودي؛ لعلمه أن كعب بن الأشرف يقبل الرشا، فنزلت ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ ﴾ الآية(٢).

وروي: «أن المسلم واليهودي وأصحابهما مروا على عمر بن الخطاب فسأل عن خبرهم، فسألوه أن يصلح بينهم، فقال: رويدكم، ثم دخل فأخذ سيفه وضرب المسلم حتى برد(٣)، وقال: هكذا أحكم فيمن امتنع من طاعة الله، وطاعة رسوله فسمي عمر الفاروق لذلك؛ لأنه فرق بين الحق والباطل(٤).

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ١٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١٦١- ١٦٣) رقم (٣٢٣-٣٢٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ١٥٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٦٦) رقم (٣٣١) وفي إسناده الكلبي وهو ضعيف.

(٣) برد الرجل يبرد بردا: مات. **ينظر**: لسان العرب (برد).

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٦٦)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٨٢) للثعلبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

واعتذر أصحاب المسلم المنافق ، وحلفوا أنهم ما أرادوا بالذهاب إلى كعب إلا أن يصلح بينهم ، وهو معنى ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ الآية ، فأكذبهم الله - تعالى .

﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ أي : قولا مؤثرا في أنفسهم ؛ لغلاظته وقوته.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾

وحكى العُتْبي قال : كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فسلم ، وقال : يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ قد جئتك مستغفرا من ذنبي ، مستشفعا بك إلى ربي ، ثم أنشد [من البسيط] :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطابَ مِنْ طيبِهِنَّ القاعُ والأَكَمُ
نفسي الفِداءُ لِقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ ... فيهِ العَفافُ وفيهِ الجودُ والكَرَمُ

قال العُتبي : فنِمتُ ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ ، فقال : يا عتبي ، أدرك الأعرابي وبشره بالجنة [١].

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ لا زائدة ، أي :فوربك لا يؤمنون .

كان بين الزبير وبين رجل من الأنصار تشاجر في مسقى ماء ، وكانت أرض الزبير عالية، وأرض الأنصاري مستفلة ، فتحاكما إلى رسول الله ﷺ ، فقال : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الأنصاري : أن كان ابن عمتك يا رسول الله ؛ فإن الزبير هو ابن صفية عمة النبي ﷺ ، فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ ، ثم قال : اسق يا زبير واحبس الماء حتى (٣٦/أ)

---

(١) ذكر هذه القصة محب الدين الطبري في كتاب القِرى لقاصد أم القرى (ص : ٦٢٨، ٦٢٩) ، ونسبه لأبي أحمد بن عساكر ، ونسبه ابن كثير في تفسيره (١ / ٥١٩) للشيخ أبي منصور الصباغ في كتابه الشامل ، ونسبه المتقي الهندي في كنز العمال لابن السمعاني في الذيل بسند فيه الهيثم بن عدي الطائي وهو متروك . قال الذهبي في المغني في الضعفاء (٢ / ٧١٧) : الهيثم بن عدي الطائي أبو عبد الرحمن الأخباري ، قال أبو داود السجستاني : كذاب . وقال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ١٠٤) : متروك الحديث .

يصل إلى الجَدْر»[١] فكان في الحكم الأول قصد الإصلاح بينهما ، فلما أغضب الأنصاري رسول الله ﷺ استوعب له جميع حقه . كذا قالوا . وفيه دليل على أن القاضي يجوز أن يقضي وهو غضبان فنزلت هذه الآية في حديث الزبير والأنصاري . والتشاجر : الاختلاط بين المتخاصمين ؛ لأن كلام هذا يختلط مع كلام هذا .

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

جعل الله الخروج من الأوطان قرين القتل ؛ كما جعله في سورة الحشر قرين التعذيب .

﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ [الحشر: ٣] وعن عمر : لو كلفت أن أقتل نفسي لفعلت ، ولكن الله رحيم ، ولم يكلفنا ذلك ، فعمر من القليل[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٥٩) ، ومسلم رقم (٢٣٥٧) عن عبد الله بن الزبير. والجدر : ما وضع بين شربات النخل ، كالجدار . وقيل : المراد : الحواجز التي تحبس الماء . قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٣١٠) وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٤٦) : هو ما رفع حول المزرعة، كالجدار وقيل : هي لغة في الجدار. وقيل: هو أصل الجدار .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ١٦٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٥٨٧ ــ ٥٨٨) عن غير واحد من الصحابة أنهم قالوا ذلك . وذكره البغوي في تفسيره (١ / ٢٤٦) عن الحسن ومقاتل : لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل: والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : إن من أمتي لرجالا الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال .

﴿ثُبَاتٍ﴾ أي : جماعات في تفرقة كأشتات وأبابيل ، وواحده : ثبة . وقوله : ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ جملة معترضة بين القول والمقول .﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي : يبيعون الحياة الدنيا ، ويستبدلون بها الآخرة فالذين يشرون فاعل ، ويشرون بمعنى يبيعون . وقيل: الذين مفعول ، ويشرون بمعني يبتاعون . أي : فليقاتل رسول الله الذين يشرون . والأول أصح ؛ لقوله بعده : ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ وقوله : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وفي سبيل تخليص المستضعفين .

﴿الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ مكة قبل أن يفتحها رسول الله ﷺ .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وضعفه من جهة أنه لا يقدر على إلزامك بما وسوس به إليك، فقبول وسوسته من سوء نظر الناظر ، لا من قوة فعل الشيطان .

كان الإسلام في ابتدائه قليل الناصرين فنهي المؤمنون عن القتال ؛ لقلتهم ، ولما كثر المؤمنون وأمروا بالقتال كره بعضهم، فنزلت هذه (1) ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: كخشيتهم الله .

وقوله: ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ لابد من تأويله ؛ لأن أفعل التفضيل إن أضيفت ، وخفضت ما بعدها ، كان الموصوف بأفعل جزءا مما أضيفت إليه ، وإن نصب ما بعدها ، لم يكن الأول جزءا من الثاني ، فإذا قلت : هذه النخلة أطيب من هذه رطبا جاز ؛ لأن لها رطبا . ولو قلت : هذه النخلة أطيب رطبٍ ، لم يجز ؛ لأنه يقتضي أن تكون النخلة رطبا وإذا قلت : زيد

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥ / ١٧٠) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٧٠) رقم (٣٣٨) وفي سنده الكلبي وهو ضعيف .

أكرم أبٍ ، فزيد أب ، وهو أكرم الآباء . وإن قلت : زيد أكرم أبًا ، فلزيد أب وأبوه أكرم الآباء . ففي هذه الآية كأنه حصل للخشية خشية مجازا ، كقولهم : شعر شاعر ، وذيل ذايل(١) .

﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ ﴾ هلا أخرتنا . ﴿ بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ أي : عالية . وقيل : مبنية بالشيد وهو الجير ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ أي: نعمة ورخاء ؛ كقوله: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ليس المراد بالحسنة الطاعة ، ولا بالسيئة المعصية ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ يتشاءمون به ، ويقولون : ما أصابنا هذا السوء إلا منك حين جئتنا ؛ كقول ثمود لصالح : ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ [النمل:٤٧].

وكقول أهل أنطاكية لأصحاب عيسى : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ ﴾ [يس: ١٨] .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ
مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ
مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ
أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا
تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا
وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ أي : من نعمة وعافية ورخاء ﴿ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ وأنت لا تستحقه ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ أي:من شدة ومرض وقحط فمن نفسك أي: بذنوب أتيتها ، فعوقبت عليها بذلك ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ فعاقبه الله ، ولست بمسؤول عنه ﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أمرنا ﴿ طَاعَةٌ ﴾ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ لكنه كتاب أحكمت آياته، وما نظر المقصر من أن فيه اختلافا في بعض المواضع فهو من سوء فهم

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٣٩٦ ، ٣٩٧) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٣٦) .

الناظر [من الوافر] :

وكم من عائب قولاً صحيحًا وآفته من الفهم السقيم[1]

كان المنافقون يلقون في عسكر المسلمين أخبارا ردية عن السرايا ، ويذيعون ذلك، فيحصل الوهم في قلوب المؤمنين ، وكان ينبغي إذا اطلعوا على خبر أن يطلعوا عليه أكابر الصحابة وأمراء الأجناد ، فيعلمون صحته أو فساده ، ويعلمون ما ينبغي أن يذاع منه وما ينبغي أن يخفى . والاستنباط : إخراج الماء بالحفر عليه . ﴿لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذا يوهم أن ثم قليلا استغنوا عن فضل الله ورحمته ، ومعاذ الله من ذلك ، بل التقدير : أذاعوا به إلا قليلا ، أو لعلمه الذين يستنبطون إلا قليلا . أو لكان أكثركم (٢٧ / أ) يتبعون الشيطان ، لكن فضل الله ورحمته صار بها جَعْلُ اتباع الشيطان أقل ، واتباع الحق أكثر .

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾

ادعى بعض المفسرين أن النصيب يستعمل في الخير والشر ، وأن الكفل لا يستعمل إلا في الشر ، واحتج بهذه الآية ، ويرد عليه قوله : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾[2] .

---

(١) البيت للمتنبي ، ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي (١ / ١٩٢) ، روح المعاني للألوسي (١ / ١٦) ، قرى الضيف لابن أبي الدنيا (١ / ١٥٨) ط . أضواء السلف ـ الرياض ـ ١٩٩٧ م ـ تحقيق عبد الله المنصور .

(٢) سورة الحديد ، الآية (٢٨) قال الألوسي في روح المعاني (٥/٩٨): «كفل منها أي : نصيب من وزرها» وبذلك فسره السدي والربيع وابن زيد وكثير من أهل اللغة فالتعبير بالنصيب في الشفاعة الحسنة وبالكفل في الشفاعة السيئة للتفنن وفرق بينهما بعض المحققين بأن النصيب يشمل الزيادة والكفل هو المثل المساوي فاختيار النصيب أولا لأن جزاء الحسنة يضاعف والكفل ثانيا لأن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها ففي الآية إشارة إلى لطف الله – تعالى- بعباده وقال بعضهم : إن الكفل وإن كان بمعنى=

وابتداء السلام سنة ، وجوابه فرض كفاية ، إذا قام به بعض سقط عن الباقين، وإذا التقى رجلان ، أو قال أحدهما للآخر : سلام عليكم ، وقال الآخر كذلك في وقت واحد ، وجب على كل واحد منهما الرد على صاحبه . وسلام المتاركة لا يقتضي جوابا ؛ لقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [الزخرف:٨٩] وكذلك إذا انصرف عن جماعة فقال سلام عليكم، لم يستحق جوابا ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: يجمعنكم في البرزخ ، جيلا بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، إلى يوم القيامة .

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ نزلت في الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد ، وقالوا: لو نعلم قتالا لاتبعناكم. وقيل: نزلت في قوم قدموا المدينة وأظهروا الإسلام ، ثم رجعوا إلى مكة ، فأظهروا الشرك. وقيل: في قوم أظهروا الإسلام بمكة وكانوا يعينون المشركين على المسلمين. وقيل: في قوم من أهل المدينة أرادوا الخروج عنها[1] ﴿أَرْكَسَهُم﴾: ردهم ، ومنه سمي الرجيع ركسا. «وذهب رسول الله ﷺ لقضاء حاجته وقال لرجل: ابغني أحجارا أستنقص بها . فأتاه بحجرين وروثة ، فأخذ الحجرين ، وألقى الروثة ، وقال: «إنها ركس»[2]. أي: رجيع . وقيل: أركسهم عذبهم وأهلكهم . وقيل : أوقعهم . وقيل: أضلهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ أي : أمان وعهد ، فلهم منه مثل ما لكم .

=النصيب إلا أنه غلب في الشر وندر في غيره كقوله – تعالى : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ فلذا خص بالسيئة تطرية وهربا من التكرار .

(١) ذكر هذه الأسباب الواحدي في أسباب النزول (ص : ١٧١، ١٧٢) رقم (٣٤١، ٣٤٢) ، والسيوطي في الدر المنثور (٢ / ١٩٠) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) رواه البخاري رقم (١٥٦) ، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٨، ٤٦٥) ، والترمذي رقم (١٧) ، وابن ماجه رقم (٣١٤) ، والنسائي في المجتبى (١/ ٤٠) عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ قال قوم : حصرت في موضع الحال ، وسيبويه يرى أن الفعل الماضي لا يكون حالا إلا مع قد والواو ، أو مع قد وحدها[1] .

وقوله : ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ هاهنا دعاء عليهم ، فقيل له : يحسن أن يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالكم ؛ فإن ذلك مصلحة للمسلمين ، ولا يحسن أن يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتال قوم فإنهم إذا لم تحصر صدورهم عن قتال قوم وقعت الفتنة بين المشركين وذلك مما يوهن المشركين وينفع المؤمنين فكيف يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتال قومهم (٣٧ / ب) قال سيبويه[2]: إنما دعا عليهم بالضعف والوهن ؛ حتى لا يقدروا عن قتالهم ، ولا قتال قومهم . ووهنهم وضعفهم مما ينتفع به المؤمنون .

وقوله : ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ قيل : إنه منسوخ بآية السيف .

قوله – تعالى : ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ قيل : من أهل مكة . وقيل : من أهل تهامة . وقيل: من المنافقين . وقيل : هو نعيم بن مسعود الأشجعي ومن تابعه .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

---

(١) **مذهب البصريين** : أن الفعل الماضي لا يكون حالا إلا بقد مظهرة أو مضمرة ؛ لأن الحال إما مقارنة أو منتظرة والماضي منقطع عن زمن العامل وليس بهيئة في ذلك الزمان و قد تقربه من الحال . ومذهب الكوفيين ومن تبعهم من البصريين كالأخفش يجوّز ذلك ؛ لأن أكثر ما فيه أنها غير موجودة في زمان الفعل وذلك لا يمنع كما لا تمنع الحال المقدرة واحتجوا لمذهبهم بالسماع والقياس . ونرى أن الحق معهم.

ينظر تفصيل المسألة في : الإنصاف لابن الأنباري (١ / ٢٣٣) ، المسألة (٣٢) ، شرح المفصل لابن يعيش (٢ / ٦٥) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١ / ٢٩٣) ، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ٢٥٢ـ ٢٥٣) ط . المكتبة العصرية ـ بيروت ـ سنة ١٩٩٩م .

(٢) كذا وقع هنا ونسب ابن السراج في الأصول في النحو (١/ ٢٥٤)، وابن هشام في مغني اللبيب (٢/ ٢٣١) هذا الرأي للمبرد .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ قيل : نزلت في عياش بن أبي ربيعة[١] قتل رجلا كان يعذب عياشا على إسلامه ، فضربه عياش ، ولم يشعر بأنه أسلم[٢] . وقيل : في أبي الدرداء[٣] قتل رجلا من المشركين بعد أن قال : لا إله إلا الله ، فشك في إسلامه ، هل هو خوفا من السيف ، أو رغبة في الإسلام[٤] . وفي قوله : ﴿رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ قولان : أحدهما: أنه أراد الإيمان حقيقة ، فلا يقبل في الرقبة إلا من بلغت وآمنت وصلَّتْ وصامتْ. والثاني: تقبل من حكم بإيمانها، فيجزئ عتق الصغير الذي حكم بإسلامه تبعا لأبويه . ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ أي : عقد ذمة . والثاني: أمان . والثالث: أنه عام في كل ما يمنع القتل ؛ كمجيء الحربي في رسالة أو تجارة .

قوله - تعالى : ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ وصوم الشهرين بدل من العتق خاصة. قال الماوردي[٥] : وعن مسروق[٦]: أن صوم الشهرين بدل من الدية والعتق معا[٧] .

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) هو عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله القرشي ابن عم خالد بن الوليد وكان عياش أخا لأبي جهل بن هشام لأمه وعذبه أبو جهل على إسلامه . وكان عياش من السابقين في الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، توفي سنة ١٥هـ . **تنظر** ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (٣ / ١٢٢، ١٢٣) ، الإصابة لابن حجر (٣ / ٤٧) .

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٧٣، ١٧٤) رقم (٣٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٧٢) ، وقال : رويناه من حديث جابر موصولا ، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٢ / ١٩) لابن المنذر.

(٣) هو عويمر بن عامر بن زيد بن قيس من بني عدي بن كعب بن الخزرج ، تأخر إسلامه قليلا ، وكان آخر أهل داره إسلاما ، وكان فقيها حكيما شهد ما بعد أحد من المشاهد . توفي سنة ٣١ هـ وقيل : ٣٢هـ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٤ / ٢٠٤) .

(٥) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الإمام الفاضل الفقيه الشافعي، سمي الماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد ، وقد اشتهر بها ونسب إليها، وهو صاحب التصانيف الحسان منها التفسير والحاوي في الفقه الشافعي والأحكام السلطانية وغيرها . توفي سنة ٤٠٥هـ . **تنظر** ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢ / ١٠٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٥ / ٢٦٧) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٣ /٢٨٦) .

(٦) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي أبو عائشة ، أحد الأعلام ، روى عن أبي بكر ومعاذ وابن مسعود توفي سنة ٦٣هـ .

تنظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (١٠ / ١٠٩)، طبقات الحفاظ (ص:١٤١) .

(٧) **ينظر** : النكت والعيون للماوردي (١ / ٤١٦) .

وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾

قوله - تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ قيل : نزلت في مقيس بن صبابة[(١)] قتل أخوه وصولح على الدية فأخذها ، ورضي بها ، ثم وجد قاتل أخيه ، فقتله فأمر رسول الله ﷺ بقتل مقيس ، وإن كان متعلقا بأستار الكعبة ، فوجد كذلك فقتل[(٢)] .

وابن عباس يرى أن القاتل عمدا لا تقبل توبته[(٣)] وظاهر كلام ابن زيد موافقته[(٤)] .

وقال : نزلت الآية الشديدة ، يعني : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ بعد الهدنة، يعني: قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠] . وكان قد ظن آية النساء ناسخة لآية الفرقان ، وهذا ليس بنسخ ، بل هو تقييد مطلق ، والتقدير : فجزاؤه جهنم خالداً فيها إن لم يتب .

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ ﴾ نزلت في سرية بعثهم النبي ﷺ إلى طائفة من الكفار، فنزل رجل منهم إلى المسلمين، فقال: السلام عليكم ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أنا مسلم، فقتلوه (٣٨ / أ) وأخذوا غنيمات له فلما رجعوا ، وأخبر النبي ﷺ بالحال قال لقاتله: لم قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟! فقال : يا رسول الله ، إنما قالها تعوذا . فقال: هلا شققت عن قلبه؟! ثم حمل رسول الله ﷺ ديته إلى ورثته، وأعاد عليهم غنمه[(٥)]. واختلفوا في القاتل من هو ؟

---

(١) هو مقيس بن صبابة من بني كلب بن عوف بن كعب ، كان شاعرا وقد قتله ابن عمه نميلة بن عبد الله بعد إهدار الرسول ﷺ دمه.

تنظر ترجمته في: تاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٣١١) ، جمهرة الأنساب (ص: ١٨٢) .

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ١٧٤) رقم (٣٤٤) ، وأبو داود رقم (٢٣٠٩) ، والنسائي في سننه رقم (٣٩٠٠) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور(٤ / ٣٥١) لابن أبي شيبة وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص . وفي سنده الكلبي وهو ضعيف .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٥ / ٢١٨ ـ ٢١٩) .

(٤) ابن زيد هو خارجة بن زيد بن ثابت وقد روى الطبري في تفسيره (٥ / ٢٢٠) بسنده عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت قال : نزلت سورة النساء بعد سورة الفرقان بستة أشهر .

(٥) رواه البخاري رقم (٤٥٩١) ، ومسلم رقم (٣٠٢٥) .

فقيل : أسامة بن زيد[(١)] . وقيل : المقداد بن الأسود[(٢)] . وقيل : أبو الدرداء .

وقيل : عامر بن الأضبط[(٣)] . وقيل : مُحلِّم بن جثامة[(٤)] .. نقل هذه الأوجه الماوردي[(٥)] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: كفارا تستباح دماؤكم ، وإنما عصمكم الله بلا إله إلا الله ، فلم لا قبلتم عصمة هذا الذي شهد بالوحدانية ؟ ويقال : «إن القاتل لفظته الأرض ، ثم دفن ، فلفظته ثلاث مرات ، فقال النبي ﷺ : إن الأرض لتقبل من هو شر منه ، وإنما

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو محمد وهو الذي أمَّره الرسول ﷺ على جيش وهو شاب ومات الرسول ﷺ قبل أن ينفذه ، فأنفذه أبو بكر ﷺ . مات سنة ٥٤هـ .

تنظر ترجمته في: الاستيعاب لابن عبد البر (١ / ٥٧ ـ ٥٩) ، الإصابة لابن حجر (١ / ٣١) .

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة واشتهر بالمقداد بن الأسود نسبة إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري لأنه تبناه ، أسلم قديما ، وشهد بدرا والمشاهد بعدها توفي سنة ٣٣هـ .

تنظر ترجمته في : الإصابة لابن حجر (٣ / ٤٥٤ ، ٤٥٥) .

(٣) هو عامر بن الأضبط الأشجعي، وهو الذي قتله أحد أفراد السرية وهو مسلم يظنونه متعوذا، وقد وهم الذي عده هنا من القاتلين .

تنظر ترجمته في: الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ١٤) ، الإصابة لابن حجر (٢/ ٢٤٧).

(٤) هو مُحلّم بن جثامة بن قيس الليثي ، توفي في زمن النبي ﷺ ودفن فلفظته الأرض مرة بعد مرة ، وهو صاحب القصة هنا .

تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٤٩٦) ، الإصابة لابن حجر (٣/ ٣٦٩) .

(٥) **ينظر** : النكت والعيون للماوردي (١ / ٤١٧) .

جعل الله ذلك عبرة لكم ، ثم أمر أن يجعل على جثته أحجار تسترها»[١].

نزل أولا : ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ ﴾ فجاء ابن أم مكتوم[٢] وشكا أنه ضرير عاجز عن الجهاد ، فنزلت ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ قال زيد بن ثابت : كنت أكتبها عند النبي ﷺ وركبته على ركبتي ، فثقلت عليَّ حتى كادت ترض[٣] وركي من ثقل الوحي المنزل عليه، ثم قال : ألحقها في طرف الكتف[٤]. فألحقتها[٥].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ بإقامتهم في دار الحرب ، مع أنهم لا يقدرون على إظهار الأذان فيه ، ولا صلاة الجمعة ، ولا الجماعات في الصلوات ، فمن قدر على إظهار الدين في دار الحرب جاز أن يقيم فيها ، والأفضل أن يتحول عنها .

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ
مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن
يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ
فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ
طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ
بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٤٣٨) ، وابن ماجه رقم (٣٩٣٠) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ رقم ٥٦٢) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣ / ٢٢٢) : إسناده حسن .

(٢) هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي العامري وهو ابن أم مكتوم المؤذن وأمه أم مكتوم : اسمها عاتكة بنت عبد الله . واختلف في اسم ابن أم مكتوم فقيل : عبد الله بن زائدة . وقيل : عمرو ابن قيس بن شريح وهو الأكثر عند أهل الحديث . شهد فتح القادسية وكان معه اللواء يومئذ وقتل شهيدًا بالقادسية .

تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (٣/١١٩٨) ، الإصابة لابن حجر (٤/٨٧) .

(٣) رضَّ الشيء يرضه رضًا : كسره . وارتض الشيء تكسر . **ينظر** : لسان العرب (رضض).

(٤) يعني : كتف الشاة وكانوا يكتبون عليها قديما بعد أن تكون عظاما .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٥٤٩) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٧٩) رقم (٣٥٤).

لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾ الآية ، نزلت في قوم هاجروا من مكة إلى المدينة ، فأدركهم الموت قبل الوصول إلى المدينة ، فقال المشركون : ما أدرك هؤلاء ما طلبوا ، ولا بقوا على ما كانوا عليه ، فأنزل الله – تعالى- ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ ﴾ الآية[١] .

ظاهر الآية يقتضي أنه لا يجوز قصر الصلاة في السفر إلا مع الخوف ، قال عمرو بن أمية الضمري[٢] : قلت لعمر بن الخطاب : ما بالنا نقصر ، وقد أمِنَّا ؟ فقال : عجبتُ مما عجبتَ منه يا ابن أخي، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال:صدقة تصدق بها الله عليكم، فاقبلوا صدقته[٣] .

وظاهر الآية التي تليها[٤] أن صلاة الخوف إنما تجوز إذا كان الرسول فيهم ، وقد صلت الصحابة صلاة الخوف (٣٨ / ب) بعد رسول الله ﷺ .

وقوله : ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ قيل: هو أمر إيجاب. وقيل: هو إرشاد إلى المصالح ، فيكون حمل السلاح في صلاة الخوف واجبا على الأول ، مستحبًا على الثاني .

وقوله : ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ وأخذ الأسلحة حقيقة ، وأخذ الحذر مجاز .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ١٨٠ ، ١٨١) ، رقم (٣٥٧) .

(٢) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن ضمرة الضمري أبو أمية صحابي مشهور ، أسلم حين انصرف المشركون من أحد وكان شجاعا وكان أول مشاهده بئر معونة، وبعثه النبي ﷺ إلى النجاشي في زواج أم حبيبة ، وإلى مكة فحمل خبيبا من خشبته ، وله ذكر في عدة مواطن وكان من رجال العرب جرأة ونجدة وعاش إلى خلافة معاوية فمات في المدينة . قال أبو نعيم : مات قبل الستين .

تنظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤ / ٦٠٢) .

(٣) رواه مسلم رقم (٦٨٦) ، وأحمد (١/ ٢٥ ، ٣٦) وأبو داود رقم (١١٩٩) ، والترمذي رقم (٣٠٣٤) .

(٤) الآية رقم (١٠١) .

ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ
إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا
﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن
يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ
يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ
فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

روي: «أن طعمة بن الأبيرق[١] سرق درعا في جراب، وفي الجراب دقيق، وفي الجراب ثقب، فتبدد الدقيق في الطريق فجاء طعمة بالدرع إلى بيت زيد السمين اليهودي فأودعه عنده، فلما طلب صاحب الدرع درعه فلم يجده فتتبع أثر الدقيق في الطريق فهداه إلى بيت زيد السمين، فطلبه منه، فقال: أحضره إليَّ طعمة بن الأبيرق، فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ، وصار مع طعمة جماعة، ومع زيد جماعة.

وقالت طائفة المسلمين: يا رسول الله، احكم على زيد السمين، فإن القصص أدى إلى داره، وافتضاح اليهودي أولى من افتضاح المسلم، وجادلوا عن طعمة، وأكثروا حتى خطر ببال النبي ﷺ يوافقهم على رأيهم، فنزلت هذه الآيات ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[٢] أي: بما علمك ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ أي: مخاصما معهم الطائفة الأخرى. ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما خطر ببالك من ذلك ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ يوقعونها عن الخيانة، وهم طعمة وأصحابه.

---

(١) هو طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري، ذكره أبو إسحاق المستملي في الصحابة، وقال: شهد المشاهد كلها إلا بدرا، وقد تكلم في إيمان طعمة. تنظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة (٣ / ٥١٨).

(٢) رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٠٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٨٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٨٣) رقم (٣٦١) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ في التحامل على زيد السمين ، ثم عرض لطعمة بالتوبة بقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ الآيات ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ ﴿ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ أي: يحملونك على التحامل على زيد السمين ثم اجتمع أصحاب طعمة يتشاورون ، فنزلت ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

وفي الحديث: «كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو ذكر لله – تعالى»[1] .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) ﴾

ثم إن طعمة افتضح ، ولحقه الحياء فرجع إلى مكة ، وكفر بعد إسلامه ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾[2] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ هذه الآية مطابقة لمذهب أهل السنة في أن الله – تعالى- لا يغفر الشرك إلا بالإسلام ، وأما الكبائر والصغائر فأمرها موكول إلى المشيئة إن شاء الله عذب ، وإن شاء عفا ، ومذهب المعتزلة : أن من مات وفعل كبيرة ولم يتب أو أصر على

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤١٢) وقال : غريب ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٤) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٢٢٠) ، وزاد نسبته لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي الدنيا في الصمت ، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أم حبيبة ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٤٢٤) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥ / ٢٦٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٦٧٢) لعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة . وفيهما فنافق بدل كفر .

صغيرة ، فهو مخلد في النار ، ولا يدخل الجنة أبدا ، واحتجوا بقوله - تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء] وهو الجنة فمن لم يجتنب الكبائر لا يدخل المدخل الكريم عندهم[1] .

والضال عن الطريق متى كان قريبا منها ، تيسَّر عودُه إلى الطريق ، ومتى بعد عن قصد الطريق ، تعسَّر عودُه إليها ، فشبه الله ضلال هؤلاء بالضلال إلى مكان بعيد عن الطريق كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الإناث ويقولون : أنثى بني فلان ، يعني: صنمهم ؛ لأنهم كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الملائكة ، وكانوا يسمون الملائكة تسمية الأنثى ﴿ إِن يَدْعُونَ ﴾ بدعائهم الأصنام ﴿ شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ عاريا من الخير ، يقال : شجرة مردا : إذا سقط ورقها . وصرح ممرد : أي : زجاج أملس ، وسمي ماردا ؛ لخلوه عن الخير ، والأمرد أمردا ؛ لخلو وجهه عن الشعر . ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ قيل : بالخصاء . وقيل : بالوسم . والتبتيك : القطع ، يريد به البحائر ، وكانوا إذا ولدت الناقة عشرة أبطن بحروا أذنها ، أي : شقوها ، وتركوها ، لا يركبها أحد[2] .

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٣١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾

﴿ غُرُورًا ﴾ مفعول من أجله . ﴿ مَحِيصًا ﴾ مخلصا ، نصب على المصدر . القيل والقول

---

(١) تقدم التعليق على ذلك عند تفسير الآية (٣١) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٧ / ٨٩) .

والقال بمعنى واحد . ﴿ لَّيْسَ ﴾ حصول الثواب وخير الدنيا والآخرة حاصلا ﴿ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ بل ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ والنقير : نقرة في ظهر النواة ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾ أي : أخلص عمله ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ مائلا عن كل مذهب إلا الإسلام.

قيل : سمي الخليل خليلا بما قاله الشاعر [من الخفيف] :

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وبِهذا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلا (١)

﴿ مُّحِيطًا ﴾ عالما ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ ويفتيكم ما يتلى عليكم في الكتاب فما : فاعل لفعل مضمر . قالت عائشة - رضي الله عنها: نزلت في اليتيمة تكون في حجر الرجل، فيريد أن يتزوجها ، ولا يوصلها إلى مهر مثلها ، فنهوا عن تزويجهن إلا أن يقسطوا لهن الصداق ، وفي المستضعفين من الولدان وفي أن تقوموا لليتامى بالعدل (٢) .

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾

يقال : نشزت المرأة على زوجها ، ونشز الزوج على امرأته ، ومنه هذه الآية ﴿ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ . ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ يعني : أنه قريب منها ، غير بعيد عنها . ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا۟ ﴾ عشرة النساء ﴿ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ النشوز والإعراض. وقوله : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ يشير إلى أن العدل بكل طريق متعذر ، كما قال : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ فما لا يقدر عليه من ذلك مسموح به ، وهو مفهوم من قوله : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟

---

(١) البيت لبشار ينظر في : تفسير القرطبي (٥/ ٢٥٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٤٣١) ، فتح القدير للشوكاني (١ / ٧٨٢) .

(٢) رواه البخاري مختصرا رقم (٥٠٦٤) ، ومسلم رقم (٣٠١٨) ، وأبو داود رقم (٢٠٦٨) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٨٦ ، ١٨٧) رقم (٣٦٨) .

﴿كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ .

وقوله : ﴿كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾ التي هي غير مزوجة وغير مطلقة . ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ وما روي عن الحسن بن علي ﷺ أنه كان منكاحاً مطلاقا ، ويقول : وعد الله الغنى في كل واحد من الأمرين ؛ أما النكاح فقوله : ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ [النور:٣٢] الآية إلى أن قال : ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ [النور: ٣٢] وأما في الطلاق فلهذه الآية - بعيد جدًّا ؛ فإن الطلاق لا يلتمس به الرزق، وليس المراد ها هنا كثرة المال ، بل المراد غنى أحدهما عن صاحبه [١].

وكان الله واسع العطاء ، جعل الأمر بالتقوى عاما في الشرائع ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن عبادتكم محموداً تحمده أهل السماوات والأرض .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ ففوض الأمور إليه وهو الغني القادر الرحمن كما قال : ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾﴾ [المزمل] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ كقوله - تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢] وأتى بصيغة المبالغة في قوله: ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ أي ليكن ذلك متكررا منكم . القياس فالله أولى به ؛ لأن المراد أحدهما ، لكن لما جرى ذكر

---

(١) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٥٣) في ترجمة الحسن ﷺ فقال : وقد كان هذا الإمام سيدًا وسيمًا جميلاً عاقلاً رزينًا جوادًا خيرًا دينًا ورعًا محتشمًا كبير الشأن وكان منكاحًا مطلاقًا تزوج نحوًا من سبعين امرأة وقلما كان يفارقه أربع ضرائر .

الفريقين أعاد الضمير عليهما ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ كراهة أن تعدلوا ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓاْ ﴾ يقال : لويت الرجل إذا مطلته بحقه. وقرئ (وإن تلوا) بواو واحدة [1] من الولي ﴿ أَوْ تُعْرِضُواْ ﴾ عن هذه القضية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ بالكتاب الأول ﴿ ءَامِنُواْ ﴾ بالقرآن . أو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ بألسنتهم ﴿ ءَامِنُواْ ﴾ بقلوبكم ، أو﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ دوموا على الإيمان .

ومثله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ اجعل مكان بشارة المؤمنين بالجنة إخبار هؤلاء بالتعذيب ، فسماه باسم (٤٠/أ) مقابله ؛ كقوله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤] ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] والمجازاة ليست بسيئة ، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾ [السجدة: ١٤] .

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فلتطلب منه دون غيره،كقوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي : في سورة الأنعام قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ [الأنعام: ٦٨] إلى قوله : ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

---

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة ، وقرأ الباقون بلام ساكنة وواوين بعدها أولاهما مضمومة (تلْوُوا) .

تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٣٧٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٤٤١) ، حجة ابن زنجلة (ص : ١٥) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٧٠) .

فإن سورة الأنعام مكية ، وسورة النساء مدنية ؛ فلذلك قال فيها : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ إذا رضيتم قولهم . ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ ﴾ ينتظرون ، وسمي ما يناله المؤمنون فتحاً ؛ تعظيما لجزائهم بالخير .

﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ ﴾ أي : نستولي عليكم .﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ قيل : المراد ما ذكره آنفا من تسمية الشيء باسم مقابله . وقيل : يعطون في القيامة نورا ويسعى المؤمنون في نور أعمالهم ، ثم يضرب بينهم بسور ، وينطفئ نور المنافقين . وقيل : تفتح أبواب النار ، فيهمون بالخروج، فتغلق أبوابها دونهم .

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ قال النبي ﷺ : «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه أخرى»(١) .

منازل النار تذهب إلى أسفل ، وتسمى دركات ، والمنافقون في الدرك الأسفل منها ومنازل الجنة تذهب علوًا ، وتسمى درجات . وشرط في توبة المنافقين الإصلاح والاعتصام بالله وإخلاص الدين لله ، فلما تكاملت هذه الشروط أعرض عنهم وقال: هؤلاء إذا استكملت شروط توبتهم يكونون مع المؤمنين .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧) لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨) إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٥٢) ﴾

﴿ وَسَوْفَ ﴾ أكافئ المؤمنين بالخير ، وهذا يدل على غضب شديد فإنه وإن قبل توبتهم ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٨٤) ، والنسائي (٨/ ١٢٤) ، من حديث ابن عمر . قال النووي في شرح مسلم (٩ / ١٤٢) : العائرة : المترددة الحائرة ، لا تدري لأيهما تتبع . وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ٣٢٨) : المترددة بين قطيعين ، لا تدري لأيهما تتبع .

يعرض عنهم .

أي شيء ﴿ يَفْعَلُ ٱللَّهُ ﴾ بتعذيبكم إن كنتم مؤمنين شاكرين فإنه - تعالى- شاكر يثيب على العمل اليسير بالجزاء الكثير ، ويضاعف الثواب حتى يكون بقدر سبعمائة ضعف . قال بعض المفسرين من التابعين : يجوز لمن شتم أن يرد على من شتمه قبله ، فإن ظاهر هذه الآية يقتضي أن من ظلم جاز له الجهر بالسوء من القول . وقد أعمل المصدر الذي هو الجهر في الجار والمجرور ، فادعى بعض النحويين أنه ليس في القرآن إعمال المصدر المعرف بالألف واللام إلا في هذا الوضع ، وليس بصحيح ؛ لأن قوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣] إلى أن قال : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤] إنه ظرف والعامل فيه الصيام المعرف بالألف واللام[(١)].

وقوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (٤٠/ب) ليس جوابًا للشرط ؛ لأن وصفه بالعفو والقدرة مستمر سواء أبدوا خيرا أو أخفوه ، أو عفوا عن سوء أو لم يعفوا ، والتقدير : أو تعفوا عن سوء فقد اتصفتم بصفات الحق جل جلاله في العفو والقدرة . في (أحد) معنى العموم ؛ فلذلك دخلت من عليها ، ولفظة بين تستدعي شيئين فصاعداً .

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ

---

(١) هذا قول العكبري في اللباب في علل البناء والإعراب (١ / ٤٤٨ - ٤٥٠) : ويعمل المصدر وإنّ لم يعتمد بخلاف اسم الفاعل ؛ لأنّه قوي بكونهِ أصلاً للفعل وأنّه موصوف لا وصف ، ثم قال : وأقوى المصادر عملا المنون؛ لأنه أشبه بالفعل إذ كان نكرة ، وإن الفعل لا يضاف، ثم يليه المضاف ؛ لأن الإضافة في حكم الأسماء، وقد لا تعرّف وإذا عرفت كان التعريف ساريا من الثاني إلى الأوّل بعد أن مضى لفظه على لفظ النكرة بخلاف الألف واللام ، ثم ما فيه الألف واللام وعمله ضعيف ؛ لأنّ الألف واللام أداةٌ زائدة في أوّله تنقله من التنكير إلى التعريف في أوّل أحواله ومع ذلك فعمله جائز ؛ لأنّ الشبه فيه باقٍ وهو قليل في الاستعمال ، ولم يأت في القرآن منه مُعْمَلٌ في غير الظرف فيما علمنا وإنّما جاء معملاً في الظرف كقوله - تعالى : ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ **وينظر** تفصيل هذه المسألة في : الأصول لابن السراج (١/١٣٧) ، البيان في غريب القرآن لابن الأنباري (١/ ٢٧٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٤٥٠) .

ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ ﴾

﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بعد أن أتيتهم بآيات تدل على صدقه وادعاء النبوة ، فلا وجه لاقتراحهم آيات أخر ، كما لو قامت بينة على خصم بحق فقال : أريد أن يشهد فلان وفلان فإنه لا يسمع منه هذا الاقتراح بعد قيام البينة .

﴿ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ تعنتا بعد رؤيتهم انفراق البحر ، وانقلاب العصا حية ، واليد السمراء بيضاء ، من غير سوء .

وأصل أرنا : أرءنا ، حذفت الهمزة ؛ لكثرة دورانها على الألسنة ، كما حذفت في قوله يرى ، وأصله : يرءى ، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء التي قبلها ، فصارت أرنا ﴿جَهۡرَةٗ﴾ عيانا ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ توهَّمَ الزمخشري[1] أن رميهم بالصاعقة كان عقوبة لهم لسؤالهم الرؤية المستحيلة عنده ، وإنما هو لتعنتهم ، وطلب آيات أخر بعد رؤية الآيات السابقة .

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ إلها ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ بأن الله - تعالى- ليس بجسم ، ولا مصور. وقوله : ﴿ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَ ﴾ أي : أخرنا عقوبته وإلا فالله - تعالى- لا يعفو عن الشرك إلا بالإسلام . ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا ﴾ حجة ﴿ مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ عهدا مؤكدا . (ما) في فبما : زائدة .

أي : فبنقضهم ميثاقهم . مضى الكلام في قوله : ﴿ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ ﴾ [البقرة: ٨٨] هل هي جمع أغلف ، أي : لا نفهم ما تقول . أو جمع غلاف ، أي : قلوبنا أوعية للعلم حافظة فلا حاجة إلى ما جئت به .

﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ

(١) ينظر : الكشاف (١/ ٥٨٥) وعبارة الزمخشري : بظلمهم : بسبب سؤالهم الرؤية ، ولو طلبوا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة .

شَهِيدًا (١٥٩) ﴾

وقوله : ﴿ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ إخبار من الله ، وإلا فهم لم يقولوا إنه رسول ، بل زعموا أنه ابن الله ، أو هو الله ، أو أحد الأقانيم الثلاثة[١] ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ألقى الله شبه عيسى على الذي دل عليه ، فأخذ وصلب ، فرفع الله عيسى إلى سمائه .

﴿ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ فيه وجوه : أنه عبد الله ورسوله قبل موت عيسى حين ينزل حكما عبدا[٢]. وقيل : قبل موت الكتابي (٤١/أ) يتبين له الحق ، فيؤمن به حتى لا ينفعه إيمانه[٣]. أو ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ أي : بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي[٤].

---

(١) **الأقانيم** : الأصول واحدها : أقنوم ، والأقانيم الثلاثة : هي أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - قال ابن جرير وغيره : والطوائف الثلاث من الملكانية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة .

ينظر : تفسير ابن جرير (٦/٣١٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٨٢) ، لسان العرب (قنم) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٦ / ١٩) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وعن الحسن وقتادة - رحمهما الله .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٦ / ٢٠) عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٦ / ٢١) عن عكرمة ثم قال ابن جرير بعد ذكر هذه الأقوال : وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال ؛ لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار أو البالغون منهم من أهل الإسلام إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم كان ميراثه مصروفا حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره ؛ لأن من مات مؤمنا بعيسى فقد مات مؤمنا بمحمد وبجميع الرسل وذلك أن عيسى صلوات الله عليه جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين فالمصدق بعيسى والمؤمن به مصدق بمحمد وبجميع أنبياء الله ورسله كما أن المؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء الله ورسله فغير جائز أن يكون مؤمنا بعيسى من كان بمحمد مكذبا . ثم قال : وأما الذي قال: عني بقوله : ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ ليؤمنن بمحمد قبل موت الكتابي فمما لا وجه له مفهوم لأنه مع فساده من الوجه الذي دللنا على فساد قول من قال عنى به ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي يزيده فسادا أنه لم يجر لمحمد عليه الصلاة والسلام في الآيات التي قبل ذلك ذكر فيجوز صرف الهاء التي في قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ إلى أنها من ذكره وإنما قوله : ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة فأما الدعاوي فلا تتعذر على أحد .

فتأويل الآية إذ كان الأمر على ما وصفت وما من أهل الكتاب إلا من ليؤمنن بعيسى قبل موت=

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾

﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يجوز أن يكون متعديا و(كثيرا) مفعول به ، أي : وبمنعهم كثيرا عن الإيمان ، وأن يكون صد لازما ، ويكون كثيرا نعتا لمصدر محذوف ، والتقدير : وبصدهم صدودا كثيرا حرمت عليهم محرمات كثيرة ؛ لظلمهم وكذبهم ، وقد بين ذلك في قوله : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام] أي : وهم الكاذبون في دعواهم : أن هذا التحريم كان شرعا مستأنفا ، ولم يكن عقوبة .

وقوله : ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ إن كانت شريعة من قبلنا شرعا لنا ، فيجب الإيمان بكل جزء منها ، إلا ما نسخ ؛ كالسبت وأكل لحوم الإبل ، وإن قلنا : إنه ليس شرعا لنا ، فيجب الإيمان بأنها نزلت من عند الله ، ولا يجب الإيمان بما فيها من الشرائع

وقوله : ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ من باب عطف الصفات بالواو، وانقطاع بعضها بالنصب بإضمار أعني أو بالرفع بإضمار هو ؛ كقول الشاعر [من الكامل]:

لا يَبْعَدَنْ قومي الذينَ هُمُ ... سَمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النازلينَ بكلِّ معتَرَكٍ ... والطيبونَ معاقِدَ الأُزْرِ [(١)]

فعطف بالواو واقتطع . قوله : ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ التشبيه وقع في أصل

=عيسى وحذف من بعد إلا لدلالة الكلام عليه فاستغني بدلالته عن إظهاره كسائر ما قد تقدم من أمثاله التي قد أتينا على البيان عنها .

(١) البيتان للخرنق بنت بدر بن هفان ، ينظران في : الأشباه والنظائر للسيوطي (٦/ ٢٣١) ، الإنصاف لابن الأنباري (٢ / ٤٦٨) ، أوضح المسالك لابن هشام (٣ / ٣١٤) ، خزانة الأدب للبغدادي (٥/ ٤١ ، ٤٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٤٦٢) ، ديوان الخرنق (ص : ٤٣) ، الكتاب لسيبويه (١/ ٢٠٢) ، لسان العرب (نضر) ، همع الهوامع للسيوطي (٣ / ١٢٥) و الآفة : العلة والمرض . والجزر : جمع جزور وهي الناقة . والمعترك : موضع الزحام في القتال . والمعاقد : موضع عقد الإزار وثنيه . والأزر : جمع إزار ، وهو ما يستر نصف البدن من أسفل .

الوحي إليهم لا في نفس المفروض .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾

وقوله : ﴿ وَرُسُلًا ﴾ منصوب بفعل مضمر ، أي : وأرسلنا رسلا قد قصصنا نبأهم بالحق، ورسلا لم نقصص نبأهم .

وقوله : ﴿ رُّسُلًا ﴾ الثاني بدل من الأول ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ فيقولوا ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩] ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤] إلى آخر السورة .

﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ ﴾ يعني : إن توقفوا على الشهادة لك ، فالله يشهد ، وفيه ما في قوله: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨] قوله : ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ لا يمتدح الله بالقدرة فإن في مخلوقاته الداخلة تحت قدرته ما هو أشد منهم ، لكن المراد : أنهم هانوا عليه ؛ لكفرهم ، فهانت عقوبتهم ، وهذا كقوله في نساء النبي : ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٠] أي : تهون عليه عقوبتهن إذا فعلن ذلك .

قد تقتضي التوقع ، وإن كان الفعل بعدها ماضيا ؛ لأنها لا تستعمل إلا حيث يكون ذلك الفعل مترقبا .ومنه قول المؤذن : قد قامت الصلاة ولا تقول: قد ركب الأمير؛ إلا لقوم ينتظرون ركوبه ، والكفار كانوا ينتظرون بعثة النبي ﷺ، فإنه مذكور في كتبهم القديمة .

قوله : ﴿ خَيْرًا ﴾ مفعول بفعل مضمر ، والتقدير : وائتوا خيرا لكم ، ولا تضمر : يكن خيرا .

و(خيرا) منصوب بـ (يكن) ؛ لأن كان لا تعمل مضمرة .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ ﴾ .

﴿ لَا تَغۡلُواْ ﴾ لا تجاوزوا الحد في اعتقادكم. ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ أي : من عنده ، كقوله ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣] ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾ أي : لا تقولوا : معبودنا ثلاثة . ولا تقدر : آلهتنا ثلاثة ؛ لأن المبتدأ لا يدخله تصديق ولا تكذيب، فتكون قد قدرت أن ثم آلهة وأخبرت أنها ثلاثة ، وهذا لا يجوز. ﴿ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا ﴾ أي : انتهوا وائتوا خيرا .

الهاء في سبحانه في موضع جر ؛ كقولك : سبحان الله ، وهذا المجرور هل هو في موضع رفع أو نصب ؟ فيه قولان ، التقدير : سبحت الله ، أو تنزه الله .

قوله : ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فيه تلويح بأن الإنسان لا يملك ولده . ومثله: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [الأنبياء] استنكف عن الأمر : إذا ترفع عنه .

وقوله ﴿ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ ادعى بعض الناس أنه يدل على أن الملائكة أفضل من البشر، كقولك : لا تستنكف عن صحبتي زيد ولا السلطان ، ولا تقول : لا تستنكف عن صحبتي السلطان ولا زيد ؛ لأنه لا ترقي فيه . وجوابه : أنه إذا ذكر عن شخصين أنهما ترفعا عن صحبتك رددت عليه وقلت : لا تستنكف عن صحبتي زيد ولا عمرو ، لا تدريج فيه . والملائكة قد عُبِدوا ، والمسيح قد عُبِد ، فأخبر الله – تعالى– أن هذين المعبودين لا يستنكفان عن عبادته .

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ

﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾﴾

أما حرف تفصيل ، ولابد بعدها من وجود شيئين تقول : أما زيد فعالم ، وأما عمرو فجاهل . ولا يجوز الاقتصار على قولك : أما زيد فعالم وهاهنا وقع الاقتصار على قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ الآية ، وإنما جاز الاقتصار ها هنا ، فإنه قد مضى ذكر الفريقين بعد قوله : ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ﴾

(٤٢/أ) ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ تنازع العاملان على المجرور في الكلالة والتقدير : يستفتونك في الكلالة ، قل الله يفتيكم فيها ، فجاءت حجة البصريين في إعمال الثاني ، ولو عمل الأول لقال : يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم فيها [1] . ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ امرؤ : فاعل ؛ فإن الشرط يطلب الفعل ، والتقدير: إن هلك امرؤ . وقد امتنع بعض الناس أن يقال : هلك إلا في الكفار ، وهو غلط؛ لقوله هاهنا : ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ هو عام في الكفار والمؤمنين ، ولقوله : ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ [غافر: ٣٤] .

قوله : ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ﴾ لابد أن يكون: ولا أب ؛ لأن الأب يحجب الإخوة . وجعل للأختين هاهنا الثلثين ، فجعل الثلثين للبنتين من باب الأولى ؛ لأن البنات يحجبن الأخوات عن الفرض فلا يرثن إلا بالتعصيب. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ كراهة ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ أو: لئلا تضلوا. فمن أضمر كراهة قال : أضمرت كلمة واحدة ، وأنت أضمرت كلمتين ؛ لام كي،

---

(١) هذه المسألة تعرف بمسألة التنازع ومعناه : أن يتوجه عاملان متقدمان أو أكثر إلى معمول واحد متأخر أو أكثر كما في هذه الآية ، حيث إن ﴿فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ في الكلالة تقدمه عاملان وهما ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ ويفتيكم، وقد اختلف النحاة في أي العاملين منهما يعمل في المعمول ، الأول أم الثاني ؟ فذهب البصريون إلى أن العامل هو الثاني ؛ لقربه من المعمول . وذهب الكوفيون إلى أن العامل هو الأول ؛ لسبقه . ولا يقع التنازع إلا بين فعلين متصرفين ، أو اسمين يشبهانهما ، أو فعل متصرف واسم يشبهه ، ولا يقع بين حرفين ولا بين حرف وغيره ولا بين جامدين ولا بين جامد وغيره . وإذا جاء الفعل الثاني لمجرد التقوية والتأكيد ، فلا عمل له وإنما يكون العمل للأول ولا يكون حينئذ من باب التنازع .

تنظر المسألة في : الإنصاف لابن الأنباري (١ / ٨٧) ، المسألة (١٣) ، أوضح المسالك (٣ / ١٨٦) شرح الأشموني (٢ / ١٧٥)، همع الهوامع (٣ / ٩٤) .

ولا. قال الثاني : أنا أضمرت ثلاثة أحرف ؛ لام كي حرف ، ولا : حرفان ركب أحدهما مع الآخر ، وأنت أضمرت خمسة أحرف ، وهي كراهة .

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ .

* * *

سورة المائدة [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ ﴾

قوله: ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ بما عاهدتم الله عليه وعقدتم الأيمان ، يدخل فيه الوفاء بمقتضى العقود الشرعية. ﴿ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ﴾ الأزواج الثمانية . وقيل: الظباء . وقيل: الجنين الذي يوجد في بطن الأم عندما تذبح وفي الحديث : « ذكاة الجنين ذكاة أمه » [(١)].

﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ من تحريم المنخنقة والمتردية والنطيحة. روي أن رجلا يقال له: الحطم أغار على المسلمين ، وأخذ أموالا لهم ، ثم جاء في صورة حاج أو معتمر، وقلد الهدي ، وقلد نفسه ، وهو باق على كفره على عادة العرب في حج البيت وهم كفار ، فأراد المسلمون أن يخرجوا عليه ويأخذوه ؛ لبغيه عليهم أول مرة فنزلت [(٢)] ﴿ لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ ﴾ ولا قاصدين البيت الحرام .

﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ أمر إباحة ؛ لأنه جاء بعد التحريم ، فهو كقوله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [(٣)].

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ ولا يحملنكم. ﴿ شَنَآنُ ﴾ أي: بغض و ﴿ أَن تَعْتَدُوا ﴾ مفعول ثان

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣١ ، ٣٩ ، ٥٣) ، وأبو داود رقم (٢٨٢٧) ، والترمذي رقم (١٤٧٦)، وابن ماجه رقم (٣١٩٩) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٥٨٨٩) ، من حديث أبي سعيد الخدري وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٥٣٩) بمجموع طرقه .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٨) ، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٩١) ، رقم (٣٧٩) .

(٣) سورة الجمعة ، الآية (١٠) .

لـ «يجرمنكم» ، أي : لا يكسبنكم العدوان التعدي . ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا ﴾ أي : ولا تتعاونوا على موجبات الإثم .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ إلا السمك والجراد ، والجنين يوجد في بطن الأم بعد ذبحها ، ﴿ وَالدَّمُ ﴾ إلا الكبد والطحال ﴿ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ وكذا عظمه ومخه وسائر أجزائه[1] ، والإهلال : رفع الصوت ، وكانوا إذا ذبحوا لأصنامهم رفعوا أصواتهم بالذبح باسمها .

﴿ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) ﴾

﴿ وَالْمَوْقُوذَةُ ﴾ المقتولة بالمثقل ﴿ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ بمعنى: المنطوحة ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾ ولم يبق فيه حياة مستقرة . وفي «النصب» قولان:

أحدهما : الأصنام ، قال الأعشى [من الطويل] :

وذا النُّصُبِ المنصوبَ لا تعبُدَنَّهُ ولا تعبُدِ الشَّيْطانَ واللهَ فاعبدا[2]

والثاني: أن النصب : حجارة كان يذبح عليها للأصنام ، وهو ظاهر قوله : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ والقائل الأول يقول : معناه : وما ذبح على اسم النصب ، يعني: الصنم .

---

(١) تقدم القول في ذلك عند تفسير سورة البقرة ، الآية (١٧٣) .

(٢) ينظر البيت في: تذكرة النحاة لأبي حيان (ص: ٧٢)، سر صناعة الإعراب (٢/ ٦٧٨) دار القلم، دمشق ، ١٩٨٥م ، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي ، ديوان الأعشى (ص: ١٨٧) ، شرح التصريح (٢/ ٢٠٨) ، الكتاب لسيبويه (٣/ ٥١٠) ، لسان العرب (نصب) ، المقتضب للمبرد (٣/ ١٢) ويروى الشطر الأول منه: فإياك والميتات لا تقربنها .

الاستقسام: طلب القسم والنصيب. الأزلام: سهام صغار، وكان يوجد منها ثلاثة يكتب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثانية: نهاني ربي، والثالث غفل لا يكتب عليه شيء وتوضع السهام في خريطة عند رجل عند البيت، فمن أراد سفرًا أو نكاحًا أو أمرًا مهمًّا، جاء لذلك الرجل فوهبه شيئا، فيأخذ تلك الخريطة، فيحركها تحريكا يتغير كل سهم عن مكانه، ثم يدخل يده، فيخرج سهما، فإن خرج: «أمرني» توجه للأمر الذي طلبه، وإن خرج: «نهاني ربي» كف عنه، وإن خرج السهم الذي لا كتابة عليه أعاد الاستقسام بالسهام.

﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ يعني: هذا الوقت ﴿ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من رجوعكم ﴿ مِن دِينِكُمْ ﴾ لما رأوا من استقامة دينكم وعلو كلمتكم. ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ نزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان يوم عرفة من حجة الوداع، وعاش بعدها ﷺ نيفا وثمانين يوما، ولم يتجدد بعدها نزول فرض ولا تحريم(١).

والمخمصة: المجاعة. والمتجانف: المائل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ له. ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ذبائحهم حلال لنا وذبائحنا حلال لهم.

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ يريد العفائف ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ هم اليهود والنصارى، أو الكتاب: هو التوراة والإنجيل؛ لقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾(٢) ﴿ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: إذا سميتم لهن في العقد مهرًا، وإن لم تقبضوه ﴿ مُحْصِنِينَ ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ غير زانين مع كل من طلب ذلك منهم ﴿ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ أي: صديقا يقع الزنى معه خاصة.

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ بهذا احتج أبو حنيفة على أن من كفر بعد الإيمان حبط عمله، فلو كان حج حجة الإسلام ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام، لزمه إعادة الحج وعند الشافعي: لا تحبط الردة إلا بشرط أن يموت عليها؛ لقوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ

---

(١) روى البخاري في صحيحه رقم (٤٥٤) عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: أي آية؟ قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة.

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٥٦).

عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾[1] فحمل الشافعي المطلق في هذه الآية على المقيد في تلك[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١٠) ﴾

﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي: إذا أردتم ؛ كقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ ﴾[3] وكقوله: إذا لقيت الأسد فاستعد ، أي: إذا أردت القراءة ، ولقاء الأسد. من قرأ «وأرجلكم» بالخفض ، وعطفه على الرؤوس . ومن قرأها بالنصب[4] عطفه على «وجوهكم وأيديكم» وتكون الأرجل مغسولة على هذا ، وعلى الأول ممسوحة أي: إذا كان لابس خف .

﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ أو مسافرين مجنبين ، أو محدثين حدثا أصغر بمجيء أحدكم من الغائط أو بملامسة النساء ، فاقصدوا صعيدًا طاهرًا ، واللام في «ليجعل»

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٤/ ١٨٧) وتقدم قول أبي حنيفة في تفسير سورة البقرة ، الآية (٢١٧).

(٣) سورة النحل ، الآية (٩٨) .

(٤) قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب «وأرجلَكم» ، وقرأ الباقون «وأرجلِكم» .

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٤٣٧) ، حجة ابن خالويه (ص: ١٢٩) ، حجة أبي زرعة (ص: ٢٢٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٤٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٤) .

و «ليطهركم» بمعنى «أن».

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ ولا يكسبنكم بغض قوم. الضمير في ﴿ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ راجع إلى مصدر «اعدلوا»، التقدير: العدل أقرب للتقوى.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فقال: ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَلَقَدْ
أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ
لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن
كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ
لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا
مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ
اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ
لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ
جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ
وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ
يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) ﴾

روي: «أن النبي ﷺ نزلا منزلا، واختار ظل شجرة، فأوى إليها، وتفرق أصحابه تحت الشجر، فجاء أعرابي والنبي ﷺ مضطجع، فسل السيف من غمده، وقال للنبي ﷺ: من

يمنعك مني، فقال: «الله» فأغمد السيف وجلس ونادى رسول الله ﷺ أصحابه، فأخبرهم، فنزلت ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ﴾ الآية [١].

وقيل: نزل من التنعيم سبعون شابًّا لابسين السلاح، أرادوا أن يوقعوا بالمسلمين، فكفهم الله، وأنزل هذه الآية ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على الإيمان بمحمد وأخذ منهم اثنى عشر نقيبًا. ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي: منعتموهم ممن يؤذيهم، وأصل التعزير المنع، وكذلك قوله: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [٢] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [٣] والتعزير الذي يذكره الفقهاء على من أتى معصية لا حد بها، ولا كفارة، فسمي به؛ لأنه يمنع من العود إلى الذنب.

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ قد مضى شرحه [٤]. ما في ﴿فَبِمَا﴾ زائدة. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ لا تتأثر بالمواعظ. وفيه دليل على أن الله - تعالى- فاعل الخير والشر.

﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ ومثله من المصادر التي على «فاعلة»؛ العاقبة، والعافية، والكاذبة في قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [٥] واللاغية في قوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [٦].

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ فألصقنا بهم التعادي والتباغض ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ ويجازيهم عليه.

﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: سبل السلامة. وقد أخبر عن «من» بالمفرد في قوله: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ ثم بالجمع في قوله: ﴿وَيُخْرِجُهُم﴾ ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾، وهو كثير وعكسه قليل. ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من رد أمره. ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ﴾ أنبياء ﴿ٱللَّهِ﴾.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤١٣٩)، ومسلم برقم (٨٤٣) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما.

(٢) سورة الفتح، الآية (٩).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٥٧).

(٤) في الآية (٢٤٥) من سورة البقرة.

(٥) سورة الواقعة، الآية (٢).

(٦) سورة الغاشية، الآية (١١).

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ
بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوۡمِهِۦ يَـٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ
يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ
أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ
مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ
إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى
ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ
أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ ﴾ متعلق بـ﴿ قَدۡ جَآءَكُمۡ ﴾ كراهة ﴿ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ ﴾ .

وقوله : ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ ﴾ ، كقول الشاعر [من البسيط]:

قالوا خُراسانَ أقصى ما يُرادُ بِنا ... ثمَّ القفولَ فقد جِئْنا خُراسانا[1]

فضل بني إسرائيل بكثرة الأنبياء فيهم ﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا ﴾ زعم بعضهم أن من ملك دارا وخادما وكفاية من الرزق فهو ملك ، والأحسن أن الملك كان في القبط ، وكانوا يستعبدون بني إسرائيل ؛ فلما أغرق الله – تعالى- فرعون وقومه، انتقلت المملكة إلى بني إسرائيل فهو كما يقول أكابر أصحاب الملك: نحن الملوك.

﴿ مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ من انفراق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى وغير ذلك ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ ﴾ أراد العمالقة ، وكانوا كبار الأجسام جدًّا .

﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ هما يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا ، وقولهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ

(١) البيت للعباس بن الأحنف ، ينظر في: روح المعاني للألوسي (١/ ٣٠٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧١) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٣٥٣) .

﴿فَقَتَلَا﴾ جرأة على الله، وإطلاق اللسان، حيث يجب حبسه.

قيل: ﴿وَأَخِى﴾ لا يملك إلا نفسه. وقيل: «وأخي» معطوف على «نفسي»، فكأنه مالك لأمر أخيه. قيل: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرف، والصحيح أنها متعلقة بـ «يتيهون» تحريمها عليهم ليس بمؤقت، وإنما المؤقت مقامهم في التيه أربعين سنة[1]. ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تحزن.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ قيل: المراد ولدا آدم لصلبه وهما: قابيل وهابيل. وقيل: هما بني إسرائيل، والناس كلهم بنو آدم، ويقوي هذا قوله في آخر القصة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وكانت القرابين على عهد الأنبياء الأولين إذا قربت وأراد الله قبولها نزلت نار من السماء فأكلت ما تقرب له. وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ جواب لقوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ كأنه قيل: إنما امتنع قبول قربانك؛ لأنك لم تتق الله عز وجل فيه، فلذلك لم تقبل، ولم يمتنع قبوله لسبب من جهتي، حتى تقتلني، وعمل الحسن البصري عبادة، فقال له قائل: تقبل الله منك، قال: لو علمت أن الله قبل مني ذرة لاطمأن قلبي، لكن الله -تعالى- يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال النبي ﷺ: «إذا التقى

---

(١) قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٤، ١٨٥): «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الأربعين منصوبة بالتحريم وإن قوله: ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معنى به جميع قوم موسى لا بعض دون بعض منهم؛ لأن الله عز ذكره عم بذلك القوم ولم يخصص منهم بعضا دون بعض. وقد وفى الله بما وعدهم به من العقوبة فتيههم أربعين سنة وحرم على جميعهم في الأربعين سنة التي مكثوا فيها تائهين دخول الأرض المقدسة، فلم يدخلها منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا صالح ولا طالح حتى انقضت السنون التي حرم الله -عز وجل- عليهم فيها دخولها، ثم أذن لمن بقي منهم وذراريهم بدخولها مع نبي الله موسى والرجلين اللذين أنعم الله عليهما».

(٢) جاء في كتاب الزهد لابن المبارك (١/ ١٩) رقم (٧٨)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧) لابن أبي الدنيا عن فضالة بن عبيد قال: لأن أكون أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلى من الدنيا وما فيها.

المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا: يا رسول الله ، هذا القاتل، فما بال المقتول ؟! قال : «إنه كان حريصا على قتل صاحبه»(١).

فإن قيل: كيف استجاز أن يريد أن يبوء صاحبه بالإثم ، وإرادة المعصية معصية؟

قلنا: كأنه يقول: إذا كان ولا بد من أن نقتتل حتى يقتل أحدنا الآخر ، فأنا أختار أن أكون عند الله المقتول ، ولا أكون عند الله القاتل . واعلم أن من طلب منك مالك ، جاز لك أن تبيحه له ولا تقاتله ، وجاز أن تقاتله ، وإن قصد نفسك ففي جواز الاستسلام قولان للشافعي ، وهذه الآية حجة الجواز . وكذلك فعل عثمان بن عفان حين تسوروا عليه الجدار ونزلوا ليقتلوه ، كان عنده عبيد فقاموا دونه ، فقال: من ألقى سلاحه ، فهو حر(٢) والقائل الآخر يقول : لا يجوز إباحة الدماء (٣).

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١ ، ٦٨٧٥ ، ٧٠٨٣) ، ومسلم رقم (٢٨٨٨) عن أبي بكرة. ورواه أحمد (٤/ ٤٠١ ، ٤٠٣) ، والنسائي (٧/ ١٢٤ ، ١٢٥) ، وابن ماجه رقم (٣٩٦٤) عن أبي موسى الأشعري .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٨٦) : «حديث أن عثمان منع من عنده من الدفع يوم الدار وقال: من ألقى سلاحه فهو حر» لم أجده وفي ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن عامر سمعت عثمان يقول: «إن أعظمكم عندي حقا من كف سلاحه ويده» .

وقال الصنعاني في سبل السلام (٤/ ٤٠) : «وصح أن عثمان -رضي الله عنه- منع عبيده أن يدافعوا عنه وكانوا أربعمائة وقال: من ألقى سلاحه فهو حر» .

(٣) ينظر: الأم للشافعي (٦/ ٤٦) ، المبسوط للسرخسي (٧/ ٣١١) .

﴿ فَطَوَّعَتْ ﴾ فسهلت. وقيل: زينت . قوله: ﴿فَأَصْبَحَ ﴾ خرجت عن أصل الاشتقاق وصارت بمعنى «صار» . يقال لما حدث وقت الصبح ، ولما حدث وقت المساء ، ووقت الظهيرة . وقوله: ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ أبلغ من قوله: «فقد خسر» لأن من ربح في نهاره مائة درهم ، وخسر في سلعة خمسة دراهم يقال: إنه قد خسر ، ولا يقال: أصبح من الخاسرين إلا إذا غلب عليه الخسران ، ومثله ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [(١)] ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ [(٢)] هو أبلغ من أن تقول: ندم ، أو نادما ، ومسجونا ، وقاليا . وقوله: ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ حال مقدرة ؛ لأنه حين بعثه لم يكن باحثا في الأرض . سميت السوأة سوأة ؛ لأن صاحبه يسوءه كشفها ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا ﴾ متعلق بقوله: ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ . وقيل: هو متعلق بـ «كتبنا» .

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أو بغير ﴿ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ عند المقتول ؛ لأنه فقد الدنيا بأسرها ، ولم يبق له انتفاع بحياة غيره هو. وقيل: من استحل قتل نفس بغير حق ، فهو في الكفر كمن استحل الجميع «قدم المدينة نفر من عكل ، فأصابهم وباء المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى لقاح الصدقة ؛ ليشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا فصحوا ، فقتلوا الراعي واستاقوا الإبل ، فأمر النبي ﷺ بطلبهم ، فطلبوهم فأدركوهم ، فلما جيء بهم إلى النبي ﷺ قطع أيديهم وأرجلهم ، وسمر أعينهم ، وتركهم بالحرة ، يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا، فأنزل الله - تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية» [(٣)] «فما قام رسول الله ﷺ بعدها مقاما إلا ونهى عن المثلة» [(٤)].

وقيل: إنهم كانوا صنعوا بالرعاة مثل ذلك ، فاقتص لهم ، وقوله: ﴿ أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا ﴾ هي عند غير الشافعي للتخيير ، وعند الشافعي منزل على أحوال ؛ فإن أخذ المال وقتل قتل وصلب ، وإن أخذ المال ولم يقتل ، قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى ، وإن أخاف السبيل ولم يأخذ شيئا طلب إلى أن يحضر به فيؤدب ، وهذا معنى النفي من الأرض عنده . وقيل: أراد النفي من الأرض : الحبس ، وهو

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٢٩) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٦٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤١٩٢) ، (٥٧٢٧) ، ومسلم رقم (١٦٧١) عن أنس رضي الله عنه .

(٤) هذه زيادة في رواية أبي داود في سننه رقم (٤٣٦٨) .

مذهب أبي حنيفة(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ
مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن
يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ
فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ
ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٠﴾ ۞
يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ
وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ
ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن
لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ
يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾
سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن
تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا
ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ
وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ
وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

الخزي: الهوان. من تاب في المحاربة قبل الظفر قبلت توبته، ومن سرق ففي قبول توبته قولان: إذا أصلح؛ لقوله - تعالى- في السارق: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ ﴾ وكذا في الزاني قوله - تعالى: ﴿ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآ ﴾(٢) علل الأمر بالتقوى وابتغاء

(١) ينظر: الأم الشافعي (٦/ ٢٠٢)، بدائع الصنائع للكساني (٦/ ٥٠)، المبسوط للسرخسي (٦/ ١٢١)، المغني لابن قدامة (١٠/ ٣٠٧).

(٢) سورة النساء، الآية (١٦).

الوسيلة إلى الله - تعالى - بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآيتين بدأ في السرقة بالسارق، وفي الزنى بالزانية؛ لأن أكثر السرقة تقع من الرجال؛ لما أوتوا من القوة، ولولا إطماع المرأة في نفسها بلين الكلام وغيره، لما وقع الزنى غالبا. قدم ها هنا ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾؛ لأن السابق قبلها ذكر قاطع الطريق والسارق ﴿ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ أي: يسمعون انتقلوا إليهم. قوله: ﴿ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ صفة لقوم آخرين. وكان في التوراة الرجم في الزنى على المحصن، فغيروه وقالوا: يسود وجهه فزنى منهم رجل فاختلفوا في الحد الذي يقام عليه، ثم قالوا: ائتوا محمدًا، فسلوه فإن أفتاكم بالرجم، فلا تقبلوه، وإن اختار تسويد الوجه والتطويف فاقبلوا. فجاؤوا إليه، فقال: ما عندكم في التوراة في ذلك؟ قالوا: يسود وجهه، ويطوف. قال: ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1] فجاؤوا بها، فوضع رجل منهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا آية الرجم، فأمر النبي ﷺ باليهودي واليهودية فرجما[2].

﴿ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ﴾ رد أمر الله شيئا ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ الإمام مخير بين الأمرين. ﴿ ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ﴾ وصف الأنبياء بالإسلام، وهو دليل على عظمة وصف الإسلام، كما وصف النبيين في سورة «الصافات» بالإيمان ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] وكذلك في إبراهيم وموسى وهارون وإلياس. اختلف العلماء في شريعة من قبلنا؛ هل هي شرع لنا؟ فإن اتصل بها تقرير وجب العمل بها، وإن اتصل بها إنكار فلا عمل بها، وإن أطلقت مجردة عن الأمرين ففيه الخلاف في شريعة من قبلنا، وهذه الآية اتصل بها التقرير؛ لقول النبي ﷺ لأنس بن النضر: «كتاب الله القصاص»[4] وليس القصاص في كتاب الله في السِّنِّ إلا في هذه الآية[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٣).

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٤٥٠، ٤٤٥١)، والواحدي في أسباب النزول (٣٩٢)، عن أبي هريرة ﷺ بهذا السياق. ورواه البخاري رقم (٣٦٣٥، ٦٨٤١)، ومسلم رقم (١٦٩٩) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - بنحو ذلك.

(٣) سورة الصافات، الآية (٨٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٠٣، ٤٤٩٩، ٤٥٠٠)، ومسلم رقم (١٦٧٥) عن أنس ﷺ.

(٥) قال الإمام الشيرازي في كتاب اللمع في أصول الفقه (١/ ٣٤) ط. دار الكتب العلمية، بيروت،=

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ
بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ
يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ
ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى
مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾
وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾
أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟
ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ
بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

وقوله: ﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ يجوز أن يعود إلى الذي تصدق ، تكفر عنه سيئاته ، ويجوز أن يرجع إلى المتصدق عليه إذا وهبه أصحاب الحق ، كفر عنه ذنب الجناية .

= ١٩٨٥م: «اختلف أصحابنا في شرع من قبلنا على ثلاثة أوجه: فمنهم من قال: ليس بشرع لنا دون غيره، ومنهم من قال: شرع موسى شرع لنا إلا ما نسخ بشريعة عيسى صلوات الله عليه ، ومنهم من قال: شريعة عيسى ﷺ شرع لنا دون غيره . وقال الشيخ الإمام - رحمه الله ونور ضريحه: والذي نصرت في التبصرة أن الجميع شرع لنا إلا ما ثبت نسخه والذى يصح الآن عندي أن شيئا من ذلك ليس بشرع لنا والدليل عليه أن رسول الله ﷺ لم يرجع في شيء من الأحكام ولا أحد من الصحابة إلى شيء من كتبهم ولا إلى خبر من أسلم منهم ولو كان ذلك شرعا لنا لبحثوا عنه ورجعوا إليه ولما لم يفعلوا ذلك دل ذلك على ما قلناه» .

واختلف العلماء هل نسخ شرع موسى أو قرره ، فاختار الماوردي [١] أنه ناسخ لا مقرر؛ لأن عيسى دعا الناس إلى إنجيله ، وحلل السبت ، وحرم الأحد ، وأحل لحوم الإبل وألبانها. و «المهيمن» : الشديد .

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ تطلعونهم على عورات المسلمين ، وتودون أن تكون الدولة لهم على المؤمنين .

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ﴾ شك أو نفاق ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ في مرضاتهم ، معتذرين بقولهم: ﴿ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ ﴾ أي: بالحكم بينكم بالحق ، فندم المشركون على مسارعتهم في رضائهم ، وتكشف حال الكفار للمؤمنين ، فيقول المؤمنون: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ ﴾ . ﴿ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴾ لم يضر الله شيئا ، وإذا جاء وصف النكرة بمفردات وجمل ، فالأولى تقديم المفردات ، وتأخير الجمل، ويجوز خلافه ؛ لقوله هاهنا : ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ ﴾ وأعزة ولقوله: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ ﴾ [٢] ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ﴾ إنكار لما سبق من موالاة اليهود والنصارى ؛ لأنه حصر الولاية في الله ورسوله والذين آمنوا بلفظة «إنما».

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ يجوز أن يكون حالا من ﴿ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ وقد روي: أن عليًّا تصدق في الصلاة بخاتمه [٣]. ويجوز أن يكون وصفا لهم بالركوع الذي هو جزء من الصلاة ؛

---

(١) ينظر : النكت والعيون للماوردي (١/ ٤٦٨ ، ٤٦٩) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٩٢) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠٥) لأبي الشيخ وابن=

كما سميت الصلاة قرآنا في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ (١) وتسبيحا : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٢) وقد سماها ركوعا في قوله : ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (٣) ، أي: ومن يتول الله ورسوله فقد تولى حزب الله ، ومن يتول حزب الله يغلب ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ بالخفض ؛ عطفا على ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وبالنصب(٤) ، على ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ﴾ وكان بعض النصارى إذا سمع الأذان قال: حرق الكاذب فأضرمت داره عليه نارا واحترق ، ونزلت ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية(٥) .

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فإن علمكم بفسق أنفسكم ، وبأنا قائمون بدين الحق ، هذا الذي كرهتموه منا ، وعبتموه علينا ، وهو مما لا يكره مثله ولا يعاب ؛ كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ (٦) ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (٧) ﴿تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ (٨) ومن هذا الباب قول الشاعر [من الطويل]:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنَّ سيوفَهُم   بهِنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ(٩)

فإن فلول السيف وإن كان عيبا في السيف تنقص به قيمته فليس عيبا فيهم ، بل ذلك

= مردويه عن علي بن أبي طالب ﷺ .

(١) سورة الإسراء ، الآية (٧٨) .

(٢) سورة الطور ، الآية (٤٨) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (٤٣) .

(٤) قرأ بالخفض «والكفارِ» أبو عمرو والكسائي ، وقرأ الباقون «والكفارَ» . **تنظر** القراءة في: حجة ابن زنجلة (ص: ٢٣٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٥٥٢) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٦٢٤) .

(٥) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٠٣) ، رقم (٤٠٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩٤) لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٦) سورة التوبة ، الآية (٧٤) .

(٧) سورة البروج ، الآية (٨) .

(٨) سورة الأعراف ، الآية (١٢٦) .

(٩) البيت للنابغة الذبياني ، **ينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٣٢٧) ، ديوان النابغة (ص: ٤٤) ، العين للخليل (٨/ ٣١٦) باب الفاء واللام ، الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٢٦) ، لسان العرب (قرع) ، همع الهوامع (١/ ٢٣٢) .

دال على كثرة ضربهم بالسيف .

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿ مَثُوبَةً ﴾ مرجعا . من قرأ « وعبد الطاغوت » على الفعل الماضي ، فهو معطوف على ﴿ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ [(١)] و ﴿ سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وسط الطريق .

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ﴾ هلا ينهاهم ، وجعل فعل الربانيين والأحبار أبلغ من المسارعة في الإثم والعدوان وأكل السحت ؛ لأنه ختمه بقوله : ﴿ يَصْنَعُونَ ﴾ ولا يطلق اسم الصانع إلا على من اتقن العمل ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [(٢)] .

قالت اليهود: إن الله لن يبسط النفقة علينا ، وله القدرة وسعة المملكة ، فلعنهم الله ، ورد عليهم بقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ أي: هو أكرم الكرماء ، وهذا مثل لجوده وكرمه ، بحال من يعطي بيديه كلتيهما[(٣)] وإيقاد نار الحرب وإطفاؤها أيضا من باب الاستعارة .

---

(١) هذه قراءة عامة القراء غير حمزة ؛ فقد قرأ «عَبُدَ» بضم الباء وفتح الدال . وفي هذه الآية أربع وعشرون قراءة كما قال السمين الحلبي في الدار المصون ، **وتنظر** القراءة في : حجة ابن زنجلة (ص: ٢٣١) ، البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٥١٨) ، الدر المصون (٢/ ٥٥٨) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٦٢٥) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨٨) .

(٣) هذه الآية من جملة الآيات التي اشتملت على صفة من الصفات التي وصف الله – تعالى – بها نفسه العلية ، وقد ثبت في صحيح البخاري رقم (٧٤١٩) ، وصحيح مسلم رقم (٩٩٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «يمين الرحمن ملأى سَحّاء ، لا يغيضها الليل والنهار . قال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يمينه ، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يرفع ويخفض» . قال الترمذي – رحمه الله – في جامعه (٣٠٤٥) بعد هذا الحديث : « وهذا حديث قد روته الأئمة ، نؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم ، هكذا قال غير واحد من الأئمة ؛ الثوري =

﴿ فَسَادًا ﴾ يجوز أن يكون مصدرا ، والعامل فيه «يسعون» من غير لفظه ، وأن يكون مفعولا من أجله . وعد الله أهل الكتاب على الإيمان والتقوى بتكفير السيئات ودخول الجنة على إقامة التوراة وصيانتها عن التحريف بسعة الأرزاق.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ﴾ متوسطة الحال في الطاعة والمعصية . ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ﴾ في بعض ، فكأنك لم تفعل شيئا من الرسالة ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال ذات ليلة : «ليت حارسا يحرسني الليلة ، فجاء الزبير بن العوام عليه سلاحه ، قال النبي ﷺ : من هذا ؟ قال: أنا الزبير جئت لأحرسك ، فلما كان بعض الليل أخرج النبي ﷺ رأسه من القبة ، وقال: أيها الحارس، اذهب فقد عصمني الله ، وتلا ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ »(١) يعني : من القتل بأيديهم ،

= ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك ، أنه تروى هذه الأشياء ، ويؤمن بها فلا يقال كيف ؟! وقال ابن حبان في صحيحه : «هذه أخبار أطلقت من هذا النوع توهم من لم يحكم صناعة العلم أن أصحاب الحديث مشبهة ، عائذ بالله أن يخطر ذلك ببال أحد من أصحاب الحديث ، ولكن أطلق هذه الأخبار بألفاظ التمثيل بصفاته على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم ، دون تكييف صفات الله جل ربنا أن يشبه بشيء من المخلوقين ، أو يكيف بشيء من صفاته ؛ إذ ليس كمثله شيء» .

(١) رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٠٤٦) ، والطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٨) ، وفي دلائل النبوة (٢/ ١٨٤) ، وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الترمذي رقم (٢٤٣٨) .

وإلا فقد شج وجهه ، وكسرت رباعيته ﷺ.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ أي: لستم على شيء من الدين ﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ تلاوة وعملا . ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ فلا تحزن . وإذا عطف على اسم «فلا تأس» فلا تحزن . وإذا عطف على اسم «إن» بعد استيفاء الخبر، جاز النصب والرفع ؛ كقولك: إن زيدا قائم وعمرا وعمرو ، فأما قبل استيفاء الخبر فالنصب أرجح ، والرفع قليل ، ومنه هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ وأنشد سيبويه [من الوافر] :

وإلا فاعلموا إنَّا وأنتُم بغاةُ ما بقينا في شقاقِ[1]

والقياس على اللغة الفصيحة : إنا وإياكم[2]. ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما يستقبل. ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما مضى. ﴿ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ قرئ بالرفع والنصب[3].

وإذا وقع قبل «أن لا» فعل يقين تعين الرفع ، وتكون مخففة من الثقيلة ؛ كقوله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ [4] . وإن كان قبلها فعل خوف أو طمع وجب النصب ؛ كقوله : ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [5] وإن كان قبلها فعل ظن وحسبان ففيه قولان ؛ كهذه الآية . ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ أمرهم بعبادة الله دونه وجعله ربه وهو ضد ما تقوله النصارى .

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم ينظر في: الإنصاف لابن الأنباري (١/ ١٧٥)، خزانة الأدب للبغدادي (١٠/ ٢٩٣ ، ٢٩٧) ، ديوان بشر بن أبي خازم (ص: ١٦٥) ، شرح أبيات سيبويه (٢/ ١٤) ، شرح التصريح (١/ ٢٢٨) ، الكتاب لسيبويه (٢/ ١٥٦) ، المقاصد النحوية (٢/ ٢٧١) ، وبلا نسبة في : أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ١٥٤) ، شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٦٩) .

(٢) ذهب البصريون إلى عدم جواز العطف على موضع اسم «إنّ» قبل تمام الخبر ، بخلاف الكوفيين الذين يجوزون ذلك . تنظر المسألة في : الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (١ / ١٧٥) ، أوضح المسالك لابن هشام (١ / ٣٥١) .

(٣) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب «تكونُ» ، وقرأ باقي العشرة «تكونَ» .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٥٣٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٣٣ ، ١٣٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٢٣٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٤٧) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٣٥٥) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٥).

(٤) سورة طه ، الآية (٨٩) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٢٩) .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٧٧) لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ (٨١) ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) ﴾

﴿ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ «من» زائدة ؛ لتأكيد النفي ، فإن قيل : لو قيل : وما للظالمين من نصير لكان أبلغ ، فإنه يلزم من نفي النصير نفي الأنصار، ولا يلزم من نفي الأنصار نفي النصير؟ فالجواب : أنهم زعموا أن لهم أنصارا وهم ما أشركوه مع الله في الإلهية ، وآباءهم الأنبياء زعموا أنهم يشفعون فيهم ، فنفى ما اعتقدوه من الأنصار .

«من» في ﴿ مِنْ إِلَـٰهٍ ﴾ مزيدة . الصِّدِّيق : الكثير التصديق ؛ لقوله – تعالى – في حقها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا ﴾ (١) وقيل: الكثيرة الصدق ، كالشرِّيب ، والخمِّير ، والعِرْبيد (٢) .

---

(١) سورة التحريم ، الآية (١٢) .

(٢) **العربدة** : سوء الخلق ورجل معربد : يؤذي نديمه في سكره ، والعربد : الذكر من الأفاعي ، ويقال : بل هي حية حمراء خبيثة ، ومنه اشتقت عربدة الشارب . **ينظر** : لسان العرب (عربد).

﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ كناية عن احتياجهما إلى خروج الخبث الذي يستحيى من التلفظ به ﴿ يُؤْفَكُونَ ﴾ يقلبون عن الحق . والمؤتفكات : قرى قوم لوط ؛ لأنها قلبت بهم . كان النبي ﷺ قد مُني[1] بمجاورة اليهود ، وكانوا يدَّعون العلم بما في التوراة، فلما ظهرت معجزات النبي ﷺ وصدقه عادوه ، ولم يكن بجواره أحد من النصارى ، فكان يجد أشد الناس عداوة اليهود ، وأما المشركون فهم جهلة ، نقلوا عن آبائهم عقائد فاسدة ، فاقتدوا بهم فيها ، ولم يرجعوا عنها، وعادوا كل من يروم منهم الرجوع عنها ، وكان قد ورد المدينة جماعة من النصارى يجادلون في دينهم ، فلما تلوا عليهم القرآن بكوا وصدقوا وجعل علة تصديقهم بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم غير مستكبرين ، فإنهم إذا سمعوا القرآن بكوا، واعترفوا بأنهم عرفوا أنه الحق ، وسألوا الله – تعالى- أن يميتهم في زمرة من يشهد لمحمد بالرسالة ، وأقبلوا على نفوسهم باللوم ، وإن أخروا الإجابة والقبول ، فمن لم يكن علمه وتعبده بهذه الصفة فليس مراعيا للإذعان بالحق ، ولم يكن مستكبرا ، وكان خاشع القلب ، سريع الدمعة ، أعد له الثواب المذكور في آخر هذه الآية . والقسيس: العالم . والراهب: الخائف من الله .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

قوله : (ونطمع) جملة حالية ، وتقديرها : ونحن نطمع ، ويكون الحال جملة اسمية ،

---

(١) يقال : منيت بكذا وكذا : ابتليت به ، ومناه الله بحبها يمنيه ويمنوه أي : ابتلاه بحبها منيا ومنوا . ينظر : لسان العرب (مني).

وإلا فالفعل المضارع إذا وقع حالا مثبتا لم يجز دخول الواو فيه . روي أن جماعة أتوا بيوت أزواج النبي ﷺ فسألوهن عن أعماله في الليل والنهار ، فذكرن لهم ذلك ، فكأنهم استقلوها ، فقال أحدهم : «أما أنا فأصوم فلا أفطر ، وقال الآخر : أنا لا آكل لحما ، ولا دسما ، وقال الآخر : أنا لا آتي النساء ، فجاء النبي ﷺ ، فأطلعه الله على ما قالوا ، فقال: أما والله إني لأتقاكم لله ، وأشدكم له خشية ، أما أنا فأصوم وأفطر ، وآكل اللحم والدسم ، وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني»[1] فنزلت ﴿ لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ ﴾ الآية[2] . والاعتداء : مجاوزة الحد .

أصل اللغو في لغة العرب : أنهم إذا أتوا بإبل الدية ، ومع النوق فصلان صغار لها ، فلا يعتد بالفصلان في الدية، ويقال: هذه لغو، فاستعير ذلك في الكلام الذي لا تعقد فيه النية من الأيمان ، وهو قول الرجل : لا والله ، وبلى والله ، وهو مخير في كفارة اليمين بين العتق والإطعام والكسوة، فإن عجز عن الجميع صام ثلاثة أيام . ﴿ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ فلا تحلفوا ، أو احفظوها إذا حلفتم فلا تحنثوا ، أو احفظوها إذا حلفتم وحنثتم فلا تتركوا الكفارة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾

﴿ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ ، القمار، وكانوا يتفاءلون به للغنى ، فاشتق له الميسر ، من اليسار.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٠٦٣) ، ومسلم رقم (١٤٠١) عن أنس ﷺ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٧ / ٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨) رقم (٤١١) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٢ / ٣٠٧) لابن أبي حاتم وابن مردويه .

﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾ الأصنام . وقيل: حجارة تذبح عليها للأصنام . ﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ سهام صغار وقد تقدم ذكرها [(١)]. والرجس : المبعد من عمل الشيطان مما وسوس به ، وقد عدد - سبحانه وتعالى - صوارف موانع من شرب الخمر، والاستقسام بالأزلام ، ومعاناة الميسر منها : أنها رجس، ومنها : أنها من عمل الشيطان ، ومنها : الأمر باجتناب ذلك ، ومنها : أن باجتناب ذلك يحصل الفلاح ، ومنها : أن فعل ذلك يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ثم أتبع ذلك استفهام الإنكار ، بقوله : ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ ولهذا قال عمر لما نزلت هذه الآية : انتهينا يا رسول الله ، انتهينا[(٢)] . ولما نزل تحريم الخمر ، قال بعض المسلمين : كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر قبل تحريمها ؟ فنزلت ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ ﴾ الآية[(٣)] .

ابتلى الله المؤمنين عام الحديبية ، وهم يحرمون بالصيد فكانت الغزلان وحمر الوحش تدخل بين الإنسان وبين رجله ، فيتمكن الإنسان من إمساكها بيده [(٤)] ، كما ابتلى أصحاب طالوت بتحريم شرب ماء نهر ، مع شدة العطش إلا من اغترف غرفة بيده ، وكذلك ابتلى أهل «أيلة» بتحريم الصيد يوم السبت، فكانت الحيتان تأوي ليلة السبت إلى شاطئ البحر كأنها كباش سمان؛ ليظهر بهذا الابتلاء المطيع من العاصي .

﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ علما يتعلق به الجزاء ، فإن علمه في الأزل أن زيدا سيعصي لا يستحق عقوبة. أو ليرى ؛ فإن الرؤية لابد فيها من وجود المرئي .

أراد بالصيد: المصيد . وقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ خبر لقوله: ﴿فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ﴾ .

وروي أن سائلا سأل عمر بن الخطاب عن محرم قتل أرشا ، وكان عبد الرحمن بن عوف حاضرا ، فسأل عمر بن الخطاب عبد الرحمن بن عوف عن جزائه ، فاتفقا على أمر ، فأفتاه عمر بما اتفقا عليه، فقال المستفتي لرجل كان معه : ما درى أمير المؤمنين ما تقول حتى علمه

---

(١) في الآية (٣) من سورة المائدة .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٧ / ٣٣) .

(٣) رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٠٥١) ، والطبري في تفسيره (٧ / ٢٥) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٢١٢) رقم (٤١٦) وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٤) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (١/٦٤٣) .

هذا الشيخ، يشير إلى عبد الرحمن بن عوف فسمعه ، فقال: يا عدو نفسه تغمص الفتيا[١] ، وتقتل الصيد وأنت محرم ، وقد قال الله - تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ فها أنا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف ، ثم ضربه ضربات[٢].

﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ يريد الكعبة وما حولها . ويجب سوق جزاء الصيد إلى منى وذبحه بها ، وتفرقة لحمه على من حضر. ﴿ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ وهو مخير بين الأمور الثلاثة .

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ ﴾ قيل: طعامه: ما مات فيه وهو حلال عند الشافعي[٣]. ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ أي: يقوم مصالحهم ، فلا يصح الحج إلا بالطواف بها ولا الصلاة إلا باستقبالها . قيل : والقلائد : أي : وذوات القلائد .

﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ ﴾ بحكم الله في هذه الجزئيات إنه سبحانه يعلم الكليات والجزئيات، فإن القائل قائلان : قائل يقول : لا يعلم الجزئيات ، ولا شيء منها ، وهو مذهب الفلاسفة. وقائل يقول : يعلم جميعها ، فالقول إنه يعلم بعضها دون بعض خلاف الإجماع .

ومثل ذلك أي : ذلك الذي ذكر في هذه السورة من الأحكام من أولها ؛ من الوفاء بالعقود إلا ما يتلى من المنخنقة والموقوذة وأخواتها ، وتحريم الصيد حالة الإحرام ، وعدم انتهاك حرمة الحجاج ، وأن العداوة لا تكون سببا للجور ، والأمر بالتعاون على البر والتقوى ، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان ، وتحريم الميتة وما يتبعها ، وتحليل ما

---

(١) **غمص الناس** أي : احتقرهم ولم يرهم شيئا ، وتغمص الفتيا ، أي : تحتقر الفتيا وتستهين بها .
ينظر : لسان العرب (غمص) ، والأرش : دية الجراحات . **ينظر** : لسان العرب (أرش).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٧ / ٤٥) .

(٣) **ينظر** : الأم للشافعي (٢ / ١٧٦) .

أمسكه الصيد على صاحبه إذا كان معلّما ، وتحليل طعام اليهود والنصارى وذبائحهم ومناكحتهم وتحريم السفاح ، وتحريم اتخاذ الأخدان ، وكيفية الوضوء ونواقضه ، والتيمم عند عدم الماء ، والأمر بالقيام بالقسط والشهادة به ، وتذكار نعم الله وشكرها ، وهلم جرا ... إلى حد المحاربين والسارقين ، والتخيير في الحكم بين أهل الكتاب وتركه ... إلى ما ذكره آنفا من كفارة اليمين ، وتحريم صيد البحر حالة الإحرام ، وتحليل ميتة البحر ، وكيفية جزاء الصيد وكفارة اليمين ، فقال ذلك المذكور كله ، والخبيث والطيب: الحرام والحلال .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ (١٠١) قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ (١٠٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (١٠٥) ﴾

روي أن الأقرع بن حابس [١] قال : يا رسول الله : أحجنا هذا لعامنا هذا أم للأبد ؟ فسكت زمنا طويلا ، ثم قال : «بل للأبد ولو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم» فنزلت ﴿ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [٢] .

وفي الحديث : أن النبي ﷺ قال: «أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم ، فحرم من أجل مسألته» [٣] الضمير في «سألها» يعود إلى المصدر ، أي : قد سأل هذه المسألة قوم.

(١) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي ، وفد على النبي ﷺ ، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه . وقيل : كان الأقرع حكما في الجاهلية وشهد مع خالد حرب أهل العراق ، وقتل باليرموك في عشرة من بنيه.

تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١ / ١٠١) .

(٢) رواه أحمد (١ / ٢٥٥ ، ٣٥٢) ، وأبو داود رقم (١٧٢١) ، والنسائي في سننه (٥ / ١١١)، وابن ماجه رقم (٢٨٨٦) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٤٤١) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما . وله شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم في صحيحه رقم (١٣٣٧) ، والنسائي (٥/ ١١١) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٧٢٨٩) ، ومسلم رقم (٢٣٥٨) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ .

إذا ولدت الناقة خمسة أبطن : بحروا أذنها أي : شقوها وحرموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وكانوا ينذرون إن شفى الله مريضه أن يجعل ناقته سائبة على حكم البحيرة في عدم الانتفاع ، وكانوا في الجاهلية يعتقون سائبة ، يعني بغير ولاء ، وكانوا إذا ولدت الناقة أنثى فهو لهم ، وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم ، وإذا ولدت ذكرا وأنثى قالوا: وصلت أخاها ، وإذا نجب من ظهر الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حميَ ظهره ، فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ويسمونه : الحامي ، فأبطل الله جميع ذلك وهذه أحكام ما نزل الله بها من سلطان ، وهم مقبلون عليها. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أعرضوا، أو يتبعون أهواءهم ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ .

﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ نصب على الإغراء ، أي : ألزموها الخير . قوله : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ من الاهتداء للأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فمن تركهما ضرَّهُ تركُهُما . روي أن تميما [1] وعدي بن بدَّاء [2] سافرا مع رجل مسلم في تجارة ، فحضرت المسلم الوفاة في الطريق ، فجعل تجارته في عدل كبير، وكتب جملته وتفصيله في ورقة وتركهما في العدل ، ثم سلم العدل إلى الرجلين ؛ ليوصلاه إلى أهله ، ولم يشعرهما بالورقة[3]. فقوله: ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ أي : ليحضر الوصية اثنان .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) هو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة الداري ، صاحب رسول الله ﷺ والدار : بطن من لخم ولخم فخذ من يعرب بن قحطان ، كان نصرانيا فأسلم سنة تسع من الهجرة ، وكان عابدا تلاَّء لكتاب الله ، سكن المدينة ، ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان ﷺ. تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ١٩٣) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢ / ٤٤٢) .

(٢) هوعدي بن بدَّاء - بتشديد الدال قبلها موحدة مفتوحة - لا يعرف له إسلام . قال ابن عطية : لا يصح لعدي عندي صحبة ، وقد وضعه بعضهم في الصحابة ، قال الحافظ ابن حجر : ولا وجه لذكره عندي ، ومات عدي بن بداء نصرانيا . تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤ / ٤٦٨) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٨٠) ، وأبو داود في سننه رقم (٣٦٠٦) ، والترمذي في سننه رقم (٣٠٦٠) .

﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ عند أبي حنيفة : من غير أهل ملتكم ، فتقبل شهادة أهل الذمة في السفر عنده ، وعند الشافعي : من غير قبيلتكم [1].

﴿ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ سافرتم . ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ يريد بعد صلاة العصر ، والريبة : هو أن وجدت الورقة في العدل فقابلوا بها ما حضر ، فعدم منه إناء من فضة مخوض بالذهب ، فقال الرجلان الوصيان : ما نعرف ذلك . فحلّفوهما ، بعد ذلك وُجِد الجام[2] عند رجل في السوق يبيعه ، فقيل له : من باعك هذا ؟ فقال : تميم وعدي بن بداء[3] فهو معنى قوله : ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ حلف الورثة أن الجام ملكهم . وقوله : ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ خبر مقدم . والأوليان : تثنية الأولى هو المبتدأ ، تقديره : فالأوليان آخران يقومان مقامهما . واعلم أن هذا الحكم موافق للقواعد الشرعية ، فإن القول قول من يترجح جانبه مع يمينه ، فإذا ادَّعى عليك دين ، فالقول قولك مع يمينك ؛ لأن الأصل البراءة فإن كانت العين في يدك ، فالقول قولك مع يمينك ؛ لأن اليد مرجحة ، فإن شهد بذلك شاهد واحد فالقول قولك مع يمينك ؛ لأن جانبك ترجح بالشهادة ، وهاهنا ترجح جانب الورثة بظهور الجام الذي أنكره الرجلان ثم بقول المشتري : أنه اشتراه من الرجلين المذكورين فحلف الورثة واستحقوا .

وقوله: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ﴾ أي: يميننا أحق من أيمانهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الحكم برد اليمين أقرب إلى ﴿أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ إذا عثر على أنهما استحقا إثما . إنما قالوا : ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ وقد علموا أن الأمم كذبوهم ؛ لأنهم دهشوا من هول الموقف . وقيل : تأدبوا مع الله ؛ لأنه عالم الخفيات .

---

(١) **ينظر** : الأم للشافعي (٦/ ١٩١) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ٥٢٤) ، المبسوط للسرخسي (٧/ ٤٩٢) ، المغني لابن قدامة (١٠ / ١٦٩) .

(٢) **الجام** : إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها وقد غلب استعماله في قدح الشراب .
ينظر : لسان العرب (جوم) .

(٣) رواه ابن جرير في التفسير (٧/ ١١٥) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٢١٥) ، رقم (٤٢١) ، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٢/ ٢٤٢) لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ
أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ
وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ
ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى
ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ
يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا
وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ
فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ بجبريل و ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ فسِّر في آل عمران[1] .

﴿ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ أي: مثل. (وتنفخ) في الذي هو مثل هيئة الطير. ومن قرأ (هل تستطيع)[2] فمعناه : هل تستطيع سؤال ربك . وقول عيسى لهم : ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تشكيك في إيمان الحواريين ، ويقوي ذلك قوله في آخر الآية : ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ فهذا يدل على أنهم لم يكونوا يعلمون أنه صدقهم ، ومن شك في نبوة نبي فقد كفر ، لكنهم بعد ذلك قوي إيمانهم ، ونصحوا في صحبة عيسى عليه السلام . قوله: ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ العامل في المجرور مضمر والتقدير شاهدين عليه من الشاهدين ؛ لأن اسم الفاعل إذا كان فيه الألف واللام ، فهو موصول ، ومعمول الصلة لا يجوز تقديمه عليها[3] .

---

(١) عند الآية (٤٦) .

(٢) قرأ بها الكسائي ، وقرأ الباقون «هل يستطيع ربُّك» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٥٤)، حجة ابن خالويه (ص : ١٣٥) ، حجة أبي زرعة (ص : ٢٤٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٢٤٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٥٦) .

(٣) تقدم التعليق على هذه المسألة في تفسير سورة البقرة ، الآية (١٣٠) .

قوله: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ الآية. قيل : لما سمعوا أن الله يعذب من كفر بعد نزول المائدة عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين ، استقالوا وسألوا ألا تنزل المائدة ، فلم تنزل وقال الأكثرون: بل نزلت بين غمامتين ، فقال عيسى للحواريين: ليتقدم من يكشفها ، فقالوا له: أنت أولى بذلك منا ، فتوضأ وصلى ركعتين وكشفها ، فوجد فيها سمكة وأرغفة من الخبز وزيتونا وخلاً وملحا فأكلوا منها، واستمر أكلهم منها ، فكانت تنزل كل يوم[1] .

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾

قيل: المراد بـ (ما في نفسك) ما في نفسي ؛ لأن نفسه ملك لله ، والتقدير : تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم أنا ما في نفسي ، أنت أعلم به مني.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ ﴾ في أمر الدعوة ﴿ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴾ ولم يرد نفي النطق بأمر أجنبي عن الدعوة . قوله : ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ولم يقل : الغفور الرحيم ؛ لأنه لو قال ذلك ، كان كالشفيع لهم ، والطالب لرحمتهم ، وهو في مقام الاعتذار ، لا في مقام الشفاعة .

---

(١) روى تلك الأقوال الطبري في تفسيره (٧ / ١٣٥) ثم قال : والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال : إن الله – تعالى- أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه وإنما قلنا ذلك للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله ﷺ وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم غير من انفرد بما ذكرنا عنه وبعد ، فإن الله – تعالى- لا يخلف وعده ولا يقع في خبره الخلف وقد قال –تعالى- مخبرا في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وغير جائز أن يقول – تعالى ذكره – إني منزلها عليكم ثم لا ينزلها ؛ لأن ذلك منه – تعالى- خبر ولا يكون منه خلاف ما يخبر ، ولو جاز أن يقول: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ . ثم لا ينزلها عليهم جاز أن يقول: فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة وغير جائز أن يوصف ربنا – تعالى – بذلك .

﴿ يَوْمُ يَنفَعُ ﴾ قرئ بنصب يوم ورفعه[١] وإن أضيف الظرف إلى الفعل المضارع، جاز إعرابه وبناؤه ، ومثله : ﴿ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ ﴾ بالرفع والنصب[٢] .

قال قتادة : متكلمان تكلما يوم القيامة وصدقا ، لكن كان أحدهما كذابا في الدنيا ، فلم ينفعه صدقه في الآخرة ، وهو إبليس ، حيث قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ إلى آخر الآية[٣] والآخر كان صادقا في الدنيا، فنفعه صدقه في الآخرة ، وهو عيسى عليه السلام قال الله: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[٤]. أتى في بعض الألفاظ بما يدل على ملكه - سبحانه - السماوات والأرض ، قوله : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وفي بعضها ما يدل على ملكه لما فيهما: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٥] . وجاء في هذه الآية بالأمرين معا فقال: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ .

* * *

---

(١) قرأ نافع من العشرة "هذا يومَ " ، وقرأ باقي العشرة " هذا يومُ ". **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٦٣) ، حجة ابن خالويه (ص : ١٣٦) ، حجة أبي زرعة (ص : ٢٤٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٥٠) ، النشر لابن الجزري (٢/٢٥٦).

(٢) سورة الانفطار ، الآية (١٩) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب " يومُ " ، وقرأ الباقون "يومَ" . **تنظر في** : البحر المحيط (٨ /٤٣٧) ، تفسير القرطبي (١٩ / ٢٤٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٦٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٥٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٨٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٧٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٩٩) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (٢٢) والكوفيون يجيزون بناء الظرف إذا أضيف إلى جملة فعلية ، والبصريون لا يجيزون بناءه إلا إذا صُدِّرت الجملة المضاف إليها بفعل ماضٍ . **وتنظر** المسألة في: الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٦٥٩) ، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ١٧٢) .

(٤) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٤٢) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ عن قتادة .

(٥) سورة النساء ، الآية (١٢٦) .

سورة الأنعام [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)
وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا
السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ (٦) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ
(٧) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا
لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (٩) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾

قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ يدل على أن الظلمات مخلوقة ، خلافًا لمن زعم أن الظلمة عدم النور ؛ فإن الظلمة لا تفتقر إلى سبب سوى منع أسباب النور (١) .

﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ مدة العمر . ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ مدة بقاء الدنيا . ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون قيل: ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ متعلقة بـ «يعلم» أي: ليعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض . وقيل : قوله : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أي: أمره وسلطانه ، كقوله : ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ (٢) .

---

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١/ ٤٩٢) .

(٢) سورة الملك ، الآية (١٦) وعقيدة السلف الصالح من أصحاب النبي ومن تبعهم بإحسان من الأئمة الأربعة وغيرهم في مثل هذه الآية هي : إمرار الصفات الذاتية التي وصف الله – تعالى- بها نفسه أو وصفه بها نبيه ﷺ في أحاديثه الثابتة الصحيحة ـ من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ، وفي إطار قوله – تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] ، وقد دل على صفة الفوقية لله – تعالى- وأنه تعالى فوق السماء السابعة على عرشه وهو بائن من خلقه وقدرته وعلمه في كل مكان ـ العديد من الآيات القرآنية الكريمة منها هذه الآية ، كما ثبت في السنة الصحيحة ذلك ومنه ما رواه مسلم في صحيحه =

﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ « من » زائدة ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ « من » للتبعيض . ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ آثار من ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ قوله : ﴿فَلَمَسُوهُ﴾ اجتمع لهم رؤية نزول الكتاب ولمسه باليد ومثله : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [1] ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لأن نزول الملك آية خارقة ، فإذا لم يؤمنوا بها عذبوا ، ولم يؤخروا . ولو جعلنا الرسول ملكا ، فإما أن يبقى على صورته ، فلا يستطيعون النظر إليه . ولما رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته التي خلق عليها سقط مغشيًا عليه [2]، فما ظنك بغيره ، ولو حولناه إلى صورة البشر لم يعلموا كونه ملكا ، فملبس عليهم .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١) قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) ۞ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)﴾

أمروا بالسير ليروا آثار المهلكين ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإن لم يجيبوك فقل أنت: لله . وإذا كان الجواب مجيبا معلوما فسواء قال المدعي أو السامع. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

= رقم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي وفيه: «وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانيةفاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها. قال: «ائتني بها» فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: « من أنا؟ » قالت : أنت رسول الله. قال: « أعتقها فإنها مؤمنة » . **ينظر** : اعتقاد أهل السنة للبيهقي (ص : ٤٠١) .

(١) الحجر ، الآية (١٤) .

(٢) رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته مرتين وقد ثبت ذلك في صحيح البخاري رقم (٣٠٦٣) ، وصحيح مسلم رقم (١٧٤) .

﴿الْقِيَامَةِ﴾ أي : ليجمعنكم في البرزخ جيلا بعد جيل إلى أن ينفخ في الصور . وقيل : ﴿إِلَى﴾ بمعنى في . ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ نصب على الذم ، أو رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: أنتم الذين. ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ من السكنى. ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ﴾[1].

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل مسموع ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل مسموع . وقوله ﴿أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ﴾ فصل بها بين الموصوف الذي هو اسم الله ، والصفة التي هى فاطر . وقرئ ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[2] والضمير يعود إلى غير الله . زعم الرماني[3] أن قوله : ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ جملة معترضة بمعنى الحال ، ولا جواب لـ »إن« وهذا خلاف المشهور[4] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ المستعلي عليهم علوا معنويا . ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ يدل على أن الله – تعالى- يسمى شيئا ومنهم من منع ذلك ؛ لأن الله -تعالى- له الأسماء الحسنى ، ولفظ الشيء لا مدح فيه . قوله : ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ كل من سمع القرآن ، فهو مخاطب به من جهة الله - تعالى .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)﴾

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٤٥) .

(٢) القراءة المشهورة وهي قراءة العامة من القراء : «وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ» والضمير لله – تعالى- والمعنى: وهو يرزُقُ ولا يُرْزَقُ . وقرأ سعيد بن جبير ومجاهد والأعمش وتروى عن أبي عمرو بن العلاء «ولا يَطْعَمُ» بمعنى : ولا يأكل، والضمير لله – تعالى- أيضا . وقرأ ابن أبي عبلة ويمان العماني وتروى عن يعقوب « وهو يُطْعَمُ ولا يُطْعِمُ» والضمير عائد على غير الله كما ذكر هنا. وهناك قراءات أخرى **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٨٥ ، ٨٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٢١) ، فتح القدير للشوكاني (٢ / ١٠٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٩) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص:٣٦).

(٣) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي ، أبو الحسن الرماني ، إمام في اللغة والنحو ، صنف كتباً كثيرة منها شرح كتاب سيبويه في سبعين مجلداً وكتاب الحدود ومعاني الحروف وشرح أصول ابن السراج ، مات سنة ٣٨٤هـ . **تنظر** ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي (٢/ ١٧٠) ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزبادي (ص : ١٥٤) رقم (٢٤٠) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٤/ ٧٣) .

(٤) والمشهور في إعراب إن عصيت أنها شرط حذف جوابه ؛ لدلالة ما قبله عليه ، ولذلك جيء بفعل الشرط ماضيا ، وهذه الجملة الشرطية فيها وجهان : أحدهما : أنها معترضة بين الفعل أخاف و بين مفعوله عذاب والثاني : أنها في محل نصب على الحال . قال أبو حيان : كأنه قيل: إني أخاف عاصيا ربي . وفيه نظر ؛ إذ المعنى يأباه .

ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٨٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٢٢) .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ
نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا
مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ
يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ
هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى
وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أحد في المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبا، كما أنه ليس في المانعين أظلم ممن منع مساجد الله . الهاء في ﴿ إِنَّهُ ﴾ ضمير الشأن . ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ أو لم تكن فتنتهم إلا قولهم، ضمن ﴿ يَسْتَمِعُ ﴾ معنى ﴿ يصغى ﴾، فعداه بـ ﴿ إلى ﴾ والأكنة : جمع كنان ، كراهة أن يفقهوه .

﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ما سطره الأولون ، والأساطير: جمع أسطورة ، كالأحاديث والأعاجيب جمع أحدوثة وأعجوبة . وكان أبو طالب عم النبي ﷺ يمنع النبي ويذب عنه ، ويأبى أن يوافقه في الدين ، فنزلت ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ [(١)] .

من قرأ ﴿ وَلَا نُكَذِّبُ ﴾ بالرفع فقد التزموا عدم التكذيب مطلقاً ، ومن قرأ ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ ﴾ [(٢)] جعله شرطا والتقدير: إن رددتنا لم نكذب قال سيبويه [(٣)] : إذا قال اللص: أطلقني ولا أعودَ بالنصب ، كان تقديره : إن أطلقتني لم أعد . ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا ﴾ تمثل بحال

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢ / ٣١٥) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٣٣) ، وابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ١١٠) .

(٢) قرأ حفص وحمزة ويعقوب «ولا نكذبَ» ـ ونكونَ «وقرأ ابن عامر» ولا نكذبُ ونكونَ «وقرأ باقي العشرة » ولا نكذبُ ـ ونكونُ . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٠٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٣٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٢٤٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٥٥) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٧) .

(٣) ينظر : الكتاب لسيبويه (٣ / ٢٢) .

الجاني إذا وقف بين يدي رب الأمر وهو ذليل منكّس الرأس. وقيل: هو من مجاز الإضمار، تقديره: إذ وقفوا على جزاء ربهم، والهمزة في (أليس) للإنكار.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ
يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ
أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ
إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ
ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى
ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن
يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ
أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن
شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ أي: في العمل لها. قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ فإنهم كانوا يسمونه محمدا الأمين. وقال أبو طالب [من الكامل]:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ ... من خير أديانِ البريةِ دِينا
لولا المَلامةُ أو حَذارُ مَسَبَّةٍ ... لوجَدْتَني سَمْحًا بذاكَ مُبينا[1]

فعرف الحق وامتنع من قبوله، ومثله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[2].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وضع الظاهر موضوع المضمر، والتقدير: ولكنهم. ﴿وَأُوذُواْ﴾ معطوف على ﴿كُذِّبُواْ﴾ وليس معطوفا على قوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ﴾. وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ

---

(١) تنظر الأبيات في: روح المعاني للألوسي (٧/ ١٢٧)، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٤)، لسان العرب (كفر)، النكت والعيون للماوردي (١/ ٥١٧).

(٢) سورة النمل، الآية (١٤).

مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: نبأ من نبأ المرسلين . وقيل : «من» للتبعيض ، والتقدير: جاءك بعض نبأ المرسلين . ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ ﴾ . سبباً تصل به إلي إقبالهم عليك فأت به ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ فلا يخف عليك ذلك فإنك متى كنت مستحضراً لذلك خف عليك الحزن . ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أيأسه بذلك وعلله بأنهم لا يسمعون ، ثم أضاف إلى ذلك عدم الحياة بقوله : ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ ثم إلى دار جزائه يحشرون . ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ ﴾ اقترحها. قل : إنما اختيار الآيات إلى الله ، وهو القادر على الإتيان بها ، وليس ذلك إلى اختياري ولا اختياركم . وقيل: هو القادر على إنزال ما تقترحونه . وقوله: ﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ تصوير لهيئة طيرانه التي أقدره الله عليها ، كأنك تشاهده وهو يطير. كقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾[١] ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ أي: في القرآن من شيء يحتاج إليه العباد في أمر معاشهم وسعادتهم . وقيل: أراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، وقد كتب فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة استعار الصَّمم والبكم والسير في الظلمات للكفار ؛ لأنه لم ينتفع بسمعه ولا بنطقه ، ولا بالنور الذي أنزل على رسوله. ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ إضلاله ﴿يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يجعله كذلك . الكاف والميم في ﴿أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ ليست باسم ولا مفعول ، وإنما هي موضوعة للخطاب ؛ كقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾[٢] وقوله: ﴿هَيْتَ لَكَ ﴾[٣] و﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾[٤] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في أن له شريكا في الإلهية ، بل تخصونه بالعبادة فيفعل ما يشاء من إجابتكم أو رد دعائكم ، ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٥] .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٩) .
(٢) سورة الإسراء ، الآية (٦٢) .
(٣) سورة يوسف ، الآية (٢٣) .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٦٧) .
(٥) سورة النحل ، الآية (٥٤) .

وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ
﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

ثم سلَّى رسوله وهدد الكفار ووعد المسلمين النصرة عليهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ وذكر أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا، وابتلاهم بالنعمة ليشكروا فخالفوا المطلوب في الحالين ، وقال: ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلا ﴿إِذْ جَآءَهُم ﴾ أي: وقت مجيء الناس ﴿ تَضَرَّعُواْ ﴾ ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ ما ذكروا به من الشدة وإزالتها ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ ﴾ النعمة والرخاء والسعة وكل شيء يحتاجون إليه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ ففاجأهم بالإبلاس ، وأراد بالفرح البطر، وإلا فما تخلو نفس من السرور بما عود به الله من الخير .

وَالدَّابِرَ: الآخر. ولما كان إهلاك الدابر إنما يتأتى بعد قطع ما دونه ، جعل قطع الدابر كناية عن إهلاك الجميع ، وعن ابن عطية[١] : الدابر من الطائر الصائد، كالإبهام في يد الإنسان ، فإذا قبض الطائر بمخالبه شيئا أخذه بإبهامه ، كالمطبق عليه كما يطبق الكف بالإبهام ، وإذا قطع دابر الصائد من الطائر لم يقدر على الاصطياد ، فجعل قطع الدابر كناية عن إثخانهم بالجراح ، وعجزهم عن القتال بسببها، وقد حمد الله نفسه على إهلاك الظلمة . ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي: بذلك ، والقياس بها. صدف عن الأمر: أعرض . ﴿ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾ بكونهم يصدفون ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ مصدران في موضع الحال. ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ وإنما عليهم البلاغ ، احتج بعضهم على أن المَلَكَ أفضل من البَشر بهذه الآية . أي : لا أدعي ما لم أعط فلا ﴿ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ وقد سبق جوابه في أواخر سورة النساء[٢] ، فكما لا يستوي الأعمى والبصير لا

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٦ / ٥٢) وهو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي ، عالم مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث واللغة والنحو والأدب. توفي سنة ٥٤١ وقيل ٥٤٦ هـ . ومن أشهر مصنفاته : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .
تنظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي (ص: ٢٩٥) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (٩/ ٣٠٧) .

(٢) عند تفسير الآية (١٧٢) قوله – تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

يستوي المسلم والكافر . ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾ أي : بالقرآن .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩) قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣) وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (٥٥) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) ﴾

وقوله : ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ حال من ضمير «يُحْشَرُونَ» .

﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ متعلق بـ «أنذر» وكان الفقراء من المؤمنين أكثر مجالسة للنبي ﷺ من الأغنياء، فقال الأغنياء: لو أفردت لنا مجلسا نسألك عما في أنفسنا ولا يكون للفقراء في مجلسنا نصيب ، فنزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ ﴾[1] ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ أي ذاته[2] . ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ فتطردهم . وقوله: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ﴾ .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤١٣) ، وابن ماجه في سننه رقم (٤١٢٨) ، وابن جرير في تفسيره (٧ / ١٢٨) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٢١٩، ٢٢٠) رقم (٤٣١ ـ ٤٣٤) .

(٢) هذه من آيات الصفات التي يذهب المصنف ـ رحمه الله ـ إلى تأويلها وصرفها عن ظاهرها ، ولعله - يرحمه الله - يريد التنزيه وعدم التشبيه ، وقد سبق غير مرة أن نبهنا إلى مذهب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة في مثل هذه الآيات التي تخبر عن صفات الله - تعالى- وهو الإثبات لكل ما أخبر الله - تعالى- عن نفسه ، وما صح من حديث النبي ﷺ في ذلك من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تعطيل .

﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ ابتلى الغني بالفقير ؛ لينظر كيف صبر هذا وشكر هذا ، وقوله: ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ أي: ليقول الأغنياء عن الفقراء : ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ فرد الله عليهم : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الهاء في ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾ ضمير الشأن. ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ أي: بإقدام وقلة نظر في العاقبة .

وقوله: ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ليس جوابا للشرط والتقدير: من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده فإن الله غفور رحيم . ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ﴾ السبيل هي الفاعلة ، والسبيل كالطريق تذكر وتؤنث ، وقرئ ﴿سَبِيلُ﴾ بالنصب[1] . والتقدير: ولتستبين يا محمد سبيل المجرمين وهي مفعولة . ﴿يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ وقرئ ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾[2] أي: يخبر الخبر الحق .

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ﴾ استعارة ، أي : يطلع على الغيوب كما يطلع من بيده المفاتح على ما حوته مفاتحه. عبر بقوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ عن قوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ولا يجوز أن يتعلق ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ بـ تَسْقُطُ فإنه يصير التقدير: لا يسقط شيء من ذلك إلا في الكتاب ، وليس ذلك

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر «ولتستبينَ سبيلَ» ، وقرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف «وليستبينَ سبيلُ» ، وقرأ باقي العشرة «ولتستبين سبيلُ» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٤١) ، حجة أبي زرعة (ص: ٥٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٧٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٥٨) الكشاف للزمخشري (٢/ ١٧) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٥٨) .

(٢) قرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر «يقصُّ الحقَّ» ، وقرأ باقي العشرة «يقضِ الحقَّ». **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤ /١٤٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٤٠) ، حجة أبي زرعة (ص : ٢٥٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ ٧٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٥٩) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٨) .

مراداً ﴿ جَرَحْتُم ﴾ أي : كسبتم بالنهار ومنه ﴿ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الجاثية:٢١] وجوارح الصيد : كواسبه ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ وهو أجل الحياة ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ ﴾ المستعلي على عباده علوًّا معنويًا[١]. ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ يكتبون أعمالكم . قال هاهنا : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ وفي أخرى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[٢] وفي أخرى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾[٣] فالأعوان يعالجون الروح حتى تصل إلى الشراسيف[٤] فيتجلّى لها ملك الموت فتخرج ، والله هو الذي سبب ذلك ، فنسب ذلك إليه ؛ لأنه المسبب ، وإلى الأعوان ؛ لأنهم المعالجون ، وإلى ملك الموت ؛ لأنه المباشر فإذا قبضت الروح من الرجل الصالح صعد بها إلى السماء فتفتح لها أبوابها. وأما روح الكافر فتغلق دونها أبواب السماء ، وتلقى إلى حيث جاءت منه.

﴿ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ احتج به من زعم أن إخفاء الأذكار أفضل من إظهارها. وقد قال في حق زكريا : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ .

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

---

(١) يسير المصنف – رحمه الله – على ما عليه معتقده في صفات الله – تعالى- التي يرى أن إثباتها يوهم تشبيها لصفاته –تعالى- بصفات المخلوقين ، وفي هذه الآية يؤول صفة العلو لله – تعالى- وقد مضى الكلام على ذلك غير مرة ، وبيان عقيدة السلف من أهل السنة والجماعة في ذلك .

(٢) سورة السجدة ، الآية (١١) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٤٢) .

(٤) **الشرسوف** : واحد الشراسيف وهي أطراف الأضلاع المشرفة على البطن . وقيل : هو غضروف معلق بكل بطن **ينظر** : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢ / ٤٥٩) ، لسان العرب (شرسف) .

يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

روي أنه لما نزل ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ : «أعوذ بوجهك» ولما نزل ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ولما قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي: فرقا ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالحرب، قال: النبي ﷺ : «هذه أهون»[1] ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أي : يفهمون . ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ استقرارا ، أو: موضع قرار ، أو: زمن قرار. ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟﴾ لأن يخوضوا، «مَا» في ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ زائدة. الضمير في ﴿مِّنْ حِسَابِهِم﴾ للذين يخوضون . لكن ذكرناهم ذكرى .

﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ قيل: أعيادهم ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ﴾ تؤخذ نظير كسبها ، وإن تفد كل فدية لا يقبل منها.

والعدل : الفدية وما يعادل به المفدي . **الْحَمِيمُ** : الماء الحار. ﴿مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ إن عبدناه. ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إن تركناه . ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ كالذي تاه عن الطريق ، وأصحابه الذين على الطريق ينادونه : ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب:١٨] الطريق معنا ، والجن ينادونه: إلينا، فإن الطريق معنا. ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي : أن نسلم . ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ وخبر ، ولا يكون ﴿قَوْلُهُ﴾ اسم كان ؛ إذ كان يجب نصب الحق ، وكان يلزم حدوث قوله ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ دائما، وإنما خص يوم النفخ في الصور بالملك ؛ لأنه انقطعت فيه دعاوى المدعين؛كقوله : ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[2] مع أن الأمر له دائما. ﴿ءَازَرَ﴾ اسم أبي إبراهيم. ومثل ما أرينا إبراهيم الحق وبطلان عبادة الأصنام نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٦٢٨ ، ٧٣١٣) ، والترمذي رقم (٣٠٦٥) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما .

(٢) سورة الانفطار ، الآية (١٩) .

ليستبصر ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ أو: وفعلنا ذلك ؛ ليكون . أو: ليكون من الموقنين فعلنا ذلك .

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا
ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا
ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى
وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ
قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى
كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ
أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ
إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ
وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾

جن الليل أي: ستر بظلامه، ومنه سمي الجن ؛ لاستتارهم . والجنة: البستان؛ لستره بالأوراق والتفاف الأغصان .

﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ أي: غاب. ابتدأ بألطف العبارة بقوله : ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ طالعا من المشرق ، ثم شدد الأمر يسيرا فقال : ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ ﴾ فلما أفلت الشمس أغلظ لهم القول وتبرأ من قومه. ﴿وَجْهِىَ ﴾ أي : عملي وقصدي .

﴿ فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾أنشأها على غير مثال سبق ﴿ حَنِيفًا ﴾مائلا إلى الحق. وجادله قومه بالباطل فرد عليهم بقوله: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ ﴾ وفي (أتحاجُونّي) ثماني كلمات. الهمزة للإنكار ، والتاء حرف مضارعة ، وحج أي: أقام الحجة وغلب، وألف حاج للمفاعلة بين اثنين ، والواو ضمير الفاعل ، والنون الأولى المدغمة في النون الثانية علامة رفع ، والنون الثانية نون الوقاية ، والياء: ضمير المفعول.

﴿فِي اللَّهِ﴾ أي: في دين الله وفي توحيده، وكان قومه قد هددوه بأن آلهتهم تهلكه فقال: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾. وقوله: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محول، أي: وسع علمه كل شيء. ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من أنكم أشركتم بالله ما لم تتم به حجة ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أنا أو أنتم، ثم بين الأحق بالأمن بقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ الآية. وهذه المحاجة ﴿حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾. وقرئ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ﴾[1] على أنه ظرف مكان أو أنه المصدر، كقوله ضربته سوطا.

قال الفقهاء: لو أوصى لبنيه أو لأولاده لم يدخل أولاد البنات، ولو أوصى لذريته دخل أولاد البنات؛ لقوله - تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ إلى قوله ﴿وَعِيسَى﴾[2].

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)﴾

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ لحبطت أعمالهم؛ كقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[3] وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾[4] وذلك بشرط الموت

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف «نرفع درجاتٍ من نشاء» بالتنوين، وقرأ باقي العشرة «نرفع درجاتِ من نشاء» بالإضافة. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ١٧٢)، الحجة لابن خالويه (ص:١٤٤)، حجة أبي زرعة (ص: ٢٥٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ١١٤)، السبعة لابن مجاهد (ص:٢٦١)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٥)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٦٠).

(٢) ينظر: بدائع الصنائع للكاساني (٦/ ٤٣٩)، مغني المحتاج للشربيني (٢/ ٣٨٦).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٤) سورة إبراهيم، الآية (١٨).

على الكفر ؛ لقوله : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ (١) ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فإن الله غني عنهم ، فقد وكل ﴿بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ كقوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ (٢) قال العلماء : لم يكن النبي ﷺ متعبداً بشريعة أحد من الأنبياء قبل النبوة ولا بعدها ؛ لأنه لو كان كذلك لاجتمع بعلماء تلك الشريعة وسألهم عن أوضاعها، وهذا هو الأصح . وقيل: تعبد بشريعة الجميع ؛ لقوله بعد عدد من الأنبياء هنا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ وقيل: تعبد بشريعة إبراهيم؛ لقوله : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ (٣) وقيل: بشريعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى لقوله - تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ (٤) الآية . الهاء في ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ للسكت ؛ كقوله : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ (٥) ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ (٦) هي بهذا الموضع أحق؛ لأنها كالعوض من حرف العلة المحذوف .

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي : على التبليغ ، ويدل عليه السياق . ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ مفرقة حتى تكون بصدد الضياع.

وقوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ احتج به قوم على ما يعتمدونه من ذكر الله غير موصوف بصفة من صفاته ، فيقولون : الله ، الله ، الله ، ولا حجة فيه ؛ لأن قوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب لقوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فإن لم يجيبوك فقل أنت : الله ، فإعراب اسم الله في قوله : ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ، التقدير: الله أنزله . يرد على من قال من المتأخرين: إن النكرة إذا وصفت بجمل ومفردات تعينت البداية بالمفردات فتقول: مررت برجل فاضل يكتب، ولا تقول : برجل يكتب فاضل.وقد جاء القرآن بخلافه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ﴾ (٧) وقال هاهنا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الذي مضى قبله من التوراة والإنجيل

(١) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٣٨) .

(٣) سورة النحل ، الآية (١٢٣) .

(٤) سورة الشورى ، الآية (١٣) .

(٥) سورة القارعة ، الآية (١٠) .

(٦) سورة الحاقة ، الآية (٢٩) .

(٧) سورة المائدة ، الآية (٥٤) .

وسائر الكتب المنزلة ؛ لتقرأه ولتنذر به، أو لتنذر فعلنا ذلك ، أو: فعلنا ذلك لتنذر به ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة . ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ جميع العالم .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ هذه الآية بجملتها دالة على كيفية تقاضي الملائكة إخراج روح الكفار بالعنف والغلظة ، كما يقول صاحب الدين الألد لغريمه : أدِّ حقي إليَّ وإلا نزعتُهُ من أحداقك .

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ فيه منتقلا عنكم ، فهو كالمخلف قِبَل الظَّهْر. والبين : الوصل ، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ (١) أي : وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا. فالمعنى هاهنا : لقد تقطعت أسباب وصلكم . ومن قرأ «بينَكم» بالنصب(٢)، فقوله : ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ معطوف على تَقطَّع والفاعل ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ وقد تنازعه ﴿تَّقَطَّعَ﴾ ﴿وَضَلَّ﴾ . وإن قيل : لم قال ﴿وَمُخْرِجُ﴾ ولم يقل : (ويخرج) ؟ قلت : لأن قوله : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ تفسير لـ ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ أي : إن الله فالق الحب والنوى بإخراج الحي من الميت. وأما قوله : ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ فهو معطوف على قوله : ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ وهو عطف اسم فاعل على اسم فاعل ، وهو أنسب(٣).

---

(١) سورة الكهف ، الآية (٥٢) .

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وخلف ويعقوب «بينُكم» ، وقرأ باقي العشرة «بينَكم» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ١٨٢) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٤٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ١٢٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٦٣)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٨)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٦٠) .

(٣) هذه مسألة خلافية حيث أجاز بعض النحاة عطف الاسم على الفعل إذا اتحد المعطوف والمعطوف عليه=

﴿ تُؤْفَكُونَ ﴾ يقلبون عن الحق إلى الباطل.

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾
وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ
حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾
بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُم
بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ
عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ ذوي حسبان. ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ في أرحام النساء ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ في أصلاب الرجال والمستودع: أرحام الأمهات.

= بالتأويل بأن كان الاسم يشبه الفعل، وهو رأي ابن مالك، واختاره السيوطي في الهمع وقال: يجوز في الأصح. ومنع المازني والمبرد والزجاج عطف الاسم على الفعل وعكسه؛ لأن العطف أخو التثنية فكما لا ينضم فيها فعل إلى اسم، فكذا لا يعطف أحدهما على الآخر. وقال السهيلي: يحسن عطف الاسم على الفعل ويقبح عكسه؛ لأنه في الصورة الأولى عامل لاعتماده على ما قبله فأشبه الفعل، وفي الثانية لا يعمل فتمحض فيه معنى الاسم ولا يجوز التعاطف بين فعل واسم لا يشبهه ولا فعلين اختلفا في الزمان. ونميل إلى رأي القائلين بالجواز؛ لما علله السهيلي. **وينظر** تفصيل ذلك في: الإملاء للعكبري (٢ / ٢٥٦)، البيان لابن الأنباري (٢ / ٤٢٢)، شرح التسهيل لابن مالك (٣ / ٣٨٣)، همع الهوامع للسيوطي (٣ / ١٩١، ١٩٢).

وقيل : المستقر : ظهر الأرض ، والمستودع : القبور ؛ كقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾[(١)] وقيل: المستقر ظرف زمان ، أي : زمن استقرار . وقيل : ظرف مكان.

وقيل: مصدر، أي : ولكم في الأرض استقرار (يخرج منه) أي : من ذلك الخضر ﴿ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَجَنَّٰتٍ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ ويقال : أينعت الثمرة : إذا طاب أكلها. ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ قدم أحد مفعولي «جعل» ليكون الإنكار متوجها ، أي : اتخاذ الشركاء جنًّا كانوا أو إنسًا ، ولو قدم الجن لكان الإنكار على اتخاذ الجن دون غيرهم . ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي: بديعة سماواته. من أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة . ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ولا تحيط به ، ولا يلزم من نفي الإحاطة نفي الرؤية ، أو يقال : الأبصار جمع معرف فيقتضي الاستغراق والأمر كذلك . ليس كل الأبصار تدركه . قال في حق الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[(٢)].

(دارسْتَ) أي : اشتغلت بالدروس مع من يشتغل به. فجاءت المدارسة من اثنين فأكثر. ومن قرأ (دَرَسْتَ) لم يكن فيه مفاعلة ، ومن قرأ (دَرَسَتْ)[(٣)] أي : أخبار قديمة قد درس أثرها ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ من خير أو شر ؛ كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[(٤)] قل لهم: إنما الآيات عند الله ، وما يدريكم أنها إذا جاءت تؤمنون ؛ فإن الله قادر على تقلب القلوب والأبصار ، وعلى صرف دواعيهم إلى الشر، كما صرفها عن الإيمان قبل نزول الآية .

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٣٦) .

(٢) سورة المطففين ، الآية (١٥) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء دَارَسْتَ ، وقرأ عاصم ونافع وحمزة والكسائي دَرَسْتَ ، وقرأ ابن عامر دَرَسَتْ . تنظر القراءات في : إتحاف فضلاء البشر للبنا (٢ / ٢٥) ، البحر المحيط لأبي حيان (١٩٧/٤) ، حجة ابن خالويه (ص :١٤٧) ، حجة أبي علي الفارسي (٣ / ٣٧٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ١٥١) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٦١) .

(٤) سورة النمل ، الآية (٤) .

﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

و «لا» في ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ زائدة ، وقرئ إِنَّها بالكسر وتكون خبرا مستأنفا من جهة الله – تعالى- بذلك . وقيل : «لا» زائدة [١] في قوله «أنها» بالفتح [٢]. و«أنَّ» بمعنى لعل ، تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك تشتري لنا لحما، أي : لعلك[٣].

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ كما قلبناها من قبل ، فلم يؤمنوا بها. ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم في مجاوزة الحد ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون . والعمه في البصيرة ، والعمى: يستعمل في البصر والبصيرة. رد الله سبحانه على الذين أقسموا ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ فقال: القلوب بيد الله ، وما يشعركم أنه يصرفها عن الحق ، ولو جاءت الآيات المقترحة ، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كما زعموا في قوله:﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [٤] وقوله : (قبلا) من قرأها بكسر القاف فمعناها معاينة، ومن قرأ بضمها وضم الباء[٥] ففيها وجهان، أحدهما: أنه مأخوذ من القبيل وهو الكفيل . يقال: قبيل وضمين وكفيل وزعيم بمعنى.

والوجه الثاني : أن المراد قبيلته قبيله . وقيل: أراد مقابلة لما حصل إيمانكم . ﴿إِلَّآ أَن

---

(١) هذا قول الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٥٠) ، وغَلَّطَهُ الزجَّاجُ في معاني القرآن (٢/ ٢٨٣) .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالكسر «إنها» واستجودها الخليل وغيره ؛ لأن معناها إخبار بعدم إيمان من طبع على قلبه ولو جاءتهم كل آية. وقرأ عامة القراء بالفتح «أنها» . **تنظر** القراءة في: إتحاف فضلاء البشر للبنا (٢ / ٢٦) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٠١، ٢٠٢) ، حجة ابن خالويه (ص : ١٤٧) ، حجة أبي علي الفارسي (٣ / ٣٧٥، ٣٧٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ١٥٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٦١) .

(٣) حكاها الخليل عن العرب . **ينظر** : الكتاب لسيبويه (٣ / ١٢٣) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٨) .

(٥) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر من العشرة «قِبلا» ، وقرأ الباقون «قُبُلا» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٠٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٤٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٢٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ١٥٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٦٥) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٥) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٦٢ ، ٢٦١) .

يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يعني : الكفار . وقيل: بعض ضعفاء المؤمنين . ﴿يَجۡهَلُونَ﴾ فيعتقدون أنهم لو جاءت الآيات المقترحة لآمنوا .

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي : ومثل ما جعلنا لك أعداء جعلنا ذلك لمن قبلك من الأنبياء. والعدو: لفظ يصلح للجمع والمفرد. قال : ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [1] وقال : ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ [2] ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ﴾ يوسوس . وفي قوله : ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ وجهان: أحدهما : أنه شياطين الجن الذين مع الإنس . والثاني : أنه مردة الجن والإنس مطلقا. و﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ ما زينوه بباطلهم . الهاء في ﴿فَعَلُوهُ﴾ وفي ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: يرجع إلى جعل الأعداء للأنبياء . والثاني : لإيجاد زخرف القول والغرور.

﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ (١١٣) أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (١١٥) وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ (١١٦)﴾

﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ ولتميل إليه قلوب الضعفاء . الحكم : هو المتقن للحكم ، ولا يطلق إلا على من يحكم بالحق . والحاكم : على المحق والمبطل فالحكم أمدح، قاله الماوردي[3] .

﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ أيها السامع لهذا الكلام من الشاكّين في ذلك . وقيل : هو كقولك لابنك: إن كنت ابني فأطعني. ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [4] القرآن. وقيل: جميع الوحي على جميع من

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٦٧) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٣٧) .

(٣) **ينظر** : النكت والعيون للماوردي (١/ ٥٥٦) .

(٤) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالجمع «كلمات» ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب والحسن والأعمش «كلمة» بالإفراد . **تنظر في** : إتحاف فضلاء البشر للبنا (١ / ٢٨) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٠٩) ، الحجة لابن خالويه (ص ١٤٨) ، الحجة لأبي علي الفارسي (٣ / ٣٨٧) الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ١٦٥) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٦٢) .

أوحي إليه ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في تقليد آبائهم . وقيل : في قولهم : ما لكم تأكلون ما قتلتموه وذبحتموه ، ولا تأكلون ما قتله الله من الميتة وهذا الذي أوحته الشياطين إلى أوليائهم ليجادلوا به المؤمنين . وقوله : ﴿هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ مشكل ؛ لأن أفعل التفضيل إذا أضيفت كانت جزءاً مما بعدها. وإن نصبت بالتمييز لم تكن جزءاً ، تقول: هذه النخلة أطيب رطبًا ، ولا يجوز: أطيب رطبٍ ، فإنه يلزم أن تكون النخلة رطبا ، فقوله : ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ (١) لا إشكال فيه ؛ لأن الله جاء بالهدى ، ولا يجوز أن يكون أعلم من يضل . فقيل في تأويله : إنه جاء في لغة إجمال اسم الفاعل في المفعول بإضمار من جنسه قال الشاعر [من الطويل] :

.... وأضربُ مِنَّا بالسيوفِ القوانِسا(٢)

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

أي: يضرب القوانس كذلك هاهنا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ يعلم من يضل(٣).

---

(١) سورة القصص ، الآية (٣٧) .

(٢) هذا عجز بيت لعباس بن مرداس وصدره : أَكَرُّ وأحمى للحقيقة مِنْهُمُ ....

ينظر في : الأشباه والنظائر للسيوطي (١ / ٣٤٤) ، الأصمعيات (ص : ٢٠٥) ، خزانة الأدب للبغدادي (٨/ ٣١٩ ، ٣٢١) ، التصريح للشيخ الأزهري (١ / ٣٣٩) ، ديوان عباس بن مرداس (ص: ٦٩)، شرح الأشموني للألفية (١/ ٢٩١) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٧٠٦)، المغني لابن هشام (٢/ ٦١٨).

(٣) وهذا قول بعض الكوفيين ، والزجاج ، ونسبه السمين الحلبي في الدر المصون للكسائي والمبرد ومكي . قال السمين : والراجح نصبها بمضمر ، وهو قول الفارسي ، وقواعد البصريين موافقة له .

ينظر : الدر المصون (٣ / ١٦٧) ، معاني القرآن للزجاج (٢ / ٢٨٦) ، معاني القرآن للفراء (١/ ٣٥٢) ، مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (١ / ٢٦٦) .

وظاهر الإثم : ما أعلن ، وباطنه : ما أسر. وقيل : ظاهر الإثم : ما فعل ، وباطنه : ما أضمر، نقله الماوردي[١] . وقيل : ظاهر الإثم : الزنى بالبغايا. وباطنه : ذوات الأخدان.

استحسن الماوردي[٢] أن لا تؤكل الذبائح إلا إذا سمي الله عليها ، لما يرى في الآية من التشديد ، والمذاهب فيها ثلاثة : أحدها: مذهب الشافعي يجوز أكل متروك التسمية سهوا وعمداً . والثاني : مذهب ابن سيرين[٣] وداود : يحرم متروك التسمية سهواً وعمداً. والثالث: مذهب أبي حنيفة : يحرم متروكًا عمدًا ويحل سهوًا[٤] .

﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ مشكل ؛ فإن الشرط المجرد عن القسم لا يجاب إلا بأحد ثلاثة أمور: إما بالفعل ، أو بالفاء ، أو بإذا التي للمفاجأة وقد جاء هاهنا عاريا عن الثلاثة ، فقيل في تأويله : ولئن أطعتموهم ، فقدر لام القسم محذوفة وغلب القسم ، فأجاب بجواب القسم. وإن صح باب هذا الاعتذار لم يصح اشتراط أحد الأمور الثلاثة في الجواب ، بل مهما فقدت الثلاثة أوّلناها بهذا التأويل .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا
بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا
يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ
ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ
السَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ
اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي

---

(١) ينظر : النكت والعيون للماوردي (١ / ٥٥٧) .

(٢) ينظر : النكت والعيون للماوردي (١ / ٥٥٧) .

(٣) هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء أبو بكر ، إمام زمانه في علوم الدين بالبصرة ، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا توفي سنة ١١٠ هـ . ومن أشهر مصنفاته : تعبير الرؤيا وتفسير الأحلام .
تنظر : ترجمته : الأعلام (٦/ ١٥٤) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٨١) .

(٤) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني (٤ / ١٦٦) ، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ٦٣٢) ، المغني لابن قدامة (١١ / ٤) ، مغني المحتاج للشربيني (٤ / ٢٦٥) ، المهذب للشيرازي (١ / ٣٦).

أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

يطلق المثل ويراد به الصفة ؛ كقوله : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾ [(١)] أي : هذه صفتها ، كذلك قوله : ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [(٢)] ثم قال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [(٣)] أي : الصفة العليا.

الياء في ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ إما علامة الجر بالإضافة ، وإما علامة النصب بالمفعولية. أي : جعلنا مجرميها أكابر . والصغار: الذل . ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ كأنما يحاول أمراً معجوزا عنه ، والرِّجْس ها هنا : العذاب .

و﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ الجنة ، سميت بذلك ؛ لأنها دار الله ، والله هو السلام ، أو دار السلام من الآفات ، أو دار يحيي بعضهم بعضا بالسلام ، وتحييهم الملائكة حين يدخلون عليهم من كل باب . ويحييهم الله -عز وجل- بالسلام : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [(٤)].

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ واتخذتموهم أتباعا . وقيل : المراد : استعاذة الإنس بالجن على ما يأتي شرحه في سورة ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ [(٥)].

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ هو مسافة تحويلهم من الجحيم إلى الزمهرير. وقيل : من الجحيم إلى الحميم ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [(٦)] ومثل ذلك القول ﴿ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾ .

---

(١) سورة محمد ، الآية (١٥) .

(٢) سورة النحل ، الآية (٧٤) .

(٣) سورة النحل ، الآية (٦٠) .

(٤) سورة يس ، الآية (٥٨) .

(٥) يعني سورة الجن ، وذلك عند تفسير قوله - تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ ، الآية (٦) وقد فسره المصنف هناك كما قال، وقد جعلنا هذه النقطة من أدلة نسبة التفسير بكامله للسخاوي - رحمه الله تعالى .

(٦) سورة الرحمن ، الآيتان (٤٣ ، ٤٤) .

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ احتج به من زعم أن الله بعث رسلا من الجن ولا حجة فيه؛ لأنه قد يقال عن الشيء إنه بعض الأشياء ، وإن لم يكن من جميع تلك الأشياء . تقول : فلان من بلاد مصر، وإنه من واحدة منها.احتج القائلون بأن الله لم يبعث رسولا من الجن بقوله : ﴿ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ (١) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ (٢). والجن ليسوا رجالا . وأجيبوا بقوله : ﴿ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ فسمَّى الجن رجالا . وقيل: المراد برسل منكم : رجل من الأنبياء إلى الجن؛ لقوله – تعالى- في قصة الجن : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ الآيتين (٣) .

﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ ببهجتها وزينتها . وقيل: غرتهم: أشبعتهم فبطروا . يقال: غر الطائر فرخه ، إذا زَقَّهُ (٤) فأشبعه .

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

---

(١) سورة الجن ، الآية (٦) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (١٠٩) .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية (٣١) .

(٤) زقه: أطعمه بفيه، وزق بسلحه يزق زقا وزقزق: حذف ، وأكثر ذلك في الطائر .

ينظر : لسان العرب (زقق).

قوله : ﴿بِظُلْمٍ﴾ حال من الفاعل ، ويجوز أن يكون من المفعول ، والأول أصح. ﴿وَلِكُلٍّ﴾ واحد من فريقي الجن والإنس ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاتنين. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على تمكنكم ، و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ إذا أطلقت فالمراد بها الخير. كانوا يعينون من زرعهم ومواشيهم شيئا لله ، وشيئا لآلهتهم ، فإن جاء نصيب آلهتهم زاكيا لا يردوه إلى الله وإن جاء نصيب الله زاكيا ردوه لآلهتهم ، فنزلت ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ (١).

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التزيين في التحليل والتحريم ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ أن يقتلوا أولادهم ، إما تقرباً ، وإما كراهة للإنفاق عليهم. وفي الشركاء الذين زينوا أقوال : قيل: هم الشياطين. وقيل : سدنة الأوثان وخدمها. وقيل : الغواة من الجن والإنس. ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ (٢) اللام في ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لام كي. وقيل : لام العاقبة ؛ لأنهم لم يقصدوا إرداءهم. ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ما كانوا يزعمون أنهم عليه من دين إسماعيل، أو دينهم الذي كان يجب أن يكون لهم وهو الحق ، أو يوقعوهم في دين ملتبس. ﴿حِجْرٌ﴾ أي : منع ، ومعناه : ذو منع.

﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ يريدون : البحائر والحوامي. ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ يريدون : السوائب(٣) ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ بل يذكرونها باسم آلهتهم ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ أي : دعواهم أن الله حرم هذا أو ذبحهم إياها على اسم الآلهة.

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٨/ ٤٠).

(٢) سورة الليل ، الآية (١١).

(٣) **البحائر:** جمع البحيرة: كانوا في الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن فكان آخرها ذكرا بحروا أذنها أي: شقوها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ولا تمنع عن ماء ترده ، ولا تمنع من مرعى وإذا لقيها المعيي المنقطع به لم يركبها. والسوائب : جمع السائبة: كانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها ، وتركوها مسيبة لسبيلها وسموها السائبة وأصله من تسييب الدواب وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت البحيرة.

ينظر: لسان العرب (بحر) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/ ١٠٠ - ٤/ ٤٣).

ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ (١٤٠) ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (١٤١) ﴾

أنث ﴿ خَالِصَةٌ ﴾ حملا على المعنى ؛ لأن ما في بطون الأنعام أنعام ، ثم ذكر ﴿ وَمُحَرَّمٌ ﴾ حملاً على لفظ ما، ونظيره ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا ﴾ قاله الزمخشري[١] وفيه نظر؛ لأن قوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ حمل فيه أولا على اللفظ، وثانيا على المعنى ، وهو كثير في القرآن لا يحصى. وأما هاهنا فحمل على المعنى أولا ثم على اللفظ ، وهو قليل وإنما فضلوا الذكر على الأنثى فجعلوا له ما ليس للأنثى؛ لأنهم يخدمون الآلهة ، وهم سدنتها. وقيل: لتفضيل الذكر على الأنثى ، وسمي الذكر ذكرا إما من الذكر الذي هو ضد النسيان ؛ لأن به يذكر الأب ، أو من الذكر بمعنى الشرف ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾[٢] ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ ﴾[٣].

﴿ مَّعۡرُوشَٰتٖ ﴾ أي : مرفوعات ، ومنه سمي السرير عريشا وعرشا .

في الحق الذي أمر بإيتائه أقوال :

أحدها : أنه الزكاة من العشر ونصف العشر ، وهو الأشهر.

والثاني : أنه حق واجب غير الزكاة ، وهو ترك ما تساقط من الثمار ، وترك إلقاط الزرع لمن لقطه ، وعلل بأن سورة الأنعام مكية ، وإنما وجبت الزكاة بالمدينة .

وقيل : هذه الآية خاصة من سورة الأنعام مدنية .

والثالث : أنه مطلق على الاستحباب .

والرابع : كان واجبا قبل الزكاة ، ثم نسخ بوجوب الزكاة[٤].

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري (٢ / ٧١) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٤٤) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (١٠) وهذا كلام الماوردي في النكت والعيون (١ / ٥٦٩) .

(٤) ذكر الماوردي في النكت والعيون (١ / ٥٧٠) الأقوال الأول والثاني والرابع ، ونسب الأول=

وقوله: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ هو أن يتكلف رب المال أن يخرج فوق ما يجب عليه زيادة تجحف . والثاني : بأن يأخذ السلطان زيادة عن الزكاة بما يجحف . والثالث: أن يمنع رب المال من إعطاء القدر الواجب . وقيل : الإسراف إخراج نصيب من أموالهم لآلهتهم .

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ الحمولة : الإبل والبقر. والفرش : الغنم وصغار الإبل، والبقر. وقيل : الحمولة: الكبار. والفرش: الصغار ؛ لأنها قريبة من الأرض ، فتشبه الفرش .

﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ﴾ في تحريم السوائب والبحائر . إذا اقترن بالشيء ما يماثله في الاسم سمي الاثنان زوجا ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [(١)] ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [(٢)] ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ أي : ثمانية أفراد. فأي هذه الأشياء جاء تحريمه إليكم.

وقوله: ﴿ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾ تلويح بأن التحريم والتحليل إنما يكون بالوحي . الدم إن كان

= للجمهور، والثاني لعطاء ومجاهد ، والرابع لابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم .

وروى هذه الأقوال الطبري في تفسيره (٨ / ٥٤ – ٥٨) ، ثم قال : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم أن صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدياس والتنقية والتذرية وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الجفاف.

(١) سورة هود ، الآية (٤٠) .

(٢) سورة النجم ، الآية (٤٥) .

جامدا كالكبد والطحال كان حلالا بالحديث [1] وإن كان مسفوحا فهو حرام ، إلا ما كان في العروق ، أو في أثناء اللحم . واليهود يبيعون الدم في العروق ، فيستخرجونه ويحرمونه ، وفسر الفسق بأنه سمّي على ذبحه اسم غير الله ، ولا خلاف أن ما كان كذلك فهو حرام .

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطر مثله يمنعه مساهمته في الميتة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوزا قدر .

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ لو قال: حرمنا عليهم الشحوم لفهم المقصود لكن قوله: ﴿شُحُومَهُمَآ﴾ لزيادة الربط ، ونظيره ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [2]

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٥٤٦٥) ، وابن ماجه رقم (٣٣٠٥) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٥٧) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «أحلت لكم ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال» . قال البوصيري في مصباح الزجاجة في التعليق على سنن ابن ماجه (٤ / ٢١) : هذا إسناد ضعيف فيه عبد الرحمن بن زيد قال فيه أبو عبد الله الحاكم : روى عن أبيه أحاديث موضوعة . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على ضعفه. قلت (أي : البوصيري) : لكن لم ينفرد به عبد الرحمن بن زيد عن أبيه فقد تابعه عليه سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قوله ... قال البيهقي : إسناده الموقوف صحيح وهو في معنى المسند ، قال : وقد رفعه أولاد زيد بن أسلم عن أبيهم وهم كلهم ضعفاء جرحهم ابن معين. وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٢٣٢) وفي السلسلة الصحيحة رقم (١١١٨) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (١) .

أي : اقترب للناس الحساب . تقول : من زيد أخذت ماله . والْحَوَايَا : المباعر. هل هي مستثناة ، أو مستثنى منها ؟ فيه مذهبان؛ وكانوا بنو إسرائيل قد أحدثوا بدعاً فحرم عليهم بعض الحلال عقوبة ، وهو معنى قوله : ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾.

﴿هَلُمَّ﴾ عند الكوفيين تثنى وتجمع وتؤنث وتذكر ؛ فيقال : هلم وهلما وهلموا وهلمي. والحجازيون يجعلونها على صورة واحدة [(١)] ؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [(٢)] وقال هاهنا: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾. وفي الحديث الصحيح: «ليذادن أقوام عن حوضي ، كما يذاد البعير الضال ، فأناديهم : ألا هلم ألا هلم» [(٣)] .

(تعال) خاص أريد به العام ، وأصله أن يقول المستعلي للمستفل : تعال ، ثم اتسع فقيل لمن هو معك في أرض مستوية ، ثم اتسع فيه فقيل لمن هو مستعل عليك وأنت في مكان أخفض ، تقول له : تعال ، وصار معناه : جيء. والمذكور في هذه الآيات الثلاث منه ما هو محرمات ، ومنه ما هو واجبات كقوله - تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ تحريم للشرك . وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ تحريم للعقوق ، وتحريم قتل الأولاد ، وركوب الفواحش ، وقتل النفس ، وقربان مال اليتيم بغير حق ، وبخس الكيل والوزن ، وتحريم الإخلال بالقول ، ونكث العهد ، وسلوك غير سبيل المؤمنين ، واتباع السبل المتفرقة ، ونصب ﴿إِحْسَانًا﴾ على المصدر ، أي : وأحسنوا للوالدين إحسانا. الإملاق : الفقر.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا
ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ
(١٥٤) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ
الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا

---

(١) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٢١٢) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (١٨) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٤٩) ، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٠٠) ، وابن ماجة رقم (٤٣٠٦) ، والنسائي في المجتبى (١ / ٩٤) ، وابن خزيمة رقم (٦) ، وابن حبان رقم (١٠٤٦) عن أبي هريرة ﷺ .

ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

أشار إلى أن الوفاء بمقتضى الوزن يعسر جدًّا ، فإن بين الحبتين تفاوتاً لا ينضبط وكذلك الكيل ، فيعفى عما لا يتأتى ضبطه ، من ذلك نبه على ذلك بقوله : ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أتى بـ «ثم» ليدل على تفاوت الرتب ؛ فإن إيتاء موسى الكتاب يتضمن من المصالح والحكم أكثر مما تضمنته هذه الآيات الثلاث ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ موسى في عبادة ربه . وقيل : على الذي أحسن الله إليه بتوفيقه لها . وفي الشاذ ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ بضم النون [(١)] أي: تماماً على الذي هو أحسنُ ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه .

وقوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي : مبارك فيه ، تقول : باركك الله، ويدل عليه قوله : ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [(٢)] وقياس : بارك الله فيك أن تقول : بورك فيمن في النار ، وفيمن حولها. ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ أي : كراهة أن تقولوا . وقيل : لئلا تقولوا ، والمراد بالكتاب : التوراة والإنجيل ﴿لَوْ أَنَّآ﴾ أي : لو ثبت لنا ؛ فإن «لَو» تطلب الفعل ، وأن في موضع رفع بالفاعلية ، والفاء في قوله : ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ مثلها في قول الشاعر [من البسيط] :

قـالوا خُراسـانَ أقـصى مـا يُـرادُ بنـا ثـمَّ القفـولَ فقـدْ جِئْنـا خُراسـانا[(٣)]

---

(١) قرأ بها الحسن والأعمش ويحيى بن وثاب وابن أبي إسحاق . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٥٥) ، تفسير القرطبي (٧ / ١٤٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٢٢١) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٩) ، المحتسب لابن جني (١ / ٢٣٤) ، معاني القرآن للفراء (١/ ٣٦٥) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨) .

(٣) تقدم عند تفسير سورة المائدة ، الآية (١٩) .

﴿وَصَدَفَ﴾ أعرض . لما كانوا بصدد وقوع إتيان الملائكة ، وما بعده من التهديد ، جعلوا منتظرين لهم وإن لم يكونوا منتظرين ، التقدير: أو يأتي أمر ربك ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ من طلوع الشمس من مغربها ، أو خروج الدابة ، لا ينفع نفسًا لم تكن آمنت من قبل إيمانها ، ولا نفسًا لم تكسب في إيمانها خيرًا كسبها. وقوله : ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ في موضع نصب صفة لـ «نفسًا» . ﴿شِيَعًا﴾ أضرابًا يشايع بعضهم بعضًا في الباطل . ﴿لَّسْتَ﴾ من عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة ﴿فِى شَىْءٍ﴾ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ هذا أقل المضاعفة ، وإن شاء ضاعفها إلى سبعمائة ، كما في قوله : ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ الآية[1] ﴿دِينًا﴾ نصب على القطع. و﴿حَنِيفًا﴾ حال من المضاف إليه ، وهو إبراهيم . والحال من المضاف إليه قليل ؛ لأنه لم يأت إلا لتعريف المضاف ، وليس أحد جزئي الكلمة[2] .

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٦١) .

(٢) تجيء الحال من المضاف إليه بشروط ثلاثة : أحدها : أن يكون المضاف عاملا عمل الفعل . والثاني: أن يكون جزءا نحو : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا﴾ والثالث: أن يكون كالجزء؛ كهذه الآية ؛ لأن إبراهيم لها لازمها تنزلت منه منزلة الجزء . والنحويون يستضعفون مجيئها من المضاف إليه ، ولو كان المضاف جزءا ، قالوا : لأن الحال لابد لها من عامل ، والعامل في الحال هو العامل في صاحبها ، والعامل في صاحبها لا يعمل عمل الفعل . ومن جوز ذلك قدر العامل فيها معنى اللام أو معنى الإضافة ، وهما عاملان في صاحبها عند هذا القائل . وفي إعراب حنيفا أوجه أخرى ، منها : النصب بإضمار فعل ، أي: نتبع حنيفا، وقدره أبو البقاء العكبري بـ «أعني» ، وهو قول الأخفش الصغير وجعل الحال خطأ . النصب على القطع ، وهو رأي الكوفيين ، وكان الأصل عندهم : إبراهيم الحنيف ، فلما نكره لم يمكن اتباعه . النصب على الحال من ملة وتكون حالا لازمة ؛ لأن الملة لا تتغير عن هذا الوصف. وهذا الأخير الذي اختاره السمين الحلبي في الدر المصون (١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) **وينظر في ذلك**: أوضح المسالك لابن هشام (٢ / ٣٢٤) ، شرح ابن عقيل للألفية (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، الكشاف للزمخشري (١/ ١٩٤).

النسك : العبادة . وقيل: الحج . وقيل : الذبائح ﴿وَمَحْيَايَ﴾ أي : حياتي ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي : لا تحمل نفس حاملة ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ أي : فيجازيكم ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي : في الأرض .

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليظهر كيف شكركم في الرخاء ، وصبركم في البلاء . أكد كونه غفورًا رحيمًا ولم يذكر في العقاب ذلك، إشارة إلى قوله ﷺ حكاية عن ربه عز وجل : « إن رحمتي غلبت غضبي »[1] .

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٧٤٠٤ ، ٧٤٢٢) ، ومسلم رقم (٢٧٥١) عن أبي هريرة ﷺ .

سورة الأعراف [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ
وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾
وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

قوله: ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ خبر عن ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ إذا قلنا: إنه اسم للسورة أو اسم القرآن، أو (كتاب) خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا كتاب، و ﴿ وَذِكۡرَىٰ ﴾ مرفوع المحل عطفها على (كتاب) أو: منصوب مفعولاً من أجله معطوف على ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ أو مجرور معطوف على موضع ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ أي: للإنذار والذكرى. مَا في قوله: ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ زائدة ﴿ قَلِيلٗا ﴾ نعت مصدر محذوف، أي: تتذكرون تذكراً قليلاً. و ﴿ وَكَم ﴾ مرفوع المحل أو منصوبه، من باب اشتغال الفعل عن المفعول وضميره.

فإن قلت: القياس: جاءها بأسنا فأهلكناها. فجوابه: أن قوله: ﴿ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾ أي: أردنا إهلاكها. ﴿ أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴾ من القيلولة، كقوله: ﴿ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [1] قال الزمخشري[2]: يجوز أن يكون ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ ﴾ مرفوع المحل؛ اسم كان. و ﴿ أَن قَالُوٓاْ ﴾ في موضع نصب، ويجوز العكس على القاعدة في باب كان. وفيه نظر؛ لأنه إنما جاز في باب كان في المعرفتين تقديم الخبر، لفهم المعنى بالإعراب، وأما ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ ﴾ و ﴿ أَن قَالُوٓاْ ﴾ لا يظهر فيهما إعراب [3] فهو كمسألة: ضرب موسى عيسى.

---

(١) سورة يونس، الآية (٥٠).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢ / ٨٨).

(٣) يعني أن قوله: (أن قالوا) مصدر مؤول، وقوله: (دعواهم) اسم مقصور، وكلاهما معربان بعلامة مقدرة غير ظاهرة.

قال الزمخشري[1]: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ الْحَق: صفة للوزن ؛ أي: الوزن الحق يومئذ. ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أي: ثقلت موزونات حسناته ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ ﴾ موزوناته، والكافر يوزن له ولا مقابل للموزون من الحسنات ؛ ليظهر نقص حاله وخسران عاقبته.

واختلف في الموزون ما هو ؟ فقيل: الأعمال، يجعل الله للحسنات صورة منيرة بثقلٍ يرضاها المكلف، ويجعل للسيئات صورة مظلمة بثقلٍ يرضاها المكلف. وقيل: الموزون الصحف، تجعل صحف الحسنات في كفة، وصحف السيئات في كفة، ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « يؤتى برجل يوم القيامة فيخرج له تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر، مملوء من السيئات، فيوقن بالهلاك، فيقول الله تعالى: إنك لا تظلم، ويؤتى بصحيفة فيها: لا إله إلا الله. فتوضع في كفة الحسنات، فترجح على التسعة والتسعين سجلا »[2].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ أي: خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ تعظيما له، وذلك مما تختلف فيه الشرائع، وقد رفع يوسف ﴿ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾.

(لا) في قوله ﴿ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ زائدة. قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ احتج به من اعتقد أن الأمر للوجوب، واحتج به من زعم أنه على الفور؛ لقوله ﴿ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ وقوله: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ تعليل للجواب وليس هو الجواب ؛ بل التقدير: منعني معرفتي بأنه لا يذل الشريف لمن هو دونه، وأنا خير من آدم، فلذلك امتنعت. وزعم أن النار تحكم على الطين وتحرقه، ونسيَ

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢ / ٨٨) وعبارته: « ورفعه » أي: الوزن على الابتداء، وخبره « يومئذ »، و «الحق» صفته، أي: والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن الحق، أي: العدل ».

(٢) رواه أحمد (٢ / ٢١٣، ٢٢١)، والترمذي رقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه رقم (٤٣٠٠)، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٢٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦، ٥٢٩)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وصححه الشيخ الألباني – رحمه الله – في السلسلة الصحيحة رقم (١٣٥).

أن الطين أصل في التربية والنمو ويحرم التكبر فيها وفي غيرها ، لكن السماء محل الطاعة والتسبيحات والأذكار، فلا يدخل فيها متكبر . والصغار : الذل ؛ كقوله: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١) .

وأراد إبليس ألا يموت بقوله : ﴿ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ لأموت بعد البعث ، فقيل : ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ المؤخرين ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ (٢) وهي النفخة الأولى التي يموت بها كل حي.

﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ أي : بسبب إغوائك لي ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ نصب بحذف حرف الجر، أي : على صراطك ، كقوله: [من الكامل] :

.... كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ (٣)

﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾
قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ
ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ
لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ
ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا
سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل
لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾
قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٢٤) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٣٨) .

(٣) هذا عجز بيت لساعدة بن جؤية الهذلي يصف رمحا بأنه لين يضطرب صلبه في كفه بسبب هزه فلا يبس فيه كما اضطرب الثعلب في الطريق ، وصدره :

لدْنٌ بهزِّ الكفِّ يعسِلُ متنُهُ فيه ....

وينظر في : خزانة الأدب للبغدادي (٣ / ٨٣ ، ٨٦) ، التصريح للأزهري (١ / ٣١٢) ، شرح أشعار الهذليين (ص : ١١٢٠) ، شرح الأشموني للألفية (١ / ١٩٧) الكشاف للزمخشري (٢ / ٩٢) ، لسان العرب (عسل) مغني اللبيب لابن هشام (١ / ١١) .

وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

أي : عسل في الطريق ، والعَسَلان : ضرب من السعي .

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ ولقد صدقه الله في ذلك بقوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] والمذؤوم: المعيب ، والمدحور: المطرود .

﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ﴾ [2] أي: طردًا . اللام في ﴿ لِيُبْدِيَ ﴾ لام كي ، ويجوز أن تكون لام العاقبة ؛ كقوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾ [3] .

﴿ إِلَّا أَن تَكُونَا ﴾ إلا كراهة أن تكونا. ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ حالفهما ﴿ إِنِّي ﴾ ناصح ﴿ لَكُمَا ﴾ من الناصحين ﴿ فَدَلَّاهُمَا ﴾ توصل إلى إضلالهما كتوصل من يدلي دلوه في البئر ليتوصل به إلى أخذ الماء . ﴿ يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ يجعلان بعضه على بعض ليستر سوءتهما. ﴿ قَالَ اهْبِطُوا ﴾ آدم وحواء وإبليس . وقيل: والحية . وقيل: ﴿ اهْبِطُوا ﴾ خطاب لآدم وحواء خاصة ؛ لقوله في مكان آخر : ﴿ قَالَ اهْبِطَا ﴾ [4] وإنما جمعه لأن آدم وحواء أصل لجميع البشر . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ مكان ، أو استقرار. ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ أي: في الأرض. ﴿ وَرِيشًا ﴾ شبه لباس الثياب بريش الطائر الذي يستره ويزينه .

ومن قرأ (لِبَاسَ) بالنصب ، فهو إخبار عن الله بأن الله جعل لباس التقوى خيرًا .

ومن قرأ ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ﴾ فهو مبتدأ خبره ﴿ خَيْرٌ ﴾ [5] وقوله ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يتنزل منزلة قوله هؤلاء. ﴿ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ هو كقوله: ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ بأن زين لهما

---

(١) سورة سبأ ، الآية (٢٠) .

(٢) سورة الصافات ، الآيتان (٨ ، ٩) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٨) .

(٤) سورة طه ، الآية (١٢٣) .

(٥) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر «ولباسَ التقوى» ، وقرأ الباقون «ولباسُ التقوى» .
تنظر في البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٨٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٥٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٢٥٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨٠) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٩٧) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٦٨) .

أكل الشجرة المنهي عنها فكان ذلك سببا في خروجهما ، وذلك تسبب في نزع اللباس ؛ لأنه لم يباشر خلع ثيابهم ؛ بل تسبب إلى ذلك .

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾

وكانت الحمس يطوفون بالبيت عراة ويقولون : لا نطوف بيت الله بثياب عصينا الله - تعالى- فيها ، وكانوا لا يعيرون ثيابهم لمن يجيء حاجًا إلا بشيء كثير يأخذونه منه ، فنزلت: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ الآية[1] .

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ تقولون : إن الله أمركم ؛ فلا يدخل فيه مسائل الفقه المظنونة، فإنها ليست معلومة ؛ لأنها مستثناة بعمل الصحابة - رضي الله عنهم - بالقياس وهو ظن. ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ تبعثون غرلا [2] حتى لو قطع عضو من آدمي في حياته بعث يوم القيامة كامل الأعضاء . ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾ قيل: هي اللباس .

وقيل : تسريح اللحية ، قال بعضهم : وجمع الله طِبَّ الأولين والآخرين في قوله : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية يعني : هي للمؤمنين في الدنيا يشاركهم فيها الكفار، وفي الآخرة تخلص للمؤمنين ﴿ وَالْإِثْمَ ﴾ هو المعصية ؛ لأنه يوجبه . وقيل : الإثم : الخمر ؛ قال الشاعر [من الوافر] :

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٨ / ١٥٤) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٣٦) لابن المنذر وأبي الشيخ عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) الغرل - بضم الغين المعجمة وإسكان الراء - معناه : غير مختونين ، جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته ، وهي الجلدة التي تقطع في الختان . **ينظر** : لسان العرب (غرل) .

شربتُ الإثمَ حتَّى ضَلَّ عقلي كذاكَ الإثمُ تذهبُ بالعُقولِ[(١)]

وهذا ضعيف ؛ لأنه غريب في الاستعمال ؛ ولأن هذه السورة مكية ، ولم تحرم الخمر إلا بعد الهجرة إلى المدينة[(٢)] . ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ ﴾ أي: ما لم يقم به حجة وبرهانا .

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ

---

(١) البيت أنشده الأصمعي ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ١٥٧) ، تاج العروس للزبيدي (إثم)، تهذيب اللغة للأزهري (١٥ / ١٦١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٢٨٥ ، ٣ / ٢٦٣) ، روح المعاني للألوسي (٨ / ١١٢) لسان العرب (أثم) ، النكت والعيون للماوردي (٢ / ٢٥) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠ / ٣١ ، ٣٢) : قال أبو جعفر النحاس : وقول من قال: إن الخمر تسمى الإثم لم نجد له أصلا في الحديث ولا في اللغة ولا دلالة أيضا في قول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول

فإنه أطلق الإثم على الخمر مجازا بمعنى أنه ينشأ عنها الإثم .

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٣ / ٢٦٣) : والذي قاله الحذاق : أن الإثم ليس من أسماء الخمرة ؛ قال ابن الأنباري : الإثم لا يكون اسما للخمر ؛ لأن العرب لم تسم الخمر إثما في جاهلية ولا إسلام .... وكيف يكون ذلك ، وكانت الخمر حين نزول هذه السورة حلالا ؛ لأن السورة مكية ، وتحريم الخمر إنما كان في المدينة بعد « أحد » ، وأما ما أنشده الأصمعي من قوله :

فقد نصوا أنه مصنوع .... شربت الإثم حتى ضل عقلي

هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(ما) في ﴿ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ زائدة ، وقوله: ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ ﴾ شرط جوابه ﴿ فَلَا خَوْفٌ ﴾ وهذا الشرط وجوابه جواب ﴿ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ . ﴿ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: مما كتب لهم من خير وشر . ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ أي: يتوفون أزواجهم . ﴿ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا ﴾ غابوا عن أعيننا فلا نراهم ، وقد رأوهم في موقف العرض ؛ لقوله: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ ﴾ الآية[1] . ﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ ﴾ أي: مع أمم ، أو في زمرة أمم. ﴿ ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا ﴾ أي: تداركوا ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ ﴾ التي دخلت أخيرًا ﴿ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا ﴾ يعني: الأكابر والسادات من المشركين ، كانوا يدعونهم إلى الضلال فيتبعونهم ، ولو آمن الرؤساء لآمن هؤلاء الأتباع. ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي : لا تفتح لدعائهم ، أو لا تفتح لأعمالهم التي تصعد بها الحفظة و ﴿ ٱلْجَمَلُ ﴾ هو الحيوان المعروف ، وقيل: ﴿ سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ : ثقب الإبرة ، والمراد إبعاد فتح السماء لهم. وقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ خبر عن ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . وقوله: ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر، ووجه اعتراضها أنه يقول: لا يظن في قول الذين آمنوا وعملوا الصالحات استغراق جميع الأوقات في العمل ، بل المراد في حق كل مكلف ما يليق به.

﴿ هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ أي: لعمل حصل منه هذا. ﴿ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يريد المنازل المخصوصة ، فإنها تترتب على الأعمال ؛ لقوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾[2] وأما دخول الجنة فإنه بفضل الله وبرحمته ، وقال عن المؤمنين: ﴿ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ وفي حق الكفار: ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ فإن الكفار يتألمون بنعيم المؤمنين ، كما يتألمون بألم أنفسهم .

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا

---

(١) سورة النحل ، الآية (٨٦) .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية (١٩) .

يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعرضون عنها أو يمنعون الناس من سلوكها. ﴿ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا ﴾ من أهل السعادة والشقاوة . ﴿ بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ أي : بعلامتهم من بياض الوجوه وسوادها أو غير ذلك . ﴿ وَنَادَىٰٓ ﴾ أو وينادى أصحاب الأعراف ﴿ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ . وقوله: ﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا ﴾ أي : المؤمنون المسلم عليهم . وقيل: هم أصحاب الأعراف ، إذا قلنا هم أصحاب اليمين ، أوهم الشهداء ، أو أولاد المؤمنين، أو أولاد الكافرين الذين لم يبلغوا ﴿ تِلۡقَآءَ ﴾ أي: جهة. ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ ﴾ يجوز أن تكون (ما) نافية ، وأن تكون استفهامًا بمعنى الإنكار . ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أشاروا به إلى فقراء الصحابة ، كخبّاب وسلمان وبلال وابن مسعود . ﴿ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ منعهم منها كقوله: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾ (1). وجاءت: ﴿ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ ﴾ ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ بلفظ الماضي ؛ لأن أمور القيامة وغيرها من المستقبلات معلوم عنده علم يقين ؛ لأن علم الله ليس فيه ماض ولا استقبال ، فاختير لفظ الماضي ؛ لأنه أدل على التحقيق في عرف استعمالنا .

﴿ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا ﴾ قيل: أراد به أعياد الكفار . وقيل : إن الرجل منهم كان يعبد الصنم فإذا رأى صنماً أحسن منه ترك الأول ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ ﴾ نجازيهم على نسيانهم بما أهملوا العمل للقاء يومهم هذا ، وبكونهم بآيات الله يجحدون . ﴿ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾ يجوز أن يكون مصدراً محذوف الفعل ، وأن يكون مفعولاً من أجله ، ويجوز أن يكون حالا من

---

(1) سورة الأنبياء ، الآية (٩٥) .

ضمير جئنا(١) للفاعل أو المفعول. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ إلا عاقبته ، يؤمن به الكفار حين لا ينفعهم الإيمان. وقوله : ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ﴾ تمنٍّ من الكفار، ولا ينفع في حق الكفار شفاعة ، كما أن ردهم إلى الدنيا ممتنع. ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ ثم قهر واستولى(٢) ؛ كقوله [من الرجز] :

---

(١) يعني في قوله - تعالى : ﴿جِئْنَاهُم﴾ في أول الآية .

(٢) اختلف الناس في الاستواء المذكور هنا فقالت المعتزلة: معناه : الاستيلاء بالقهر والغلبة واحتجوا بقول الشاعر: قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

قال ابن بطال : فأما قول المعتزلة فإنه فاسد لأنه لم يزل قاهرا غالبا مستوليا وقوله : ثم استوى يقتضي افتتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ولازم تأويلهم أنه كان مغالبا فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه وهذا منتف عن - الله سبحانه - وقالت المجسمة : معناه الاستقرار . قال ابن بطال : وأما قول المجسمة ففاسد أيضا ؛ لأن الاستقرار من صفات الأجسام ويلزم منه الحلول والتناهي وهو محال في حق الله - تعالى- ولائق بالمخلوقات لقوله - تعالى : ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ وقوله : ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ قال : وقال بعض أهل السنة : معناه : ارتفع ، وبعضهم معناه : علا، وبعضهم معناه : الملك والقدرة ومنه استوت له الممالك يقال لمن أطاعه أهل البلاد . وقيل : معنى الاستواء : التمام والفراغ من فعل الشيء ، ومنه قوله - تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ فعلى هذا فمعنى استوى على العرش: أتم الخلق ، وخص لفظ العرش لكونه أعظم الأشياء . وقيل : إن (على) في قوله : ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ بمعنى إلى فالمراد على هذا : انتهى إلى العرش أي : فيما يتعلق بالعرش ؛ لأنه خلق الخلق شيئا بعد شيء . قال ابن بطال : وأما تفسير استوى علا فهو صحيح وهو المذهب الحق وقول أهل السنة ؛ لأن الله - سبحانه- وصف نفسه بالعلي ، وقال : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وهي صفة من صفات الذات .

وأما من فسره : ارتفع ففيه نظر ؛ لأنه لم يصف به نفسه ، قال : واختلف أهل السنة هل الاستواء صفة ذات أو صفة فعل ؟ فمن قال : معناه علا . قال : هي صفة ذات . ومن قال غير ذلك قال : هي صفة فعل ، وإن الله فعل فعلا سماه استوى، على عرشه لا أن ذلك قائم بذاته لاستحالة قيام الحوادث به .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وقد ألزمه من فسره بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من أنه صار قاهرا بعد أن لم يكن فيلزم أنه صار غالبا بعد أن لم يكن والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله - تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فإن أهل العلم بالتفسير قالوا : معناه: لم يزل كذلك ، وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال : كنا عند أبي عبد الله بن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ فقال : هو على العرش كما أخبر ، قال : يا أبا عبد الله إنما معناه: استولى ، فقال : اسكت لا يقال: استولى على الشيء إلا أن=

قد استوى بشر على العراق .... (١)

يجعل الليل غاشيا للنهار، ومغط لـه ، وكـل واحـد منهمـا كالطالـب للآخـر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ الطلب هاهنا استعارة . ومن نصب الشمس والقمر والنجوم فقد عطفه على

= يكون له مضاد . وقال غيره : لـو كـان بمعنى استولى لم يختص بـالعرش ؛ لأنـه غالـب علـى جميـع المخلوقات، ونقل محيي السنة البغوي في تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه: ارتفع. وقال أبو عبيد والفراء وغيرهما بنحوه. وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت : «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود به كفر» .

ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن: « أنه سئل كيف استوى على العرش ؟ فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول وعلى الله الرسالة وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم» . وأخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال : «كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته» . وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي: «أنه سئل عن قوله – تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فقال : هو كما وصف نفسه» .

وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال : «كنا عند مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال :كيف وكيف عنه مرفوع وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه» .

نقول : والمذهب الصحيح في جميع ذلك : الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف وإلى هذا ذهب المتقدمون ومن تبعهم من المتأخرين وقالوا : الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية ووردت به الأخبار الصحيحة وقبوله من جهة التوقيف واجب ، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز ، وهذا هو مذهب السلف الصالح وما عليه أئمة المسلمين من الأئمة الأربعة والثوري والأوزاعي وغيرهم من أئمة المسلمين : وهو إمرار هذا الآية في الاستواء وما شاكلها من آيات الصفات كما أتت دون تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف . **وينظر** في ذلك : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي (١ / ١١٥) ، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٠) ، تفسير القرطبي (٧ / ٢١٩) ، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ٢٠٠) ، فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٤٠٥ - ٤٠٧) .

(١) هذا صدر بيت للأخطل وعجزه : .... من غير سيف ودم مهراق

وليس في ديوانه ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (١ / ١٣٤) ، تاج العروس للزبيدي (سوا)، تفسير القرطبي (١ / ١٧٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ١٧٢) ، رصف المباني للمالقي (ص: ٣٧٢) ، لسان العرب (سوا) ، النكت والعيون للماوردي (٢ / ٣٢) .

السماوات والأرض ، ومن رفعها [١] فهي مبتدأ ، و ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ الخبر ﴿أَلَا لَهُ﴾ الإيجاد والتصرف في الموجودات بالأمر والنهي ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ جاء بكل بركة . وقيل: تبارك بمعنى تعالى.

﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾ يدل على تفضيل دعاء السر؛ كقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [٢] ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين الحد في رفع الصوت . وقيل: هو عام في النهي عن كل اعتداء ومجاوزة حدٍّ . ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل. وقيل: الفساد في الأرض: إهلاك الحرث والنسل وسائر أنواع الظلم بعد إصلاح الله إياها بالأمر بالعدل. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ ذات قرب .

من قرأ (نُشُراً) بضم الشين فهو جمع نَشور بفتح النون ؛ كصبور وصبر. ومن سكن الشين فهو تخفيف ، كعضد في عضد ، ومن قرأ ﴿بُشْرًا﴾ فإنها تبشر بالمطر [٣] ؛ كقوله: ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [٤] . ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ كثيرة الماء ، دانية من الأرض ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ المنبت ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ الأرض الملح ، وهذا مثل ضربه الله للقلوب [يُعْرَض] عليها القرآن فيثمر لبعضها الخضوع والانقياد ومعرفة الله بالوحدانية

---

(١) قرأ ابن عامر بالرفع هنا في الأعراف وفي النحل ، ووافقه حفص عن عاصم في النحل ، وقرأ الباقون بالنصب في الموضعين ، وقرأ أبان بن تغلب برفع «النجوم» وما بعدها . تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٢٨١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٨٣) .

(٢) سورة مريم ، الآية (٣) .

(٣) قرأ عاصم «بُشْرا» ، وقرأ ابن عامر «نُشْرا» ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف «نَشْرا»، وقرأ الباقون «نُشُرا» تنظر القراءات في : إتحاف فضلاء البشر للبنا (٢ / ٥٢) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٣١٦) ، التبيان للعكبري (١ / ٢٧٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٥٧) ، الحجة لأبي علي الفارسي (٤ / ٣١ ، ٣٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٢٨٤ ، ٢٨٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٨٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٠).

(٤) سورة الروم ، الآية (٤٦) .

والقدرة وعظم الملك ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . لما قال : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ ببعثة الرسل شرع في قصص الأنبياء وما جاؤوا به من الإصلاح وما قابلهم به قومهم من العناد .

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
(٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي
وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ
لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا
لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي
الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ
وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ
عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا
نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١) ﴾

ولقد صرح بهذا في قصة شعيب حيث قال: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ ﴿ الْمَلَأُ ﴾ الأشراف ، وقد ذكر اشتقاقه في سورة البقرة [1] جعلوا نوحاً منغمسا في الضلالة قد أحاطت به وصارت ظرفا له، وكما بالغوا في ذلك بالغ نوح في التبري، فأتى بالباء التي للإلصاق، فكأنه يقول : والله ما التصقت بي ضلالة قط ولا مسّتني. وأيضاً نسبوه إلى الضلال ، المصدر الذي يصلح للقليل والكثير، فبالغ نوح فقال : ما مستني ضلالة واحدة ، ويلزم من نفي المتعدد نفي الواحد ، ومثله في قصة عاد ، قالوا لهود: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾ أكفرتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر بذكر وموعظة

(١) عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ ﴾ الآية (٢٤٦) .

أو شرف ؛ كقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [١] أي: شرف ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ تعرفون صدقه ودينه ، فهو أحق بالاتباع من أن يجيئهم رجل غريب لا يعرفون صدقه فيما سبق من عمره . ﴿ عَمِينَ ﴾ جمع (عم) . ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ نعمه ، أنكروا توحيد الإله وأنكروا على من اعتقده وطلب من الناس من يتابعه عليه ، وهو كقوله : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [٢] ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم ﴾ أي : قرب وقوعه ؛ كقوله: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [٣] والرجس هاهنا : العذاب ، كالرجز ، بالزاي. ﴿ وَغَضَبٌ ﴾ هذا يقوى قول من زعم أن غضب الله انتقامه وبطشه ، أما من زعم أنه إرادة الانتقام فيبعده هذه الآية ؛ لأن الإرادة قديمة لا توصف بالوقوع ﴿ أَتُجَـٰدِلُونَنِى ﴾ في تسمية الأصنام آلهة وهو مما لم ينزل الله به حجة ، ومضى ذكر الدابر في الأنعام [٤] .

﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ
جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ
فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ
ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ
رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ
فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن
لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾
وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾

(١) سورة الزخرف ، الآية (٤٤) .

(٢) سورة ص ، الآية (٥) .

(٣) سورة النحل ، الآية (١) .

(٤) يعني في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ الآية (٤٥) .

فَأَنجَيْنَهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

أي: وأرسلنا ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ﴾ فقال: يا قوم اعبدوا الله . ﴿ ءَايَةً ﴾ نصب على الحال ، والعامل فيه اسم الإشارة. ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ يريد أن الناقة ناقته، والأرض ملكه أفتمنعون ناقته أن ترعى في ملكه ! ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أسكنكم فيها ومكنكم من التصرف ، وأصله من باء : إذا رجع ، فجعل الأرض مباءة ترجعون إليها في حوائجكم ومنه ﴿ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾(١) ﴿ بُيُوتًا ﴾ حال ؛ لأنها صارت بالنحت بيوتا، وهو كقوله: بريت الأنبوبة قلما. ﴿ تَعْثَوْا۟ ﴾ من عثي يعثي ، وهو كقولك: لا ترضوا ، من رضي يرضى. ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ عن الإيمان .

﴿ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ بدل بعض من الكل بإعادة العامل وهو اللام ؛ كقوله: ﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ ﴾(٢) بخلاف قوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ ﴾(٣) و﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾(٤) فإنه لم يعد العامل فيهما. العاقر للناقة واحد ، ونسب الفعل إلى الجماعة ؛ لأنهم كانوا راضين به. ﴿ جَـٰثِمِينَ ﴾ باركين على الركب .

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ

(١) سورة يونس ، الآية (٩٣) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٣٣) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (٩٧) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن
نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ
حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ﴾ غنيَ بالمكان إذا أقام به ، وتسمى المنازل المغاني. ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ ﴾ مخاطبا لهم وهم موتى متحزنا متأسفا على هلاكهم: ﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى ﴾ وقد رتب قوم لوط على الوصف ضد مقتضاه ، فإنهم إذا كانوا أناساً يتطهرون من الخبائث وأفعال السفهاء ، فكان ينبغي أن يتقرب إلى قلوبهم ، وأن يكرموا .

قيل في قوله : ﴿ وَأَمْطَرْنَا ﴾ إن أمطر في الشر ، ومطر في الخير . ولم يبين بينة شعيب ، فقيل : إنه كان أعمى ثم أبصر ثم عمي ثم أبصر ، وهذا ضعيف ؛ لأن البصر بعد العمى يقع لنفر من المسلمين ، ولنفر من الكفار فلا يكون معجزاً ، وكذلك قالوا في معجزة نوح: إنه عاش ألف سنة وستين سنة ، وهذا فاسد ؛ لأنه إذا ادعى النبوة بعد أربعين من عمره قالوا له : ما معجزاتك ؟ قال : إني أعيش ألف سنة ، فيقولون له : حتى تستكملها ونعلم حينئذ صدقك ، والصواب ما جاء في الحديث : « إذا استأثر الله بشيء فاله عنه »[1]. فإذا لم يذكر الله معجزتهم لم نختلقها.

﴿ وَتَصُدُّونَ ﴾ وتمنعون ، والمفعول ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ ﴿ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ وتطلبون بها اعوجاجا. ﴿ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ من الأمم الذين قبلكم ، فإنهم كذبوا فأهلكناهم . ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ أي: لابد من وقوع أحد أمرين ؛ إما إخراجنا إياكم ، وإما رجوعكم إلى اعتقادنا. الواو في ﴿ أَوَلَوْ ﴾ واو الحال ، أي: تخرجوننا ولو كنا كارهين ، وتحتمل أن تكون واو عطف على محذوف ، أي : أتخرجوننا إذا كنا

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢/٣٦٨) ، وابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (٤/٢٨٣) وقال: فاله عنه ، أي: اتركه وأعرض عنه ولا تتعرض له.

طائعين، وتخرجوننا إذا كنا كارهين ، ويصح الإكراه مع الكراهية والطواعية .

وقوله : ﴿إِنْ عُدْنَا﴾ يريد به: إن صرنا . وكذلك ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ فإن من آمن معه لم يكونوا في ملتهم حتى يعودوا إليها ، وكذلك قوله: ﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ .

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء. ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الحاكمين. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ كرره للنداء عليهم بوصف التكذيب. ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ﴾ فكيف أحزن؟ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ إلا ابتلي أهلها بالبأساء ليظهر كيف صبرهم ؟ ثم ابتلوا بالنعماء ، فيظهر كيف شكرهم ؟ المراد بالحسنة هاهنا : ما يحسن عندهم من صلاح الأحوال وسعة الأرزاق ، والمراد بالسيئة ما يسوؤهم، كالأعلال والأمراض والغلاء وغير ذلك . ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ حتى كثروا . قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ توكيد لمعنى بغتة ، أي : أجهل أهل القرى فأمنوا أن يأتيهم بأسنا وهو نائمون غافلون ، أو وهم ضاحكون لاعبون ؟ ثم بين أن الأمن من مكره مطلقاً لا يفعله إلا الخاسرون . أو لم يبنْ لمن جاء بعدهم أنا لو شئنا أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا أولئك فطبعنا على قلوبهم فلا يوفقون لصلاح أعمالهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧)
أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ
نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ
أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ
اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ
(١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦)﴾

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ و ﴿الْقُرَىٰ﴾ صفة. و ﴿نَقُصُّ﴾ الخبر ، ويجوز أن يكون ﴿تِلْكَ﴾ منصوبة بفعل مضمر من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويجوز أن يكون

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ و ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ خبرًا و ﴿نَقُصُّ﴾ حالاً ، أي: تلك القرى مقصوصًا عليك من أنبائها ، وإن كان المعنى على الحال ؛ كقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ (١) ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ (٢). لأنه ليس المقصود الإخبار بأن هذه بيوتهم ، وأن هذا بعلها ، بل الإخبار بخواء البيوت وشيخوخة البعل. ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي: من وفاء عهد ؛ كقوله: ﴿لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ (٣) أي: لا وفاء بالأيمان ؛ كقول الشاعر [من الطويل] :

وإنْ حَلَفَتْ لا تَنْقُضُ الدَّهْرَ عهدَها فليسَ لمخضوبِ البنانِ يمينُ (٤)

أي: ليس لها وفاء يمين ، وإلا فهي قد حلفت ، ومنه: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ (٥) في فتح همزة «أيمان» فلا وفاء أيمان لهم. «إن» في ﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾ مخففة من الثقيلة، واللام في ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾ هي الفارقة بينها وبين النافية ، وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: من بعد إهلاكهم ، وهو توكيد لمعنى ﴿ثُمَّ﴾ فإن «ثم» دلت على المهلة والترتيب ، ولم يزدد معنى بقوله : ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ إلا قوة. ضمن ﴿فَظَلَمُواْ﴾ معنى ﴿كَذَّبُواْ﴾ فعداه بالباء ؛ كقوله [من الرجز] : قد قتلَ اللهُ زيادًا عني (٦)

ضمن قتل معنى صرف ، فعداه بعن ، يجوز أن تكون ﴿كَانَ﴾ تامة ، و ﴿عَٰقِبَةُ﴾ هي الفاعل ، ويجوز أن تكون ناقصة ، و ﴿كَيْفَ﴾ خبر مقدم ؛ لأنه استفهام ، و ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اسم كان ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾ ضمن حقيقًا معنى واجب في قراءة من قرأ ﴿عَلَيَّ﴾ بالتشديد ، ومن قرأ ﴿عَلَىٰٓ﴾ فمن كان حقيقا بشيء كان ذلك الشيء حقيقا به (٧) وقوله:

---

(١) سورة النمل ، الآية (٥٢) .

(٢) سورة هود ، الآية (٧٢) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (١٢) .

(٤) **ينظر البيت في** : تفسير القرطبي (٨ / ٧٦) ، خزانة الأدب للبغدادي (١ / ٢٣٧) ، ديوان الحماسة للمرزوقي (٢ / ١٠٧) ، صبح الأعشى للقلقشندي (١٤ / ٣١٣) ، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢ / ٣٠٧) .

(٥) سورة التوبة ، الآية (١٢) .

(٦) الرجز للفرزدق ، وقبله : كيف تراني قالبا مجني أقلب أمري ظهره للبطن .

ينظر في : تاج العروس (ظهر ، قتل ، جنن) ، شرح الأشموني (١/ ٢٠٠) ، لسان العرب (ظهر ، قتل ، جنن) ، المحتسب لابن جني (١ / ٥٢) ، مغني اللبيب لابن هشام (٢/ ٦٨٦).

(٧) قرأ نافع من العشرة " حقيق عليَّ " ، وقرأ باقي العشرة " حقيقٌ علَى " . **تنظر في** : البحر المحيط =

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾ يجوز أن تكون الباء للحال ؛ كقوله: خذ هذا الفرس بسرجه ولجامه. ويجوز أن تكون الباء للتعدية ، أي : أحضر البينة إن كنت جئت بآية. ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ ليس تكراراً ، بل معناه : إن كنت مدعيا مجيئك بالآية فأظهر ما ادعيت مجيئك به ، وقوله : ﴿إِن كُنتَ﴾ من باب دخول الشرط على الشرط ؛ كقوله: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [(١)] وكقوله تعالى : ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ [(٢)] وكقول الرجل لزوجته : أنت طالق إن ركبت إن لبست ، فإن ركبت ثم لبست لم تطلق ، وإن لبست ثم ركبت طلقت على الصحيح من المذهب خلافاً للإمام أبي المعالي[(٣)] ، فإنه أوقع الطلاق في الحالتين [(٤)].

ذكر هاهنا أنها ثعبان وفي موضع ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ [(٥)] وفي موضع ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [(٦)] يُسأَلُ عن وجه الجميع ، وجوابه من وجهين : أحدهما : أنها كانت كبيرة الجثة كالثعبان وخفيفة في الحركة كالجان والحية . والثاني : أن كل موضع ذكر فيه الجان والحية فهو في عود العصا كذلك بين يدي الله عز وجل في حال مخاطبة موسى لربه في الطور، وكل موضع ذكر فيه الثعبان المراد به بين يدي فرعون حين طلب السحرة بلقف عصاه حيتهم ، والجان والحية: الصغير من هذا النوع ، والثعبان الكبير منه.

= لأبي حيان (٤ / ٣٥٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٥٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٢٨٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٣١٣) ، السبعة (ص : ٢٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٧٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٠) .

(١) سورة هود ، الآية (٣٤) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٥٠) .

(٣) هو الإمام الكبير إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف . كان إمام الأئمة على الإطلاق مجمعا على إمامته شرقا وغربا . توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، ومن مصنفاته : كتاب نهاية المطلب في المذهب ، والإرشاد في أصول الدين ، والرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية ، والشامل في أصول الدين ، والبرهان في أصول الفقه وغيرها . **تنظر** ترجمته في : سيرأعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٤٦٨) .

(٤) **ينظر** في ذلك : المغني لابن قدامة (٨ / ٣٥٣) ، مغني المحتاج للشربيني (٣ / ٣١٣) ، المهذب للشيرازي (٣ / ٣١) .

(٥) سورة طه ، الآية (٢٠) .

(٦) سورة النمل ، الآية (١٠) .

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ (١٠٨) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) ﴾

وقرئ ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ ﴾[١] وهذا يدل على أمرين:

أحدهما: أن (إذا) التي للمفاجأة ظرف مكان حتى يصح كونه خبرًا عن ﴿ هِيَ ﴾ فإنها جثة ، وظرف الزمان لا يكون خبرًا عن الجثث.

والثاني: صحة قول الكسائي[٢] : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها[٣]. ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ أي : من درعه . وقوله: ﴿ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ وهي بيضاء لمن نظر ، ولمن لم ينظر . لكن يريد بذلك أنها خرجت بيضاء بياضاً يستوقف الناظرين للتعجب منه ، وهو بياض شديد له شعاع ، والظاهر أن الملأ عرفوا أن هذا ليس من صنع البشر ، وأنه صنع الله الذي أتقن كل شيء ، ولهذا قالوا : ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ فهل سمعوا قط أن ساحراً أخذ مملكة من صاحبها وأخرج ملك المملكة من مملكته ؟

---

(١) قال مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن (١ / ٢٩٧) : ويجوز نصب " ثعبان " على الحال.

(٢) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي ، الكوفي ، أبو الحسن الكسائي ، إمام في اللغة والنحو والقراءة بعد إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين، وكان مؤدب الرشيد وابنه الأمين. قيل عنه: كان أعلم الناس ، ضابطا ، عالماً بالعربية، قارئا صدوقاً من تصانيفه: معاني القرآن، القراءات ، النوادر ، المصادر، الحروف ... وغيرها. مات سنة تسع وثمانين ومائة علي خلاف في سنة موته ١٨٩هـ . تنظر ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي (٢ / ١٦٢-١٦٤) ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/ ٤٠٣).

(٣) وهذه مسألة نحوية مشهورة تعارف النحاة علي تسميتها بالمسألة الزنبورية ، لورود لفظة الزنبور فيها، ومجمل المسألة : أن الكسائي يجيز نصب الضمير في (فإذا هو إياها) وعامل النصب عنده ما في معنى (إذا) من المفاجأة ، علي حين لا يجيزه سيبويه ، وقد دبر الكسائي مكيدة لسيبويه واحتج ببعض العرب الذين اتفقوا معه على الكيد لسيبويه عند الخليفة هارون الرشيد فقالوا : القول ما قال الكسائي ، فرجع سيبويه مغتما فمرض في طريق ولم يكمله ، بل مات كمداً . تنظر في : الإنصاف لابن الأنباري (٢/ ٢٠٩) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١ / ٤٩٧) ، المغني لابن هشام (١ / ١٢١).

قوله: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ يقوله بعض الملأ لبعض. ﴿ أَرْجِهْ ﴾(١) أخره، والحاشر: الجامع، ويوم الحشر: يوم الجمع، و ﴿ نَحْنُ ﴾ في ﴿ نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ فصل أو عماد. ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ يعني: لا أقنع لكم بحصول الأجر، بل تكونون أول داخل عليّ وآخر خارج عني. تأدبوا مع موسى، فجعلوا الخيرة له إدلالاً منهم بأنهم غالبون كيف وقع الأمر.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟
سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ
عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ
وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟
مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤)
قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا
صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ (١٢٧) قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) ﴾

﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ خوفوهم. ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ما يكذبون أي: ما يأفكون فيه. ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: تبين وظهر. ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ ﴾ أي: في ذلك الموضع، أو في ذلك الزمان.

﴿ صَٰغِرِينَ ﴾ ذليلين. ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾ خروا على وجوههم ساجدين كأن ملقيا ألقاهم لسرعة وقوع جبهتهم على الأرض. قيل: كشف لهم في حال تلك السجدة عن جزاء

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو بضم الهاء من غير إشباع مع الهاء، وقرأ ابن عامر بالهمز أيضا ولكن مع كسر الهاء من غير إشباع أيضا، وقرأ ابن كثير وهشام عن ابن عامر بالهمز مع الواو بعد الهاء، فهذه ثلاث قراءات مع الهمز وهناك ثلاث قراءات أخر مع غير الهمز. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٣٥٩)، حجة القراءات لابن زنجلة (٢٨٩ – ٢٩١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٣١٧)، السبعة لابن مجاهد (ص:٢٨٧)، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٣٩).

المؤمنين وجزاء الكافرين فآمنوا عن عيان ، وصمموا على الثبوت حتى أجابوا فرعون حين قال : ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ . ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ ﴾ أي : ما تعيب وتكره منا إلا الإيمان ، وهو شيء لا يكره ، وهو كقوله : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (١) ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (٢) ﴿ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (٣)
وكقول الشاعر [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنَّ سُيوفَهُمْ بهِنَّ فلول مِنْ قِراعِ الكَتائِبِ (٤)

وفلول السيف من قراع الكتائب ليس عيبا فيهم ، وفي قوله: ﴿لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ إشارة إلى سرعة انقيادهم ، وسجودهم لله عند مجيء الآية لم يبطئوا ولم يتلعثموا.

﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ اصببه علينا حتى يكون كثيرا شاملا لأجسادنا . ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ قيل: كان لفرعون آلهة يأمر الناس بعبادتها ويقول: أنا ربكم الأعلى وإله الآلهة، وقرئ ﴿ وَءَالِهَتَكَ ﴾ (٥) أي: وعبادتك ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ شكوا ذلك إلى موسى ، فقال لهم موسى: ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ ﴾ الآية. و ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ الحسنى ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا

---

(١) سورة البروج ، الآية (٨) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٧٤) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٥٩) .

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة المائدة ، الآية (٥٩) .

(٥) قرأ بها علي وابن عباس والضحاك وأبو رجاء والجحدري .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٣٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٣٢٥) ، فتح القدير للشوكاني (٢ / ٢٣٥) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٨٣) ، المحتسب لابن جني (١ / ٢٥٦) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ٤٥) ، معاني القرآن للفراء (١ / ٣٩١) .

عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٣٦) ﴾

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا ﴾ بقتل الأبناء واستحياء النساء ﴿ مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ ﴾ بعثتك رسولاً وهو كقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ﴾[1] ﴿ فَيَنظُرَ ﴾ أي: فنرى. ﴿ بِٱلسِّنِينَ ﴾ أي: بالقحط ويقال لمن أصابهم القحط: أصابتهم السنة. ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ ﴾ فيقولوا: ما جاءنا هذا البلاء إلا من حيث رأيناك وهو كقول قوم صالح: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾[2] وقول أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون: ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾[3]. ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يصيبهم ذلك عند الله فعليهم عقوبة على تكذيب الرسل. ﴿ ٱلطُّوفَانَ ﴾ قيل: عذاب أطاف بهم وقيل: أراد النيل حتى عم البقاع، وصار الماء يأخذهم إلى حلوقهم، وابتلوا بضفادع فملأت أوانيهم وأوعيتهم حتى كان الضفدع يلقي نفسه في القدر وهي تغلي.

﴿ وَٱلدَّمَ ﴾ صار الماء لآل فرعون دما، ولبني إسرائيل ماء، كان القبطي يقول للإسرائيلي: ضع الماء في فيك ومُجّه في فيَّ، فإذا مَجَّه فيه صار في فم القبطي دماً، والرجز: العذاب. ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾ هذه الفاء للتفسير؛ لأنه لم يتأخر الإغراق عن الانتقام بل هو نفس الانتقام، ويقرب منه: قال فلان فأحسن، وخطب فأوجز. ﴿ وَكَانُواْ عَنْهَا ﴾ أي: عن تدبرها ﴿ غَٰفِلِينَ ﴾.

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ (١٣٧) وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)

(١) سورة غافر، الآية (٢٥).

(٢) سورة النمل، الآية (٤٧).

(٣) سورة يس، الآية (١٨).

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

﴿ مَشَٰرِقَ ﴾ أرض مصر ومغاربها . وقيل : مصر والشام . وقوله : ﴿ مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ ﴾ يحتمل أن يكون ﴿ فِرۡعَوۡنُ ﴾ فاعل يصنع وأن يكون ﴿ كَانَ ﴾ فيها ضمير الشأن ، وأن يكون ﴿ يَصۡنَعُ ﴾ خبرًا مقدما ، و ﴿ فِرۡعَوۡنُ ﴾ اسم كان ، وأن يكون كان زائدة ، ومثله ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ (١) ﴿ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ ﴾ (٢) ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ (٣) ﴿ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ (٤) لكن لا يجيء الوجه الثاني في قوله: ﴿ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ ﴾ لأنه لو كان خبرًا مقدمًا لقال: عما كان يعبدون. والعكوف على الشيء : ملازمته طاعة كان أو معصية ، ولهذا قال : ﴿ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ ﴾ و ﴿ مَا ﴾ في ﴿ كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ ﴾ كافة كفت الكاف عن الجر ؛ كما في قوله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ ﴾ (٥) وهيأتها لدخولها على الجمل والأفعال .

﴿ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ عظمة الله . ﴿ مُتَبَّرٞ ﴾ مهلك مكسر ، ومنه التبر ؛ لأنه قطع مكسرة . ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم ﴾ الإنجاء ﴿ بَلَآءٞ ﴾ أي: أو وفي ذلك السوم ، وقتل الأبناء واستحياء النساء بلاء ، أي : نعمة ، وتقول : سمته خسفا ، أي : كلفته إياه ، قال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

---

(١) سورة الجن ، الآية (٤) .

(٢) سورة سبأ ، الآية (٤٣) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (١٠) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (١١٧) .

(٥) سورة الحجر ، الآية (٢) .

إذا مــا المُلِــكُ ســامَ النــاسَ خــسفًا أبيْنــا أنْ نُقِــرَّ الخَــسْفَ فينــا[1]

والخسف: الظلم . ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ﴾ وضربنا لموسى ميقاتا لكلامه عند انقضاء الميقات فصام ثلاثين يوماً ، فوجد من فيهِ رائحةً كريهةً من الخُلُوف[2] ؛ قيل : فمضغ عشبا، ليذهب الخُلُوف . وقيل : تسوَّك فأوحى الله إليه : أما علمت أن خُلُوفَ فمِ الصائم عندي أطيب من ريح المسك ، صم عشرًا أخر ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[3] الميقات يجوز نسبته إلى الله وإلى موسى ، لكن لما قال : ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ ﴾ قال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ وقياسه أن يقول : وكلمناه ، لكن فيه التفات . لما سمع موسى الكلام هاج به الشوق وطلب الرؤية من غير استئذان على طلبها ، فقيل له : سنتجلَّى لما هو أقوى منك فإذا لم يستقر فأنت أضعف من ذلك ، وقرئ ﴿ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾[4] والدكاء: الناقة التي لا سنام لها ، أي: جعل مكانه مستويا بالأرض. ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ مغشيًّا عليه من غير موت ، ولهذا قال: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ وقال في حق السبعين: ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾[5] فكانت صعقة أولئك موتا ﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ لا ينبغي لأحد أن يطلب ما لم يؤذن له فيه ، وكذلك قال لنوح : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ وقال نوح: ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[6]. ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ باجتماع أمرين : بالرسالة والكلام ، وغيره من الأنبياء السابقين وإن أرسل فلم يكلم من غير واسطة ﴿ وَكَتَبْنَا ﴾ تقديره وكنا قد كتبنا ؛ لأن كان قد استصحبها مكتوبة ، والواو لا تقتضي الترتيب[7]. ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ يحتاج إليه في أمر المعاش والمعاد. ﴿ فَخُذْهَا

---

(١) البيت من معلقته ، **ينظر في** : تفسير القرطبي (١ / ٤٢٤) ، خزانة الأدب للبغدادي (١ / ٤٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٢١٨) ، شرح المعلقات لابن الخطيب التبريزي (ص : ٣٩٥) ، الكشاف للزمخشري (١ / ١٣٧) .

(٢) **الخلوف**: تغير طعم الفم لتأخر الطعام . **ينظر** : لسان العرب (خلف) .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره معالم التنزيل (١ / ٢٧٥) ، والزمخشري في الكشاف (٢ / ١٥١) .

(٤) هذه قراءة حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ باقي العشرة " دكا " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٣٨٤) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٦٣) ، حجة أبي زرعة (ص : ٢٩٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٣٣٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٩١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧١) .

(٥) سورة البقرة ، الآيتان (٥٥ ، ٥٦) .

(٦) سورة هود ، الآيتان (٤٦ ، ٤٧) .

(٧) تقدم الكلام على ذلك عند تفسير الآية (٥٥) من سورة آل عمران .

بِقُوَّةٍ ﴾ واعمل بما فيها بجد واجتهاد. قوله: ﴿ بِأَحْسَنِهَا ﴾ قيل: هي المأمورات كلها . وقيل : إذا جاز العفو والقصاص يؤخذ بأحسن الأمرين .

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

﴿ سَأُو۟رِيكُمْ ﴾ وقرئ (سأورثكم) (١) لقوله: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ الآية (٢) وقال: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ (٣) .

﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ (٤) ﴿ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قيل: المراد مصر والشام . واعلم أن ذلك لا يفيد نقصاً لا في مصر ولا في الشام . وقيل : دار الفاسقين جهنم. ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ﴾ تدبر ﴿ ءَايَٰتِيَ ﴾ . والتكبر قد يكون [مباحاً] كالتكبر على الذمي وأن يلجأ إلى أضيق الطرق ، ولا يبدأ بالسلام ، ترفعاً عليه بحق . ﴿ وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي: ولقائهم للآخرة ، والآخرة صفة لموصوف محذوف وهي الدار؛ لقوله : ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ (٥) وقيل: النشأة ؛ لقوله: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ (٦) ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ من بعد

---

(١) هذه قراءة ابن عباس وقسامة بن زهير ، وقرأ الحسن " سأوريكم " ، وقرأ الجمهور "سأريكم" .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٣٨٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٣٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٩٣) ، المحتسب لابن جني (١ / ٢٨٥) ، النكت والعيون للماوردي (٢ / ٥٧).
(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٣٧) .
(٣) سورة الدخان ، الآيات (٢٥ – ٢٨) .
(٤) سورة الشعراء ، الآية (٥٩) .
(٥) سورة الأنعام ، الآية (٣٢) .
(٦) سورة العنكبوت ، الآية (٢٠) .

انطلاقه إلى الجبل ، قيل : كان عجلاً ذا لحم ودم . وقيل : بقي على لونه ذهباً أو فضة من حلي القبط ، ولما ألقى فيه السامري من تراب حافر فرس جبريل صار له خوار. وقرئ (جؤار) بالجيم وهمزة الواو[1] ، أي: رفع صوت ، ومنه: ﴿ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَ ﴾[2] .

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

يقال لمن ندم على أمر فاته استدراكه : سقط في يده . وقيل : إن أصله أن من جرى له ذلك يكبُّ على يديه يعضهما ندماً. ﴿ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ ﴾ لأنه كان خليفته على القوم؛ لقوله: ﴿ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ قيل: أخذ بأذنيه ، احتج به من زعم أن الأذنين من الرأس ، وهو ضعيف ؛ لأنه يتوقف على ثبوت النقل ، وهو منقطع ، وبيننا وبينه أكثر من ألفي عام . ترقق له بالنسب إلى الأم ، وكان هارون أخاه شقيقه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ إلهاً ﴿ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ ﴾ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾ على الله . ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ ﴾ قيل : سكت بمعنى سكن . وقيل : إن الغضب جعل كآمر يقول له: ألق الألواح ، خذ برأس أخيك. فلما سكنت فورة الغضب سكت

---

(١) قرأ علي بن أبي طالب وأبو السمال " له جُؤار " ، وقراءة الجمهور " خُوَار " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٣٩٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٣٤٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٩٤) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٦٥) .

ذلك الآمر. دخلت اللام في ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ لضعف عمل الفعل بتقدم معموله ، ومثله ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[1] كما يدخل في معمول اسم الفاعل والمصدر لضعف عملهما. ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ حين سألوا رؤية الله تعالى. ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ يعني الذين طلبوا الرؤية هم بعضنا لا كلنا ، وأنت أهلكت الجميع . ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي : امتحانك واختبارك . ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أنت متولينا أو متولانا. هاد يهود إذا رجع . ﴿مَنْ أَشَاءُ﴾ وقرئ (من أساء)[2] والمشهود لمذهب أهل السنة ؛ لأنهم يعتقدون أن الله – تعالى– له تعذيب البريء ، وموافق لقوله تعالى : ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[3] .

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ

(١) سورة يوسف ، الآية (٤٣) .

(٢) قرأ بها الحسن البصري وزيد بن علي وطاوس وسفيان بن عيينة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٤٠٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٣٥٣) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٩٧) ، المحتسب لابن جني (١ / ٢٦١) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٤٨) .

ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِى كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِى ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعًا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

قيل: لما نزلت ﴿ وَرَحۡمَتِى وَسِعَتۡ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾ طمع فيها كل أحد حتى إبليس، فلما نزلت ﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ أيس منها إبليس ومردة الشياطين، وطمع فيها اليهود والنصارى فلما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلۡأُمِّىَّ ﴾ علم أنها لأمة محمد ﷺ [(١)] وأميته ﷺ من تمام معجزته؛ لأنه لو كان يقرأ ويكتب لكان يقال: إنه طالع القصص والأخبار من الكتب ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [(٢)] الذين يجدون نعته مكتوبا. قوله: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ هذه قاعدة الشافعي في باب الأطعمة؛ فإنه جعل كل ما استخبثته العرب حرامًا [(٣)].

والإصر: الثقل ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا ﴾ [(٤)] وسمي العهد إصرًا لثقل الوفاء به، ومنه: ﴿ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِى ﴾ [(٥)] أي: عهدي، ومضى الكلام على عزر في المائدة في قوله: ﴿ وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ ﴾ [(٦)]. قوله: ﴿ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ جملة فصل بها بين الصفة والموصوف. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وكالشعوب في العجم.

(انبجس الماء) خرج بكثرة. وسلهم سؤال تقريع وتوبيخ ﴿ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِى كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ ﴾ وهي أيلة. ﴿ إِذۡ يَعۡدُونَ ﴾ يتجاوزون ما أمروا به في السبت، نسب الحيتان إليهم بقوله: ﴿ حِيتَانُهُمۡ ﴾ لأنهم ابتلوا بها. ﴿ شُرَّعًا ﴾ ظاهرة.

﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٌ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ٧٩، ٨٠).

(٢) سورة العنكبوت، الآية (٤٨).

(٣) ينظر: الأم للشافعي (٢/ ٣٧٧).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٨١).

(٦) سورة المائدة، الآية (١٢).

خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ
ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ
مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ
يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ
وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

انقسم أهل القرية ثلاث فرق : فرقة تعدت وأكلت ، وفرقة نهت ، وفرقة سكتت ؛ فنجت الناهية ، وهلكت المخالفة ، واختلف في الساكتة . وحكى عكرمة[1] مباحثة له مع ابن عباس في الفرقة الساكتة ظهر بها لابن عباس أنها نجت فأعجبه البحث ، وكساه ثوبين[2] .

(قَالُوا مَعْذِرَةٌ) وقرأ حفص[3] ﴿ مَعْذِرَةً ﴾ بالنصب[4] على المفعول من أجله. و﴿ تَأَذَّنَ ﴾ أعلم. وقوله : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ وضع الظاهر في موضع المضمر

---

(١) هو عكرمة بن عبد الله البربري ، أبو عبد الله مولى ابن عباس ، يروي عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة - رضي الله عنهم أجمعين - وهو ثقة عالم بالتفسير ، توفي بالمدينة سنة ١٠٤هـ . تنظر ترجمته في : غاية النهاية لابن الجزرى (١ / ٥١٥) ، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٩ / ٩٤) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥٩٠) لعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال : قال ابن عباس : « ما أدري أنجا الذين قالوا: لم تعظون قوما أم لا ؟ قال : فما زلت أبصره حتى عرف أنهم قد نجوا فكساني حلة » .

(٣) هو حفص بن سليمان ، أبو عمر الأسدي الكوفي البزاز أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، كان ربيبه ابن زوجته ، ثقة في الإقراء ثبت ضابط بروايته يُقرئ أهل المشرق ، قال يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية حفص بن سليمان . تنظر ترجمته في : غاية النهاية لابن الجزري (١ / ٢٥٤) ، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢ / ٤٠٠).

(٤) قرأ جمهور القراء: أبو عمرو ونافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر عنه وأبو جعفر وخلف ويعقوب « معذرةٌ » ، وقرأ حفص عن عاصم « معذرةً » . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٤١٢) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٦٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٠٠)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٩٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٢).

تقديره : إنا لا نضيع أجرهم ، لكن أفاد هذا الوضع أنهم مصلحون ومثله ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[(١)] . أي : لا يضيع أجرهم ، وأفاد دخولهم في حيز المحسنين. ﴿ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ ﴾ أي : سحابة ، وقلنا: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ﴾ واجتهاد ، وليكن منكم على ذكر. جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : « إن الله – تعالى- لما خلق آدم استخرج من ظهره فرقتين : فرقة من الجانب الأيمن وهم المؤمنون ، وفرقة من الجانب الأيسر وهم الكفار، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم لا إله غيره ، فشهدوا كلهم بذلك وأقروا به »[(٢)] . فاختلف المفسرون فقال بعضهم : هو المراد بهذه الآية ، وقال المحققون : الحديث صحيح ، ولكن ليس المراد بهذه الآية ؛ لأن في الحديث أنه استخرج من ظهر آدم ، والذي في الآية ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ﴾ ولأن بقية الآية وهو قوله : ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ لا يجوز أن يكون مراداً بالخبر ؛ لأن أحداً لا يتذكر ذلك الميثاق حتى يتوجه عليه اللوم ، بل المراد بالآية : واذكروا إذ استخرج الله ذرية آدم بطنا بعد بطن ، وقرناً بعد قرن ، وركز في عقولهم أدلة الوحدانية كما قال [من المتقارب] :

وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ   تدلُّ على أنَّهُ واحدُ[(٣)]

﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٧٤ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾

﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ قيل إنه رجل أعطاه الله اسمه الأعظم ، فقصده جماعة أن يدعو على

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٩٠) .

(٢) رواه أحمد في المسند (١ / ٤٤) ، وأبو داود رقم (٤٧٠٣) ، والترمذي رقم (٣٠٧٥) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦١٦٦) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٣٢٤) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا مجهولا ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٥٩٤) .

(٣) البيت لأبي العتاهية ، وقيل : لابن المعتز وقبله :

فيا عجبا كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد

ينظر في: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٤ / ٣٩) ، تفسير القرطبي (٤ / ٣٠١) ، روح المعاني للألوسي (١ / ٧٨) ، صبح الأعشى للقلقشندي (١٢ / ٤١٣) .

موسى وقومه ، وأعطوه رشوة جزيلة ، فركب دابته وجاء إلى جبل الحسبان يشرف على الغور ، وكان موسى وبنو إسرائيل في غور الحسبان ، فجاء ذلك الرجل وقال لأصحابه في الطريق : إني أرى الملائكة تضرب وجه دابتي تصرفها عن هذا القصد حتى أشرف على موسى وقومه فدعا عليهم بالاسم الأعظم فوقع موسى وقومه في التيه ، وتدلى لسان ذلك الداعي وسلب ما كان معه من اسم الله الأعظم (١) .

وقيل : هو رجل أعطاه الله ثلاث دعوات مستجابات ، وكانت له زوجة قد صارت عجوزة، فسألته أن يهبها دعوة من الثلاث ؛ سألته أن تعود شابة جميلة الصورة فدعا لها بذلك ، فترفعت عليه على عادة النساء الشباب في كراهة الأزواج الشيوخ فتضجر منها ، ودعا عليها الدعوة الثانية أن تصير كلبة نباحة ، فصارت كذلك ، فبكى بنوها وقالوا: نعير بأن أمنا صارت كذا وكذا ، وسألوه وبكوا بين يديه ، فدعا لها بأن صارت عجوزاً كما كانت فذهبت الدعوات الثلاث ، وبقي كما كان (٢) .

ويجوز ألا يكون المراد شخصاً معيناً بل كل من أوتي فهماً في آيات الأنبياء ولم يعمل بما فهمه منها ؛ فهو مراد بهذه الآية (٣) . ومعنى انسلخ : خرج منها ؛ كما تخرج الحية من جلدها .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩ / ١٢٣ - ١٢٤) .

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٦٠٨) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٣) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره (٩ / ١٢٣) : « والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله - تعالى- ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته وهي الآيات، وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم بن باعوراء ، وجائز أن يكون أمية بن أبي الصلت وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعم وجائز أن يكون أمية ؛ لأن أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبي الله عليه الصلاة والسلام أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم أو بمعنى النبوة فغير جائز أن يكون معنيا به أمية لأن أمية لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئا من ذلك ، ولا خبر بأي ذلك المراد وأي الرجلين المعني يوجب الحجة ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعني به من أي ، فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ويقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله » .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (١٧٨) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ (١٧٩) وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ (١٨١) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) ﴾

﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : مال إلى الدنيا ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ في استواء حاليه في الحمل عليه وترك الحمل ، فإنه يلهث في الحالين جميعاً ، كذلك هذا ، سواء عليه أفهم أم لم يفهم ، فهو لا يعمل بمقتضى الآيات . واعلم أن الأمثال يقصد بها إيضاح المعنى، وقد يقصد بها الإهانة مع ذلك ؛ فيضرب له المثل بأحسن الأشياء ، قال الله - تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [1] ولم يقل كأنهم غزلان ، فإن الغزال في النفور كحمار الوحش ، لكن قصد إهانتهم بتشبيههم بحيوان يضرب به المثل في البلادة ، وقال - تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ﴾ [2] .

وقال هاهنا بعد تشبيههم بالكلب : ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ . ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ خلقهم ليدخلوا النار. قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ لأنهم أوتوا ما يفهمون به فضيعوه ، والأنعام لم يؤتها الله ما يحصل به الفهم ، فكانوا أضل من الأنعام ، وقال : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ بغير واو ؛ وقال في البقرة:

(١) سورة المدثر، الآيتان (٤٩ ، ٥٠).

(٢) سورة الجمعة ، الآية (٥).

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [(١)] بالواو ؛ لأن كونهم على هدى من ربهم وصف حالهم في الدنيا، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وصف حالهم في الآخرة ، فالوصفان متغايران ، وأما هاهنا فتشبيه بالأنعام ووصف بالغفلة . وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ تقوية لذلك المعنى الأول فلا معنى للعطف . ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ فيسمون اللات من تأنيث اسم الله والعزى من العزيز ، ومناة من المنان ، فيميلونها عن معانيها. واللحد في اللغة : الميل ، ومنه لحد القبر ، لكن لا يستعمل إلا في الشر ، وكذلك الزيغ بخلاف الحنف ، فإن أصله الميل ، ولا يستعمل إلا في الخير. ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ سننقلهم درجة بعد درجة بكثرة المال والأولاد والخصب . ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ أمهلهم زمانا ، والملاوة ومنه الملوان في الليل والنهار. ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ أي : جنون ﴿ وَأَنْ عَسَىٰٓ ﴾ أي : وفي أن عسى .

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) ﴾

قرئ ﴿ وَيَذَرُهُمْ ﴾ بالجزم عطفا على موضع الفاء في قوله : ﴿ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ وبالرفع [(٢)] عطفا على ما بعد الفاء ؛ كقوله : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ ﴾ [(٣)] ومثله قوله : ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ ﴾ ﴿ وَيُكَفِّرْ ﴾ [(٤)] ﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ متى ثبوتها واستقرارها؟ ثقل علمها على أهل السماوات والأرض ، فلا يعلمها أحد منهم . ﴿ كَأَنَّكَ

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٥).

(٢) تقدم تخريجها في تفسير سورة البقرة ، الآية (٢٧١) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٩٥) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٧١) .

﴿ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ كأنك قد أكثرت السؤال وأحفيت في المسألة عنها. ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ واجتنبت الشر.

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ آدم ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ حواء ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ وطئها.

﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ في أول الحمل ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ فذهبت وجاءت ولم يثقلها الحمل.

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَت ﴾ دعا آدم وحواء ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا ﴾ ولداً ﴿ صَالِحًا ﴾ وقيل : إن إبليس جاء إلى حواء ، وكانت قد مات لها أولاد ، فقال لها : أنتم تسمون أولادكم بعبد الله ، وعبد الرحمن وإذا كان عبد الله أخذه سيده ، فسموا أولادكم : عبد الحارث ، وكان إبليس اسمه الحارث فسموا فعتبوا بهذه الآية ، وهذا بعيد ؛ لأن مجرد التسمية من غير اعتقاد لا ينبغي أن يقال لمن فعله ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وقيل : هو الذي خلقكم يا معشر العرب من نفس واحدة، وهي قصي ، وجعل من جنسها زوجها إلى أن قال : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ فسموا أولادهم عبد مناف وعبد شمس وعبد الدار، وهذا مال إليه الزمخشري [1] ، وهذا لا يبقى عليه سؤال إلا بعد اللفظ عن إرادة قصي بن كلاب بن مرة . قوله : ﴿ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾ ولم يقل : أم صمتم ؛ كقوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ [2] فإن ذكر اسم الفاعل يدل على استقرار الأمر وثبوته بخلاف الفعل الماضي ، فإنه يصدق بمرة واحدة . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ﴾ تدعونهم ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ آلهة ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ في كونهم عبيداً. وقوله: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ﴾ استهزاء ، فإنهم لو كانت لهم أرجل يمشون بها وأيد يبطشون بها، وأعين يبصرون بها ، وآذان يسمعون بها - ما استحقوا العبادة ، ولم يقتصر على هذه الأعضاء ، بل قال ينتفعون بها ، لأن الصنم تصور له هذه الأعضاء ولكن لا ينتفع بها. قوله: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ ﴾ إن متولي أمري هو الله ، ولا يجيء : إنني أتولى الله ؛ كقوله أولا : ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ إن الله يتولى أمري ، وكقوله بعد ذلك: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ .

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري (٢ / ١٨٧) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٣٦) .

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ
لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ
ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ
يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ
ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ
إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم
مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

النظر بقلب الحدقة إلى المرئي سواء حصل رؤيتهم أم لم تحصل ، تقول : نظرت إلى الهلال فلم أره ، ولا تقول : أبصرته فلم أره. ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ أي : ما صفا من أخلاق الناس. قال الشاعر [من الطويل] :

خذي العفوَ مني تستديمي مَودَّتي ولا تَنْطِقي في سَوْرَتي حينَ أغضبُ (١)

النزغ : النخس ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ وجه الصواب ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ ﴾ من الشياطين ، قرئ «يُمِدُّونَهم» و« يَمُدُّونَهم »(٢) وهو رد لقول من زعم أن الإمداد في الخير والمد في الشر لقوله في الخير : ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ ﴾(٣) ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾(٤) وقال : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٥) فقراءة ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ هاهنا ترد على هذا القول.

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة ، الآية (٢١٩) .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر " يُمِدُّونهم " ، وقرأ باقي العشرة " يَمُدُّونهم " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٤٥١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٠٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٣٩٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٠١) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ١١١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٥) .

(٣) سورة الطور ، الآية (٢٢) .

(٤) سورة نوح ، الآية (١٢) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٥) .

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾

﴿ اجْتَبَيْتَهَا ﴾ اختلقتها ، والآصال : جمع أصيل ، وهو ما بين المغرب والعشاء .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ هو كقوله تعالى : ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة فصلت ، الآية (٣٨) .

سورة الأنفال [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ (٣) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)
كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ (٥) يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ
مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ
وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ
ٱلْكَٰفِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (٨) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ
فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ
ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ
وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ (١١)﴾

قوله : ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾ جمع نفل ، وهو العطاء ، قال الشاعر [من الرمل] :

إنَّ تقْوى ربِّنا خَيْرُ نَفَلْ [(١)]

وكانت غنائم بدر لرسول الله ﷺ يفعل فيها ما يشاء . قال بعض الصحابة : نزلت فينا أهل بدر حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا، وجعله للنبي ﷺ فقسم بيننا على بواء[(٢)] ، أي : على سواء.

وعن سعد بن أبي وقاص قال : قتل أخي يوم بدر فقتلت قاتله وأخذت سيفه ، وجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله شفيت غليلي ، قتلت قاتل أخي وهذا سيفه ، فنفلني

---

(١) هذا صدر بيت للبيد بن ربيعة وعجزه : .... وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَالْعَجَلْ

ينظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٣٩٢) ، ديوان لبيد (ص : ١٣٩) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٩٣) ، لسان العرب (نفل) ، مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ / ٢٤٠) ، مقاييس اللغة (٢ / ٤٦٤).

(٢) رواه أحمد في المسند بهذا اللفظ رقم (٢١٦٨٥) والصحابي هو عبادة بن الصامت ﷺ .

إياه . فقال : اذهب فاطرحه في القَبَض - والقبض - بفتح الباء- : هو الشيء المقبوض ، كالنقص والحسد : الشيء المنقوص والمحسود - فقلت : يا رسول الله: نفلني السيف . فأعاد عليٌّ القول بصوت أغلظ من الأول : اطرحه في القَبَض . فذهبت لأطرحه وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي ومنعي السيف ، فقبل أن أصل ردني رسول الله ﷺ فقال : إنك (٦٥/أ) سألتني السيف وليس إليَّ ، والآن فقد جعل الله غنائم بدر لي أتصرف فيها ، اذهب فخذ السيف[1]». ولما حصل لقاء يوم بدر جلس النبي ﷺ في العرش هو وأبو بكر واجتمع إليه الشيوخ وأرباب الرايات وتقدم الشباب فقاتلوا وقتلوا وغنموا ، فلما انقضت الحرب قال الشباب : نحن حُزْنا الغنيمة بأسيافنا فهي لنا ، وقال الشيوخ : نحن كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها ، وتنازعوا في ذلك فنزلت ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾ بالعظمة وسرعة الانتقام. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ آيات الرحمة والمغفرة قويت آمالهم واطمأنت قلوبهم ، وازداد أثر إيمانهم ، ولا يتوكلون إلا على الله ، وجاء الحصر من جهة تقديم المعمول.

﴿ حَقًّا ﴾ مصدر أيْ: يحق ذلك حقا ، الكاف في قوله : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ ﴾ للتشبيه ، ومعناه: كما جعل الأنفال والرسول يفعل فيها ما يراه ، وإن كرهوا ذلك -- أخرجك ربك لقتال أهل بدر وهم كارهون . وقيل ترجع إليَّ ﴿ حَقًّا ﴾ أي: يحق ويثبت أيها الرسول وإن كرهوا، كما حق خروجك من بيتك إليهم وإن كرهوا. ﴿يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ في موضع الحال .

لما بلغ رسول الله ﷺ أن عير قريش قد قرب مرورها عليهم ذاهبة إلى مكة وفيها أربعون راكباً منهم أبو سفيان بن حرب فندب النبي ﷺ أصحابه ليخرجوا لطلب العير ، فسمعت قريش بمكة بذلك ، فأسرعوا يطلبون حماية العير، وقالوا : إن أخذها محمد استغنى واستعان بها على قتالنا ، وألزموا كل أحد بالخروج أو أن يقيم بدلاً مكانه وهم النفير، فوعد الله نبيه إحدى الطائفتين ، إما العير وإما النفير، وكان عرض أكثر الصحابة أن ينالوا العير ؛ لأنه مال يوجد من غير قتال ، ولأنهم لم يخرجوا يوم بدر للقتال ، وإنما خرجوا لطلب العير ، وأما

---

(١)رواه مسلم رقم (١٧٤٨) ، وأبو داود رقم (٢٧٤٠) ، والترمذي رقم (٣٠٧٩).

النفير فإنهم جاءوا بسلاحهم وشوكتهم ليقابلوا ويمنعوا العير[(١)]. وقد مضى في الأنعام[(٢)] شرح الدابر .

الخائف لا ينام وكان أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا ليلة على كثيب أعفر[(٣)] ينهال رملاً وتراباً لا تثبت عليه أقدامهم للقاء ، وليس هناك ماء وأجنب كثير منهم تلك الليلة ، فوسوس إليهم الشيطان قوة الخوف ، وأنكم تلقون ربكم وأنتم على جنابة (٦٥/ب) ولستم على طهارة ، وأن هذه الكثيب لا تثبت فيه الأرجل ، فأرسل الله عليهم نعاسا يدل على حصول الأمن في القلوب ، وأمطرت السماء حتى سال الوادي ، واجتمع ماء كثير فاغتسلوا ، وتجلدت الأرض ، فثبتت عليها الأقدام[(٤)].

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل: بما تلقون في قلوبهم من الثبات والنصر. وقيل: كان الملك يتصور في صورة رجل ويمر بطوائف المسلمين فيقول: يا عباد الله اثبتوا، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم[(٥)]، فقوله على هذا القول حقيقة.

﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ أي: أعاليها. وقيل: اضربوا الرؤوس، كقول الشاعر [من الوافر]:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩ / ١٨٢).

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٤٥) عند قوله – تعالى : ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

(٣) العفرة : غبرة في حمرة ، وصلابة الأرض، وأرض عفراء: بيضاء لم توطأ . ينظر: لسان العرب (عفر).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٩ / ١٩٥ - ١٩٦).

(٥) نسبه السيوطي بنحو ذلك في الدر المنثور (٤ / ٣٤) لابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

وأَضْرِبُ هامةَ البطلِ المُشيحِ[(١)]

وقيل: ﴿فَوْقَ﴾ زائدة ، وهو بعيد ؛ لأن الأسماء لا تزاد غالبا[(٢)].

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلكم، أو مبتدأ وخبره ما دلت عليه الجملة، وأن يكون منصوبا بقوله : « فذوقوا » مضمر دل عليه «فذوقوه» وهو من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره وهو الأحسن هاهنا ؛ لأن الأمر لا يصلح أن يكون خبراً إنما الخبر ما يدخله التصديق والتكذيب.

﴿زَحْفًا﴾ حال من الفاعل والمفعول معاً ، أي : متزاحمين . ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ﴾ فلا تجعلوهم ولاة على ظهوركم بالانهزام ، ويدل عليه قول بعض المنهزمين من الكفار يوم بدر وقد سئلوا عن كيفية قتالهم فقال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون ، ويجوز أن يكون من الولي .

﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ فقد رجع.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ

---

(١) عجز بيت لعمرو بن الإطنابة ، وصدره : وإقحامي على المكروه نفسي وضربي ... .

ينظر في : تاج العروس للزبيدي (شيح) ، تهذيب اللغة للأزهري (٥ / ١٤٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٠٤) ، العمدة لابن رشيق القيرواني (١ / ٢٩) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٤٠٩ ، ٢ / ٢٠٤) ، اللسان (شيح) ويروى : «وإقدامي» بدل «وإقحامي» ، «وضربي» بدل وأضرب . **والمشيح**: الجاد في القتال ، والشاهد فيه : عطف المصدر المؤول « وأضرب» على المصدر الصحيح «وإقحامي».

(٢) يرى جمهور النحاة أن الأسماء لا تزاد ، وأجاز ذلك أبو الحسن الأخفش . **ينظر في ذلك** : الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٤٠٤) ، سر صناعة الإعراب لابن جني (١ / ٣٠١) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٣٩٧).

أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمَا﴾ أوصلت المرمى ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ أوصله ، وكان النبي ﷺ قد أخذها من حصى وتراب ، فرمى بها إلى ناحية القوم ، فامتلأت أعين جميع المشركين ترابا ورملا ، وأعان ذلك على انهزامهم .

البلاء يكون في الخير ؛ لقوله : ﴿بَلَآءً حَسَنًا﴾ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ [١] أي : مضعف. روي أن أبا جهل قال يوم بدر: «اللهم انصر أهدى الحزبين ، وأعلى الفئتين» فدعا على نفسه وجماعته[٢].

وقوله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ إن تستنصروا، أي: فقد جاءكم النصر عليكم لا لكم . ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ شر ما دبَّ على الأرض حتى يدخل الكافر، فهو بالنظر إلى أصل الوضع حقيقة في الكافر ، ولكن في عرف الاستعمال بما يحمل (٦٦/أ) على بعض ذوات الأربع ، كما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث ، وكما لو حلف لا يجلس في ضوء سراج لم يحنث بالجلوس في الشمس ، وقال الله - تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [٣] ولا يقعد على

---

(١) قرأ « مُوهِنٌ » بالتنوين مع الرفع ابن عامر وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو « مُوَهِّنٌ » بالتنوين مع تشديد الهاء ، وقرأ حفص عن عاصم « مُوهِنُ » بالإضافة .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٤٧٦) ، حجة ابن زنجلة (ص : ٣٠٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٠٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٠٥) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٠٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٩ / ٢٠٧ - ٢٠٩) عن غير واحد أن أبا جهل قال يوم بدر : « اللهم انصر أحب الدينين إليك ديننا العتيق أم دينهم الحديث » فأنزل الله ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢ / ٣٥٧) أن أبا جهل قال حين التقي القوم : « اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحِنْهُ الغداة » فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأحنه : أهلكه ، من حانت النفس : إذا هلكت والحَيْنُ - بالفتح - : الهلاك .

ينظر: لسان العرب (حين).

(٣) سورة نوح ، الآية (١٦).

بساط فقعد على الأرض لم يحنث مع قوله -تعالى : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [(١)] ولا يمس وتدا فمس جبلا ، لم يحنث مع قوله - تعالى : ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [(٢)] أو لا يأكل ميتة فأكل سمكا أو جرادا لم يحنث مع قوله ﷺ : « أحل لنا ميتتان » الحديث[(٣)] وإنما الأيمان على عرف الاستعمال . ثقفت القوم : أخذتهم بقوة . إني فاعل بهم من النكال ما يوجب هرب من خلفهم لما يخشون من حلول مثل ذلك بهم.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ سماع قبول ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ سماع قبول لارتدوا .

دعاء الله يصل إلينا على لسان رسوله ، ودعاء رسوله يخبر عن الله ، فلذلك قال : ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ قيل: المراد القرب ، كقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [(٤)]. وقيل: يمنعه فهم القرآن وتدبر الآيات . ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً ﴾ مقولاً فيها: ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ بل تعم.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ وَتَخُونُوٓا۟ ﴾ يجوز أن يكون مجزوما ، معطوفا على ﴿ لَا تَخُونُوا۟ ﴾ وتكون نهيا عن الجمع

---

(١) سورة نوح ، الآية (١٩).

(٢) سورة النبأ ، الآية (٧).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنعام ، الآية (١٤٥).

(٤) سورة ق ، الآية (١٦).

بين الأمرين . المراد بالفرقان هاهنا نور يقذفه الله في القلوب.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك. وقولهم : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ﴾ دليل على مبالغتهم في التكذيب ، وليس المراد تعليق إمطار السماء على كونه حقا ، بل إبعاد ذلك؛ كقوله : والله لا أكلمك حتى يشيب الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعني به : لو كانوا مستغفرين لما عذبوا، وليس المراد باستغفارهم .

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

ثم قال : ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي : يعرضون أو يمنعون. المكاء: الصفير ، والتصدية : رفع الصوت ، وكانوا إذا قرأ رسول الله ﷺ القرآن جاءوا وصفقوا حوله وصفروا حتى يخلطوا عليه قراءته. وقيل : كانوا يجعلون ذلك في طوافهم عوضاً عن الأذكار في طوافنا[1] .

وقوله : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ إشارة إلى فاعل الخبيث ؛ لدلالة الفعل على الفاعل .

﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾ عذبوا (٦٦ / ب). ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بذلك . ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي : لا توجد فتنة ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ تقديره : وإن تولوا

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩ / ٢٤١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٦١) لعبد بن حميد .

عن الطاعة ولم ينتهوا لم يضروكم شيئا.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى
ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ
وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى
ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ
قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله – تعالى : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ الآية ، قسم الغنائم على ستة أنواع ؛ فقال أبو العالية الرياحي[1] بظاهر الآية ، وقال: تقسم الغنائم على ستة: سهم لله – تعالى – يقسم في مصالح الكعبة وعمارتها. وسهم لرسول الله ﷺ كان يأخذه ويدخر منه قوت سنة ثم يصرف الباقي في الكراع[2] والسلاح ، ثم بعد وفاته صار هذا السهم لمصالح المسلمين، وسهم لذوي قرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل ، فإن عبد مناف كان له أربعة أولاد : أحدهم هاشم ، وهو جد النبي ﷺ . والثاني المطلب وهو أخو هاشم شقيقه. والثالث والرابع عبد شمس ونوفل[3].

---

(١) هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري المقرئ مولى امرأة من بني رياح ، رأى أبا بكر وسمع من عمر – رضي الله عنهما – ثقة كثير الإرسال وله تفسير رواه عنه الربيع عن أنس . توفي سنة ٩٣هـ وقيل : سنة ٩٠ . **تنظر** ترجمته في : طبقات المفسرين للداودي (١ / ١٧٢، ١٧٣) ، معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٤٩).

(٢) **الكراع** : اسم لجميع الخيل. **ينظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤ / ١٦٥).

(٣) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال (١ / ٤٠٨) عن أبي العالية ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٦٧) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس – رضي الله عنهما – بنحوه .

وكانت قريش لما حصروا رسول الله ﷺ في شعب، وكتبوا كتابا ألا يعاملوا ولا يخالطوا - دخلت بنو المطلب مع بني هاشم في الشِّعْب الذي حصروا فيه، فلما جاءت الغنائم بعد ذلك أعطى رسول الله ﷺ بني هاشم وبني المطلب ولم يعط بني عبد شمس ولا بني نوفل شيئا، فجاء عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وجبير بن مطعم من بني نوفل ابن عبد مناف ، فقالا: يا رسول الله ، أرأيت إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم ، لمكانك الذي وضعك الله فيه منهم ، ولكن إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا ، وإنما قرابتنا وقرابتهم واحدة . فقال النبي ﷺ : « إن بني هاشم وبني المطلب ما افترقوا في جاهلية ولا إسلام ، وشبك بين أصابعه »[(١)] . وسهم ليتامى المسلمين ، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل. وقال بقية العلماء : إنما تقسَّم الغنائم على خمسة أسهم ، وأسقطوا السهم المختص بالكعبة ، وأبقوا الخمسة الباقية[(٢)].

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر، وصور حالهم ، كأنك تشاهده ، وقال : ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ و(الْعُدْوَةِ) جانب الوادي. والدنيا: القريبة ، ﴿وَهُم﴾ يعني: الكفار ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ أي : البعيدة ﴿وَالرَّكْبُ﴾ يعني: العير. ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ فإن كفار قريش جاءوا بين رسول الله ﷺ وبين العير، وحموا بذلك أموالهم . يعني: ليهلك من هلك عن بينة، فقتل صناديد قريش، وأعلى كلمة الله. ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ (٦٧/أ) قال الأكثرون بظاهرها، وأن رسول الله ﷺ رأى في المنام أنهم قليلون[(٣)].

وعن الحسن: أن المنام للعين ؛ لأنها موضع النوم ، فرآهم بعينه في اليقظة قليلين في ظنه، حتى تقدم عليهم المؤمنون ، وقلل المؤمنين في أعين الكفار في أول الأمر ، حتى هجموا وقاتلوا ، فلما اختلطوا كثر الله المؤمنين في أعين الكفار ، حتى جبن الكفار، وهو معنى قوله : ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾[(٤)] ومستحب ذكر

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/٦) وقال: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب لأن حليف القوم منهم ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله ».

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٤ / ١٤٧) ، بدائع الصنائع للكاساني (٦ / ١٠٠) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٥١٧) ، المبسوط للسرخسي (٣ / ١٧) ، المغني لابن قدامة (٧ / ٢٩٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/١٢) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٧٤) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٣) ورواه الطبري في تفسيره (٣ / ١٩٥) عن ابن مسعود .

الله – تعالى – عند لقاء العدو، وأن نطلب منه النصر والعون، وأن نقلل من التنازع والاختلاف.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: دولتكم، قال الشاعر [من الوافر]:

إذا هبَّتْ رياحُك فاغتنِمْها ... فإنَّ لكلِّ خافقةٍ سكونُ[1]

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ
وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي
أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ
إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾
ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ
يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ
فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ
كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ
مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا
اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا
تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ مثل كفار قريش ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا﴾. روي أن قريشا لما اجتمعت للنفير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر من العداوة، وهم على طريقهم فتمثل لهم الشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم[2] كبير بني بكر، وقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٥٢٣)، تاج العروس للزبيدي (روح)، تفسير القرطبي (٨ / ٢٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٢٥)، روح المعاني للألوسي (٧/ ١٠٩).

(٢) هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو الكناني، أسلم يوم الفتح، وكان شاعرا وقصته في=

﴿ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ فخرجوا، فلما لاقوا المسلمين رأى إبليس جبريل قد نزل من السماء لينصر المؤمنين فخاف على نفسه أن يقتله جبريل، ففر فقيل له: أين تذهب يا سراقة؟ فقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فاشتهر بين كفار قريش أنه لم يهزم الناس إلا سراقة بن مالك فلما رجعوا اجتمعوا بسراقة وعتبوه، فقال: والله ما كنت هناك حتى انهزم[1]. ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقت اللقاء ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ إذا أقبلوا. ﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ إذا ولوا، ولم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر، وكانوا ينزلون في غيرها، مدداً ولطمأنينة القلوب.

﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة، أي: عادة هؤلاء منازعة الأنبياء كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله وأخذه ونقمته. ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ أي: فإن تثقفهم، والثقف: الأخذ بشدة. ﴿فَشَرِّدْ بِهِم﴾ أي: فافعل بهم فعلاً يوجب فرار من حولهم. وقوله: ﴿فَشَرِّدْ﴾ مأخوذ من شرد البعير إذا فر. ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ بأمارات تدل على ذلك، فانقض عهدهم وعرفهم بذلك كي لا يكون عذراً. من قرأ ﴿إِنَّهُمْ﴾ بكسر، فهو استئناف كلام، ومن قرأ (أَنَّهُمْ) بالفتح[2] أي: لا تحسبهم لأجل أنهم لا يعجزون. وفي الحديث الصحيح (٦٧/ب) أن النبي ﷺ قال وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال: «ألا إنَّ القوةَ الرميُ، ألا إنَّ القوةَ الرميُ، ألا إنَّ القوةَ الرميُ»[3].

قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ قيل: فارس والروم. وقيل: كفار الجن، إلا أن قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ يرد على القائلين. ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه.

= ملاحقة النبي ﷺ في الهجرة مشهورة ترويها كتب السير. توفي سنة ٢٤هـ. **تنظر** ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٢/ ١٩).

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ١٨)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٧٩) ونسبه لعبد الرزاق وابن المنذر عن معمر قال: «ذكروا أنهم أقبلوا على سراقة بن مالك بعد ذلك فأنكر أن يكون شيء من ذلك».

(٢) قرأ جمهور القراء أبو عمر وابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ويعقوب «إنهم»، وقرأ ابن عامر «أنهم». **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٥١٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٧٢)، حجة أبي زرعة (ص: ٣١٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٢٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٣٢)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٧).

(٣) رواه مسلم رقم (١٩١٧)، وأبو داود رقم (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣) عن عقبة بن عامر ﷺ.

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن
يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ
مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى
ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن
مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ
﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ
ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ
مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ
ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ وإن مالوا للصلح، والسلم يذكر ويؤنث. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ فإن كافيك الله. قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على اسم الله، أي: يكفيك الله، ويكفيك المؤمنون. وقيل: معطوف على الكاف، أي: حسبك الله وحسب المؤمنين الله، إلا أنه لا يلزم منه العطف على المضمر المجرور بغير إعادة الجار[1]. وكان قد وجب في ابتداء الإسلام أن يصبر المؤمن في القتال لعشرة من الكفار، ثم نسخ ذلك ووجبت مصابرة الواحد لاثنين خاصة.

قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ما عند الله من ثواب الشهداء، فلا يهون عليهم بذل نفوسهم، وأما أنتم فترجون من الله ما لا يرجون.

لما جيء بالأسرى يوم بدر استشار الصحابة في أمرهم فأشار أبو بكر بأن يؤخذ منهم الفداء يستعين به المؤمنون، ولعل الله أن يهدي من هؤلاء الأسرى قوماً، وقال عمر بن الخطاب: هؤلاء رأس الضلالة وحزب الكفر، قدمهم فاضرب أعناقهم، فأحب رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر، وأخذ منهم الفداء، فعتب على ذلك، وأنزل الله - تعالى: ﴿مَا كَانَ

---

(١) تقدم في سورة النساء، الآية (١).

لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [(١)]. أي: يكثر القتل، والله يريد أن تريدوا الآخرة ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ من الرأي ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال عمر: دخلت على رسول الله ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت : ما يبكيكما؟ خبروني ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال النبي ﷺ: « أبكي لما عرض عليَّ من عذاب قومك ، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة ، وأشار إلى شجرة قريبة من المسجد » [(٢)].

وقال ﷺ: « لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر»[(٣)].

وكان العباس عم النبي ﷺ يظهر الكفر ويبطن الإسلام، وكان من المطعمين يوم بدر، والمطعمون عشرة، كل واحد يطعم يوماً فينحر عشرة جزائر ، فأسر العباس ، فلما جاء الفداء ، قال النبي ﷺ للعباس : افد نفسك وافد عقيلاً فقال : يا رسول الله ، ما لي شيء ، فقال ﷺ : فأين الذهبية التي أعطيتَها لأم الفضل في ظلام الليل ، وقلت : إني ذاهب ، فإن هلكت فلفلان كذا (٦٨/أ) ولفلان كذا، ولفلان كذا ، فقال : يا رسول الله ، والله ما اطلع على هذا أحد من خلق الله ، وأظهر الإسلام . وفي رواية: أنه لما قال له: (افد نفسك) قال: كنت مسلماً في الباطن ، فقال النبي ﷺ: « أما في الظاهر فقد كنت علينا » ، وأنزل الله - تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾ يعني العباس ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾ محبة الإسلام ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ قال العباس بعد ذلك بسنتين: «والله لقد آتاني الله خيراً مما أخذ مني ، فإن لي اليوم عشرين عبداً مضارباً مع كل عبد عشرون ألفا ، وإني لأرجو المغفرة من ربي» [(٤)].

وروي أنه جاء مال من البحرين فنثر في المسجد فجاء العباس فقال: يا رسول الله أعطني، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً ، فقال : خذ . فأخذ ثوبا فملأه دراهم ، وطلب أن يحمله

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ٤٣).

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣) ، وأبو داود رقم (٢٦٩٠) ، والترمذي رقم (٣٠٨١).

(٣) نسبه بهذا اللفظ الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ٣٩) للواقدي في كتاب المغازي ، ورواه الطبري في تفسيره (١٠ / ٤٨) بلفظ : «لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك» .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٩١٧٧) ، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٤٥) رقم (٤٨٩) ، وفي سنده الكلبي وهو ضعيف في الحديث .

فلم يستطع ، فقال : يا رسول الله، مُرْ بعضهم يحمله معي ، قال : لا ، قال : فاحمله أنت معي ، قال : لا ، فنثر منه ما عجز أن يحمله ، فلم يقدر ، فقال : مر بعضهم أن يحمله معي ، قال : لا ، قال : أو احمله أنت عليَّ ، قال : لا ، فنثر منه شيئا نثراً حتى استطاع حمل الباقي ، وحمله على كتفه فأتبعه النبي ﷺ ببصره تعجباً منه ومن حرصه [1].

﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ ﴾ يمكنك الله منهم. ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ وكان في أول الإسلام لا ولاء بين المهاجر ومن لم يهاجر، وهو قوله: ﴿ وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ فلا تولوهم. ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾ ما أمرتكم به ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ من المهاجرين والأنصار. ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ ثم ذكر من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤١١) عن أنس ﷺ ، ولفظه : قال أنس : « أتي النبي ﷺ بمال من البحرين فقال : انثروه في المسجد وكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني ؛ فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا. فقال له رسول الله ﷺ : خذ . فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال: يا رسول الله مر بعضهم يرفعه إليَّ . قال : لا. قال : فارفعه أنت علي. قال: لا. فنثر منه ثم ذهب يقله فقال : يا رسول الله مر بعضهم يرفعه عليَّ . قال : لا . قال : فارفعه أنت علي. قال: لا. فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه ، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم» .

سيهاجر فيما بعد بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾، فجعلهم بالصدر الأول ، وأنهم مشاركون لهم فيما حصل من نصر.

﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ ﴾ النسب بالإناث وهذه الآية عام مخصوص ، فإن بعض ذوي الأرحام يرث كالأم والجدة والأخت ، ولا يرث الخال ولا الخالة ، وكلهم من ذوي الأرحام.

* * *

سورة التوبة [مدنية]

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) ﴾ .

تسمى الفاضحة؛ أنها فضحت المنافقين[1]، وعن بعض الصحابة: ما زال يقول ﴿ وَمِنْهُم ﴾ حتى خشينا ألا يبقى منا أحد، أراد قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾[2]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي ﴾[3] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴾[4] ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾[5] وأمثالها.

﴿ مِّنَ اللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف أي: كائنة، أو واصلة، ولا يجوز (٦٨/ ب) أن يتعلق ببراءة فيفضي إلى الكفر والتبرّي من الله.

وكان رسول الله ﷺ قد صالح كفار قريش في نوبة الحديبية على أن من أحب أن يدخل في حلف رسول الله ﷺ دخل ، ومن أحب أن يدخل في حلف الكفار دخل ، وألا يعين فريقًا على حلف صاحبه ، وكانت خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وبنو بكر حلفاء الكفار، وكان بين بني بكر وخزاعة اختلاف فاقتتلوا وأعانت قريش بني بكر بالسلاح ، فانتقض عهدهم ، وجاء قوم من خزاعة [من الرجز] :

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف (٢ / ٢٤١): " لها عدة أسماء: براءة ، التوبة ، المقشقشة ، المبعثرة ، المشردة ، المخزية ، الفاضحة ، المثيرة ، الحافرة ، المنكلة ، المدمدمة ، سورة العذاب ؛ لأن فيها التوبة على المؤمنين ، وهي تقشقش من النفاق أي : تبرئ منه ، وتبعثر عن أسرار المنافقين ، تبحث عنها ، وتثيرها ، وتحفر عنها، وتفضحهم ، وتنكلهم ، وتشرد بهم ، وتخزيهم ، وتدمدم عليهم .

وعن حذيفة ﷺ : «إنكم تسمونها سورة التوبة ، وإنما هي سورة العذاب ، والله ما تركت أحدا إلا نالت منه ".

(٢) التوبة ، الآية (٥٨).

(٣) التوبة ، الآية (٤٩).

(٤) التوبة ، الآية (٧٥).

(٥) التوبة ، الآية (٦١).

إنَّ قريـــشًا أخلفـــوكَ الموعِـــدا ونقـــضوا ميثاقَـــك المؤكَّـــدا
هـــمْ بيَّتونـــا بالوتيـــرِ هُجَّـــدا وقتـــلونا رُكَّعـــا وسُـــجدا

والوتيـــر: ماء من مياههم .

فقال النبي ﷺ حين سمع شعرهم : " لا نصرتُ إن لم أنصركم " ثم جاء أبـو سـفيان بـن حرب ، فأراد أن يجدد العهد والعقد ، وهو إذ ذاك مشرك فلم يجد إلى ذلـك سـبيلاً ، فبعـث رسول الله ﷺ عليًّا ومعه أبو هريرة وجماعة من الصحابة يقرءون على الكفـار سـورة بـراءة ، ويعرفونهم أن العهد بينهم قد انتقض ، وأنه لم يأخذهم بغتة ، بل أمهلهم أربعة أشهر ليرجع من كان غائبا في البادية ؛ ليستعدوا للحـرب بوجـوه الاسـتعداد [1].﴿مُخْزِى﴾ مهـين ومـذل. ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ وإعلام.

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ؛ لأن فيه طواف الزيـارة ، ورمـي جمـرة العقبـة ، ونحر الهدي أو ذبحه ، وحلق الرأس . وقيـل : يـوم الحـج الأكـبر : يـوم عرفـة ؛ لأن الحـج يفـوت بفواته ، بخلاف بقية الأركان .

قرئ ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ بالعطف على اسم الله ، وقرئ بالجر [2] على القسم بالرسول ، كقوله : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ثم استثنى الله - تعالى - من ثبت على العهـد ولم ينقـضه

---

(١) نسبه الزيلعي بهذا السياق في تخريج الأحاديـث والآثـار الـتي في الكـشاف (٢ / ٥٤) لابـن هـشام في سيرته في غزوة مؤتة من طريق ابن إسحاق والبيهقي في دلائل النبوة ، ونسبه السيوطي في الدر المنثـور (٤ / ١٣٨) لابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة .

(٢) قرأ " ورسوله " بالجر الحسن البصري ، والواو واو القسم ، أو على الجوار، وقرأ الجمهـور " ورسـولُهُ " بالرفع ، وقرأ عيسى بن عمر وزيد بن علي وابن أبي إسحاق "ورسولَهِ" عطفا على لفظ الجلالـة ، أو على أنه مفعول معه تنظر في : إتحاف فضلاء البشر بـالقراءات الأربـع عـشر للبنـا (١ / ٢٤٠) ، البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٦) ، تفسير القـرطبي (٨/ ٧٠) ، الـدر المصون للـسمين الحلـبي (٣ / ٤٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٧٣) ، واستبعد السمين الحلبي صحة نـسبة قـراءة الجر للحـسن وقال : "تبعد صحتها عن الحسن ؛ للإيهام ، حتى يحكى أن أعرابيا سمـع رجـلا يقـرأ " ورسـوله " بالجر فقال الأعرابي : إن كان الله قد برئ من رسوله فأنا بريء منه ، فلبَّـبه القـارئ إلى عمـر - ﷺ - فحكى الأعرابي الواقعة ، فحينئذ أمر عمر بتعليم العربية . وتحكى أيضا هذه القصة عن أمير المـؤمنين علي وأبي الأسود الدؤلي - رضي الله عنهم ".

بقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ ﴾ ولم يعاونوا كقوله : ﴿ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ [1] أي : عاونوهم .

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨ ﴾.

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ يريد بها أشهر الحج ، ولا يراد بها الأشهر التي يحرم القتال فيها ؛ لأن هذه الأربعة متوالية ، والأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ يعني: استأسروهم ، ويقال للأسير: أخيذ.

﴿وَإِنْ﴾ استجارك ﴿أَحَدٌ﴾ ليسمع قراءة القرآن منك أو من الصحابة ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ﴾ (٦٩/أ). فإن لم يسلم فلا تقتله حتى ترده إلى مكان يأمن فيه على نفسه.

﴿قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ فلذلك أمهلوا حتى يسمعوا كلام الله، فيعلموا صدق الرسول ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا يصلح ولا ينبغي ﴿إِلَّا﴾ في حق ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فما داموا مستقيمين لكم على الوفاء ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ بمثله، ثم قرر أنه لا ينبغي أن يبقى العهد مع المنافقين، ومن شأنهم أنهم لو ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة. قيل: الإل: هو الله. ولما سمع أبو بكر ما زعم مسيلمة أنه قرآن أنزل عليه تبسَّم، وقال: ما خرج هذا من إل[2]. وقيل: الإل: العهد.

الفسق هو الخروج؛ يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وكل الناقضين كفار فاسقون، وإنما قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ لأنه أراد بالفسق الطغيان ومجاوزة الحد في الطغيان

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢٦).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١/٤٣٨) ولم يرتض هذا الزجاج قال: " لأن أسماءه - تعالى - معروفة في الكتاب والسنة، ولم يسمع أحد يقول: يا إل افعل لي كذا" . ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٣٣).

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ استبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا﴾ فيه رد على من زعم أن الثمن ما دخلت عليه باء الثمنية ، فإذا قلت : اشتريت عبداً بجارية ، فالجارية الثمن ، والعبد مثمن ، وإن قلت: اشتريت جارية بعبد ، فبالعكس ، وهاهنا دخلت الباء على المثمن[(١)].

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَصَدُّواْ﴾ يجوز أن يكون لازماً ومتعدياً كما سبق . ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ أي: فهم إخوانكم. ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ أي: لا وفاء أيمان ، كقول الشاعر [من الطويل] :

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن (١ / ٣٠): " وكل ما في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن، وأدخلت الباء في المبيوع أو المشترى، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشيئين لا يكونان ثمنا معلوما من الدنانير والدراهم، فمن ذلك: " اشتريت ثوبا بكساء " أيهما شئت تجعله ثمنا لصاحبه؛ لأنه ليس من الأثمان، وما كان ليس من الأثمان مثل الرقيق والدور وجميع العروض فهو على هذا، فإن جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن كما قال في سورة يوسف: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ لأن الدراهم ثمن أبدا والباء إنما تدخل في الأثمان، فذلك قوله ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ " اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة " فأدخل الباء في أي هذين شئت، حتى تصير إلى الدنانير والدراهم فإنك تدخل الباء فيهن مع للعروض ".

وقال السمين الحلبي في الدر المصون (١ / ٢٠٦ - ٢٠٧) : " وضُمِّن الاشتراء معنى الاستبدال ، فلذلك دخلت الباء على الآيات ، وكان القياس دخولها على ما هو ثمن؛ لأن الثمن في البيع حقيقته : أن يشتري به ، لا أن يشترى ، لكن لما دخل الكلام معنى الاستبدال جاز ذلك ؛ لأن معنى الاستبدال أن يكون المنصوب فيه حاصلا والمجرور بالباء زائلا .ونقل عن المهدوي قوله: دخول الباء على الآيات كدخولها على الثمن ، وكذلك كل ما لا عين فيه . وإذا كان في الكلام دراهم أو دنانير دخلت الباء على الثمن ".

وإن حلفتْ لا تنقضُ الدهرَ عهدَها فليسَ لمخضوبِ البنانِ يمينُ[(١)]

أي: وفاء يمين. ومن قرأ (لا إيمان) بكسر الهمزة [(٢)] فهي شهادة عليهم بالكفر، وأنهم ليسوا من الإيمان في شيء. ثم حرَّضَ المؤمنين على قتال الناقضين، فقال: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا﴾ وما لكم لا تقاتلونهم؟ ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡ﴾؟ ثم بين فوائد قتالهم بقوله: ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ﴾.

هاهنا انتهت الوعود على قتال الناكثين، ثم أخبر الله خبراً مستأنفاً: أنه يتوب على من يشاء، وليس ذلك متعلقا بالشرط، كما في الأفعال الخمسة السابقة المجزومة بجواب الأمر ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن أخلص في التوبة ﴿حَكِيمٌ﴾ قبل التوبة ليتهيأ الرجوع إلى الله في كل وقت.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن
يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ
هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ
سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا
يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ
وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ
عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ
ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف، الآية (١٠٢).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ويعقوب " لا أيمان لهم "، وقرأ ابن عامر وحده من العشرة " لا إيمان لهم ". **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٥)، حجة ابن خالويه (ص: ١٧٤)، حجة أبي زرعة (ص: ٣١٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٤٥١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٢)، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٧٧)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٨).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا﴾ من غير امتحان ولا اختبار، ولما يظهر الله بالامتحان والاختبار. ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين معدلا يلجئون فيه، ومكان الولوج: وليجة. ولما أسر العباس يوم بدر (٦٩/ ب) عيره عليٌّ وقال: كذبتم الرسول وقاتلتم المؤمنين الذين يوحدون الله ويعظمونه، وقطعتم الرحم بالقتال. فقال العباس: تذكرون مساوئنا وتتركون محاسننا، إنا لنسقي الحاج، ونطعم الجائع، ونفك العاني، ونعمر المسجد الحرام، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ [(١)] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ كإيمان من آمن، أو: جعلتم أهل سقاية الحاج، ثم بين قبول عبادات المؤمنين وحبوط عمل الكافرين فقال في الكفار: ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)﴾ وفي حق المؤمنين ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ الآيتين. ثم نهى المؤمنين أن يداخلوا الكفار، أو يطلعوهم على بواطنهم ولو كانوا ذوي قربى.

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)﴾.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ بعقوبة من آثر هذه الأمور على حق الله - تعالى. ﴿فِي مَوَاطِنَ﴾ أي: في أيام مواطن؛ لأنه لو أراد المكان لم يعطف عليه ظرف الزمان في قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ لأنك تقول: ضربت زيداً يوم الجمعة عند المسجد، ولا تقول: وعند المسجد، إلا أن يسبق ظرف مكان فتقول: ضربته خلف الدار وعند المسجد، ولك أن تضمر في الثاني، فتقول: في مواطن كثيرة وموطن حنين[(٢)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ٩٥)، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٤٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٢ / ٢٥٩) وجوز السمين الحلبي عطف ظرف الزمان من غير=

وكان النبي ﷺ لما فتح مكة معه عشرة آلاف، وعفا عن أهل مكة، وقال: " أنتم الطلقاء " وأخذ من الطلقاء ألفين فتوجه إلى حنين باثني عشر ألفا ، فقال قائل : لن نغلب اليوم من قلة . فوكلهم الله إلى أنفسهم ، فاستقبلتهم هوازن وهم رماة فرموا المسلمين بالنبل فانهزم المسلمون في أول الحال ، فأمر النبي ﷺ العباس وكان جهوري الصوت فنادى : يا أصحاب الشجرة ، يا أصحاب السمرة . وهي الشجرة التي بايعوا رسول الله ﷺ على القتال عندها ، فذكرهم ما عاهدوا الله عليه فنادى : يا أصحاب البقرة . يريد : من حفظ سورة البقرة وما فيها من الأمر بالقتال في مواضع ، فتراجع المؤمنون ، قال الراوي : كعطفة البقر على أولادها. وكان النبي ﷺ على بغلته والعباس آخذ بركابه، وعبيدة بن الحارث آخذ بالركاب الآخر، فنزل ودعا واستنصر، وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.

ورماهم بقبضة من تراب، وقال: شاهت الوجوه. قال الراوي: فمذ رماهم رسول الله ﷺ بتلك الحصيات ما زلت أرى أحدهم (٧٠ / أ) كليلاً ثم انهزموا "[(١)].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

= واسطة " في" على ظرف المكان المجرور بها ، وقال : ولا غرو في نسق ظرف الزمان على مكان أو العكس ، تقول : سرت أمامك يوم الجمعة . إلا أن الأحسن أن يترك العاطف في مثله " .

(١) رواه البخاري رقم (٢٨٦٤ ، ٢٨٧٤) ، ومسلم رقم (١٧٧٦) .

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ وعد منه سبحانه بقبول التوبة على من يشاء. ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ شيء مبعد فأبعدوهم عن المسجد ، وكان في نداء عليٍّ في السنة التاسعة : " ألا لا يحجنَّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ " [١].

و«العيلة» : الفقر ، والعائل : الفقير، كقوله : ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ [٢] وأما الزوجة والأولاد فيقال لهم عائلة .

ولما نهي المشركون ومنعوا أن يقربوا المسجد الحرام ، وهم الذين كانوا يجلبون الميرة إلى مكة ، خاف الناس أن ينقطع ذلك عنهم ، فوعد الله باستمرار ذلك ، فأسلم أهل جرش [٣] وحملوا الميرة ، وأغنى الله عما يحمله الكفار.

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ ويصدقون به ، وكذلك اليوم الآخر ، لا يؤمنون به كإيماننا لأنهم يزعمون أن المعاد روحاني ليس فيه شيء من الجسمانيات ، كالأكل والشرب والجماع واللباس [٤].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩١) ، والحاكم في المستدرك (٣ / ٥١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٤٦٨).

(٢) سورة الضحى ، الآية (٧).

(٣) **جرش** - بالضم ثم الفتح وشين معجمة - : من مخاليف اليمن من جهة مكة وهي في الإقليم الأول . وقيل : إن جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة وذكر بعض أهل السير أن تبعا أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازيا حتى إذا كان بجرش وهي إذ ذاك خربة ومعد حالة حواليها فخلف بها جمعا ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفا وقال : اجرشوا ههنا . أي : البثوا فسميت جرش بذلك .
ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٢ / ١٢٦).

(٤) قال الإيجي في كتاب المواقف (٣ / ٤٧٨ - ٤٧٩) : " اعلم أن الأقوال الممكنة في مسألة المعاد لا تزيد على خمسة : الأول: ثبوت المعاد الجسماني فقط ، وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة . والثاني : ثبوت المعاد الروحاني فقط ، وهو قول الفلاسفة الإلهيين . والثالث : ثبوتهما معا ، وهو قول كثير من المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وأبي زيد الدبوسي ومعمر من قدماء المعتزلة وجمهور من متأخري الإمامية وكثير من الصوفية فإنهم قالوا : الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة ، وهي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب ، والبدن يجري منها مجرى الآلة ، والنفس باقية بعد فساد البدن فإذا أراد الله تعالى حشر الخلائق خلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق به ويتصرف فيه كما كان في الدنيا . والرابع: عدم ثبوت شيء منهما ، وهذا قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين . والخامس: التوقف في هذه الأقسام ، وهو المنقول عن جالينوس فإنه قال : لم يتبين لي أن النفس هل=

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ اليهود والنصارى، حتى يقروا بلزوم الجزية والتزامها في كل حول. ولا يشترط أداؤها، لكن نزل الالتزام بمنزلة الأداء، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [١].

ولا يشترط التسليم، بل الالتزام مع طيب نفس المرضع كاف. ﴿صَـٰغِرُونَ﴾ ذليلون. قال الشافعي: الصغار جريان الإسلام عليهم [٢].

وقالت المراوزة[٣]: فيه وجهان: أحدهما: ما ذكره العراقيون. والثاني: أن تؤخذ منه الجزية، وهو قائم والآخذ قاعد [٤]، ويأخذ بلهازمه ويضربه ضربة أو ضربتين، ويقول: أدِّ الجزية يا عدو الله، وهذا واجب على أحد الوجهين. فعلى هذا لا يجوز التوكيل في أداء الجزية[٥].

﴿وَقَالَتِ﴾ طائفة من ﴿ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ من نوَّن عزيراً فلا إشكال عليه، ومن حذف التنوين[٦] منه فقيل هو تخفيف؛ كقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ

= هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل إعادتها أو هي جوهر باق بعد فساد البنية فيمكن المعاد حينئذ".

ينظر تفصيل ذلك في: كتاب المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي – ط. دار الجيل – بيروت– الطبعة الأولى، ١٩٩٧– تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد حكمي (٢/ ٧٧٩) ط. دار ابن القيم – الدمام – الطبعة الأولى ١٩٩٠ – تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.

(١) سورة البقرة، الآية (٢٣٣).

(٢) **ينظر**: أحكام القرآن للشافعي (٢ / ٥٩ – ٦٠)، الأم للشافعي (٤ / ١٧٦) وعبارته: " فلم يأذن الله عز وجل في أن تؤخذ الجزية ممن أمر بأخذها منه حتى يعطيها عن يد صاغرا. قال: وسمعت رجالا من أهل العلم يقولون: الصغار أن يجري عليهم حكم الإسلام وما أشبه ما قالوا بما قالوا لامتناعهم من الإسلام فإذا جرى عليهم حكمه فقد أصغروا بما يجري عليهم منه". ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون (٢ / ١٢٩).

(٣) **المراوزة** – بالفتح وبعد الواو زاي: هي نسبة إلى المروزيين نسبة إلى مرو مثل المهالبة والمسامعة والبغاددة وهي محلة كانت ببغداد متصلة بالحربية خربت الآن كان قد سكنها أهل مرو فنسبت إليهم.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥ / ٩٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ١١٠) عن عكرمة.

(٥) **ينظر**: الأم للشافعي (٤/٣٩٨)، المبسوط للسرخسي (٦ / ١٣٠)، المغني لابن قدامة (١٠ / ٦٢٠).

(٦) قرأ عاصم والكسائي " عزيرٌ " بالتنوين، وقرأ الباقون " عزيرُ " بغير تنوين. **تنظر** في: إتحاف=

﴿ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾[١] وعن بعضهم أنه قرأ ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾[٢] فقيل له: هلا قرأت كذلك، قال: كان يكون أوزن. وقيل: ابن الله: أعني: المقول فيه: إنه عزير بن الله، والخبر محذوف، أي: معبودنا أو إلهنا؛ كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧﴾[٣].

والتنوين إنما يحذف إذا وقع " ابن " صفة، فأما إذا وقع خبراً فتقول: زيد بن عمرو[٤].

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ وكل قول هو بالفم، ولكنه إنما يأتي في الكتاب تلويحاً بأن هذا القول لم يواطئ عليه القلب.

﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ (٧٠ / ب) يشابهون، والمضاهاة المشابهة وقد تهمز، فيقال: مضاهأة. وقرئ (يُضَاهِئُون)[٥] ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف تقلبون عن الحق إلى الباطل.

وروي: «أن عدي بن حاتم[٦] طيئ دخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من ذهب، فقرأ النبي ﷺ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ

=فضلاء البشر للبنا (٢ / ٨٩)، البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٣١)، حجة ابن خالويه (ص: ١٧٤)، حجة أبي علي الفارسي (٤ / ١٨١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٥٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٨٥)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٩).

(١) سورة الإخلاص، الآية (١) وقرأ الجمهور " أحدٌ " بالتنوين، وقرأ زيد بن علي وأبان بن عثمان وابن أبي إسحاق والحسن وأبو عمرو في رواية عنه " أحدُ " بحذف التنوين لالتقاء الساكنين. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٢٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٥٨٨)، السبعة لابن مجاهد (ص:٧٠١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٨١٨)، معاني القرآن للفراء (١ / ٤٣٢).

(٢) سورة يس، الآية (٤٠) وقرأ بها عمارة بن عقيل الخطفي. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٣٨)، تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧).

(٣) سورة الشعراء، الآية (٢٧).

(٤) قال العكبري في كتاب اللباب علل البناء والإعراب (٢ / ٤٨٩): " وأمّا ألف ابن فتثبت في الخطّ في كل موضع إلا إذا كان ابن صفةً مفرداً واقعاً بين علمين أو كنيتين على ما هو شرط فتح ما قبله في النداء فإنّه يُكتب بغير ألفٍ فعلى هذا تكتبه بالألف إذا كان مثنّى أو كان خبراً لمبتدأ، وتكتب ابنة تأنيث ابن بالألف في كلّ حال ".

(٥) قرأ جمهور العشرة " يضاهُون "، وقرأ عاصم وحده " يضاهئون " **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٣١)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٧٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٥٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٨٥)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٩).

(٦) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي ولد الجواد=

مَرۡيَمَ ﴾ فقال : ما اتخذنا أحبارنا أربابا ، فقال النبي ﷺ: أليسوا يحرمون عليكم الشيء مما أحله الله فتحرمونه ؟ ويحللون الشيء مما حرمه الله فتحللونه ؟ قال : نعم "[1]. قوله : ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ يدل على أن اليهود والنصارى يسمون مشركين.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ ضرب لهم مثلاً في عنادهم للحق والله ناصره بمنزلة من ينفخ في وجه عين الشمس ، ليطفئ نورها ، وذلك مما لا يؤثر شيئا.

قوله : ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ مع أن بلاد الكفر أكثر من بلاد المسلمين بأضعاف كثيرة ! وفي تأويله وجوه : أحدها : أن ذلك يكون حين ينزل عيسى بن مريم معززاً لدين الإسلام ، وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. والثاني : ليظهره بالحجة ، فالكفار وإن غلبوا على بعض الأطراف - مقهورون بالحجة . وقيل : ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ﴾ أي : ليطلعه ؛ كقوله

= المشهور أبو طريف أسلم في سنة تسع ، وقيل: سنة عشر. وكان نصرانيا قبل ذلك وثبت على إسلامه في الردة وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة ، وشهد صفين مع علي ومات بعد الستين وقد أسن قال خليفة : بلغ عشرين ومائة سنة . وقال أبو حاتم السجستاني: بلغ مائة وثمانين. **تنظر ترجمته في:** الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٤٦٩ - ٤٧٠).

(١) رواه الترمذي ، رقم (٣٠٩٥) ، والطبري (١٧ / ٢٨٨، ٢١٩) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٧١)

تعالى : ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [١] أي : أطلعه ، يعني ليظهر نبيه على قواعد الدين كلها ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وهي المآكل التي كانوا يأكلونها على تحريف كتاب الله وتبديله ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يكون " يَصُدُّونَ " متعديا ، أي : يصدون الناس ، ويجوز أن يكون لازماً ، أي : يعرضون عن سبيل الله . وجاء في الحديث: " كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز "[٢] يعني: ولو كان ظاهراً على وجه الأرض، وكل مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض، وهذا وضع شرعي ليس من الوضع الأصلي في شيء. ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي: الفضة؛ لأن أكثر النفقات بها. جعل عوض البشارة بالخير البشارة بالعذاب الأليم. ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ أي: يوقد عليها ، وخص هذه المواضع بالكي لأنهم كانوا إذا جاءهم السائل ظهرت الكراهة في وجوههم (٧١ / أ) ويظهر القبول في الأسارير ، ثم يعرض بجنبه عن السائل ، ثم يوليه ظهره .

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ يجوز أن يشار به إلى الذهب والفضة، فيقال لهم: هذا الذي أعددتموه لشدائدكم عذبتم به. ويجوز أن يقال: هذا الكي جزاء ما كنزتموه لأنفسكم، ولهذا قال: ﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: جزاءه.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) سورة التحريم ، الآية (٣).

(٢) رواه الشافعي في مسنده (١ / ٦١٢)، والبغوي في شرح السنة (٣ / ٣٠٩) موقوفا على ابن عمر.

كانت الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد، ولكن كانوا إذا احتاجوا إلى تحليل شهر من الأشهر الحرم، جاءوا إلى رجل منهم معروف، فيحلل المحرم مثلا، ويجعل مكانه صفر محرَّما، لتبقى الأشهر الحرم أربعة كما كانت، فحافظوا على عدد الأربعة، ولكنهم أحلوا ما حرم الله وهو المحرم في مثالنا هذا، وحرموا ما أحله الله وهو صفر، وهذا النسيء. والنسيء: التأخير، فنزلت ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ (١).

﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾ ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهي الأربعة ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهو المحرم. كانوا إذا دعوا إلى الجهاد اعتذر كثير من المنافقين وغيرهم بأعذار ضعيفة ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدلاً ﴿مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جنب ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ثم هدد على ترك النصرة بقوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يستبدل بكم ثم هدد على ترك النصرة بقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ وجواب الشرط محذوف، التقدير: إلا تنصروه ينصره الله كما فعل ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ألجئوه إلى الخروج، ولم يباشروا إخراجه ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: أحد اثنين ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ (٢).

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ كلام مستأنف، فلذلك رفع بالابتداء، ولو نصب لكان جعل كلمة الله عليا معلقا بالشرط، وهو أمر حاصل مستقر.

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ١٣٠)

(٢) قال العلامة ابن حجر الهيثمي: " أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعا ". **ينظر** كلامه في كتابه: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (١/ ١٩٠) ط. مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى، ١٩٩٧ – تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط.

ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ
لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ شبابا وشيوخا، موسرين ومتوسطين، محبين وكارهين.

أخبر الله نبيه أنه إذا رجع إليهم اعتذروا وحلفوا ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالتخلف عن النبي ﷺ والكذب في العذر.

بدأ رسول الله ﷺ بالعفو قبل العتاب ؛ تخفيفا عن خاطره الشريف أن يؤلم بالعتب قبل السبق بالعفو .

قوله : ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ (٧١ / ب) أي : لا يستأذنك في ألا يجاهدوا ، وفي سورة النور ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [(١)] وهاهنا : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لأن الاستئذان في سورة النور هو في الحضور في المشورة ، وهاهنا هو في ترك الجهاد .

﴿ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ خروجهم معكم . ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ صرف عزائمهم عن الغزو ، وكأنهم قد أمروا بالقعود ، والقاعدون : النساء والصبيان ، كقول الشاعر [من البسيط]:

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتِها ... واقعدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكاسي [(٢)]

يعني : مثل النساء والصبيان يأكلون ويلبسون ولا يقاتلون .

﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ
لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ
وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ
سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن
تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن

---

(١) الآية (٦٢) .

(٢) البيت للحطيئة يهجو الزبرقان ، **ينظر في** : الأغاني للأصفهاني (٢ / ١٧٦) ، تاج العروس للزبيدي (طعم) ، تفسير القرطبي (٩ / ٣٦) ، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (١ / ٣٤١) ، لسان العرب (طعم).

يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ
تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ
بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ إلا فساداً، وهذا استثناء من غير الجنس ؛ لأنه لم يكن بالنبي - ﷺ - ولا بصحابته خبال حتى يزدادوا. والإيضاع : ضرب من السير حثيثٌ.

﴿سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي : يسمعون لينقلوا إليهم ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ تربصوا بكم الدوائر، وانتظروا آفات الزمان حتى جاء الأمر بخلاف ما ظنوه ، ولما طلب رسول الله ﷺ الناس للجهاد في غزوة تبوك ، وإلى قتال بني الأصفر ، قال الجد بن قيس - وهو أحد المنافقين - : يا رسول الله ، قد علمت قريش أني مولع بالنساء ، وإني أخشى إن قاتلوا بني الأصفر ورأيت حريمهم ونساءهم لا أصبر ومت حسرةً ، وربما فتنوني ، فقال الله تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾ أي : برؤية بنات الأصفر[1] ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ بالاعتذار عن الخروج مع النبي ﷺ .

﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ أي : يقول القاعدون قد أخذنا بالأحوط ولم نخرج معكم. ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ أي : تنتظرون ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ وهو الشهادة إن قُهِرْنا ، والغنيمة إن قَهَرْنا. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السوءتين ، وهو إما إهلاككم بأيدينا ، وإما عذاب ينزله الله بالمخالفين .

﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ
لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ
مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ
يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ١٤٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢١٣) لابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾

﴿فَٰسِقِينَ﴾ خارجين عن الإيمان، ولهذا قال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ﴾ وقوله: ﴿أَن تُقۡبَلَ﴾ يجوز أن يكون مفعولاً ثانيا لمنع، تقول: منعت زيداً مطلوبة، ويجوز أن يكون بدل اشتمال، و﴿أَنَّهُمۡ﴾ فاعل منع.

﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: بالمصائب والآفات التي يصب فيهما. ﴿قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ﴾ يخافون العواقب فيتقون ، وجهاً معكم ووجها معهم. (٧٢ / أ) ﴿مُدَّخَلٗا﴾ مكانا . ﴿يَجۡمَحُونَ﴾ معرضين عن موافقتكم. ﴿يَلۡمِزُكَ﴾ يعيبك. ﴿وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ﴾ فاجئوا بالسخط، وجواب لو محذوف، تقديره: لكان خيرا لهم . ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ لا لغيرهم فلذلك قال أبو حنيفة ومالك: إنما سيقت الآية لبيان أن هؤلاء هم المستحقون لا غيرهم، فيجوز المفاضلة بين الأنواع الثمانية. وقال الشافعي: لا بد من المساواة بينهم؛ لأن الله تعالى أضافها إليهم بلام التمليك، وشرك بينهم بواو التشريك[1]. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ﴾ أي: مستمع لكل ما يحدِّث به ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ من قرأ بالإضافة فتقديره: مستمع خير لكم. ومن قرأ بالتنوين [2] فتقديره: كونه مستمعاً خير لكم من كونه معرضاً عما يحدث به.

---

(١) ينظر : الأم للشافعي (٢ / ٩٤) ، بدائع الصنائع للكاساني (٤ / ٢٣٢) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٤١٣) ، المبسوط للسرخسي (٣ / ٢) .

(٢) قرأ نافع من العشرة " أُذْنُ خيرٍ " بسكون الذال وضم النون ، وقرأ باقي العشرة " أُذُنُ خيرٍ " بضم الذال وبالإضافة وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم " أُذُنٌ خيرٌ " بالتنوين . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٦٢ ، ٦٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٧٦) ، حجة أبي زرعة (ص : ٣١٩ ، ٣٢٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٧٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٥) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٩٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢١٦)

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

إنما وحَّد الضمير في قوله : ﴿أَن يُرْضُوهُ﴾ لأن رضا الله فيه رضا رسوله ، ورضا رسوله فيه رضا الله . ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ يكون في حد ، والرسول ﷺ في حد آخر . ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ توضح للناس ما أضمروه من النفاق، فكأنها تنبئهم بذلك ، وسببه أن المريب خصم نفسه ، وهو كقوله : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (١) وقوله : ﴿ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ ليس طلباً للاستهزاء ، وإنما هو تهديد ؛ كقوله : ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ اجتمع ناس من المنافقين ليلة العقبة فتحدثوا منفردين بأنفسهم فيما ينكرونه من أحوال النبي ﷺ وأحوال الصحابة رضي الله عنهم ، فقال لهم النبي ﷺ: " أما أنت يا فلان فقلت كذا ، وأما أنت يا فلان فقلت كذا " ، فقال بعض المؤمنين المخلصين: يا رسول الله مرنا فنضرب أعناقهم . فقال : " لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " وقالوا: يا رسول الله ، إنما كنا نتحدث حديث الركب ، ونقطع الطريق بأنواع الحديث ، فنزلت ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم﴾ (٢) فجعل الاستهزاء بالدين كفر . ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بعد إظهاركم الإيمان . ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بالتوحيد ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ مصرة على نفاقها. ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾

---

(١) سورة المنافقون ، الآية (٤).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص : ٢٥٥ ، ٢٥٦) رقم (٥١١ - ٥١٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٥٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

يعني أنهم كالجسد الواحد ، وهكذا أهل المذاهب الفاسدة يعين بعضهم بعضاً. ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ عن العطاء في سبيل الله.

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ أهملوا (٧٢ / ب) أوامره فجازاهم على إهمالهم بالإهمال. ﴿هِيَ حَسۡبُهُمۡ﴾ أي: هي الكافية في تعذيبهم ومجازاتهم .

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي : يعذب المكذبون من قومك كما عذب المتقدمون ولعنوا. ﴿بِخَلَٰقِهِمۡ﴾ بنصيبهم. ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ أي: كالخوض الذي خاضوه. وقيل: وضع (الذي) موضع (الذين) كقول الشاعر [من الطويل] :

فإنَّ الذي حانتْ بفَلْجٍ دماؤُهُم(١)

أي: فإن الذين. ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِ﴾ قرى قوم لوط؛ لأنها قلبت بهم. ﴿أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ بالآيات الواضحات، فكذبوا فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بالإهلاك.

---

(١) هذا صدر بيت للأشهب بن رميلة وعجزه : .... هم القوم كل القوم يا أم خالد

ينظر في : البيان والتبيين للجاحظ (١ / ٥٨٤) ، تفسير الطبري (١ / ١٤١) ، تفسير القرطبي (١ / ٢٥٦) ، روح المعاني للألوسي (٣ / ٣٥) ، لسان العرب (لذا) ، وفلج : اسم بلد ومنه قيل لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريق بطن فلج . وفلج : هو واد بطريق البصرة إلى مكة ببطنه منازل للحاج . **ينظر** : لسان العرب (فلج) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٤ / ٢٧٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ في القيامة بالنجاة من العذاب وبرفع الدرجات. وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ أي: في جنات إقامة، فتكون الجنات نكرة لإضافتها إلى نكرة، ويجوز أن تكون عدن علماً على جنة مخصوصة ، فتكون جنات معرفة ، ورضا الله أعظم من الجنة ؛ لأن الجنة من ثمرات رضا الله ، ولقوله بعد وصف الجنة : ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾

﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحجة. يجوز أن تكون ﴿كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ مفعولاً ، ويكون ﴿قَالُواْ﴾ بمعنى ذكروا وأظهروا ، ويجوز أن تكون مصدراً. ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾ وما عابوا ﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ﴾ بالغنائم ، وذلك مما لا يعاب ، وهو كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾ (١) وسأل ثعلبة بن قيس رسول ﷺ أن يدعو له بكثرة المال ، فقال له : " قليل يكفيك خير من كثير لا تقدر على شكره"، فأعاد السؤال ، فأعيد الجواب ، فأعاد السؤال ثالثاً ، فدعا له رسول الله ﷺ ، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمي الدود ، فانقطع بها في الأودية وأماكن المرعى ، وانقطع عن الصلاة في الجماعة مع النبي ﷺ ، فسأل عنه النبي ﷺ ، فأخبر فلما توجه السعاة لأخذ الصدقات مروا به وطلبوا زكاة ما معه ، فحسبه فاستكثره ، وقال: اذهبوا إلى غيري ، فإذا رجعتم فمروا عليَّ ، فلما عادوا ومروا عليه قال لهم : ما هذه إلا أخت الجزية، وقال النبي ﷺ قبل أن يصل رسله إليه : " يا ويح ثعلبة " فجاء الرسل ، فأخبروه بما قال ، فقال : يا ويح ثعلبة ، ثم إن ثعلبة خاف على نفسه ، فأحضر ما طلب منه من الزكاة فلم يقبله النبي ﷺ ، وأنزل الله (٧٣ / أ) ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ

(١) سورة البروج ، الآية (٨).

عَٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ فوضع ثعلبة التراب على رأسه فلم يقبل منه النبي ﷺ شيئاً ، ثم جاء في خلافة أبي بكر بزكاته ، فلم يقبلها ، ثم جاء زمان عمر، فلم يقبلها، وتوفي في خلافة عمر(١).

ووجه امتناعهم من قبول زكاته من قوله تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ فدل على استمرار النفاق إلى الموت ، والمنافق كافر لا تقبل له زكاة.

لما حث رسول الله ﷺ الناس على الإنفاق في سبيل الله – جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم ، وجاء عثمان بألف دينار ، وعمل أبو عقيل يومه في الجرير(٢) فحصل له صاع ، فأوصل إلى عياله نصف صاع ، وأحضر للصدقة نصف صاع ، فقالوا : ما أراد عثمان وعبد الرحمن بن عوف إلا الرياء ، وما أراد أبو عقيل بهذا القدر اليسير إلا أن يذكر ويعوض إذا جاءت الصدقات ، فنزلت ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ١٩٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٤٦) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن منده والباوردي وأبي نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي ﷺ . قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ٨٦) : " قال البيهقي : وفي إسناده نظر ، قال : وهو مشهور بين أهل التفسير قال : وكان النبي ﷺ عرف نفاقه قديما ثم زيادته حديثا وموته عليه بما أنزل الله عليه من الآية فلم يأخذها منه ، انتهى كلامه . وأعله السهيلي في الروض الأنف وقال: قال البخاري: علي بن يزيد أبو عبد الملك منكر الحديث ، قال السهيلي : وقد عده ابن إسحاق في المنافقين وذكر هذه الآية التي نزلت في ثعلبة بن حاطب لكنه ذكر في البدريين ثعلبة بن حاطب ولم ينسبه فلعله رجل آخر وافق اسمه وإن كان هو فذكره في البدريين وَهْمٌ والمنافق هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس" . انتهى كلامه.

(٢) يريد أنه كان يستقي الماء بالحبل، والجرير : حبل مفتول من أدم يكون في أعناق الإبل ، والجمع : أجرة وجران و أجره .
ينظر: لسان العرب (جرر) ، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ٢٥٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠ / ١٩٤) ، وروى نحوه البخاري رقم (٤٣٩١) ، ومسلم رقم (١٠١٨) عن أبي مسعود قال : " أمرنا بالصدقة قال كنا نحامل قال : فتصدق أبو عقيل بنصف صاع قال : وجاء إنسان بشيء أكثر منه فقال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ ولم يلفظ بشر بالمطوعين " .

واللمز: العيب ، ومنه قوله : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [(١)] وقوله : ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [(٢)] .

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٨٠ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ۝٨١ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨٢ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ۝٨٣ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨٤ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٨٥ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٨٦﴾

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ فسيكون بكاؤهم كثيراً ﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ مع النساء والصبيان ، وأراد النبي ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أُبَيٍّ المنافق ، فجذبه عمر ، فقال: أتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا ؟! فنزلت ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [(٣)] .

﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٨٩ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٩٠ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩١ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ

(١) سورة الهمزة ، الآية (١).

(٢) سورة الحجرات ، الآية (١١).

(٣) رواه البخاري رقم (١٢١٠) ، ومسلم رقم (٢٤٠٠) .

تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى : ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ مع النساء والصبيان والعاجزين عن القتال. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ منعها أن تصل إليها الألطاف(١) .

﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ المعتذرون.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ
أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ
عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ
لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ
كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ
وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿لَّا تَعْتَذِرُواْ﴾ نهي عن الاعتذار ، وعلل ذلك بأنا لا نصدقكم ، وعلل عدم التصديق بقوله : ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ وهذا يشبه قوله : ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ وعلل فيض الدمع بما حصل من الحزن بقوله : ﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ ففي كلا الموضعين ذكر العلة وعلة العلة . ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ويجازيكم عليه ؛ لأن التهديد والوعيد بالعذاب أشد من التهديد بالإنباء بما كانوا يعملون .

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ فإن حصل لهم رضاكم فقد فاتهم ما هو أعظم منه من رضا الله . ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ لبعدهم من أهل العلم ، ولشدة غلظ طباعهم مما يكابدونه من شدة الحر وشدة البرد .

---

(١) **الألطاف** : جمع اللطف وهو البر والتكرمة والتحفي ، يقال : لطف به لطفا ولطافة وألطفه والطفته أتحفته وألطفه بكذا أي : بره به والاسم اللطف بالتحريك ، وجاءتنا لطفة من فلان أي : هدية .
ينظر : لسان العرب (لطف).

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ ولا يعتد الزكاة مغنماً ، بل (٧٣ / ب) يعدها من آفات الأموال . ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ بالمؤمنين أن يموتوا فينقطع الطلب بموتهم ثم دعا عليهم بقوله : ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ والدعاء من الله دليل على الغضب ؛ لأن الإنسان إنما يدعو على من غضب عليه وأما حقيقة الدعاء فلا تليق بجلال الله ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ ودعوات الرسول . ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ كما طلبوا.

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ
(١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ
(١٠١) وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
(١٠٢) خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
(١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
(١٠٤) وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
(١٠٥) وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ يريد : والسابقون من الأنصار.

قال عمر : كنت أظن أنها والأنصار، بالرفع عطف على ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ وأقول: قد خصصنا معشر المهاجرين بأن السابقين منا ، ثم نبئت أنها ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ عطفاً على ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي : والسابقون الأولون من المهاجرين والسابقون الأولون من الأنصار[1].

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ بالقرب من المدينة ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ قد ضربت أنفسهم بالكفر ومردوا عليه ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ بأعيانهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ قال بعض النحويين : علم هاهنا بمعنى عرف ؛ لأنها تعدت إلى مفعول واحد ، وعليه إشكال ، وهو أن الله تعالى لا يقال في علمه معرفة ؛ لأن التعرف يستدعي تقدم جهل ، ويستدعي بحثاً ، حتى يحصل به المطلوب ، وقد أخذ على القاضي أبي بكر بن الباقلاني[2] في قوله في حد العلم : " أنه معرفة المعلوم

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٨) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٨٣) لأبي عبيد وابن المنذر وابن مردويه وأبي الشيخ عن محمد بن كعب .

(٢) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر القاضي الباقلاني ، من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه=

على ما هو به "، فقيل له : العلم أعم من المعرفة ، وعلم الله ليس بمعرفة ، فلا يدخل في حدك[١].

ومثل هذه الآية قوله في الأنفال : ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [٢]﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ أي: في الأموال والأنفس في الدنيا. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ﴾ كل واحد منهما مخلوط ، ولو قيل : خلطوا عملاً صالحاً بآخر كان العمل الصالح مخلوطاً ، والسيئ مخلوطاً به.

﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ تدحض عنهم أوصاف الذنوب . ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم إن دعواتك تسكن إليها أنفسهم .

﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ جاء في الحديث : " إن الصدقة تقع بيد الرب قبل أن تقع بيد العبد فيربيها كما يربي أحدكم فَلُوَّهُ ، أو فصيله " [٣]. وأخذه تعالى الصدقات كناية عن تقبلها والاعتداد بها. ﴿مُرْجَوْنَ﴾ مؤخرون.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ

= رئاسة مذهب الأشاعرة ، وكان جيد الاستنباط سريع الجواب . ومن كتبه : إعجاز القرآن ، الإنصاف، الملل والنحل . توفي سنة ٤٠٣ هـ . **تنظر ترجمته في** : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/ ٣٧٩) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ٤٨١).

(١) **ينظر** قول الباقلاني في كتابه " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " (١ / ٢٥) ط . مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٩٨٧ م - تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، ونقله عنه الإيجي في كتاب المواقف (١ / ٥٣) ، والقنوجي في كتاب أبجد العلوم (١ / ٢٦) وزاد الباقلاني فقال : " فإن قال قائل : فلم رغبتم عن القول بأنه معرفة الشيء على ما هو به إلى القول بأنه معرفة المعلوم على ما هو به ؟ قيل : لما قام من الدليل على أن المعلوم يكون شيئا وما ليس بشيء ولأن المعدوم معلوم وليس بشيء ولا موجود فلو قلنا حده أنه معرفة الشيء على ما هو به لخرج العلم بما ليس بشيء من المعلومات المعدومات عن أن يكون علما وذلك مفسد له فوجب صحة ما قلناه وبالله التوفيق " .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .

(٣) رواه أحمد (٢ / ٢٦٨، ٤٠٤، ٤٧١) ، والترمذي رقم (٦٦٢) ، وابن خزيمة رقم (٢٤٢٦) .

خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

وكان جماعة من المنافقين يودون أن يكون لهم مسجد منفرد عن المسلمين الخلص يفضي بعضهم إلى بعض أسرارهم، فقالوا: يا رسول الله ، إنه يكون المطر والسيل فيمنعنا من الوصول إلى مسجدك (٧٤/ أ) فاستأذنوه في بناء المسجد الضرار بناء على ظاهر الأمر، فنزلت ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [1]. وكان أبو عامر الراهب يعد الناس قبل بعثة النبي ﷺ أنه سيأتي نبي نقاتل معه الكفار ونكون من حزبه ، فلما بعث النبي ﷺ حسده ، فلما انهزم المشركون يوم بدر همَّ بالدخول في الإسلام ، ثم قال : أثبت حتى تقع واقعة أخرى ، فانهزم المسلمون يوم أحد ، فاستمر على كفره وقال: هذا محمد ليس هو الذي كنت أعدكم به ، وتوجه إلى الشام ليستنصر بقيصر على النبي ﷺ ، وكان المنافقون ينتظرونه ، وهو معنى قوله : ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [2].

﴿لَا تَقُمْ﴾ في مسجد الضرار ﴿أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهو مسجد المدينة[3]. وقيل: هو مسجد قباء[4]. قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ سألهم النبي ﷺ عما يصنعون؟ فقالوا: نتبع الحجارة الماء"[5].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٢٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٢٤ - ٢٥).

(٣) هذا قول ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد - رضي الله عنهم - رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٧).

(٤) هذا قول ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٢٧ - ٢٨) ثم قال : " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو مسجد الرسول ﷺ لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ " .

(٥) ذكره بهذا اللفظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال : "رواه البزار وفيه محمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري ضعفه البخاري والنسائي وغيرهما " .

ورواه أبو داود رقم (٤٤) ، الترمذي رقم (٣١٠٠) ، وابن ماجه رقم (٣٥٧) بنحوه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ قال : كانوا=

روي أنه حفر موضع الضرار فخرج منه دخان كثير، وهو معنى قوله: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (١).

﴿رِيبَةً﴾ حسرة ، حيث لم ينالوا ما أملوا. ﴿ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ وهي ملكه بثبوت الجنة لهم وهي عطاؤه ، ومن قرأ ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾ (٢) فهو إما لأن الواو لا تقتضي ترتيبا أو تقتضيه (٣) ولكن المعنى يُقْتَل بعضُهم ويُقاتِل الباقونَ الكفارَ، وهذا كقراءة من قرأ في آخر آل عمران ﴿وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ (٤) وقراءة من قرأ في البقرة ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ (٥).

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

= يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية". وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (٣٤)، وفي صحيح ابن ماجه رقم (٢٨٥).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١ / ٣٣) وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٩٣) لمسدد في مسنده وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : " لقد رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حيث انهار على عهد رسول الله ﷺ ".

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف " فيُقْتَلونَ ويَقْتُلونَ " ، وقرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب " فَيَقْتُلونَ ويُقْتَلونَ ".

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٠٢) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٧٨) ، حجة أبي زرعة (ص : ٣٢٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣١٩) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٢١٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٤٦) .

(٣) تقدم الحديث عن هذا عند تفسير سورة آل عمران ، الآية (٥٥).

(٤) الآية (١٩٥) وقرأ حمزة والكسائي " وقُتِلوا وقَتلوا " وقرأ ابن كثير وابن عامر " وقاتلوا وقُتِّلوا " ، وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم " وقَتَلوا وقُتِلوا " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ١٤٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٢٨٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٢١) ، الكشاف للزمخشري (١/٤٥٧).

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٩١) وقرأ كذلك بغير ألف حمزة والكسائي ، وقرأ باقي العشرة بألف " ولا تقاتلوهم – حتى يقاتلوكم – فإن قاتلوكم " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٤٨١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٧٩ - ١٨٠) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٢٣٦).

لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد
تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ
مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

قيل : ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ في الآية الصائمون . كان النبي ﷺ لما علم أن أبا طالب مات على الكفر قال: "والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك" ، فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية[١].

واعتذر من استغفار إبراهيم لأبيه بأن ذلك كان بوعد سبق بقوله في سورة مريم : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾ [٢] وقرئ في الشاذ " وَعَدَهَا أباهُ " [٣] بنقطة واحدة من أسفل . وقيل : كان الوعد من أبي إبراهيم لإبراهيم ، وعده أن يؤمن ، لقوله : ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [٤].

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ
حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا
يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ
ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ
فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

---

(١) رواه البخاري رقم (١٢٩٤) ، ومسلم رقم (٢٤) .

(٢) سورة مريم ، الآية (٤٧).

(٣) قرأ بها الحسن وحماد الراوية وابن السميقع وأبو نهيك .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٠٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٥٠٨) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٧٤)، مفاتيح الغيب للرازي (١٦/ ٢١٠).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢ / ١٧١).

قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة ابن الربيع كانوا قد تخلفوا عن السفر (٧٤/ب) عن النبي ﷺ في غزوة تبوك ، فلما قدم همُّوا بأن يعتذروا بأعذار كاذبة ، ثم قالوا : الصدق أقرب إلى النجاة فاعترفوا بتقصيرهم ، فنهى النبي ﷺ عن كلامهم ، فأقاموا خمسين ليلة لا يكلمهم أحد حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ثم قبل الله توبتهم وبشرهم(١).

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وقالوا : لو كنا اعتذرنا بأعذار كاذبة لدخلنا في زمرة من قيل فيهم : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ الآيات(٢).

من نوى عبادة تشتمل على أنواع من التعبد لم يحتج إلى النية عند كل جزء منها، فلا ينوي في الصلاة ركوعها ولا سجودها، ولا ينوي في الحج سعيه ولا وقوفه، ولا في الجهاد في كل نفقة وكل قطع واد(٣).

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ المجاورون لأهل المدينة ومن حولهم أن يَنْفِرُوا إلى رسول الله ﷺ ليتعلموا العلم ؛ لما في ذلك من الخوف على عيالهم أن يغار عليهم ، وعلى أموالهم أن تذهب ، فإذا تعذر نفير الجميع فهلا ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا﴾ الفئة النافرة ، وتعلم ما تجدَّدَ من الوحي ، وما نسخ من الأحكام . ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ المقيمين ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الجهل بأحكام الله .

وقيل : وما كان المؤمنون المقيمون في المدينة ومن حولهم أن ينفروا عن رسول الله ﷺ في الغزوات والسرايا التي يبعثها ؛ لئلا يبقى النبي ﷺ وليس معه أحد ، فيطمع فيه اليهود والمنافقون ، فإذا تعذر نفير الجميع عنه ، فهلا نفر من كل فرقة من المقيمين طائفة في السرايا والبعوث لتتفقه الفئة المقيمة عند الرسول ﷺ ، ولتنذر الفئة المقيمة قومهم إذا رجعوا إليهم من السرايا، ويعرفونهم ما تجدد من الأحكام.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١٥٦) ، ومسلم رقم (٢٧٦٩) في حديث طويل .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٦) عن كعب بن مالك قال : " والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

(٣) ينظر : الأم للشافعي (١/ ٨٤) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ٢٢٦) ، المغني لابن قدامة (٣/ ٢٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

ثم أمر الله المؤمنين بقتال الكفار كافة، وأن يبدأ منهم بالذين يلونهم؛ لأن ضررهم أقرب فقتالهم أهم. وقوله: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ إنما ينهى عن الفعل فاعله، فكيف يأمرنا أن يجد المنافقون فينا غلظة ؟! وهو كقول سيبويه: لا أرينك هاهنا [١]، وكقوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [٢] ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [٣].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ﴾ ما زائدة ، ومن المنافقين من يقول : ﴿أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ لأنه لما نزلت الآية فآمنوا بها وبما فيها من الأحكام – تجدد لهم إيمان بما نزل . وقد اختلف الناس في أن الإيمان هل يزيد وينقص ؟ والذي يظهر أن الإيمان على عهد رسول الله ﷺ يزيد بزيادة الوحي ، ووجوب التصديق بما يتجدد [٤]. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

---

(١) ينظر : الكتاب لسيبويه (٣ / ٤٩).

(٢) سورة لقمان ، الآية (٣٣).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٢٧).

(٤) قال صاحب شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٣٤٢) : " والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدًّا : منها : قوله – تعالى : ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ ، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾، ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ ، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ وينظر في هذه المسألة في: الاعتقاد للبيهقي (١/ ١٧٤) ، شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٣٤٢).

مَّرَضٌ ﴾ وهم المنافقون ﴿فَزَادَتْهُمْ ﴾ الآية المتجددة ﴿رِجْسًا﴾ لتكذيبهم بها ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ السابق بتكذيبهم بالآيات السابقة .

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴾ يمتحنون ويبتلون.

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ حلوا محل من يدعى عليه بصرف قلوبهم عن الخير؛ بسبب أنهم لا يفقهون سر هذه الأحكام ، فيكذبون ما لا يوافق خواطرهم .

﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعلمون صدقه وأمانته ، يعز عليه كل ما يشق عليكم ، ويحرص على هداكم، شديد الرأفة من المؤمنين ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان ﴿فَقُلْ﴾ يكفيني الله فلا أحتاج إلى عونكم ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أي : لا أتوكل إلا عليه ؛ لأن تقدم المجرور يدل على الاختصاص. والله أعلم .

* * *

سورة يونس [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله - تعالى : ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكم ، قال الأعشى[١] [من الكامل] :

وقصيدةٍ تأتي الملوكَ حكيمةٍ ... قد قلتُها ليقالَ مَنْ ذا قالَها[٢]

تعجب الكفار أن يبعث إليهم بشر مثلهم ، وتعجبهم هو العجب ؛ لكون الرسول منهم ، يعلمون صدقه وأمانته يكون أقرب إلى الإيمان به. ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ هو ما قدموه من الأعمال الصالحة ، والصدق وصف له بالكرم والشرف ؛ كقوله : ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[٣] .

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في مقدار ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ إذ لا أيام قبل خلق السماوات والأرض ، فإن اليوم إنما هو دورة الشمس ولا شمس ، فلا يوم .

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استولى ، قال الشاعر [من الرجز] :

قد استوى بِشْرٌ على العراقِ ... مِنْ غيرِ قهرٍ ودمٍ مِهْراقِ[٤]

---

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل ، أبو بصير ، يقال له : أعشى قيس ، وأعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير، من شعراء الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات السبع المشهورة ، سمي : صنّاجة العرب ، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات سنة ٧ هـ . تنظر ترجمته في : الأغاني للأصفهاني (١٢ / ٥) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص : ٢٦٣) ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ص : ٦٥) .

(٢) تقدم تخريجه في سورة آل عمران ، الآية (٥٨) .

(٣) سورة القمر ، الآية (٥٥) .

(٤) تقدم تخريج الشعر والتعليق على هذه المسألة في سورة الأعراف ، الآية (٥٤) .

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ فيه دليل على أن المفرد المعرف بالألف واللام يعم . لا يستطيع أحد الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (١) ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الموصوف بهذه الصفات ﴿ٱللَّهُ فَٱعْبُدُوهُ﴾ فذلوا له واخضعوا ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر.

﴿يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ﴾ عند إعادته ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بالعدل ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ما يشاء. (٧٥/ ب) الحميم : الماء الحار، قال الشاعر يصف امرأة تغتسل بماء حار [من المتقارب] :

كأنَّ الحميمَ على مَتْنِها ... إذا اغترَفَتْهُ بأَطْساسِهَا
جُمانٌ يَجُولُ على فِضَّةٍ ... جَلَتْهُ حَدائِدُ دُوَّاسِهَا (٢)

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم . الضياء أقوى من النور؛ لقوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ ولقوله : ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ (٣) وهو أبلغ من أن يقول ضوءهم .

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ أي : في منازل ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ وكانت العرب لا تقرأ ولا تكتب ، فلو كلفوا معرفة الشهور الشمسية أو الرومية لم يعرفوا ذلك ، ولم يحفظوه ، فجعل لهم رؤية الهلال ثم زيادة نوره شيئا فشيئا ، حتى يكمل ثم يعود ينقص قليلاً قليلاً

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥) .

(٢) ينظر البيتان في : النكت والعيون للماوردي (٣ / ٧٢) ويروى البيت الثاني :

جمان يجل على وجنة ... علته حدائد دواسها

ومتنها : ظهرها ، **والأطساس** : جمع " طس " وهو وعاء من نحاس لغسل الأيدي . **والجمان** : اللؤلؤ الصغار . وقيل : حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ . **ينظر** : لسان العرب (جمن - طسس) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٧) .

حتى يستتر فيعلمون انتهاء الشهور وتوسطها بالقمر.

﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ بالطول والقصر وأن كل واحد منها يخلف الآخر عند ذهابه ؛ لقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ ﴾ (١)﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من الشمس والقمر والكواكب والأفلاك ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ من العشب والنبات والجبال والبحار والأنهار.

﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ لا يطمعون في ثواب الجنة . وقيل : ﴿لَا يَرۡجُونَ ﴾ لا يخافون قال الشاعر يصف جاني العسل [من الطويل] :

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لم يرجُ لَسْعَها(٢)

أي : لم يخفْ ، والدَّبْر: الزنابير.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ
فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
١٠ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا
أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ١٢ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ
لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ

---

(١) سورة الفرقان ، الآية (٦٢) .

(٢) هذا صدر بيت لأبي ذؤيب يصف عسَّالا يجتني عسلا ، وعجزه :

وحالفها في بيت نوب عواسل

ينظر في : تاج العروس للزبيدي (نوب) ، تفسير القرطبي (١١ / ٢٤٩) ، روح المعاني للألوسي (٢٠ / ١٣٧) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٧٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٤١) ، لسان العرب (نوب) ، النكت والعيون للماوردي (٢ / ١٨١) **والدبر** : ذكر النحل ، ولم يرج : لم يخف ، **وحالفها** : لازمها ، ويروى : خالفها أي : خالف مرادها أو جاء خلفها بعد خروجها ، **والنوب** : نوع من النحل ، **وعواسل** : كثير العسل ، ويروى : عوامل أي : تعمل العسل .

كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ
بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ
إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ
وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ﴾ سكنت نفوسهم إليها. ﴿عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ عن تدبرها والعمل بما فيها ﴿تَجۡرِي﴾ من تحت أشجارها أنهار كعادة البساتين ، أو: من تحت غرفهم ؛ لقوله : ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [1] .

قيل : كان إذا أعجبهم شيء في الجنة ، وأرادوا حصوله لهم قالوا : ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾[2] ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام . وقيل : الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم . وقيل : يسلم الله عليهم لقوله – تعالى : ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾[3] .

﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ لكنا لا نعجل للناس استعجالهم بالشر ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ .

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ على حسب اختلاف أحواله: مضطجعاً أو قاعداً (٧٦/ أ) أو قائماً. ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ فاحذروا يا أهل مكة أن تفعلوا مثل فعلهم ، فيحل بكم ما حل بهم .

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ ليظهر للعباد ما انطوت عليه سرائركم . قوله : ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ أي : يحرم عليَّ ؛ كقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[4] تقدم قول الرماني أن قوله : ﴿إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ جملة حالية معترضة بين الفعل ومفعوله ، أي : إني أخاف عاصياً ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[5] والقياس : عذاب يوم عظيم ، لكن عظم اليوم يحسب بما يقع فيه من العظائم ، فكل ما عظم به اليوم عظم العذاب.

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٢٠) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٨٩ – ٩٠) .

(٣) سورة يس ، الآية (٥٨) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٦١) .

(٥) تقدم في سورة الأنعام ، الآية (١٥) .

قرئ ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ عطفاً على ﴿مَا تَلَوْتُهُۥ﴾ وكذلك قراءة من قرأ (ولا أدرأكم)[١] . لكنه في الأول نفي الدراية ، وفي الثاني إثبات لها لكن انقلب بدخول " لو " فصار الأول المنفي إثباتا ؛ فإنه تلاه عليهم . والثاني المثبت نفيا ؛ لأن المراد : ولا أدراكم به على لسان غيري ، ولم يدرهم به على لسان غيره .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ في المفترين ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقوله : ﴿كَذِبًا﴾ يجوز أن يكون مصدراً ، كقولك : قعد جلوساً ، ويجوز أن يكون مفعولاً لـ ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ اقتطع كذباً .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه . ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ ويلزم من نفي علم الله بالشيء نفيه ، لأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

وقد ادعى فرعون مثل هذا حماقة منه بقوله : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾[٢] فيقال له : لا يلزم من عدم علمك بالشيء عدمه.

---

(١) قرأ ابن كثير بخلف عن البزي " ولأدْراكم به " وقرأ باقي العشرة وهو الوجه الثاني عن البزي " ولا أدراكم به" ورواها الفراء " ولا أدرأتكم به" ، وقرأ الحسن " ولا أدْرَأْتُكم " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٣٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ١٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٢٤) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٨٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٨٢) .

(٢) سورة القصص ، الآية (٣٨) .

الهاء في ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ في موضع خفض بالإضافة ولو ظهر ذلك المضمر مجروراً لكان في موضعه قولان : نصب أو رفع ؛ لأن معنى قوله : سبحان الله : نزهت الله ، أو: تنزه الله ، ويترجح الثاني بقوله : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ فيعطف عليه الفعل الماضي.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الحق ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فبعث الله النبيين. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ بتأخير العذاب لعجل لهم وفرغ منهم . ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ولولا بمعنى هلا ، أي : لو نزلت الآية لآمنا . ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ فقال الله - تعالى : لا تحلفوا ، فإن إيمانكم بتقدير نزول الآية عبث ، فيجوز أن يُقَلِّبَ اللهُ الأفئدة والأبصار (٧٦ / ب) فلا تؤمنوا . ثم حقق هذا بقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية[1] ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ فاجأهم المكر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

من قرأ ﴿يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [2] فمعناه: يفرقكم . وقوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ ليس كونهم في الفلك علة ليسيركم ولا لينشركم ، لكن ﴿حَتَّىٰٓ﴾ دخلت على هذه الجملة

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١١١) .

(٢) قرأ بها ابن عامر وحده ، وقرأ الباقون " يسيركم " .

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٣٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ١٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٢٥)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٣٨) .

إلى آخرها ، فكأنه قال : هو الذي يسيركم في البر والبحر، حتى وقعت هذه الجملة ، والفلك هاهنا مفرد ، وصيغة إفراده وجمعه سواء .

﴿وَجَرَيْنَ﴾ أضمر الفلك جمعاً. وجواب إذا : ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ﴾ أو ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ إذا للمفاجأة. وعن بعضهم : ثلاث من كن فيه كن عليه : النكث والمكر والبغي[1] والبغي بقوله : ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ والمكر بقوله : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[2] ، والنكث بقوله : ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[3] .

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه . مَثَلُ الدنيا في سرعة إقبالها وزينتها وبهجتها بهذه الجملة ، ولم يشبه الدنيا بالماء وحده كما ظنه بعضهم وقال : الدنيا تشبه الماء من وجهين : أحدهما : لو قبضت بكفك على الماء لم تجد منه شيئاً. والثاني : أنك إن أخذت منه أكثر من الحاجة أضر بك. ﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ كأنها حسنت نفسها بما تريد .

﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ الجنة ، والسلام اسم من أسماء الله - تعالى - كأنه قال : دار الله . وقيل: هي دار تحييهم الملائكة فيها بالسلام ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ الآية[4] .

وقيل : دار السلامة . والزيادة : النظر إلى وجه الله . وقيل : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[5] .

المعنى : والذين كسبوا السيئات جزاء . وقيل : التقدير : والذين كسبوا السيئات لهم جزاء سيئة . من قرأ (قطْعا) بسكون الطاء فـ "مظلم" صفته ، ومن قرأ (قطَعا) بفتحها[6] ، فهو حال من ﴿ٱلَّيْلِ﴾ .

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٥٣) لأبي الشيخ عن مكحول .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٤٣) .

(٣) سورة الفتح ، الآية (١٠) .

(٤) سورة الرعد ، الآية (٢٣) .

(٥) سورة السجدة ، الآية (١٧) .

(٦) قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب " قِطْعا " ، وقرأ باقي العشرة " قِطَعا " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٥) ، الحجة لابن خالويه (ص :١٨١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٣٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٢٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٢٥) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٣٤) ، النشرلابن الجزري (٢ / ٢٨٢) .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿مَكَانَكُمْ﴾ أي : الزموا مكانكم ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ فرقنا ، وأنكرت الأصنام عبادتهم لها بقوله : ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ لأنهم كانوا لا يعقلون ، وهو معنى قوله : ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ . من قرأ (تبلو) بالباء بواحدة ، فمعناه : تخبر ، ومن قرأ بتاء باثنتين[1] من فوق ، ففيه وجهان : أحدهما : تتلو كتاب عملها. والثاني : تتلو، أي : تتبع ، ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [2] أي : تبعها . ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ، ومن الأرض بالنبات . ﴿يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ يقدر على إبقائهما وأخذهما.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ ومضى الكلام في توحيد السمع وجمع الأبصار، وفي إخراج الحي (٧٧ / أ) من الميت والميت من الحي[3] .

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله في تشريككم معه في الإلهية من لم يفعل شيئا من هذه الأمور ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ فمن أين صرفتم عن الإقرار بالوحدانية .

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي : حقت كلمة ربك حقًّا مثل ذلك ، والكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف . من قرأ ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بفتح الهمزة ، فهو: إما بدل وإما منصوب

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف " تتلو " وقرأ باقي العشرة " تبلو " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٥٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٨١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٣١) ، الدر المصون للسمين (٤ / ٢٩) السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٢٥) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٢٣٥) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٨٣) .

(٢) سورة الشمس ، الآية (٢) .

(٣) تقدم في تفسير سورة آل عمران ، الآية (٢٧) .

أو مجرور على حذف حرف الجر. ومن كسر الهمزة (١) فهو كلام مستأنف، وفيه معنى التعليل. وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهم لا يعترفون بأن الله يعيد الخلق؛ لأنهم اعترفوا بأن الله بدأ الخلق، ومن لازم ذلك جواز إعادته. وقد قيل: كل موضع أمر الله نبيه بالسؤال عن أمر، ثم أجاب عنه، فإنه يكون في غاية الظهور. الإفك: القلب.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

هدى تتعدى بإلى وباللام وبنفسها، وها هنا عداها باللام وبـ " إلى ".

﴿يَهِدِّىٓ﴾ أصله: يهتدي، أدغمت التاء في الدال؛ لقرب مخرجيهما، ومن كسر الهاء من (يهدي) فقد أتبعها بكسرة الدال، ومن كسر الياء أيضاً فقد أتبعها بكسرة الهاء(٢)، ومثل هذه اللغات في يتخطف.

---

(١) قرأ بها ابن أبي عبلة، وعبد الله بن مسعود. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٥٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٣٠) معاني القراء للفراء (١ / ٤٦٤).

(٢) في هذه الآية قراءات كثيرة؛ فقرأ أبو عمرو وقالون بخلف عنه " لا يَهِدى " بفتح الياء، واختلاس فتحة الهاء مع تشديد الدال، وقرأ أبو جعفر وقالون " لايَهْدِّي " بفتح الياء وإسكان الهاء مع تشديد الدال، وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش " لاَ يَهَدِّى " فتح الياء والهاء وتشديد الدال، وقرأ شعبة " لا يِهِدِّي " بكسر الياء والهاء وتشديد الدال وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب " لا يَهِدّي" بفتح الياء وبكسر الهاء وتشديد الدال، وقرأ الباقون "لا يَهْدِي" بفتح الياء وإسكان الهاء وكسر الدال بلا تشديد.
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٥٦)، الحجة لابن خالويه (ص :١٨١)، حجة أبي زرعة (ص : ٣٣١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٣١)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٢٦)، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٤٦)، مجمع البيان للطبرسي (٥ / ١٠٨)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٣).

﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ﴾ حال ﴿أَن يُهْدَىٰ﴾ أو زمن أن يهدى . ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ جملتان. ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ في العقائد ، أما الأحكام الشرعية فأكثر أدلتها ظنون . ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ افتراءً ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لا سبب ريب فيه ، بل أتقولون افتراه ، تحداهم بالقرآن كله : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ الآية[1] ، ثم تحداهم بعشر سور في سورة هود[2] ، ثم تحداهم بسورة واحدة في هذه السورة وقيل : تحداهم أيضاً بقصة أو حديث مستقل أقصر من السورة كقوله : ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[3] ولم يأتهم عاقبته ﴿عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يجوز أن يكون اسم كان وخبرها الاستفهام المتقدم ، ويجوز أن يكون فاعلاً وكان تامة ، و ﴿كَيْفَ﴾ نصب على الحال. ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ الآية لا وجه لقول من زعم أنها منسوخة ، فإن كون عمله له وعملهم لهم أمر ثابت لم يتغير حكمه ، ومن تخيل نسخها جعل قوله : ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ يدل على أنه أهملهم ولا يقاتلهم ، لكن سورة يونس مكية ، ولم يشرع القتال قبل الهجرة ، فكيف تكون منسوخة ؟! فإن قيل : لم جعل مع فقد السمع عدم العقل ، وجعل مع عدم البصر نفسه ؟ قلنا : المراد بعدم البصر في البصر عدم البصيرة والمعنى أن (٧٧ / ب) الأصم قد يحدس ويحرز ما يتكلم به مَنْ سمع صوته ، والأعمى يفعل مثل ذلك إذا كان الأعمى والأصم باقي العقل .

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله : ﴿أَفَأَنتَ﴾ إنكار على الفاعل ، والتقدير: لا تستطيع أنت أن تحول هذين إلى كمال السمع والبصر، بل القادر على ذلك هو الله وحده ؛ لأن الفعل ممكن في نفسه ، ولو كان المراد إنكار الفعل لقال : أفتسمع الصم ، أفتهدي العمي ؟

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٨٨) .

(٢) الآية (١٣) في قوله – تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ .

(٣) سورة الطور ، الآية (٣٤) .

﴿شَيْئًا﴾ يجوز أن يكون مفعولاً به ، وأن يكون مصدراً . فإن قيل : كيف يستقصرون مدة لبثهم في القبور؟ وأين عذاب القبر وأيام الشدائد طوال ؟ فالجواب : أن في قوله : ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ ثلاثة أوجه : أحدهما : أنه روي أن العذاب يرفع فيما بين النفختين ، فإذا نفخ في الصور قاموا وفي أعينهم طعم النوم ، فيقولون : يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا هذا ؟ فأشاروا بقوله : ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ إلى ما بين النفختين.

الوجه الثاني : أراد : كأن لم يلبثوا في الدنيا. والثالث : كأن لم يلبثوا في القبور، قالوا: ولا دليل على عظم أمر القيامة أدل من هذا ؛ لأنه جعل التعذيب في القبور كأيام النعيم التي تستقصر، ولأن عذاب القبر عرض ، ومنه قوله : ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [1] فجعل دخول النار في يوم القيامة . وفي الحديث: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، ويقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله " [2].

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ جملة حالية. قوله تعالى : ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ ثانية . ويجوز أن يتعلق بـ ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ كأن التعارف ينقضي ويعود تناكراً ؛ لشدة الأمر عليهم .

وقوله : ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ مقدر فيه القول ، والتقدير: قائلين : قد خسروا .

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَمَا﴾ في قوله : ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ زائدة ، فالمعنى: إن أريناك فيهم ما يسرك فجيدا ، وإن توفيناك قبل ذلك لم يفوتونا ﴿فَإِلَيْنَا﴾ يرجعون ﴿مَرْجِعُهُمْ﴾ قوله : ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ يريد

---

(١) سورة غافر ، الآية (٤٦) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٧٩) ، ومسلم رقم (٢٨٦٦) عن ابن عمر - رضي الله عنهما .

بالشهادة : العلم ، ويريد بالعلم: المجازاة ؛ لقوله : ﴿ثُمَّ﴾ وهي تقتضي الترتيب والمهلة، وعلم الله ليس زمانيًا ولا متأخرًا عن شيء ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: جاء في الدنيا وأظهر المعجزة ، فكذبوا وأذن له في الدعاء عليهم ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ في إهلاكهم. والثاني : فإذا جاء رسولهم في موقف القيامة فشهد عليهم بما عاملوه به من التكذيب ؛ كقوله : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [(١)] قضي بينهم بشهادة نبيهم . ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى﴾ دفع ضرر ولا جلب نفع . ﴿إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ (٨٧/أ) أن يملكني . وكان بعض المتأخرين يقف على قوله : ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾ ويقول: انتهى جواب إذا ، ويستحيل أن يكون قوله : ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ جواباً ؛ لاستحالة تقدم العذاب عند فرض مجيئه ؛ لقوله : ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ فيقال له : وكذلك يستحيل تأخيره بعد مجيء الأجل المذكور. فإنه لو تأخر لم يكن الذي جاء أجلاً [(٢)].

البيات : هو الإغارة على العدو ليلاً وهم غافلون . ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ وهم ينظرون ، ومثله قوله : ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ من القيلولة. وقوله : ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ الآيتين[(٣)] .

أي شيء يستعجل منه المجرمون ؟ ولا شيء من الخير في مجيء العذاب فلا وجه لاستعجاله ، وقد أنكر عليهم أنهم يؤمنون عند نزول العذاب الذي استعجلوه بقوله : ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ الآية ، و(ثم) مجاز ، استعير التباعد في الرتبة للتباعد في الزمان ؛ كقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [(٤)] . ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [(٥)] ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [(٦)] وقول الشاعر [من الطويل] :

ولاَ يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّةٍ   يَرى غَمَراتِ الموت ثُمَّ يزورُها [(٧)]

---

(١) سورة النحل ، الآية (٨٤) .

(٢) ينظر : منار الهدى في الوقف والابتدا للأشموني (ص : ١٧٧) .

(٣) سورة الأعراف ، الآيتان (٤ ، ٩٧) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٧٤) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية (١) .

(٦) سورة الجاثية ، الآية (٨) .

(٧) البيت لجعفر بن علبة الحارثي ينظر في : تاج العروس للزبيدي (غمى) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٩) ، ديوان الحماسة (١ / ١٠) ، روح المعاني للألوسي (٢١ / ١٣٦) ، الكشاف=

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ظَلَمُوا﴾ أي: كفروا. ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ أي : لبذلته للفدية ، ولكنه لا يقبل لقوله في آية أخرى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾[(١)] ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أي : أخفوها ؛ حذاراً من الشماتة.

وقيل: أسروا ، أي : أظهروا.

قوله : ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ توكيد لقوله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ وقد استشكلت قراءة حمزة في قوله : (فلتفرحوا) بتاء معجمة[(٢)] ، باثنتين من فوق . وجاء مثلها في الحديث : " لتأخذوا مصافكم "[(٣)].

= للزمخشري (٣ / ٥١٥ ، ٤ / ٢٨٦) **والغماء** : الشديدة من شدائد الدهر ، ويكنى بها عن الداهية . **وابن حرة** : كريم ، **وغمرات الموت** : شدائده وأهواله ، **ويزورها** : يلاقيها برغبة .

(١) سورة المائدة ، الآية (٣٦) .

(٢) وقرأ بها عثمان بن عفان وأبي وأنس والحسن وأبو رجاء ويعقوب ورويت عن ابن عامر ، وقال ابن مجاهد : ولم يذكر عنه في " فليفرحوا " شيء . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٧٢) ، الحجة للقراء السبعة لابن خالويه (ص : ١٨٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٣٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٥ – ٤٦) ، فتح القدير للشوكاني (٢ / ٤٥٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٩٤) ، المحتسب لابن جني (١ / ٣١٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٨٥) .

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ١٢٧) وقال : غريب .
وروى الترمذي في سننه رقم (٣٢٣٥) عن معاذ بن جبل قال : «أبطأ عنا رسول الله ﷺ في صلاة الفجر حتى كادت الشمس أن تطلع قال : ثم خرج وأقيمت الصلاة فصلى بنا صلاة تجوز بها فلما سلم قال: كما أنتم على مصافكم . فثبت القوم على مصافهم ثم أقبل عليهم بوجهه فقال: إني منبئكم بطئي عنكم الغداة إني قمت من الليل فتوضأت ثم صليت ما شاء الله ، وإني رأيت ربي – عز وجل– في منامي=

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ هو ما جعلوا لله بزعمهم ﴿ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ [1] وذلك مما لم يقم به البرهان. ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ ﴾ كقوله : ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [2] ﴿ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ ﴾ أي : من الشأن أو من القرآن أو يكون إضماراً له قبل ذكره ،

= فرأيته في أحسن صورة فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري . قالها ثلاثا قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: يا محمد . قلت : لبيك رب . قال : فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت : في الكفارات . قال : ما هن ؟ قلت : مشي الأقدام إلى الحسنات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات . قال : فيم ؟ قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة بالليل والناس نيام ، قال : سل قل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون ، أسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقرب إلى حبك . قال رسول الله ﷺ: إنها حق فادرسوها ثم تعلموها " .وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٣٦) .

(٢) سورة الصافات ، الآية (٨٧) .

وتفخيماً لشأنه ، والوقف عند قوله : ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [(١)] وإلا لزم أن يكون الذي يعزب عن علم الله لا يغيب إلا في كتاب مبين ، وهو كلام فاسد ، فإذا وقفنا على قوله : ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ويكون ﴿وَلَآ أَصْغَرَ﴾ ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾ مستأنف ، فمن فتحهما فهما مثل قولك : لا رجلَ في الدار ، ومن رفعهما[(٢)] فهما كقوله : لا رجلٌ في الدار (٧٨/ ب) وكقول الشاعر [من مجزوء الكامل] :

مَنْ صَدَّ عَنْ نيرانِها فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ[(٣)]

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوه ، والبُشْرى في الدنيا: الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو تُرَى له . الوقف على قوله : ﴿قَوْلُهُمْ﴾ [(٤)] ولا تكون إن مكسورة بعد القول لفساد المعنى ، وإنما " إن " كسرت لابتداء كلام . ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في عقائدهم ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ والخرص: الكذب ، وأصله من خرص النخل والكرم ، وهو أن يحرز ما عليه من التمر عند تقدير جفافه ، وذلك الحرز لا بد أن يخطئ ولو بقدح .

قوله : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ فيه ؛ كقوله : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [(٥)] أي : مبصراً بها. ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والملك ينافي الولادة ، وقد بين ذلك فيما سبق . ﴿إِنْ عِندَكُم﴾ ما عندكم من حجة بهذا .

﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي

---

(١) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني (ص : ١٧٧) .

(٢) قرأ حمزة " ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ " بالرفع ، وقرأ الباقون " بالنصب .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٧٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٢٨)، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٥٥) .

(٣) البيت لسعد بن مالك ، **ينظر في** : الإنصاف لابن الأنباري (١ / ٣٤٢) ، خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٤٦٧) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص : ٥٠٩) ، شرح شواهد المغني (ص : ٥٨٢) ، شرح المفصل لابن يعيش (١ / ١٠٩) ، لسان العرب (برح) .

(٤) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني (ص : ١٧٨) .

(٥) سورة الإسراء ، الآية (٥٩) .

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ
ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ
أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ
فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ
بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ
أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا
ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ
ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي: هو متاع . ﴿وَٱتۡلُ ﴾ أي : اقرأ . وقد أتى بالفعل الماضي في جواب كان ، وإنما جوز ذلك دخول الشرط على كان[1] .

﴿مَّقَامِي ﴾ بمعنى قيامي ، والتقدير: إن شق عليكم ذلك مني فاجتهدوا على قتلي ، فإنني قد توكلت على الله لا على غيره. ومن قرأ ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ﴾ بقطع الهمزة ، فمعناه : اعزموا .

و﴿أَمۡرَكُمۡ﴾ منصوب مفعول معه ، ومن قرأ (فَاجْمَعُوا) بألف الوصل وفتح الميم [2] ، ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾ مفعول ، وجواب الشرط في قوله : ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ محذوف ، تقديره : فإن

---

(١) وذلك في قوله - تعالى : ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ ومن قواعد النحو : إذا وقع خبر كان وأخواتها جملة فعلية ، فالأكثر أن يكون فعلها مضارعا ، وقد يجيء ماضيا بعد " كان وأمسى وأضحى وظل وبات وصار " والأكثر فيه إن كان ماضيا أن يقترن بـ " قد " ، وقد وقع مجرَّدا منها ، وكثر ذلك فخبرا عن فعل الشرط ، ومنه قوله - تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾ [المائدة : ١١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ ﴾ [الأنعام:٣٥] ، وقوله تعالى في هذه الآية التي في سورة يونس .

(٢) قرأ العامة " فأجمِعوا " بهمزة القطع وكسر الميم ، ويروى عن نافع " فاجمَعوا " بهمزة الوصل وفتح الميم.

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٧٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٥٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٢٨) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٥٩) .

توليتم فقد ظلمتم ؛ لأنني ما سألتكم من أجر على التبليغ . ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ جعلناه ومن معه يخلفون الهالكين . ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ هي لام الجحود مؤكدة لنفي إيمانهم . ﴿مُبِينٌ﴾ بمعنى ظاهر ومظهر، يقال : بان الأمر وبين وأبان . ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾ أي : عن الحق وبسببه كقوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ (١) .

وكقوله : ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾ (٢) أي : عنهم ، والتقدير: أتقولون للحق لما جاءكم إنه سحر ، والهمزة في (آلسحر) همزة إنكار.

﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ أي : لتصرفنا. ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ الرياسة. من قرأ (السِّحْرُ) مقصوراً ، فـ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ﴾ مبتدأ و﴿السِّحْرُ﴾ خبر. ومن قرأ (آلسحر) ممدوداً (٣) فهي همزة إنكار دخلت على لام التعريف ، فمدت ؛ كقوله : ﴿آلْآنَ﴾ (٤) ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ (٥) والخبر محذوف، والتقدير: آلسحر هو؟

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ
(٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَقَالَ
مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن
تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
(٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا
عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) ﴾

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية (١١) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٦٨) .

(٣) قرأ أبو عمرو وأبو جعفر " آلسحر" على الاستفهام ، وقرأ باقي العشرة " السحر " على الخبر .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٨٢) ، حجة ابن خالويه (ص : ١٨٣) ، حجة أبي زرعة (ص : ٣٣٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٥٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٢٨) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٦٢) ، النشر لابن الجزري (١ / ٣٨٧) .

(٤) سورة يونس ، الآية (٩١) .

(٥) سورة يونس ، الآية (٥٩) .

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ يدل على أن السحر حق ؛ لأنه وعد بإبطاله بسين الاستقبال ولو كان باطلا لاستحال إبطاله ؛ لأنه تحصيل الحاصل . (٧٩/أ) وقد سحر رسول الله ﷺ(١) . ومذهب الشافعي أن من قَتَل بسحرٍ يَقْتُلُ غالباً يجب عليه القصاصُ(٢) .

وقوله : ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (٣) لا يدل على أن السحر كله تخييل بل ذلك الشيء فعلوه بين يدي فرعون تخييل .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ يدل على أن السحر إفساد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ويظهر ويعلى . أراد بفرعون : هو ومن بايعه وأعانه ، ولهذا قال ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ بالجمع.

قوله : ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ مثل قولك: إن كنت ابني فأطعني ، وهو تهديد لعزم المخاطب، وبعث همته على التوكل على الله لا على غيره ؛ لتقديم المجرور على الفعل العامل فيه. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تهلكنا بأيديهم فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق لما سلطنا عليهم ، فيفتتنوا بذلك . وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ هذه لام العاقبة ؛ كقوله : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (٤) ويجوز أن تكون لام كي ، فإن الله خالق الخير والشر ومسببهما.

﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ امسخها ، ويوجد في آخر العمران بظاهر قرافة مصر صورة دراهم ودنانير منقوشة ، وهي حجر ، وصورة نخل وراء جبلها وهو حجر خفاف يشدونه على قبورهم . ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾ الآية ، هذه الآية تدل على أن فرعون في النار، لأنه أخبر أنه أجاب دعاءه ، ومن دعائه: أنهم لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، فقد قال : ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ﴾ (٥) .

---

(١) حديث سحر النبي ﷺ ثابت رواه البخاري رقم (٥٧٦٦) ، ومسلم رقم (٢١٨٩) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٢) ينظر: الأم للشافعي (١/ ٤٢٦) .

(٣) سورة طه ، الآية (٦٦) .

(٤) سورة القصص ، آية (٨) .

(٥) سورة غافر ، الآية (٨٥) .

حكى الزمخشري [(١)] أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل أنعم عليه مولاه بأنواع من النعم ، فجعله ملكا ، فأنكر ذلك العبد مولاه وادعى الربوبية ؟ فأفتى فيها فرعون فقال : يستحق هذا العبد أن يغرق في البحر. فلما أراد الله أن يطبق عليه وعلى قومه البحر وإهلاكهم جاءه جبريل بالورقة ، وقال: أنت العبد الذي استفتى فيه .

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾
۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ
قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ
جَآءَهُمُ الْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَۚ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ
عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا
كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ أي : أتؤمن الآن وقد عصيت قبلُ .

﴿نُنَجِّيكَ﴾ نلقيك على نجوة مكان مرتفع من الأرض ؛ لأن بني إسرائيل قالوا : ما غرق فرعون . لما ثبت في قلوبهم من الرعب منه . فألقاه البحر على مكان مرتفع ، وكان عليه درع من ذهب ، فرآه بنو إسرائيل وعرفوه ، وأيقنوا بموته. وقيل : أراد بالبدن: الدرع. بوَّأه : اتخذ له مباءة ، وهي مكان يرجع إليه . ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ (٧٩ / ب) أي : مبوأً كريما شريفا . ﴿ فَإِن كُنتَ ﴾ أيها السامع لهذا الكلام ، كقول الخطيب : " يا ابن آدم عندك ما يكفيك ، وتطلب ما يطغيك "[(٢)] . لا يريد شخصاً معيناً ، بل كل سامع ، وكذلك قوله : ﴿فَلَا

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٦٨) .

(٢) ورد ذلك في حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٤) رقم (١٠٣٦٠) ، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٣٦١) رقم (٨٨٧٥) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : "ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، ابن آدم لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع، ابن آدم إذا أصبحت معافى في=

تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ الآية .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ هم قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ فهلا ، أي: لم تكن قرية آمنت عند نزول العذاب . ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ روي أنهم لما رأوا العذاب اعتزلهم يونس ومن معه من المؤمنين ، ورأوا دخاناً قد أحاط بالمدينة التجأوا إلى شيخ لهم ، فقال لهم: قولوا بأجمعكم : يا حي حين لا حي ، ويا حي محيي الموتى ، ويا حي يا قيوم ، ويا حي لا إله إلا أنت . فقالوها وكرروها فرفع عنهم العذاب(١) .

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٣) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٧) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ (١٠٩)﴾

﴿أَفَأَنتَ﴾ دخلت همزة الإنكار على فاعل الفعل ، ولو أنكر الفعل نفسه لقال : أفتكره الناس ، ولدخلت همزة الإنكار على الفعل. ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي : بقضائه ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي : العذاب .

= جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء " .

وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٠) : موضوع .

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد (١ / ٣٤) ، والطبري في تفسيره (١١ / ١٧٢) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٩٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم .

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ من الآيات ﴿وَمَا تُغۡنِي﴾ يجوز أن تكون "ما" نافية وأن تكون استفهاماً بمعنى الإنكار. قوله : ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ أي : لا يملك ذلك ، بل هو سبب ، والله المسبب المالك . وقيل: ما لا ينفعك إن عبدته ، ولا يضرك إن تركته . قوله : ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾ منسوخ بآية السيف .

* * *

سورة هود [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾ أي: من عذابه. ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بثوابه. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى انقضاء الأعمار ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أصله: وإن تتولوا. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى دار جزائه من جنة أو نار رجوعكم.

كانوا إذا رأوا هودًا النبي ﷺ تغطوا بثيابهم، وجعلوا أصابعهم في آذانهم ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾(١) ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: المضمرات ذوات الصدور. ويجوز إفراد " ذات " وجمعها كقوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾(٢) ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ مكانها من أصلاب الآباء ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ مكانها من أرحام الأمهات. وقيل بالعكس (٨٠/أ) وقيل: المستقر في الأرض، والمستودع في القبر. وقيل: المستقر: دار الآخرة؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾(٣) ومثله في الأنعام: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾(٤) يروى أن أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها فذابت ثم سلط عليها

(١) سورة نوح، الآية (٧).
(٢) سورة النمل، الآية (٦٠).
(٣) سورة غافر، الآية (٣٩).
(٤) سورة الأنعام، الآية (٩٨).

الهواء فاضطربت أمواجها فحصل من الاضطراب زبد ودخان فخلق الأرض من الزبد والسماء من الدخان .

قوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ولا يتعلق بكون عرشه على الماء ؛ إذ لا مناسبة للتعليل بذلك. والأمة : المدة ؛ كقوله : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (١) ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ استهزاء. وقوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ تقدم الظرف على خبر ليس دليل على جواز تقديم خبر ﴿ لَيْسَ ﴾ عليها ؛ لأن العامل متقدم على المعمول(٢) .

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّـَٔاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَٰتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ الآيتين كقوله : ﴿ إِنَّ الْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (٣) .

وقوله: ﴿ لَفَرِحٌ ﴾ فعل أحد أبنية المبالغة وهي: فعول وفعال ومفعال وفعل وفعيل ، ويجوز إعمال الثلاثة الأول ، وأما الرابع فقد أجاز إعماله سيبويه وأبو عمر الجرمي ، ومنعه الأكثرون وأما فعيل فلم ير إعماله إلا سيبويه وحده . وعلة المنع أن فعيلاً مستعمل فيما هو

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٤٥) .

(٢) ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر " ليس" عليها وإليه ذهب المبرد والزجاج وابن السراج والسيرافي والفارسي والجرجاني وأكثر المتأخرين ومنهم ابن مالك ؛ لعدم تصرفه وذهب البصريون إلى جواز ذلك ، وهو الذي اختاره المصنف هنا وعللوا بالعلة التي ذكرت هنا في هذه الآية . **وينظر** تفصيل المسألة في: أسرار العربية لابن الأنباري (ص:١٤١،١٤٠) ، الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (١/ ١٥١) المسألة (١٨) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١/ ١٦٨، ١٦٩) ، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٣٧٣) .

(٣) سورة المعارج ، الآية (٢١) .

خلقة ، كالسمين والهزيل ، أو صفة ثابتة ، كالشريك والنبيل ، فإذا نقلنا راحماً إلى رحيم مبالغةً فقد جعلنا وصفه بالرحمة كالخلقة . والأوصاف التي بهذه المثابة لا تعمل في المفاعيل ، فنقل راحم إلى رحيم يعطي هذه المبالغة ، فلو أعملناه لفاتت هذه المبالغة[1] . ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة . يقال : ضاق الشيء فهو ضائق ، وإذا بالغت قلت ضيق ، ولما ذكر الله ضيق صدر الكافر قال : ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2] وقال في نبيه ﷺ : ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟﴾ فأتى بلفظة ﴿وَضَآئِقٌۢ﴾ التي هي أخف وقرنها بلعل ؛ ليكون الذي هو فيه من الضيق كالمشكوك فيه. ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ لأن تقولوا . ﴿لَوْلَآ﴾ بمعنى هلا . استدل على فصاحة القرآن وبلاغته وإعجازه بقوله : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ ثم عجزهم ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[3] ، ثم عجزهم ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[4]. قال فخر الدين ابن الخطيب[5] : ثم عجَّزهم بقصة من جملة آية ؛ كقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[6] (٨٠/ ب) .

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن

---

(١) ينظر رأي سيبويه في إعمال " فعيل ، وفعِل " في الكتاب (٤/ ١٠٨) وتنظر المسألة والخلاف فقيها في : همع الهوامع للسيوطي (٣/ ٥٨ ، ٥٩) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٢٥).

(٣) سورة هود ، الآية (١٣) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٣) .

(٥) ينظر قوله في تفسيره مفاتيح الغيب (١/ ١٣٨، ١٧/ ٢٠٤) وهو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير كان فريد عصره ومتكلم زمانه رزق الحظوة في تصانيفه التي بلغت نحوا من مائتي مصنف منها تفسير كبير ، سماه مفاتيح الغيب والمحصول والمنتخب وتأسيس التقديس وغيرها. توفي سنة ٦٠٦ هـ .

تنظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير(١٣/ ٥٥) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٣/ ٢١) ، طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٨١) .

(٦) سورة الطور ، الآية (٣٤) .

كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ ﴾ أي : فإن لم يجيبوكم ، استجاب وأجاب بمعنى واحد ، قال الشاعر [من الطويل] :

وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى فلم يستجبْهُ عندَ ذاكَ مُجيبُ[1]

أي : فلم يجبه . ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ أي : جزاء أعمالهم ؛ كما جاء في الحديث : "فأما الكافر فيطعم بجزاء ما عمل في الدنيا حتى يأتي إلى الآخرة وليس له حسنة"[2].

﴿ لَا يُبْخَسُونَ ﴾ لا ينقصون . ﴿ وَحَبِطَ ﴾ أي : بطل .

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي : كمن ليس كذلك ؛ لأن السياق يدل عليه ؛ كقوله : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ الآية[3]. ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ يعني: القرآن . ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ يعني: الملائكة . ﴿ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعرضون أو يمنعون .

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي . ينظر في : الأصمعيات (ص : ٩٦) ، تاج العروس (جوب) ، جمهرة أشعار العرب (ص :١٣٤) ، خزانة الأدب للبغدادي (١٠ / ٤٣٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ١٣٠) ، الكشاف للزمخشري (٤ / ٣٣٠) ، لسان العرب (جوب) ويروى الشطر الثاني منه : .... فلم يستجب عند النداء مجيب
والندى: الغاية ، وبعد ذهاب الصوت ، والجود .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥٨٥) ، وعزاه لأبي الشيخ عن ميمون بن مهران .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٢٢) .

﴿ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ لثقله عليهم ، كما تفعل بمن غضبت عليه: ما أستطيع أن أسمع كلامك . ﴿ وَضَلَّ ﴾ وبطل . ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ بمعنى: حقاً. الخبت: المكان المنخفض ، ثم استعير للرجل المتواضع المتطامن من خشية الله .

﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ الأعمى والبصير في شبههما بالكافر والبصير والسميع في شبههما بالمؤمن، فهما مثلان لكل واحد .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ نُوحًا ﴾ مصروف ، وخرجه الزمخشري[١] على الخلاف في هند ؛ لأن كون الوسط عارض إحدى العلتين ، وأكثر النحويين جزموا بصرفه . ﴿ إِنِّى لَكُمْ ﴾ تقديره : قائلا ، وهذا الحال المضمر قد عمل في قوله : ﴿ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ فهو في موضع نصب بالمصدر، أي: قائلاً بهذا القول أن يعبدوا غير الله وعلله بقوله : ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ وصف اليوم بالألم ، والمراد ألم من فيه ، ومثله : ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]. قرئ (بادئ) بالهمزة ، و﴿ بَادِىَ ﴾ بغير همزة[٣]، فالمهموز من : بدأت الأمر إذا ابتدأته ، وغير المهموز من البدو وهو الظهور ، فالتقدير على الأول : اتبعك هؤلاء الأراذل بأول وهلة من غير تأمل ولا تثبت . وعلى الثاني : اتبعوك ظاهراً ولم يفكروا في باطن الأمر وعاقبته .

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (١/ ١٤٥) عند قوله – تعالى: ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ [سورة البقرة:٦١]
قال: " ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه ؛ كقوله : " ونوحا ولوطا " وفيهما العجمة والتعريف " .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٥) .

(٣) قرأ جمهور العشرة " بادى الرأي " ، وقرأ الدوري عن أبي عمرو " بادئ الرأي " .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢١٥) ، الحجة لابن خالويه (ص:١٨٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٣٣٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٩١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٣٢) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٢٦٥) ، مجمع البيان للطبرسي (٥ / ١٥٣) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ١١) .

﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ ﴾ لك ولمن آمن بك . ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني ؛ كقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ (١) وأمثلته كثيرة ، وأُتي بـ ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله ﴿ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ أي : ركبتها واستعليت عليها ؛ كقولهم : فلان على البصرة ، أي: واليها.

وقوله : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ تقديره : فعميتم عن تأملها (٨١/ أ) وفي الحديث : " يأتي فتية عمياً بكماً صماً " ، وعكسه ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ (٢) ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ (٣) أي : مبصراً بها. ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ إذا تحمل الفعل ضميري مفعول جاز في ثانيها الاتصال والانفصال ، ومنه : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ و﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ ﴾ (٤) و﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ (٥) ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ واو الحال .

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣١) قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦) وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩)﴾

---

(١) سورة الملك ، الآية (٣٠) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٥٩) .

(٣) سورة النمل ، الآية (١٣) .

(٤) سورة محمد ، الآية (٣٧) .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية (٣٧) .

﴿ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي : على التبليغ وعلل امتناعه من طرد فقراء المؤمنين بأنهم ﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ ولكنهم قوم يجهلون فيجعلون الرفعة والمنزلة لأصحاب الحال . نصره بمعنى منعه ، وأكثر ما يأتي معدى بـ"من" ، ونصره بمعنى قواه ، وأكثر ما يعدى بـ "على " . وقالت الكفار لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك . وقال ها هنا: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ .

وطلبوا منه طرد المؤمنين ازدراءً بهم . قال : ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ ﴾ إن فعلت شيئاً من ذلك ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ﴾ الفاء ها هنا عارية عن الترتيب والتعقيب ؛ كقوله : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾[(١)] ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي : لا يأتيكم بالتعذيب إلا الله ، والأمر فيه معلق بمشيئة الله. وقد دخل الشرط على الشرط في قوله : ﴿ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ ومثله : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾[(٢)] وإذا قال الرجل لزوجته : أنت طالق إن ركبت إن لبست ، فركبت ثم لبست لم تطلق ، وإن عكست طلقت هذا هو الصحيح. وعند إمام الحرمين الطلاق معلق على كلا الأمرين سواء إن فعلت على ترتيب ما ذكر أو عكست[(٣)] ﴿ فَعَلَىَّ﴾ لا على غيري جزاء ﴿إِجْرَامِى﴾ . ابتأس: افتعل من البأس . ﴿ٱلْفُلْكَ ﴾ يجوز أن يراد المركب الذي أمر بصنعته ، ويجوز أن يراد الجنس . ﴿ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي : بمرأى منا وموافقا لما أوحينا إليك ، فإنه أوحى إليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ ، أي : مثل صدر الطائر[(٤)] ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾ نجاة ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ وعلل ذلك بكونه حكم ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾. وكان الملأ من كفار قومه إذا مروا به وهو يصنعها في فلاة من الأرض تضاحكوا من ذلك ، فيقول لهم : ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ لكن العاقبة الحسنى لنا. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ يهينه .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٣٦) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٥٠) .

(٣) تقدم ذلك في تفسير سورة الأعراف ، الآية (١٠٦) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٢ / ٣٤) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٤١٨) لابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما . **والجؤجؤ** : عظام صدر الطائر .
ينظر : لسان العرب (جأجأ) .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

واستمر في صنعه (٨١/ب) الفلك حتى جاء أمر الله ، وكان من علامات مجيء العذاب لهم أن يفور الماء من التنور. وروي عن علي: ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ طلع الفجر. وهو غريب.

﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ فكل واحد من الزوجين قام به الازدواج ، ومنه ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (١) ﴿وَأَهْلَكَ ﴾ أي : واحمل أهلك ، واحمل من آمن .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ يجوز أن يتعلق بـ ﴿ ٱرْكَبُوا۟ ﴾ أي : اركبوا فيها متبركين باسم الله ، ويجوز أن يكون خبراً لقوله : ﴿ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾. ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ ﴾ زعم الزمخشري (٢) أن السفينة كانت مطبقة ، وأنها كانت تجرى بهم في الماء كجري السمكة في البحر ، ولم أر هذا لغيره.

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ يعني : الله – عز وجل ، ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن ﴾ رحمه الله ، ويجوز أن يكون مفعولاً ، أي : لا معصوم ، كـ ﴿ مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ (٣) بمعنى مدفوق ، و﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (٤) بمعنى مرضية. مثل الله – سبحانه وتعالى- طاعة المخلوقات التي لا تعقل بمأمور

---

(١) سورة النجم ، الآية (٤٥) .

(٢) ينظر: الكشاف (٢ / ٣٩٦) .

(٣) سورة الطارق ، الآية (٦) .

(٤) سورة الحاقة ، الآية (٢١) .

مطيع بادر إلى الامتثال ، فقال : ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ الآية . غاض الماء: يتعدى ، تقول : غضته ، بضاد ساقطة، ومنه : ﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ .

﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ فرغ من عذابهم . ﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ من قوم نوح ، أو: الظالمين مطلقاً. ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ يريد : أعظمهم حكمة ، أو أعدلهم حكماً .

﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ ﴾ وكان عليك أن تعلم حين سمعت ﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ أن في أهلك من يهلك ، فلا تحتج عليَّ بقولك : ﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾. وجعل هذا السؤال كالذنب الذي يستغفر منه ؛ لأن مقامات الأنبياء في أدبهم مع الله في كل حركة وسكون ليس كمقام غيرهم .

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ ﴾ أي : بسلامة ﴿ وَبَرَكَٰتٍ ﴾. وقوله : ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ وقف تام[1]؛ لأن الذي بعده ليس لهم من السلام والبركات شيء ، وهو قوله : ﴿ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ﴾ .

﴿ تِلۡكَ ﴾ القصة ﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ لم تكن ﴿ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ ﴾ فإتيانك بها على ما يوافق الكتب المنزلة ، مع أنك لم تحاضر العلماء دليل على أن ذلك من الله ﴿ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ ﴾

---

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني (ص : ١٨٦) .

الحسنى للمتقين . ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾.

﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ قرئ بالرفع والنصب والجر، وقد ذكر في الأعراف(١) .

﴿ مُفْتَرُونَ ﴾ كاذبون على الله . ﴿ عَلَيْهِ ﴾ أي : على التبليغ ، ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ (٨٢ / أ) ثم دوموا على التوبة. ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ أي: المطر. ﴿ مِّدْرَارًا ﴾ من الدر. ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً ﴾ في الأجساد والأموال . ولما كان المتولي قد يذهب عنك وهو مستمع لما تقول بعد ذهابه أخبر عن هؤلاء أنهم تولوا وقد ولوا هودًا الدبر. قوله : ﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ كذب منهم وجحود لأن يكون ما يأتي به آية ، وصرحوا بالعصيان وأنهم لا يتركون آلهتهم عن قول هود . ﴿ إِن نَّقُولُ ﴾ في شأنك ﴿ إِلَّا ﴾ أن آلهتنا أصابتك بسوء وخبل في عقلك ، لسبِّك إياها ، فصرح هود بأنه لا يعبأ بتلك الآلهة ولا بمن عبدها ، كما قال نوح : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ (٢) ثم علل كونه بأنه لا يعبأ بهم بقوله : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ﴾ وأن التعليل والأخذ بالناصية كناية عن القدرة عليها.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أصلها : تتولوا. وجواب الشرط محذوف ، تقديره : لم يضرني توليتكم فقد قضيت ما عليَّ ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ﴾ كلام مستأنف ، وليس معطوفاً على جواب الشرط ، وكذلك: ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُ ﴾ للإتيان بهما مرفوعين .

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

(١) قرأ الكسائي وأبو جعفر بالجر " من إلهٍ غيرِهِ " على النعت أو البدل من " إله " ، وقرأ باقي العشرة بالرفع " من إلهٍ غيرُهُ " على النعت أو البدل من موضع " إله " ؛ لأن من مزيدة فيه ، وقرأ عيسى بن عمر " غيرَه " بالنصب على الاستثناء . **تنظر في** : إتحاف فضلاء البشر للبنا (١/ ٢٥٧) ، البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢٣٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٢٨٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٢٧٥) ، مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ١٠) .

(٢) سورة يونس ، الآية (٧١) .

وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ
لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا
فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦)
وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟
كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨) وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ
فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) ﴾

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا . مما أجراه – سبحانه- أنه إذا أراد إهلاك قوم أذن لنبيهم ومن معه من المؤمنين أن يخرجوا عنهم ، فبذلك نجوا . والغليظ حقيقة في الأجسام مستعار في المعاني ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ لأن من كذب نبيًّا لكونه بشراً ، فقد كذب سائر المرسلين ، ومثله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [1] ، ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [2] واستفتاح الجملتين بلفظة ﴿ أَلَآ ﴾ دليل على أنه أمر يهتم بالإصغاء إليه ، والخوف من حلول مثله بمن عصا وقوله : ﴿ قَوْمِ هُودٍ ﴾ يحترز به عن عاد الثانية؛ كقوله : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [3] وفي تسميتهم ثمود وجوه ؛ قيل : مأخوذ من الثمد وهو الماء القليل . وقيل: هو اسم أبيهم وأمهم ، فإن قلنا بالأول أو الآخر لم ينصرف ، وإن قلنا بالثاني انصرف .

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم ﴾ أنشأ أباكم . ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ أطال أعماركم . وقيل: جعلكم عمارها، مأخوذ من العمرى ، وهي أن يجعل الدار أو الفرس للمعمر مدة عمره ، فإذا مات رجعت إلى المُعْمِر أو إلى ورثته إن كان قد مات . ﴿كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو فيك التقدم والرياسة ، فلما ادعيت النبوة أخلفت ما كنا نؤمله . وقيل: مرجو أي : مؤخر والتقدير: إنك لم تكن من ذوي الرياسة والرفعة بل أنت من آحاد الخلق ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني (٨٢ / ب) ﴿فَمَن يَنصُرُنِي ﴾ فمن يمنعني؟

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (١٠٥) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٢٣) .

(٣) سورة النجم ، الآية (٥٠) .

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ مني . ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ نصب على الحال ، والعامل فيها ﴿هَـٰذِهِۦ﴾ كأنه يقول : الناقة لله ، والأرض له ، فذروا ناقته تأكل في أرضه . ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بعقر. ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فقد وعدناهم بعذاب قريب ، والثلاثة في حد القرب. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ الذي لا يطاق رد ما أراد . ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ومنه : ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾(١) ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل . ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ من قولهم: غنى بالمكان ، إذا أقام به ، والمغاني: المنازل ، ثم استفتح الجملتين بـ ﴿أَلَآ﴾ التي للتنبيه ، كما فعل بقوم هود . ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالولد لإبراهيم ، وبشارته بإهلاك قوم لوط .

ومن آداب الضيافة : الإسراع بالطعام ؛ لقوله : ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾ . ومن آدابها : ألا يظهر للضيف أنه يذبح له أو يهتم به ؛ لقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾(٢) ومنها : أنه يتخير أجود ما عنده ؛ لقوله : ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ
لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ
ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ
رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ
ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ
جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ
يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ
رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ
بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾

---

(١) سورة ص ، الآية (٢٣) .

(٢) سورة الذاريات ، الآية (٢٦) .

وكان الضيف ملائكة فلم يمدوا أيديهم إلى الطعام فارتاب بهم إبراهيم وكانوا إذا لم يأكل الرجل من طعامهم خافوا منه الغدر. يقال : أنكرت الشيء ونكرته . ﴿ وَأَوْجَسَ ﴾ أضمر. وكانت امرأة إبراهيم قائمة على الضيفان تخدمهم بنفسها. ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ تعجبا من غفلة قوم لوط والعذاب قد أظلهم .

وقيل: ضحكت أي : حاضت ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾ وأنه يعيش حتى يأتي منه ولد يسمى يعقوب، وفيه دليل على أن الذبيح إسحاق ؛ لأن الذبيح هو المبشَّر به ؛ لقوله: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ (١) ولم تبشر إلا بإسحاق ، ومن ذكر أنه إسماعيل قال : لو كان الذبيح إسحاق لما شك إبراهيم في أنه لا ينذبح ؛ لأن الله قد بشَّره بأن يولد من إسحاق ولد اسمه يعقوب ، فكان يعلم أنه لا يموت حتى يرزق الولد(٢) .

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٠١، ١٠٢) .

(٢) هذا خلاف ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤ / ١٨ - ١٩) حيث ذهب إلى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وقال : " وهو الصحيح المقطوع به ". ثم أورد كثيرا من الأقوال والآثار التي تدلل على ذلك ، ومنها ما ذكره محمد بن إسحاق قال: سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول: إن الذي أمر الله – تعالى- إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل ، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله – تعالى ؛ وذلك لأن الله – تعالى- حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم فقال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ويقول الله -- تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ يقول : بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بما وعده ، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل ، قال ابن إسحاق : سمعته يقول ذلك كثيرا . وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديًا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : أي ابني إبراهيم أمر بذبحه فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله – تعالى- منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم والله أعلم أيهما كان ، وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله – عز وجل- . وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله- سألت أبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال: إسماعيل ، ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام . قال: وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير=

وقيل : الوراء ولد الولد [١].

﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ نصب ﴿شَيْخًا﴾ على الحال ، و ﴿بَعْلِي﴾ هو الخبر ، وليس بمحط الفائدة لأن العجب إنما هو من ولادتها وهي عجوز وزوجها شيخ ، فقالت لها الملائكة: إنما يعجب من خرق العوائد من لم ينشأ في بيوت الأنبياء وأنت من بيت النبوة ، فلا تعجبوا من تعلق قدرة الله بذلك . ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أهل إبراهيم .

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ (٨٣/أ) شرع ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ وقال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ الآيات [٢]﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب . ﴿ سِىٓءَ بِهِمْ ﴾ ظهر على وجهه المساءة لما رأى من حسن الأضياف ، ولما علم من جرأة قومه على طلب الفاحشة . ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي : شديد ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى ﴾ حقيقة ، فتزوجوهن أو: بناتي أهل ملتي وشريعتي ، وكل نبي فهو أبو أمته . وقرئ " ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ وهو أب لهم " [٣].

﴿ مِنْ حَقٍّ ﴾ من طلب . ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ لدفعتكم بقوتي أو بركني الشديد، وفي الحديث : " يرحم الله لوطاً ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد " [٤]. قالوا: فما بعث الله نبيًا بعد ذلك إلا في منعة من عشيرته ، كما قال في قصة شعيب : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ وقال لهم : ﴿ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .

= والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح - رضي الله عنهم- أنهم قالوا الذبيح إسماعيل". ثم قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى : "وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق ، وليس ما ذهبوا إليه بمذهب ، ولا لازم ، بل هو بعيد جدا ، والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى ، والله أعلم" .

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢ / ٧٤ – ٧٥) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٣٢) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٦) وقرأ بها أبي بن كعب وابن عباس . **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢١٢) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨١)، معاني القرآن للفراء (٢ / ٣٣٥) .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٢٠٧) ، ومسلم رقم (١٥١) عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبته " .

قال قوم : من قرأ ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ ﴾ بالرفع فهو فاعل يلتفت ، ومن قرأ ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ بالنصب[1] فهو مستثنى من قوله : ﴿ فَأَسْرِ ﴾ ولم يسر بها ، وعلى الأول قد سرى بها لكنها التفتت ، فلزم اختلاف القراءتين المتواترتين والواقعة واحدة ، والصواب أن الاستثناء على كل حال من ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ ﴾ والاستثناء من النهي يجوز فيه الرفع على البدل ، والنصب على الاستثناء[2] . ولما همَّ الكفار بمدِّ أيديهم إلى الملائكة أضياف لوط طمس الله أعينهم حتى صار موضع العينين لحماً مساوياً لحم الوجه ، فقالوا : يا لوط عندك أسحر الناس، لتبصرن غداً ما نصنع بك . فقال لوط للملائكة : متى تهلكون ؟ قالوا : الصبح ، قال لوط: أريد أعجل من ذلك ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ فرفع جبريل مدائنهم حتى سمعت الملائكة صياح كلابهم ، ثم أتبعها الحجارة. وقيل : بل إنما رمى بالحجارة من كان في البلاد من قوم لوط.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ
(٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم
بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ
بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ
يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ
أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)
وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ
لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)﴾

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو " إلا امرأتُك " بالرفع ، وقرأ باقي العشرة " إلا امرأتَك " بالنصب . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢٤٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٩٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٤٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ١٢١) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٨) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٢٨٤) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٩٠) .

(٢) ينظر : شرح شذور الذهب لابن هشام (١ : ٣٤٣) .

﴿ سِجِّيلٍ ﴾ اسم السماء الأولى . ﴿ مُسَوَّمَةً ﴾ معلَّمة بما يدل على أنها ليست من حجارة الدنيا. ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الكفار .

وقيل : بمن فعل مثل قوم لوط .

﴿ مَدْيَنَ ﴾ ابن إبراهيم كان قد نزل بذلك المكان فسمي به ، وبعث شعيب إليهم وإلى أصحاب الأيكة فعذبت مدين بالرجفة ، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة ، وهي سحابة أظلتهم أووا إلى ظلّها من شدة الحر ، فأمطرت عليهم ناراً ، ولا تعطوا الكيل والوزن ناقصاً ، وكان شعيب كثير الصلاة فاستهزءوا به ، وقالوا : ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ﴾ ؟! وتهكموا بكونه (٨٣/ ب) حليماً رشيداً. ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني . تقول : خالفت زيداً إلى كذا ، أي : فعلت مثل فعله بعد تركه له و" مَا " في ﴿ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ مصدرية، ولو أظهر المصدر لكان إما مضافاً إلى زمن أو حال ، أي : مدة استطاعتي ، أو حالة استطاعتي. وقيل : التوفيق عزيز، ولم يأت في القرآن إلا هاهنا. فإن قيل : قوله : ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [(١)] .

وقوله : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [(٢)] في الآيتين ذكر التوفيق ، قلنا: ليس هو التوفيق المشار إليه هاهنا ؛ فإن المراد هاهنا هداية القلب إلى الصواب وتيسيره عليه، وفي الآيتين يريد الوفاق بين المتخاصمين ، وتقدم المجرورين في " عليه وإليه " دليل الاختصاص. ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ لا يكسبنكم . ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ أي : وما قريتهم بل هي قرية يمرون عليها في أسفارهم . ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾[(٣)]، ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ [(٤)] .

﴿ وَدُودٌ ﴾ مبالغة في واد . وقيل : مودود بمعنى محبوب .

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ

(١) سورة النساء ، الآية (٣٥) .
(٢) سورة النساء ، الآية (٦٢) .
(٣) سورة الفرقان ، الآية (٤٠) .
(٤) سورة الصافات ، الآية (١٣٧) .

رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾

قولهم : ﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ رد قبيح كما تقول لمن تكلم بما لا يعجبك : لا أدري ما تقول . ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ﴾ ضعيف الفهم والعقل . ونبذتم جناب الله وراء ظهوركم ، وهو معنى قوله : ﴿ ظِهْرِيًّا ﴾ وكسر الظاء من تغيرات النسب ؛ لقوله في النسب إلى البصرة: بصري ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ على قدرتكم وتمكنكم . ﴿ إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ في الإبلاغ على مكانتي وقدرتي .

وقوله : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ ﴾ الآية إنصاف من العارف ؛ كقوله : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1] .

يقال في المكان : بعِد يبعُدُ ، وفي الهلاك : بعِد بكسر العين يبعَد بفتحها ، ومصدرهما : البُعد ، بضم الباء ، قال الشاعر [من الطويل] :

يقولونَ لا تبعَدْ وهم يدفنونَهُ وما البُعْدُ إلا ما تجنُّ الصفائحُ [2]

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾

---

(١) سورة سبأ ، الآية (٢٤) .

(٢) **ينظر** البيت في: تاج العروس للزبيدي (بعد) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٢٧٣) ، لسان العرب (بعد) ويروى: ولا بعد إلا ما تواري الصفائح . ولا تبعَد : كلمة جارية على لسانهم عند المصيبة تدل على شدة الجزع والصفائح : أحجار عراض يسقف بها القبر ، والمعنى : البعد الحقيقي هو ما يستره القبر كناية عن الموت .

﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ ما يأمرهم به . ﴿ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ ﴾ وما شأنه وطريقه . وصفة أمره بنفي الرشاد مجاز ؛ لأن الرشيد هو فاعل الرشد لا فعله . ﴿ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ ﴾ يتقدمهم وهم وراءه ؛ كقوله: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا ﴾ [١] وقوله : ﴿ فَأَوۡرَدَهُمُ ﴾ أتى فيه بالفعل الماضي ؛ لأن أحوال القيامة جاء أكثرها بلفظ الماضي ؛ لأنها عند الله محققة الثبوت (٨٤/أ) ومنه : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ ﴾ ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ ﴾ ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [٢] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[٣] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ ﴾[٤] .

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [٥] وأمثلته كثيرة . وقال عمرو بن معدي كرب [من الوافر] :

بأني قد لقيتُ الغولَ تسعَى ... بشُهْبٍ كالصَّحيفةِ صَحْصَحان

فأَضْربُها فأقتلُها فخرَّتْ ... صريعاً لليدينِ وللجران[٦]

﴿ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴾ بئس العطاء المعطى . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ . ﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ ﴾ خبر بعد خبر ، ويجوز أن يكون ﴿ ذلك ﴾ منصوبا بفعل مضمر يفسره ﴿ نَقُصُّهُۥ ﴾ من باب : زيداً ضربته . ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ ﴾ ما نافية ، ويجوز أن تكون استفهامية ، ومثله ﴿ مَآ

---

(١) سورة النمل ، الآية (٨٣) .

(٢) سورة الزمر ، الآيتان (٦٨ ، ٦٩) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٤٤) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (٤٨) .

(٥) سورة النحل ، الآية (١) .

(٦) وينسب البيت لتأبط شرًا. **ينظر في** : الأغاني للأصفهاني (١٠ / ١٤٠) ، البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٨٩) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٢٨٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٦٠) ، روح المعاني للألوسي (٧ / ٢٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٠١) ويروى : .... بسهب كالصحيفة صحصحان، **والغول** : أنثى الشياطين ، **وتهوي** : تسقط ، **والسهب** : الفضاء المستوي ، **والصحيفة** : الكتاب ، **والصحصحان** : المستوي من الأرض ، **والجران** : مقدم عظم العنق من الحلق إلى اللبة ، وقبل هذين البيتين يقول الشاعر :

فمن ينكرْ وجودَ الغولِ ... إني أخبرُ عن يقينٍ بل عيانِ

والمعنى : يا من تنكر وجود الشياطين إني أخبر عن يقين أني لقيتها تسرع في مكان متسع مستو أي : فجعلت أضربها بلا خوف فسقطت مطروحة على يديها وعنقها . (وعدل عن الماضي إلى المضارع ليحكي الحال الماضية كأنها موجودة الآن مشاهدة فيتعجب منها وتعلم شجاعته) .

أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾[١] ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾[٢] ﴿ تَتْبِيبٍ ﴾ تخسير ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾[٣] .

الكاف في كذلك يجوز أن تكون في موضع رفع على الابتداء ، و﴿ أَخْذُ ﴾ خبره . ويجوز أن تكون نعت مصدر محذوف ، أي : نأخذهم أخذاً مثل ذلك .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ أي : ظالم أهلها . ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ مفعول لم يسم فاعله بـ ﴿ مَّجْمُوعٌ ﴾. جعل الزفير والشهيق صادرين من أهل النار وفي قوله : ﴿ سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾[٤] جعله من فعل جهنم ، والأمران ثابتان بالاثنين . ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ كناية عن الدوام . وقيل : المراد : سماوات الجنة وأرضها . وقرئ ﴿ سُعِدُواْ ﴾ بضم السين[٥] مثل قولهم : مسعود ، وهو قليل ، والأكثر في سعد أنه لا يتعدى .

وقوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ أي : من وقت طوافهم بين جهنم ومياه الحميم ، ومنه قوله : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾[٦] وفي الجنة مدة الزيادة . وقيل : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ من تأخير

---

(١) سورة المسد ، الآية (٢) .

(٢) سورة القمر ، الآية (٥) .

(٣) سورة غافر ، الآية (٣٧) .

(٤) سورة الملك ، الآية (٧) .

(٥) قرأ حمزة والكسائي وحفص بن عاصم وخلف " سُعِدوا " ، وقرأ باقي العشرة " سَعِدوا " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢٦٤) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٩٠) ، حجة أبي زرعة (ص : ٣٤٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ١٣١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٣٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٩٠) .

(٦) سورة الرحمن ، الآية (٤٤) .

العذاب بعد النفخة إلى الاستقرار في النار. وفي أهل الجنة من وقت النفخة إلى الاستقرار في الجنة. ﴿ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ غير مقطوع .

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ ﴾ بطلان عبادة ﴿ هَٰؤُلَاءِ ﴾ ولا حجة لهم فيها إلا اتباع الآباء .

﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ من الجزاء ، ونقص يتعدى ومنه ﴿ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ ، ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا ﴾[1] .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)﴾

﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فمن مصدِّق ومن مكذِّب كما فعل قومك . ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ (٨٤/ ب) في تأخير العذاب إلى البعث لفرغ من حسابهم .

﴿ فَاسْتَقِمْ ﴾ أي : فدم على ما أنت عليه من الاستقامة . ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ثم لا تخلصون من العذاب .

﴿ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ أوله وآخره . ﴿ وَزُلَفًا ﴾ وقربا ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ قيل : نزلت في نبهان التمَّار ، جاءته امرأة تشترى تمراً فقال لها: في البيت أجود من هذا ، فذهب بها إلى البيت ونال منها ما ينال الرجل من امرأته إلا الجماع ، ثم جاء فشكى إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية[2]. وفي الحديث الصحيح: " مثل الصلوات الخمس ، كمثل نهر على

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٤) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣١١٥) وقال : حسن صحيح ، والطبري في تفسيره (١٢ / ١٣٧) والصحابي هو أبو اليسر بن عمرو الأنصاري . وأما ما ذكره المصنف عن نبهان التمار هنا فقد ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤١٨) في ترجمة نبهان التمار وقال : ذكر مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس في قوله - تعالى : =

باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، أترون ذلك يبقي من درنه شيئاً؟ قالوا : لا ، قال : كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا "(١).

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : الصابرين . وقيل: أعم من ذلك والصبر داخل فيه . ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ، والمعنى: فلم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية إلا قليلاً.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

﴿ أُتْرِفُوا۟ ﴾ نعموا ، واللام في ﴿ لِيُهْلِكَ ﴾ لام الجحود ، والواو في ﴿ وَأَهْلُهَا ﴾ واو الحال . ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ قيل: للرحمة. وقيل: خلقهم لما هم عاملون ، فإن كل موجود حادث فهو بقدرة الله . ﴿ وَكُلًّا ﴾ مفعول ﴿ نَّقُصُّ﴾ . و﴿ مَا نُثَبِّتُ ﴾ بدل من ﴿ وَكُلًّا ﴾ و﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ السورة ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ . ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ على تمكنكم .

= ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية قال: هو نبهان التمار أتته امرأة حسناء جميلة تبتاع منه تمرا فضرب عجيزتها فقالت: والله ما حفظت غيبة أخيك، ولا نلت حاجتك فسقط في يده فذهب إلى النبي ﷺ فأعلمه فقال له: إياك أن تكون امرأة غاز ، فذهب يبكي ثلاثة أيام يصوم النهار ويقوم الليل ، فأنزل الله – عز وجل- في اليوم الرابع هذه الآية فأرسل إليه فأخبره فحمد الله وأثنى عليه وشكره وقال : يا رسول الله هذه توبتي ، فكيف لي بأن يقبل شكري فأنزل الله – عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن موسى بن عبد الرحمن عن بن جريج عن عطاء عن ابن عباس مطولا قال الحافظ ابن حجر: " ومقاتل متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس وعبد الغني وموسى هالكان وأورد هذه القصة الثعلبي والمهدوي ومكي والماوردي في تفسيرهم بغير سند لكن ذكر قتادة بعض هذا مختصرا وورد تسمية صاحب القصة في نزول الآية الثانية لأبي اليسر وغيره ".

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٠٥ ، ٣١٧) ، ومسلم رقم (٦٦٨) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما.

﴿ وَلِلَّهِ ﴾ علم ما غاب في السماوات والأرض ﴿وإليه يَرْجِعُ الأمر كله﴾ وقرئ ﴿يُرْجَعُ ﴾[١] . ويجوز أن يكون خبراً بمعنى الأمر ؛ كقوله : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[٢] ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾ [٣] .

* * *

(١) قرأ جمهور القراء ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه وأبو جعفر ويعقوب " يَرْجِعُ " ، وقرأ نافع وحفص عن عاصم " يُرْجَعُ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢٧٥) الحجة لابن خالويه (ص : ١٩١) ، حجة أبي زرعة (ص:٣٥٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ١٤٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٤٠) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٢٨) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٣٣) .

سورة يوسف [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ
نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ
ٱلْغَٰفِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى
سَٰجِدِينَ (٤) قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ
يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ
وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٨) ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا
صَٰلِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن
كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (١٠) قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا
يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (١٢)﴾

قوله : ﴿ تِلْكَ ﴾ أي : هذه ﴿ ٱلْقَصَصِ ﴾ بالفتح : المصدر، وبكسر القاف : جمع قصة .

﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ ﴾ أي : بإيحائنا . ﴿ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ عن معالم الشريعة .

اذكر ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ ﴾ فإذ مفعول لا ظرف . ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾ نظرية . إذا بعُد العهد بالعامل أعيد ذكره؛ كقوله : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ [1] وقيل : إنما أعاد ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ لأنه ذكرها أولاً مقترنا بالرؤية من غير قيد ، وذكرها ثانياً مقيدةً بكونها ساجدة ويكون السجود له . الرؤيا : ما يُرى في النوم (٨٥ / أ) والرؤية بالعين ، وقد قيل في قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ﴾ [2] أنها رؤية عين ، قال الشاعر [من الطويل] :

مضى الليلُ والفضلُ الذي لكَ لا يمضي ورؤياكَ أحلَى في فؤادي من الغُمْضِ [3]

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية (٣٥) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٦٠) .

(٣) ينظر البيت في: روح المعاني للألوسي (١٢ / ١٧٩) ، لسان العرب (رأى) .

أي : ورؤيتك . ومثل ذلك الاصطفاء بإسجاد النيرين والكواكب ﴿ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ .

﴿ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ جمع أحدوثة ، كالأضاحيك . ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ ينتفع باجتماعنا في مصالحه وكنا أحق بمحبته . ﴿ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ لفي بعد عن الحق والإنصاف . ﴿ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ ليس فيها قوت ولا أنيس ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ كأن أباهم كانت قصوده منصرفة إلى يوسف وأخيه ، فإذا هلك يوسف خلا قلبه من الموانع التي تشغله عنهم .

والغيابة : ما يخفي فيه موضع الشيء الغائب . ﴿ لَا تَأْمَنَّا ﴾ في موضع نصب على الحال. وأكدوا نصحهم له وحفظهم بأن واللام . ﴿ نرْتَع ﴾ من رتع البهائم ، قرئ ﴿ نرْتـع ﴾ بغير ياء مجزوم بجواب الأمر ، وهو من الرعي . وقرئ ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ بالياء فيهما ؛ لأن يوسف كان أصغر سنًّا فهو أحق بنسبة الرتع واللعب إليه ، وقرئ ﴿ نرْتـع ويلعب ﴾ (١) لأنهم أقوياء قادرون على الرعي ، ويوسف يلعب .

﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ ﴾ فاعل ﴿ لَيَحْزُنُنِىٓ ﴾ والواو في ﴿ وَأَنتُمْ ﴾ واو الحال ، وكذلك الواو في ﴿ وَنَحْنُ ﴾ قيل : الواو في ﴿ وَأَجْمَعُوٓا۟ ﴾ زائدة . وقيل : هي أصل ، والزائدة في قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ ﴾ وجواب ﴿ لَمَّا ﴾ محذوف ، أي: لما كان ذلك جرى ما لا يقدر قدره من الخطب الذي يعظم شرحه ، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ (٢) ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر «يَرتَعِ ويَلعَبْ»، وقرأ أبو عمرو وابن عامر «نرْتع ونلعب» ، وقرأ ابن كثير "نرتعِ ونلعبْ " وقرأ باقي العشرة «يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ» . تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٨٥) ، الحجة لابن خالويه (ص: ١٩٣) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٥٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ١٥٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٤٥) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٠٦)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٣) .

(٢) سورة الصافات ، الآيتان (١٠٣، ١٠٤) .

بِأَمْرِهِمْ﴾ هو قوله لهم : ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [(١)] .

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه يوسف . قيل: أوحي إلى يوسف وهو في السجن ، وهو صبي بعد [إلقائه في الجب] وإنما جاءوا عشاء ؛ لأن التلبس في الظلمة يروج أكثر من رواجه في النهار، ويظهر من صفحات وجه المعتذر صدقُه أو كذبُه .

ويحكى أن رجلاً وامرأة تحاكما إلى شريح القاضي[(٢)] فشكت حالها وبكت ، فقال بعض من حضر مجلسه : أظنها كاذبة ، أما تراها تبكي ؟ فقال: قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون وكانوا ظلمة[(٣)].

﴿ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق . ﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: مكذوب عليه . ﴿ سَوَّلَتْ﴾ سهلتْ . ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ مبتدأ وصفة ، والخبر محذوف ، تقديره: أولى بي. وقيل: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ خبر، والتقدير: فالواجب صبرٌ جميلٌ .

استعان (٨٥ / ب) يتعدى بنفسه ومنه قوله: ﴿ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ ومنه : "اللهم إنا نستعينك"[(٤)].

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٩) .

(٢) هو الفقيه أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي قاضي الكوفة . يقال : له صحبة ولم يصح بل هو ممن أسلم في حياة النبي ﷺ وانتقل من اليمن زمن الصديق . وصح أن عمر ولاه قضاء الكوفة فقيل: أقام على قضائها ستين سنة ، وقد قضى بالبصرة سنة وفد زمن معاوية إلى دمشق وكان يقال له: قاضي المصرين . تُوفيَ سنة ٧٨ هـ . **تنظر** ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ١٠٠) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥١٢) ونسبه لابن المنذر عن الشعبي ﷺ.

(٤) رواه البيهقي في سننه (٢/ ٢١٠) في حديث القنوت . ولفظه: "اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك - ونخاف عذابك - الجد إن عذابك بالكافرين ملحق " . وقال البيهقي: هذا مرسل وقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ صحيحا موصولا .

الوارد: الذي يتقدم فيحصل الماء للرفقة. ﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ أرسلها ودلاها. أخرجها فتعلق يوسف بالحبل فانسحب، فلما رأوا حسنه البديع، ووجهه الجميل اغتبطوا به، وخافوا أن يشاركهم الركب فيه، فقالوا: هذه بضاعة أعطاناها بعض أهل الماء لبيعها لهم. ﴿ يَٰبُشْرَىٰ﴾ كأنه قال: يا قوم بشرايَ. وقيل: يا بُشْرَى[1] تعالي فهذا وقتك. ﴿ وَشَرَوْهُ﴾ أي: باعوه ﴿ بِثَمَنٍۭ ﴾ ذي ﴿ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ قيل: كانت اثنين وعشرين، خص كل واحد من الإخوة درهمان. وقيل: دراهم قليلة؛ لأن القليل يعد والكثير يوزن، عبَّر عن قلتها بعددها.

﴿ وَكَانُواْ فِيهِ﴾ المجرور متعلق بمحذوف، التقدير: وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين؛ لأن الألف واللام هاهنا موصولة، ولا يعمل ما بعد الصلة فيما قبلها، لا تقول: أنا زيداً الذي ضرب، ومثله: ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾[2] ﴿ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ هو العزيز. ﴿مَثْوَىٰهُ﴾ موضع إقامته. ﴿ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ فاعل ﴿ عَسَىٰٓ﴾ وهي هاهنا تامة، بخلاف قوله: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ ﴾[3] فهي هناك ناقصة. ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ فعلنا ذلك. وقيل: التقدير: وفعلنا ذلك لنعلمه. وقيل: لنكرمه ونعلمه من تأويل الأحاديث. ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ﴾ أمر يوسف، أراد إخوته إهلاكه فسهل له أسباب العزِّ والرفعة. وقيل: الهاء في ﴿ أَمْرِهِۦ ﴾ تعود إلى الله - تعالى. ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ قويت قواه، وهو جمع شدٍ، وشدُّ النهار: وسطه؛ لأن ضوء الشمس فيه أقوى. قال عنترة [من الكامل]:

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا ... خُضِبَ البَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالعِظْلِمِ[4]

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء نجزي من أحسن عبادة الله ونشأ في

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وابن كثير "يا بُشْرَايَ"، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي "يا بُشْرَى"، وقرأ ورش عن نافع "يا بُشْرايْ". **تنظر** القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٩١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ١٦٥)، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٤٦)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٥٢).

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٦٨).

(٣) سورة المائدة، الآية (٥٢).

(٤) **ينظر** البيت في: تاج العروس للزبيدي (شدد)، تفسير القرطبي (٧ / ١٢٠)، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ص: ٢٢٧)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٥٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢١)، لسان العرب (شدد). **والعظلم**: صبغ أحمر. **ينظر**: لسان العرب (عظلم).

الطهارة والعفة، وكذلك قال الله - تعالى- في حق موسى في سورة القصص[(١)].

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾ مفاعلة من واحد؛ لأنه لم يشاركها في المراودة، وقالت: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ﴾ لما كانت الأبواب جمعاً ضعّف الفعل في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ﴾ لا تقول: غلقت الباب، ومثله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾[(٢)].

﴿هَيۡتَ﴾ تعال فأقبل. واللام في ﴿لَكَ﴾ لبيان مَنْ (٨٦ / أ) هيئت له، كأنها قالت: تعال، والحديث لك، ومثله: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾[(٣)] فإن معنى أفٍ: تضجرت، أي: تضجرت والحديث لكم ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ مصدر لا يذكر فعله.

﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ يعني: العزيز سيدي ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ مقامي. وقيل: الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد إلى الله تعالى. ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ خطر بباله خاطرٌ ثم صرفه عنه الله - عز وجل - ولم يزد يوسف على الهمّ، وما حكي أنها راودته حتى قعد منها مقعد الرجل من المرأة فانشق الحائط وخرج منها كفٌّ مكتوب عليها ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾[(٤)] فقام هارباً فلاطفته حتى عاد لما كان عليه، فانشق الحائط وبان منه صورة يعقوب أبيه عاضًّا على إبهامه، يقول: تزني وأنت مكتوب في ديوان المخلصين فقام هاربا ثم أدركته فلاطفته،

(١) سورة القصص، الآية (١٤).
(٢) سورة البقرة، الآية (٤٩).
(٣) سورة الأنبياء، الآية (٦٧).
(٤) سورة الإسراء، الآية (٣٢).

فقال الله : يا جبريل أدرك يوسف، فنزل جبريل فخفقه بجناحه خفقة ذهبت بها الشهوة من نفسه حتى إن أولاد يعقوب كل منهم رزق اثني عشر ولداً إلا يوسف فإنه لم يرزق إلا أحد عشر لتلك الخفقة – فهذه حكاية نعوذ بالله منها، فإنها لو حكيت عن أفجر الفجار لكان حقيقا بألاَّ نسلم عليه بعد أن ظهرت له المعجزات بانشقاق الحائط وتلاوة القرآن ثم يعود . ويرد هذه الحكاية أن الله – تعالى- برَّأهُ بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ (١) ولو نظر إليها بشهوة لكان حراماً عليه ، فكيف وهو يرى الآيات ثم يأتي لمواقعتها ، ثم يجلس مجلس الرجل من المرأة ؟!

وبرَّأه الشاهد بقوله : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ أو: من دبر ، وبرَّأه العزيز بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾ وبرَّأه النسوة بقولهن: ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ وبرَّأ هو نفسه بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ ولو حدَّق إليها مستحسنا لها لكان ذلك خيانة بالغيب ، وبرأته امرأة العزيز بقولها : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ ثم إن الله سبحانه لم يذكر عن نبي معصية إلا وأعقبها بذكر توبته واستغفاره ومغفرته له ، ولم يعقب ذكر يوسف بشيء من ذلك . وزعم بعضهم أن قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ متعلقٌ بقوله : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ والتقدير : لولا أن رأي برهان ربه لهمَّ بها ، فما همَّ يوسف . وهذا فاسد ؛ لأن جواب « لَو» لا يتقدم عليها .

قرئ ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ و﴿المخلِصين﴾ فمن قرأ بالكسر فهو من قوله : ﴿ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾(٢) ومن قرأ ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (٨٦ / ب) بالفتح(٣) فهو من قولهم : ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ (٤) ﴿ وَأَلْفَيَا ﴾ وجدا . استعملت الحياء والحفز بقولها : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ ولم تذكر نفسها ولا يوسف، ولولا تورطها وافتضاحها برؤية

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٢٤) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٤٦) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب " المخلِصين " ، وقرأ باقي العشرة " المخلَصين " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢٩٦) ، حجة ابن خالويه (ص : ١٩٤) ، حجة أبي زرعة (ص : ٣٥٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ١٧٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٤٨) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣١٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٩٥) .

(٤) سورة ص ، الآية (٤٦) .

العزيز على تلك الحالة لما احتاجت إلى مثل هذا الكلام، واضطر يوسف إلى أن يدفع عن نفسه ما عرَّضتْ به من قذفه ، فقال: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ ﴿شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ قيل : هو رجل كان في صحبة العزيز. وقيل: صبي كان في المهد أنطقه الله ببراءته. وهذا فاسد؛ لأنه ورد في الحديث أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم ، وصاحب الأخدود ، وصاحب جريج[(١)]، وهذا ليس واحداً منها . الخاطئ فاعل الخطيئة ، وهو العاصي ، يقال : منه خطأ يخطأ فهو خاطئ ، مثل : ضحك يضحك فهو ضاحك ، وأما أخطأ يخطئ فهو المضاد للعمد .

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾ قد خرق حبُّه حجابَ قلبها ، والشغف : جلدة رقيقة تغشى القلب . ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا﴾ لنعلمها. ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ قيل : قلن هذا القول لتريهم إياه ، فلذلك سمي مكراً . ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ﴾ ما يتكأ عليه . ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعظمنه . وقيل : حضن لما هالهن من جماله . وقال الشاعر [من الطويل] :

خَفِ اللَّهَ وَاسْتُرْ ذا الجَمالَ بِبُرْقُعٍ ... فَإِن لُحتَ حاضتْ في الخُدورِ العَواتِقُ[(٢)]

وهذا بعيد ، فإنه لا يقال : حضنه . ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أبنَّها . وقيل: جرحنها ، وهو

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٨٢ ، ٣٤٣٦ ، ٦٤٨٩) ، ومسلم برقم (٢٥٥٠) عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) البيت للمتنبي ، **ينظر في** : روح المعاني للألوسي (١٢ / ٢٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٦٥)، قرى الضيف لابن أبي الدنيا (١/ ١٠٨) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن الجرجاني (ص: ١٥٢) .

الأصح . وقد احتج بعض من فضل المَلَكَ على البشر بأن هؤلاء النسوة لما عظَّموا يوسف جعلوه ملَكاً ، فدل على أن المَلَكَ أشرف وأفضل ، وليس بحجة ؛ لأن النسوة إنما رجحن يوسف من حيث الجمال والصورة ، ونحن لا ندَّعي أن البشر أحسن من الملائكة ، بل ندعي أنه أفضل ، والنسوة في بعدٍ بعيد عن ذلك . ﴿ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ فاستمسك بعصام التقوى. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ﴾ قدم اللام الموطئة للقسم على الشرط ، فجاء الجواب للمتقدِّم . ﴿ مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ الأذلاء. يجوز أن يكون ﴿ أَحَبُّ ﴾ من باب ما لا مشاركة فيه ؛ كقوله – تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾[1] ولا خير لأهل النار في مستقر ولا مقيل! ويجوز أن تكون من باب المشاركة، وتكون الإشارة بالمحبة إلى ما تقتضيه البشرية من الميل (٨٧/ أ) إلى مستحسنات الصور ، وإن كانت العصمة الإلهية حافظة للنبي من ذلك . ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ من المقدمين على خلاف أمر الله غافلين عمَّا توعِّد به من العقاب. ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بإخلاصه .

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ
قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ
نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ
قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ
ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ
ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً
سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ
إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ
﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ
فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ
عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا
تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

---

(١) سورة الفرقان ، الآية (٢٤) .

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ ﴾ فاعل " بدا " بداء ، وقوله : ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُۥ ﴾ تفسير لذلك البداء . قيل : تفعَّل الفتيان المنامين ، ولم يكونا رأيا شيئا ، فنفذت الكلمة النبوية .

وقيل : بل رأيا ما قصَّه الله – عزَّ وجل . ﴿ أَعْصِرُ ﴾ عنباً يصير بعد مدة ﴿ خَمْرًا ﴾ من تسمية الشيء بما يؤول إليه . قال المفسرون : وبعض العرب يسمي العنب خمراً . قلت : فيه نظر ؛ لأن المنقول عن العرب أنهم أطلقوا على العنب اسم الخمر ، ولم يقولوا هو مجاز عن أصل الوضع ، ولا هو حقيقة ، ونحن قد قلنا : إن تسميته خمراً مجاز عن تسمية الشيء بما يؤول إليه . ﴿ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ قيل: في عبارة الرؤيا ، يعبرها على أحسن وجه . وقيل: ﴿ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ إلى أهل السجن ، كان يذكرهم بالله ويعظهم ويزور مريضهم . وكان يوسف عليه السلام يحدِّث أهل السجن بما يبعثه أهلهم إليهم من المآكل والملابس وغيرها ، ثم إن يوسف دعاهم إلى الله وأقام الدلالة على وحدانيته قبل أن يشرح لهما ما اقتضته رؤياهما تقديماً للدعاء إلى الله وإقامة حجج الوحدانية على ما طلباه من تفسير المنامين .

قوله : ﴿ مَا كَانَ لَنَآ ﴾ في معنى ما ينبغي ؛ كقوله : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ [(1)] .

﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ وهو الذي رأى نفسه يعصر العنب ، والآخر هو الذي حمل الخبز على رأسه وأكلت الطير منه ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ فرغ مَّما قصصته عليكم وأنه كائن لا محالة . ﴿ وَقَالَ ﴾ يوسف ﴿ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ ﴾ وهو الساقي ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ سيدك . ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: أنسى يوسف ذكر ربه ، أي : رب يوسف ، ومن قال : أنساه الشيطان يعني : الساقي ذكر ربه ، أي : تذكير سيده ﴿ فَلَبِثَ ﴾ يوسف ﴿ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ قيل : البضع من الثلاثة إلى العشرة . وقيل: إلى التسعة ، فلما أراد الله تخليص يوسف هيَّأ سببه ، فأرى الملكَ في المنام سبعَ بقراتٍ سمانٍ يأكلهن سبعٌ عجافٌ مهازيل ، ورأى سبع سنبلاتٍ خضرٍ قد التفت عليها سبع سنابل يابسات ، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٨٧/ ب) يقال : عبر الرؤيا مخففا يعبرها فهو عابر ، ومنه الحديث : " الرؤيا لأول عابر "[(2)]. ودخلت اللام في قوله : ﴿ لِلرُّءْيَا ﴾ لتقدم المفعول ؛

---

(١) سورة مريم ، الآية (٣٥) .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٣٩١٥) ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده رقم (٤١٣١) ، والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٩١) ، عن أنس وفي سنده يزيد بن أبان الرقاشي ، وهو ضعيف وضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٣ / ٢١٦) ، والألباني في ضعيف ابن ماجه (٨٤٩) .

كقوله : ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (١) .

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ هذا ﴿ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ ﴾ . ﴿ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا ﴾ يعني: الساقي ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾ بعد زمن طويل . ﴿ فَأَرۡسِلُونِ ﴾ فأرسلوه ؛ فقال له الرسول : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ، أو : الكثير التصديق ؛ قال الله تعالى في مريم : ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ ﴾ (٢) وقال في حقها : ﴿ وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا ﴾ (٣) ﴿ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ الملك وأصحابه ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ صدقك ويقيمون عذرك .

﴿ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا ﴾ اجتهادا ؛ فأي شيء حصد ﴿ فَذَرُوهُ ﴾ فاتركوه ﴿ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾ ليكون أكثر بقاء . ﴿ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ ﴾ سنين ذوات قحط ﴿ شِدَادٞ ﴾ على الناس، يؤكل فيهن ما ادخرتم من الزرع في السنبل .

﴿ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ من الغوث ، أي : يغيثهم الله ، أو : من الغيث ، يمطرون . ﴿ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ من السمسم الشيرج(٤) ومن الزيتون الزيت وغير ذلك . ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦ ﴾

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٥٤) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٧٦) .

(٣) سورة التحريم ، الآية (١٢) .

(٤) **الشَّيْرَجُ** : الدُّهنُ الأبيض ، وهو دهن السمسم ، ويقال للعصير أو النبيذ قبل أن يتغيَّر: شَيْرَجُ أيضاً وهو تعريب شيرَهْ **ينظر** : لسان العرب (سلط) ، المغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي (١ / ٤٣٧) ط . مكتبة أسامة بن زيد – حلب – الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ ==

بيوسف ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ توقف عند الخروج ، وقال للرسول : ارجع إلى سيدك ، وقل له : ﴿ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ وأراد بذلك أنه كان قد حبس على تهمة ، وكثر القول من النسوة وغيرهن في تهمته مما هو بريء منه ؛ فأراد يوسف ألا يخرج إلا بعد أن يكشف الحق وتظهر البراءة ؛ فسأل العزيز النسوة فقلن : ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ فقالت امرأة العزيز : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي : ثبت واستقر ؛ قال الشاعر يصف بعيرا [من الطويل] :

فَحَصْحَصَ في صُمِّ الصَّفَا ثفَنَاتِهِ[١]

وإن يوسف ﴿ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في قوله: ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ ثم اختلف الناس في قائل ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ فقال قوم : هو من قول يوسف ، والتقدير : ذلك التوقف عن الخروج لما طلبني الملك أول مرة ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ الملك ﴿ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وقال بعض المفسرين تفريعا على هذا : لما قال : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قال له جبريل : ولا حين هممت بها يا يوسف[٢] . وقال قوم : هو من قول امرأة العزيز ؛ فإنها لما قالت : ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ قالت : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾ أي : يوسف ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ﴾ (٨٨ / أ) في حال غيبته لما ذكر ، وعلى هذا يكون الكلام متصلا بعضه ببعض، وعلى القول الأول انقطع كلام امرأة العزيز.

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

= تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار .

(١) هذا صدر بيت لحميد بن ثور ، وعجزه : .... وناء بسلمى نوأة ثم صمما .

ينظر في : تاج العروس للزبيدي (حصحص) ، روح المعاني للألوسي (١٢ / ٢٥٩) ، غريب الحديث لابن سلام (٤ / ٣٠٢) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٤٧٩) ، لسان العرب (حصحص - صمم)

والصم : الصلبة . **والثفنات** : كل شيء ولي الأرض من البعير إذا برك وهي الركبتان والفخذان وغيرهما ، **وناء** : قام متثاقلا بسلمى محبوبته ، **نوأة** : نهضة واحدة لم يتردد ، ثم صمم على السير .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٤٨) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ ﴾ إلا من رحم ربي . في المثل : "يستدل على الرجل بكلامه وبشعره" ، ومن هذا قوله : ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا ﴾ جعل العلة في مكانته عنده أنه علم من فصاحة كلامه وحسن إيراده أنه حقيق بالمكانة ، فعجل يوسف والتمس النيابة في تدبير أمر الأوقات ؛ فيقال : إنه أخر إجابته مدة ، والحق أن يوسف علم من نفسه الكفاية والأمانة ، وأنه متعين لتدبير ما يطرأ على الناس من الشدة ، وعلل ذلك بكونه حفيظا عليما ، وإذا تم الوصفان تعين للولاية ، ومن علم التعيين للولاية وجب عليه ، ويجوز للمسلم قبول الولاية من الكافر لما يترتب عليه من المصلحة (١) .

ومثل ذلك التمكين ﴿ يَتَبَوَّأُ ﴾ جعلناها مباءة ينزل منها حيث يشاء .

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٢٠ / ٥٦ -٥٧) : "ومن هذا الباب تولي يوسف الصديق على خزائن الأرض لملك مصر ، بل ومساءلته أن يجعله على خزائن الأرض ، وكان هو وقومه كفاراً كما قال - تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ﴾ الآية ، وقال - تعالى- عنه : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ الآية . ومعلوم أنه مع كفرهم لا بد أن يكون لهم عادة وسنة في قبض الأموال ، وصرفها على حاشية الملك ، وأهل بيته وجنده ورعيته ، ولا تكون تلك جارية على سنة الأنبياء وعدلهم ، ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد ، وهو ما يراه من دين الله فإن القوم لم يستجيبوا له ، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان ، ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته مما لم يمكن أن يناله بدون ذلك ، وهذا كله داخل في قوله : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ أكبر وأعظم مما حصل له من الولاية . ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ في طلب الميرة؛ لأن بلادهم أصابها من القحط ما أصاب الناس . ﴿ فَعَرَفَهُمْ ﴾ ولم يعرفوه ؛ لأن يوسف كان يتفحص عنهم ويترقبهم ، وكانوا يظنون بيوسف أنه هلك ، واستعبده من اشتراه ؛ ولأن زيَّ المملكة يورث في القلوب أبهة تمنع من استيفاء النظر . والجَهاز بفتح الجيم : ما يتجهز به . ﴿ بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ وكان بنيامين ، وكان شقيق يوسف دون بقية إخوته ، روي أنه كان أنزلهم وأضافهم ، وإنما مدح نفسه بأنه ﴿ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ ليرغبهم في إحضار أخيهم ولعل الله كان قد أوحى إليه بذلك ليضاعف ليعقوب الثواب على البلاء . ﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ لأتباعه . وفي الحديث: " لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي ، بل يقل : فتاي وفتاتي» [1] ومنه ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [2] ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ [3] وإنما رد البضاعة لعلمه بفاقة أبيه وفاقة العائلة ، ولما يعلم من دين أبيه وإخوته إذا رأوا البضاعة قد أعيدت إليهم أن يظنوا ذلك غلطا فيعودوا لإعطائها، ولهذا قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ ﴾ و﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ بتقدير: إن لا يحضر الأخ.

﴿ مَا نَبْغِى ﴾ ما نافية ، والبغي: تجاوز الحد ، ويجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ استفهامية ، أي : أيّ شيء نطلب ؟ ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ معطوف على مضمر . ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا ﴾ يطلق لنا الكيل (٨٨/ ب) ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ لبنيامين ، وكان يوسف لا يعطي كل رجل أكثر من حمل بعير .

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٤٩) ، وأبو داود رقم (٤٩٧٥) ، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) سورة النساء ، الآية (٢٥) .

(٣) سورة النور ، الآية (٣٣) .

لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ مَوۡثِقٗا﴾ عهدا يتوثق به ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ ﴾ إلا أن تهلكوا ، ومنه : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [1] ﴿مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ قيل: خاف عليهم العين ؛ لأنهم كانوا حسان الصور والملبس ﴿ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ لا أتوكل إلا عليه، ولا يتوكل المتوكلون إلا عليه .

﴿ إِلَّا حَاجَةٗ﴾ أي : ليس يدفع عنهم تفرقهم في الأبواب من مقدورهم شيئا ، لكنه يقضي عنهم ما وجب عليهم من طاعة الأب ﴿ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ لتعليمنا إياه .

﴿ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ فلا يلحقك بأس ، وكانوا يكرهون بنيامين بعض الكراهة ؛ لأنه خصيصٌ بيوسف، ويسمعونه ما يكرهه. ﴿ ٱلسِّقَايَةَ ﴾ صاع من فضة كان يكتال به ﴿ٱلۡعِيرُ ﴾ القافلة وكانوا جمالا . وعن مجاهد : كانوا حميرا [2]. وقد احتج على جواز الجعالة بقوله: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ [3] وكان حمل البعير قدرا معلوما عندهم ، فصحَّ جعله عوضا في الجعالة ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ﴾ علق العلم بـ ﴿ مَّا﴾ النافية ، كما علق باللام في قوله : ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ ﴾[4] وإنما احتجوا بعلمهم بأنهم لم يجيئوا مفسدين ولا

---

(١) سورة الكهف ، الآية (٤٢) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٣ / ١٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور(٤ / ٥٥٩) ونسبه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد ﷺ .

(٣) **الجعالة** : هي أن يجعل جعلا لمن يعمل له عملا من رد آبق أو ضالة أو بناء أو خياطة وسائر ما يستأجر عليه من الأعمال . وقد اختلف العلماء في منعه وجوازه فقال مالك : يجوز ذلك في اليسير بشرطين : أحدهما : أن لا يضرب لذلك أجلا . والثاني : أن يكون الثمن معلوما . وقال أبو حنيفة: لا يجوز . وللشافعي قولان وعمدة من أجازه قوله تعالى : ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴾ وإجماع الجمهور على جوازه في الإباق والسؤال . وما جاء في الأثر من أخذ الثمن على الرقية بأم القرآن . وعمدة من منعه الغرر الذي فيه قياسا على سائر الإجارات ولا خلاف في مذهب مالك أن الجعل لا يستحق شيء منه إلا بتمام العمل وأنه ليس بعقد لازم .

ينظر تفصيل ذلك في : بداية المجتهد لابن رشد (١/ ١٠٠١) ، المغني لابن قدامة (٦/ ٣٧٥) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٠٢) .

سارقين ؛ لأنهم كانوا أول من جعل الكمام على أفواه الإبل لئلا تأكل من زرع الناس ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ أي: يؤخذ بجريرته ويسترقُّ ، وقوله : ﴿ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾ أي: لا جزاء له غيره . وقيل : تقديره : جزاؤه مأخوذ من هذه الجملة ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾ فبدأ بتفتيش أوعيتهم واحدا واحدا ، وجعل رحل بنيامين آخرا ، فلما وصل إليه قال : ما أظن هذا سرق شيئا ؛ ليبعد الظن عن نفسه ، قالوا : لابد من تفتيشه .

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ هيأنا له سببا يأخذ به أخاه ، فإن إخوته أقروا أن جزاء السارق استرقاقه ، فلما وجد الصاع في رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء .

قوله : ﴿ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ يعنون يوسف ، وكان يخبئ شيئا من الخبز يطعمه للمساكين . وقيل : كانت سارة عمته قد أخذت يوسف من يعقوب وربته عندها ، فطلبه

يعقوب ، فأخذت حياصة كانت لإسحاق جده ، فشدتها بين أثوابه وردته إلى يعقوب ، ثم قالت: فقدت الحياصة. فوجدها في ثياب يوسف [١] فعدوا ذلك سرقة منه ، ثم استعطفوا يوسف وقالوا : ﴿ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾ (٨٩ / أ) ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ ﴾ غير السارق ، فإن أخذنا غيره إنا لظالمون . ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ ﴾ من رد يوسف أخاهم إليهم انفردوا يتشاورون سرًّا فيما يصنعون ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ﴾ أرض مصر. ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ أي : أهلها؛ كقوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ ﴾ الآية [٢] وقيل : اسأل القرية بعينها ؛ فسينطقها الله وتخبرك، وليس ذلك ببعيد من الأنبياء .

قال يعقوب بناء على غلبة الظن : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ بل سهلت وزينت ﴿ عَسَى ﴾ هاهنا ناقصة وفي قوله : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [٣] تامة لا خبر لها . وأعرض يعقوب عن بنيه إعراض المتألم والكاره لما جرى ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ ﴾ قيل : نادى الأسف وقال : تعال يا أسف فهذا وقتك . وقيل: المنادى محذوف ، والتقدير : يا قوم أسفا على يوسف .

﴿ كَظِيمٌ ﴾ كاظم غيظه وأصل الكظام : ما تشدُّ به القِربة فيمنع ما فيها من الخروج والسيلان ﴿تَٱللَّهِ﴾ ما يقسم بالتاء إلا فيما يتعجب منه . ﴿ تَفْتَؤُا۟ ﴾ أي : لا تزال . البَثُّ هو الألم ؛ لأنه سبب الشكوى والبث . ويقال : إن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب هل: قبضت روح يوسف؟ فقال : لا ، فهو معنى قوله : ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ فَتَحَسَّسُوا۟ ﴾ اطلبوا بحواسكم كلها . ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ من رحمته وتنفيسه الكربات . ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ أي : على يوسف . ﴿ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ مسوقة يدفعها قوم إلى قوم أي : ليست بمرغوب فيها. ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ برد أخينا ؛ لأن الصدقة كانت محرمة على الأنبياء.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٩) وفيه أنه أخذ منطقة إسحاق ، والمنطقة والنطاق والمنطق : كل ما شد به وسطه غيره . والحياصة من حاص الثوب يحوصه حوصا وحياصة : خاطه .

ينظر : لسان العرب (حوص - نطق) .

(٢) سورة الطلاق ، الآية (٨) .

(٣) سورة الحجرات ، الآية (١١) .

يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

ولطف بإخوته بقوله: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم ﴾ إلى قوله : ﴿ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ يعني : حملكم الشباب، وهوى النفس والحسد الذي يحمل على مثل ما فعلتم .

قوله : ﴿ وَهَٰذَا أَخِي ﴾ فيه إشارة إلى ما كانوا يعتمدونه معه من الإغلاظ في القول . ﴿مَن يَتَّقِ﴾ قرئ بإشباع كسرة القاف[1] فتولدت منها الياء ﴿ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : أجره ، وضع الظاهر موضع المضمر. ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ ﴾ تعجباً من انتقال يوسف عما كان عليه من الحال حين باعوه بثمن بخس إلي مملكة مصر. ﴿ لَا تَثْرِيبَ ﴾ لا لوم ، و﴿ الْيَوْمَ ﴾ متعلق بـ " تثريب " ووقف بعضهم على قوله: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ وابتدأ ﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ وهو بعيد[2] ﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (٨٩ / ب) وكان القميص من حرير الجنة لا يلبسه

---

(١) قرأ الجمهور " يتق "، وقرأ قنبل عن ابن كثير " يتقي" في الوصل والوقف .

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٣٤٢) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٩٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٣٦٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٢١٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٥١)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٧).

(٢) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني (ص : ١٩٧) .

مبتلى إلا عوفي[١]. ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ ﴾ من العريش قال يعقوب: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوۡلَآ أَن ﴾ تنسبوني إلى الفند والهرم . ﴿ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ﴾ أي : في بعدك عن الصواب .

﴿ فَٱرۡتَدَّ ﴾ فعاد ﴿ بَصِيرٗا ﴾ قال لهم : ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ ﴾ وإنما أخر يعقوب الاستغفار إلى وقت السحر . وقيل : إلى ليلة الجمعة ، دعا وقال: " اللهم اغفر لي شدة أسفي على يوسف ، واغفر لبني ما جنوه عليَّ وعليه ، فأوحى الله – تعالى- إليه أن قد استجيب دعاؤك "[٢].

﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾ ضمهما ، وكان يوسف قد خرج للقاء أبيه فتلقاه في الطريق ، ودخل يعقوب عليه وأراد بأبويه: أباه وخالته ، وقال لهم : ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ ﴾ فدل على أنه كان خارجا من مصر ، وكان السجود للإنسان تحية من كان قبلنا ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ الآية . وجعل الانتقال من البدو إلى الحضر نعمة تشبه الخلاص من السجن .

﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ
وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (١٠١) ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ
إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ (١٠٢) وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ
بِمُؤۡمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم
مُّشۡرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (١٠٧)
قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
(١٠٨) وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ
(١٠٩) حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ
بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ (١١٠) لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا
يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ (١١١) ﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢ / ٥٠٣) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٢ / ٥٠٤) .

﴿ مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ من للتبعيض . ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مبتدئهما على غير مثال سبق ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ ﴾ متولي أمري، وأنا متوليك . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يجوز أن يكون في موضع نصب بفعل دل عليه ﴿نُوحِيهِ﴾ من باب : زيدا ضربته . ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ فَهُم مِن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿ وَهُمْ عَنْهَا ﴾ عن الاعتبار بها ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ . ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ ﴾ وما يصدق ﴿أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ معه غيره . قال الحسن : " ما بعث الله نبيًّا من البادية ولا من النساء ولا من الجن "[١] ؛ لقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ فاعترض عليه بأن الجن يسمون رجالا ؛ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[٢] أرسلناهم بالبينات والزبر فاستمر قومهم على تكذيبهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ وظن الرسل أن قومهم الذين آمنوا قد كذبوهم وشكوا فيما وعدوهم ، أو ظن قومهم المؤمنون بالرسل أن الرسل كذبوهم فيما وعدوهم به من النصر.

* * *

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٣١٢) ، والقرطبي في تفسيره (٩ / ٢٣٣) .

(٢) سورة الجن ، الآية (٦) .

سورة الرعد [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)﴾

قوله : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ ﴾ مبتدأ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ خبره (٩٠ / أ) ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ جملة مستأنفة .

وقيل : في موضع الوصف لـ ﴿ عَمَدٍ ﴾ أي : بغير عمد مرئية ، وقالوا : تلك العمد هي قدرة الله - عز وجل - لأن تمام الأعمال القدرة ؛ كما أن تمام ما فوق العمد بالعمد .

﴿ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يوم القيامة . ﴿ ٱلْأَمْرَ ﴾ جنس ، وهو أبلغ من صيغة الجمع ؛ لأن استرسال اسم الجنس على ما تحته لا يشذ منه شيء ، وفي صيغة الجموع اضطراب ؛ لأنها تأتي مستغرقة وغير مستغرقة ، وإذنه للشافع أن يشفع ، أو إذنه للمشفوع فيه أن يُشَفَّعَ فيه.

﴿ مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ دحاها وبسطها ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ ثابتات ، ويقال : مثبتات ، وهو بعيد من حيث اللفظ حسن من حيث المعنى . والوقف عند قوله :﴿ وَأَنْهَٰرًا ﴾[1] ﴿ زَوْجَيْنِ ﴾ صنفين من الطعوم والألوان وغيرها . ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ ويغشي النهار الليل ؛ فاكتفى بأحدهما ؛ كقوله: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾[2].

قرئ ﴿ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ ﴾ بالجر[3] ، وهو مشكل ؛ لأن الجنة لا تكون من الزرع ، وعند

---

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني (ص : ٢٠٠) .

(٢) سورة النحل ، الآية (٨١) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم «وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ» بالرفع ، وقرأ باقي العشرة «وزرعٍ ونخيلٍ» بالجر. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٣٦٣) ، حجة ابن خالويه (ص: ١٩٩ - ٢٠٠) ، حجة أبي زرعة (ص:٣٦٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٢٢٥)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٤٩) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٧) .

الزمخشري والأخفش الجنة لا تكون إلا من النخل[١] وأنشد قول زهير [من البسيط] :

.... تَسْقِي جَنَّةً سُحُقا[٢] ....

أي: نخيلا طوالا ، ويرد عليه قوله – تعالى : ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾[٣].

وكذلك قوله : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾[٤] .

الصنوان : هما الفرعان الناتئان من أصل واحد ، كنخلتين من نواة . وتثنية الصنو صنوان ؛ وكذلك جمعه ، إلا أن إعرابه مجموعا بالحركات على النون ، وإعرابه مثنى بالألف في الرفع ، والياء في النصب والجر ، ومثله : قنوان في التثنية والجمع .

وإعراب ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾ هو مَثَلٌ ضربه الله – تعالى– للقرآن نزل على قوم قلوبهم مختلفة ، فيثمر في قلوب أهل الخير المعارف الإلهية ، وينبت في قلوب أهل الزيغ التكذيب والعناد والافتراء ؛ كما أن الماء الواحد يسقي رطبا جنيًّا وحنظلا مرًّا ، والأُكل: الشيء المأكول .

﴿ ۞ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ ﴾ من شيء فقولهم : ﴿ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ مما ينبغي أن يتعجب منه الناظرون فيه ، والتعجب على الله محال ؛ لأنه رؤية ما خفي سببه ، والله

---

(١) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (١ / ١٠٥ ، ٣ / ٣٢٧) .

(٢) هذا عجز بيت لزهير في أبيات يتحسر فيها على فراق محبوبته وصدره :

كأنَّ عَيْنَيَّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلة من النواضح ....

ينظر في: تاج العروس (قتل) ، تفسير القرطبي (١٣/١١٧) الكشاف للزمخشري (١/١٠٥)، لسان العرب (سحق) والمعنى: كأن عيني من شدة البكاء وكثرة الدموع عينان في دلوين عظيمين ممتلئتين ماء ، تحملهما ناقة مقتلة مذللة معتادة على العمل من الإبل النواضح التي يستقى عليها، تسقي تلك الناقة جنة سحقا ، أي: نخلا طوالا جهة السماء أو بعيدة عن محل الماء فهي دائمة ذاهبة آية .

(٣) سورة الكهف ، الآية (٣٢) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٦٦) .

-تعالى- لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض[(١)] ، وقد جاء نسبته إلى الله مجازا في قراءة حمزة[(٢)] ﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴾[(٣)] بضم التاء (٩٠ / ب) وفي قوله : ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[(٤)] . ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾[(٥)] التقدير: حلوا محل من يتعجب ؛ كقوله :

---

(١) مذهب أهل الحق من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان من الخلف في مثل هذه الصفات التي أخبر الله – تعالى – بها عن نفسه ، أو أخبر عنها رسوله ﷺ: إمرار هذه الصفات كما أتت من غير تكييف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، فهو – سبحانه – ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وقد ورد في أكثر من حديث في صحاح كتب السنة إثبات صفة العجب لله – تعالى – ومنها : ما رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٠١٤٠) ، وأبو داود رقم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل " . وروى أحمد في المسند (١٥٨/٤) وأبو داود رقم (١٢٠٣) ، وابن حبان رقم (١٦٦٠) عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ: " يعجب ربك من راعي غنم في رأس الشظية للجبل ، يؤذن للصلاة ويصلي فيقول الله : انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني ، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة " . كما روى أحمد أيضا في مسنده (١/ ٤١٦) ، وأبو داود رقم (٢٥٣٦)، وابن حبان رقم (٢٥٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٢) عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: " عجب ربنا من رجلين ؛ رجل ثار من وطأته ولحافه من بين حبه وأهله إلى الصلاة ، فيقول الله – جل وعلا: انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطأته من بين حبه وأهله إلى صلاته ؛ رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم الناس وعلم ما عليه في الانهزام ، وماله في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول الله لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه " . وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب ، والصواب – وهو مذهب السلف الصالح وما عليه أئمة المسلمين – : الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله – تعالى- على مراد الله – تعالى – ونسأل الله – تعالى- أن يهدينا والمسلمين إلى الفهم الصحيح والعقيدة النقية الصافية .

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام القدوة شيخ القراء أبو عمارة التيمي الكوفي الزيات ، كان إماما قيما لكتاب الله قانتا لله كثير الورع رفيع الذكر عالما بالحديث والفرائض . توفي سنة ست وخمسين ومائة ، وكان من الأئمة العاملين . **تنظر** ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٩٠- ٩٢) .

(٣) سورة الصافات ، الآية (١٢) وهذه قراءة حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ باقي العشرة ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُون ﴾ . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٥٤) ، حجة ابن خالويه (ص:٣٠١) ، حجة أبي زرعة (ص:٦٠٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٩٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٥٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٦) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٧٥) .

(٥) سورة عبس ، الآية (١٧) .

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ (١) أي : حلوا محل من يتحسر عليه .

﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا ﴾ يجوز إثبات الاستفهام في الشرط والجزاء ، ويجوز حذفه منهما ، ويجوز إثباته في الشرط دون الجزاء وفي الجزاء دون الشرط ، وجاء في قوله : ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴾ (٢) ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ ﴾ (٣) إثباته في الشرط ، وقرئ في هذه الآية بالوجوه الأربع (٤) .

لما كان وعد الآخرة ثابتا محققا أخبر عنه بالشيء الثابت ؛ كقوله : ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ (٥) وقال هاهنا : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ ﴾ .

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾

﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾ بالعقوبة استهزاء بها ﴿ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ جمع مثلة ، وهي وقائع الله بالأمم الماضية وعلمهم بذلك لمرورهم على بلاد المهلكين ينبغي أن يكون حاملا لهم على طلب الحسنة والاستغفار من السيئة ﴿ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾ جملة في موضع الحال ، واحتج به ابن الخطيب (٦) على أن الله تعالى يجوز أن يعفو عن أصحاب الكبائر من غير توبة؛

---

(١) سورة يس ، الآية (٣٠) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٣٤) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٤٤) .

(٤) قرأ نافع والكسائي ويعقوب «أئذا كنا ترابا إنا» ، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر «إذا كنا ترابا أئنا»، وقرأ باقي العشرة «أئذا كنا ترابا أئنا» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٣٦٦)، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٧١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٢٢٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٥٧) ، مجمع البيان للطبرسي (٦ / ٢٧٧) ، النشر لابن الجزري (١ / ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤) .

(٥) سورة الانفطار ، الآية (١٣) .

(٦) **ينظر** : مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٩ / ١١) .

توبة؛ لقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) ومن كان مصرا على الكبيرة فهو ظالم لنفسه، وقد ذكر في هذه الآية أنه يغفر لهم مع أنهم ظالمون ، وقد أجرى الله عادته بأن يقرن في كتابه الوعد بالوعيد ، وذكر الجنة بذكر النار ؛ ليكون العبد على خوف ورجاء .

﴿لَوْلَآ﴾ بمعنى هلا ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قيل : هي جملة مستأنفة ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ (٢) وقيل : ﴿هَادٍ﴾ خبر ثان لقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ أي : وهاد لكل قوم . قيل : ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ ما تلقيه سقطا . وقيل : الغيض والزيادة راجعان إلى كثرة دم الحيض وقلته . والكبير المتعالي متقاربان في المعنى ؛ لأن الكبر والعلو اللذين توصف بهما الأجسام مستحيلان على الله - عز وجل(٣) ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ﴾ تقديره: ومن هو سارب بالنهار. ويجوز إضمار الموصول ؛ كما قال حسان بن ثابت [من الوافر]:

فَمَنْ يهجو رسولَ اللهِ منْكُمْ ... ويَمْدَحُهُ ويَنْصُرُهُ سَواءُ (٤)

لأن المستخفي بالليل لا يكون ساربا بالنهار ، والسارب مأخوذ من السرب وهو الطريق. (٩١/أ) ، ومنه قوله ﷺ: " من أصبح معافى في بدنه ، آمنا في سِرْبه ، عنده قوتُ يومِه ، فكأنما حيزتْ له الدنيا بحذافيرها "(٥) .

---

(١) سورة النساء ، الآية (٤٨) .

(٢) سورة النحل ، الآية (٣٦) .

(٣) تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم ، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

(٤) ينظر البيت في : تذكرة النحاة (ص : ٧٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤٥) ، الدرر اللوامع (١ / ٢٩٦) ، ديوان حسان (ص : ٧٦) ، المغني لابن هشام (٢ / ٣٥٥) ، همع الهوامع للسيوطي (١ / ٨٨) .

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٣٤٦) ، وابن ماجه رقم (٤١٤١)، وابن حبان رقم (٦٧١) ، من حديث أبي الدرداء .

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ ملائكة يتعاقبون في الليل والنهار وأولئك ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ وهي صفة للمعقبات . ﴿ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ مفعولان من أجلهما ، والقياس فيه أن يكون فعل فاعل الفعل المعلل ، والخوف والطمع ليسا من فعل الله ؛ فقدر بقوله : ﴿ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ فتخافون وتطمعون .

﴿ ٱلسَّحَابَ ﴾ اسم جنس وليس بجمع ، وقد وصفه بالجمع ؛ فهو كقوله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾ (١) وكذلك قوله تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٌ ﴾ (٢) على قراءة الجر. والرعد ملك ، وهو المسبِّح لا الصوت ، ويسمَّى صوته رعداً لأن نسبة الأعراض إلى الأعراض محال . ﴿ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ ﴾ أي : في وحدانيته ﴿ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ أي : المماكرة . ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ ﴾ إلا كاستجابة باسط ﴿ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ ﴾ فلا يصل إليه الماء ببسط كفه ، كذلك لا يحصل لداعي الأصنام شيء مما يطلب .

سجود الكره : تفيُّؤ الظلال كما يسجد الجبل والشجر يتفيأ ظلالهما وإن لم يريدا ذلك . ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ جمع أصيل ، وهو ما بين المغرب والعشاء .

---

(١) سورة الرحمن ، الآية (٧٦) .

(٢) سورة الإنسان ، الآية (٢١) وقرأ نافع وحفص عن عاصم «خُضْرٌ»، وقرأ ابن كثير وشعبة عن عاصم «خُضْرٍ». تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٣٩٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٤٤٨ - ٤٤٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٦٦٤) ، الكشاف للزمخشري (٤ / ٦٧٣) ، معاني القرآن للفراء (٣ / ٢١٩) ، النشر لابن الجزري (٣٩٦/٢) .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ومتى كان الجواب معلوماً عند السامع ساغ للمتكلم أن يجيب عن السامع .

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٨) ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩) ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ (٢٠) وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ (٢١) وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٢٢) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) ﴾

ضرب الله مثلين للإيمان والكفر، أحدهما : إنزاله الماء من السماء ، وهو مثل للقرآن والوحي ، فحملت أودية منه بقدرها ، فمنها ما حمل الكثير لسعته ، ومنها ما حمل القليل لضيقه ﴿فَٱحْتَمَلَ﴾ ذلك ﴿ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا ﴾ يعلو الماء ، ثم إن الزبد يتعلق بأطراف الوادي وبالأشجار والعيدان فيضمحل . والزبد مثل الشبهات فيصفو الماء عن الزبد ويحصل به النفع . والمثل الثاني: ضرب مثلا بما يسبك من النحاس والرصاص ، فإنه يخرج منه زبد يعلو على وجهه ثم يصفو ذلك الجوهر المسبوك ويحصل به النفع ، فالجوهر من النحاس والرصاص مثل الوحي الحق ، والزبد مثل للباطل ، فمزج أحد المثلين بالآخر . ﴿ جُفَآءً ﴾ يقال : أجفأت القدر إذا رمت بخبثها . والوقف عند قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [(١)] و﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة .

﴿ وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ ﴾ لسألوا الفدية ؛ لقوله في آية أخرى : ﴿ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾ [(٢)] (٩١ / ب) و﴿ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ المناقشة على الصغيرة والكبيرة ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ بئس ما مهدوا ﴿ لِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

---

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني (ص : ٢٠١).

(٢) سورة المائدة ، الآية (٣٦).

أكثر ما يأتي لفظ الحق بالألف واللام في صفات الله – عز وجل – وفي الحديث في دعاء النبي ﷺ: " اللهم أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق، والنار حق ، والنبيون حق" [(١)] فجعل الجنة والنار والأنبياء بغير ألف ولام ، وأدخلها في ذاته سبحانه وقوله ؛ لأنهما صفتا ذات .

الميثاق : ما وثق بالأيمان المؤكدة ﴿ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ يريد : صلة الأرحام . وقيل : هو أن يصدق بجميع الأنبياء ، ويصل تصديق هذا بتصديق هذا ، ولا يفرق بين أحد من رسله ﴿وَيَخْشَوْنَ﴾ عذاب ﴿ رَبَّهُمْ ﴾ ﴿ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ هو المناقشة .

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ ولم يكونوا كما قال الشاعر [من الكامل] :

وتجلُّدي للشامتينَ أُريهِمُ ... أني لِصَرفِ الدهرِ لا أتضعْضَعُ [(٢)]

﴿ وَيَدْرَءُونَ ﴾ يدفعون ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الحسنة ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ بدل من ﴿ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ نكرة ؛ لأنها من باب إضافة الشيء إلى صفته ، والتقدير: جنات إقامة ﴿ مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ
ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ
وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا
بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ
هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ
أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا
يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٣١٧) ، ومسلم رقم (٧٦٩) عن ابن عباس – رضي الله عنهما.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، **ينظر في** : العين للخليل (١ / ٧٢) ، غريب الحديث للحربي (٣ / ٩٢٨) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٥٢٥) ، لسان العرب (ضعع) ، معجم البلدان لياقوت (٥/ ١٣٣) .

قائلين : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾ في موضع مصدر تقديره : قائلين هذا القول . وقوله : ﴿ بِمَا صَبَرۡتُمۡ ﴾ أي: هذه المجازاة بالجنة بسبب صبركم .

﴿ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ ﴾ أي: عليهم ﴿ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾ أي : ويضيق ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فرح بطرٍ وأشرٍ . ﴿ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾ يتمتع به ثم يذهب ، كأثاث البيت . ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ ﴾ هلا أنزل ﴿ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ ﴾ نقترحها لنؤمن فقل لهم : إيمانكم بتقدير ظهور الآية المقترحة غيب ، والله تعالى يقلب القلوب كيف يشاء ، فإن شاء صرفكم عن الإيمان بعد نزول الآية . وإن شاء هداكم قبل نزولها ، ونظيره ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴾ (١) .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بدل ﴿ مَنۡ أَنَابَ ﴾ ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ﴾ وعد ﴿ ٱللَّهِ ﴾ وثوابه ﴿ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ .

﴿ طُوبَىٰ لَهُمۡ ﴾ قيل : هي شجرة في الجنة ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها(٢). وقيل: أصلها طيبى من الطيب .

﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ ﴾ (٩٢ / أ) ولم يكن بدعا من الرسل . وكانوا ينكرون اسم الرحمن ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ (٣) .

وقيل : ليس المراد إنكار اسم الرحمن ، بل المراد أنهم يكفرون بالله ، وقدم المجرور في ﴿ إِلَيۡهِ ﴾ و﴿ عَلَيۡهِ ﴾ للاختصاص . وجواب ﴿ وَلَوۡ ﴾ في قوله : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ﴾ محذوف التقدير: لما آمنوا إلا أن يشاء الله ، ويدل عليه قوله : ﴿ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ ﴾ والآيات المذكورة في القرآن توضح هذا المعنى . وقيل : تقديره : لكان هذا القرآن .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٠٩- ١١١) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٣ / ١٤٨) بهذا السياق عن وهب ، ورواه البخاري رقم (٣٠٧٩) عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : " إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها " بدون ذكر طوبى .

(٣) سورة الفرقان ، الآية (٦٠) .

﴿ قَارِعَةٌ ﴾ عقوبة تقرعهم ، كالقتل يوم بدر .

﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ سرايا رسول الله ﷺ .

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ تسليةٌ للنبي ﷺ وتهديدٌ للكفار المستهزئين ، وأكثر ما يجيء الأخذ في القرآن للعقوبة ﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [1] ﴿ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ [2] ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ [3] و﴿ كَانَ ﴾ تامة و﴿ عِقَابِ ﴾ فاعل ، ويجوز أن تكون ناقصة دخلت على ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ و﴿عِقَابِ ﴾ اسم كان ، و﴿ فَكَيْفَ ﴾ الخبر، وجب تقديمه لكونه استفهاماً . ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ كمن ليس كذلك ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي : عينوهم حتى يتبين أنهم لا يصلحون للإلهية . قرئ (وصَدوا ، وَصُدُّوا ، وصِدوا)[4] ومثله في غافر ﴿ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [5] (وصَدَّ وصُدَّ وصِدَّ) .

---

(١) سورة الحاقة ، الآية (١٠) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٩٥) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٤٠) .

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر " وصَدُّوا " ، وقرأ باقي العشرة " وصُدُّوا " وقرأ ابن وثاب " وصِدُّوا " بالكسر . **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٣٩٥) ، الحجة لابن خالويه (ص:٢٠١) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٣٧٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٢٤٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٥٩) ، الكشاف للزمخشري (ص:٢/ ٥٣٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٨) .

(٥) سورة غافر ، الآية (٣٧) وفيها القراءات التي في الرعد ، **وينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٣).

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ صفتها العجيبة الشأن ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ هو كقولك : صفة زيد يعطي المائة من الإبل ويكرم الضيف ﴿ أُكُلُهَا ﴾ ثمرتها لا مقطوعة بالأزمان ، ولا ممنوعة بالأثمان . ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ كعبد الله بن سلام وأمثاله وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ الذين كذبوا رسول الله ﷺ أي: وكما أرسلنا الأنبياء قبلك أنزلنا إليهم الكتب والصحف ، كذلك أنزلنا القرآن حكماً عربيًّا .

سمى أديانهم أهواءً ؛ لأنهم كانوا يعبدون صنماً فإذا رأوا غيره أحسن منه عبدوه ، وكانوا يقولون : إن النبي ﷺ كثير التزويج ، وليس له همٌّ إلا في النساء ، فأنزل الله - تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ إلا وكانوا يقترحون عليه نزول آيات ، فأنزل عليه ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (١) في اللوح المحفوظ .

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ مما نسخ تلاوته ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ما لم ينسخه . وقيل : يمحو السيئات بالحسنات ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (٢) ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ (٣) وقيل : يمحو الصغائر باجتنابها ، ويمحو الكبائر بالتوبة ، ولا حاجة إلى هذا ؛ لقوله - تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (٤) والأمر متعلق بالمشيئة وكذلك في هذه الآية ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ولم يعلقه بتوبة ولا باجتناب كبيرة .

﴿ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ اللوح المحفوظ ، كتب فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهو أم الكتاب ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ فترى ما يسُرُّك من عقوبتهم ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٣ / ١٦٩) بنحوه ، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٣٣٤)، والزمخشري في الكشاف (٢ / ٥٣٤) قريبا من ذلك .

(٢) سورة هود ، الآية (١١٤) .

(٣) سورة الرعد ، الآية (٢٢) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١١٦) .

ذلك فلا يعجزوننا ولا يفوتوننا ، وليس عليك إلا البلاغ ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .

﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قيل: هو ما يفتحه الله من بلاد الكفار فتنقص بلادهم ويزداد في بلاد الإسلام ، ويدل عليه في سورة الأنبياء بعد مثل هذه الآية ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ (١) وهذا بعيد لأن النبي ﷺ كان عند نزول هذه السورة المكية لم يفتح عليه شيء من بلاد الكفار. وقيل : يموت علماؤها وهو بعيد ، فأيُّ عالم تنقص الأرض بموته مع حياة رسول الله ؟! وقيل: هو نقص الثمرات بسبب الظلم ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ (٢) ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ يتبعه بالنقض .

﴿ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ أي : يأتي وقت حسابه سريعاً ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾(٣) ﴿ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الجنة ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾ كفى الله .

﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ جبريل . وقيل : مؤمنو أهل الكتاب ، وقرئ ﴿وَمِنْ عِندِهِ عُلِمَ الكتابُ﴾(٤) .

* * *

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٤٤) .

(٢) سورة الروم ، الآية (٤١) .

(٣) سورة النحل ، الآية (٧٧) .

(٤) قرأ بها علي وابن السميقع والحسن وابن عباس ومجاهد وابن جبير. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٠٢) ، تفسير القرطبي (٩/ ٣٣٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٢٤٨) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٩٢) ، المحتسب لابن جني (١/ ٣٥٨) ، مفاتيح الغيب للرازي (١٩/ ٧٠) .

سورة إبراهيم [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾

قوله : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ بأمره ؛ كقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [1] .

من قرأ اسم " الله " بالجر فهو بدل من ﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾ ولا يقف دونها ، ومن رفع [2] فهو مبتدأ خبره ما بعده . ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ﴾ صفة للكافرين ، وعُدِّي ﴿ يَسْتَحِبُّونَ ﴾ بـ "على" ضمنها معنى يؤثرون ؛ كقوله : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [3] ومتى كان موضع الضلال بعيدًا كان الظفر بها أبعد ﴿ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ بلغتهم ﴿ أَنْ أَخْرِجْ ﴾ أي: قائلا ذلك ، أو مقولا له؛ فقائلا (٩٣/أ) لقوله : ﴿ وَذَكِّرْهُم ﴾ ومقولا له لقوله : ﴿ أَخْرِجْ ﴾ ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ لكل مؤمن .

وفي الحديث : " الإيمان نصفان : نصف شكر ونصف صبر " [4] وسببه أن العبد لا يخلو من أن يكون في نعمة أو في شدة ، والمطلوب منه في النعمة الشكر ، وفي الشدة الصبر، وليس

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٤٥) .

(٢) قرأ نافع وابن عامر برفع لفظ الجلالة " اللهُ " ، وقرأ الباقون " اللهِ " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٠٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٢٥٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٦٢)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٣٧) .

(٣) سورة الأعلى ، الآية (١٦) .

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٩٧١٥) عن أنس ﷺ مرفوعا ، وضعفه الشيخ الألباني - رحمه الله - في السلسلة الضعيفة رقم (٦٢٥) .

يعني بالنصف نصفاً مجرداً ، بل المراد : انقسام الإيمان إلى هاتين الجملتين ، فهو كقوله ﷺ: "تعلموا الفرائض فإنها نصف العلم "(١) .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠)﴾

﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يكلفونكم ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ بالواو يدل على أنه أمر زائد على سوء العذاب ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإشارة فيها إلى الإنجاء إن كان المراد بالبلاء النعمة ، وإن كان المراد به النقمة فهو إشارة إلى سوء العذاب والذبح ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ أعلم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ دال على الجزاء المحذوف ، وليس بجزاء ؛ فإن الله غني حميد سواء كفروا أو شكروا ، والتقدير: إن كفرتم لم يعبأ الله بكم ولم تضرُّوه شيئا ، فإنه غني عنكم محمود في السماء والأرض غني عن حمدكم . قال مالك – رحمه الله: " من عدنان كذب النسَّابون " ؛ لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني أن النبي ﷺ مضبوط إلى عدنان . ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي : ردوا أيدي الرسل إلى أفواه الرسل ليسكتوهم ، أو ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم يشيرون بالسكوت ، أو ردوا أيدي أنفسهم إلى أفواه أنفسهم ، كحال من عليه الضحك ، يستهزئون بما قالت الرسل ، أو ردوا أيدي أنفسهم إلى أفواه الرسل ، ولا يجيء الرابع ، وهو ردوا أيدي الرسل إلى أفواه الكافرين وفيه قول آخر : أن المراد بالأيدي النعم ، أي : فردوا نعم الله ، ويبعده قوله : ﴿فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أكدوا كفرهم بـ " إنَّ " وَقَالُوا : ﴿ إِنَّا

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٧١٩) ، والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٣٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦ / ٢٠٩)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف ابن ماجه رقم (٥٩٤) .

كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ وهم لم يؤمنوا بأنهم مرسلون ، ولكنه كقول فرعون : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ مُرِيبٍ ﴾ يدل على أن الريب غير الشك ، وأن الشك يوقع في الريب ، وهو القلق والاضطراب . قوله : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ صفة لله ، وقد فصل بين الصفة والموصوف بالمبتدأ ، وقوله : ﴿ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ يجوز أن يكون اسم كان ضمير شأن مستقر فيها ، ولا يجوز أن يكون ﴿ يَعْبُدُ ﴾ خبراً مقدماً و﴿ ءَابَآؤُنَا ﴾ اسمها ؛ لأنه يلزم منه أن يكون في الفعل ضمير جمع ، ولا يصح أن يقال : عما كان آباؤنا يعبد.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا
كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا
نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ
إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ
مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ
بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ
بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم
مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ
صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ
وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى
وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ
أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

السلطان : الحجة . ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ فيصطفي من الملائكة رسلا

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٢٧) .

ومن الناس ﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم ﴾ بآية تقترحونها ﴿ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ أبلغ من ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ لأنه أمر من دخل في حيز المؤمن أن يدوم على التوكل ويستمر عليه ؛ كقوله : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾[1] أقسموا ليكونن أحد أمرين ؛ إما الرجوع إلى دين الكفار وإما الإخراج .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الوعد بإهلاك الظالمين وإسكان المظلومين الأرض بعدهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الوعد ﴿ لِمَنۡ خَافَ ﴾ مقامه بين يدي ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ ﴾ واستنصروا ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ ﴾ أي : أمامه ؛ كقوله بعدها : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ وكقوله : ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾[2] أي : أمامهم، وقول الشاعر [من الوافر] :

عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيهِ يكونُ وراءَهُ فرجٌ قريبُ[3]

أي : بعده ﴿ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٍ ﴾ ريحه . الضمير في ﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ ﴾ يعود على ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ ﴾ أي: بسبب إقامة الحق . ﴿ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٍ جَدِيدٍ ﴾ أطوع له منكم ﴿ وَبَرَزُواْ ﴾ صاروا في أرض الموقف ، وهو براز ليس فيها جبل ولا جدار ولا حائل ، فقالت الأتباع لكبرائهم ﴿ تَبَعًا ﴾ جمع تابع ، كخدم في جمع خادم ، أو ذوي تبع إن كان مصدراً ، والمحيص : موضع الفرار والمهرب . ويروى أن إبليس ينصب له منبر من نار في جهنم فيقول ما قصه الله . ﴿ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ لما استقر أهل النار في النار ﴿ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ ﴾ من إضافة الشيء إلى صفته ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن دعاءه إياهم ليس بسلطان عليهم . قرئ ﴿بِمُصۡرِخِيِّ ﴾ بكسر الياء[4] وهي لغة قليلة .

---

(١) سورة هود ، الآية (١١٢) .

(٢) سورة الكهف ، الآية (٧٩) .

(٣) البيت لهدبة بن الخشرم ، **ينظر في** : أسرار العربية لابن الأنباري (ص : ١٢٨) ، خزانة الأدب للبغدادي (٩ / ٣٢٨) ، شرح أبيات سيبويه (١ / ١٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٤٦)، مغني اللبيب لابن هشام (١ / ٢٥٥) همع الهوامع للسيوطي (١ / ٤١٧) .

(٤) قرأ " بمصرخيِّ " حمزة من العشرة ، وقرأ باقي العشرة " بمصرخيَّ " . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤١٩) ، الحجة لابن خالويه (ص:٢٠٣) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٣٧٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٢٦١) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٧٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٨، ٢٩٩) .

﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١) ﴾

﴿ تَحِيَّتُهُمْ ﴾ مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، أي : يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ويجوز أن يضاف إلى المفعول ، أي : يحيون بالسلام إمَّا من بعضهم بعضا ، وإما من الملائكة ؛ لقوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [(١)] وإمَّا من الله – عز وجل ؛ لقوله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[(٢)].

﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ هي النخلة . وقيل : شجرة في الجنة . وقيل : شجرة مفروضة كذلك . ﴿ أُكُلَهَا ﴾ ثمرتها ﴿ كُلَّ حِينٍ ﴾ كقوله : ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [(٣)] ﴿ اجْتُثَّتْ ﴾ قطعت من أصلها . ﴿ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ بلا إله إلا الله . قيل : تثبيتهم في الحياة الدنيا استمرارهم على التوحيد مُدَّة العمر . وقيل: في القبر ، والحياة القربى مدة البرزخ . (٩٤/أ)

﴿ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ ببعثة الرسل تكذيبا وجحوداً . و﴿ الْبَوَارِ ﴾ الهلاك .

قوله : ﴿ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ حذفت النون بلام أمر مقدرة ، أي : ليقيموا الصلاة ؛ كقول الشاعر [من الوافر] :

مُحَمَّدُ تفدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ [(٤)]

---

(١) سورة الرعد ، الآية (٢٣) .

(٢) سورة يس ، الآية (٥٨) .

(٣) سورة الواقعة ، الآية (٣٣) .

(٤) هذا صدر بيت للأعشى أو لحسان بن ثابت أو لأبي طالب .

ينظر في : الدر المصون (٤ / ٢٦٩) ، شرح التسهيل لابن مالك (٤ / ٦٠) ، شرح شواهد المغني (١/ ٥٩٧) ، الكتاب لسيبويه (٣ / ٦٢٩) .

ولكنه فيما جاء في الكتاب العزيز أبين ؛ لأنه لم يأت حذف النون وإرادة لام مقدّرة إلا في ثلاثة مواضع ، هذا وقوله في " سبحان " : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (١) ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ (٢) و﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فلا ينتظم معنى الشرط فيه ، فجوابه: أن الأمر في هذه المواضع الثلاثة تعلق بقوم من أهل الخير والصلاح ، فإن إضافة العباد إليه يدل على ذلك ، وكذلك وصف المقول لهم بأنهم يؤمنون ﴿ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ ﴾ فنشتري ما يسر ، ونجتنب ما يضر. ولا مخالة تنفع إلا مخالة المتقين ، ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ رِزۡقٗا ﴾ يجوز أن يكون " رزقاً " مصدراً ، على أن يكون قوله : ﴿ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ سدَّ مسدَّ الخبر ، كأنه قال: فأخرج به بعض الثمرات لكي يرزقكم ، فيكون على هذا معمولاً لقوله : ﴿ رِزۡقٗا ﴾.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ جعل التسخير للفلك ، وقال في أخرى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ (٤) ثم قال: ﴿ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ (٥) والتسخير شامل لهما. ﴿دَآئِبَيۡنِ﴾ مستمرين. قرئ ﴿ مِّن كُلِّ﴾ بالتنوين(٦) و﴿ مَا﴾ على هذا نافية،

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٥٣) .

(٢) سورة النور ، الآية (٣٠) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية (٦٧) .

(٤) سورة الجاثية ، الآية (١٢) .

(٥) سورة النحل ، الآية (١٤) .

(٦) قرأ بها ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة . **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٢٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٢٧٢) ، فتح القدير للشوكاني (٣ / ١١٠) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٧٩) ، المحتسب لابن جني (١ / ٣٦٣) .

وعلى المشهور هي موصولة . قيل : إن إبراهيم مرَّ على مكة ولم تكن محل قرار لأحد ، فدعا الله بأن تكون بلداً، وتكون محرَّماً ، ثم مرَّ بها وهي بلدٌ فقال : ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ (١) فدعا لها بالأمن بعد أن صارت بلداً . وقيل : إنه دعا في الموضعين بعد كونها بلداً ، ولهذا لمن رزق ولداً فلك أن تقول له : اللهم اجعله ولداً مباركاً.

﴿ أَضۡلَلۡنَ ﴾ نسب الإضلال إلى الصنم وهو لم يفعل شيئاً من الإضلال ، لكن كان وجوده سبباً فيه. ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ أي : محسوب من جماعتي، فهو كالجزء مني ، وقال ﷺ: " من غشنا فليس منا " (٢) وقال الشاعر [من الوافر] :

فَإِنِّي لستُ منكَ ولسْتَ مني (٣)

﴿ وَمَنۡ عَصَانِي ﴾ مع كونه موافقا لي في الدين فاغفر له وكان ذلك قبل نهيه عن الاستغفار للكفار. ﴿ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ يؤيدُ قول النبي ﷺ : " اللهم إن إبراهيم حرم مكة (٩٤ / ب) وإني حرمت المدينة بما حرم به إبراهيم مكة " (٤).

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾﴾

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٢٦) .

(٢) رواه مسلم رقم (١٠١) ، وابن ماجه رقم (٢٥٧٥) بهذا اللفظ ، ورواه مسلم رقم (١٠٢)، وأبو داود رقم (٣٤٢٥) ، والترمذي رقم (١٣١٥) ، وابن ماجه رقم (٢٢٢٤) بلفظ : " من غش فليس منا " . واللفظان عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران ، الآية (٣٤) .

(٤) رواه مسلم رقم (١٣٧٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

﴿ فَٱجْعَلْ ﴾ قلوب الناس ﴿ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ مسرعة . ﴿ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ﴾ من الوجد بالولد إسماعيل وتخليته بوادٍ غير ذي زرع .

﴿ عَلَى ٱلْكِبَرِ ﴾ في موضع الحال . ﴿ ٱلدُّعَآءِ ﴾ عبادة تقبل ويثاب عليها وذلك أمر زائد على كون الدعاء مستجاباً ، فدعا إبراهيم بأن يكون دعاؤه مقبولاً عند الله مثابا عليه ، واستغفر لأبيه قبل النهي وقد سبق الاعتذار عنه في سورة التوبة [١] . يوم يقوم الناس للحساب .

وقيل: يقال: قامت السوق إذا كثر البيع والشراء . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ ﴾ يأيها المخاطب بهذا الكلام، وهو كل سامع ، فإن رسول الله ﷺ لا يحسب الله غافلاً وهو كقول الخطيب : " ابنَ آدمَ عندك ما يكفيك وتطلب ما يطغيك " [٢] . وقيل : لا يلزم من النهي عن الشيء كونه فعل ؛ كقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [٣] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [٤] ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين ﴿مُقْنِعِى﴾ رافعين ﴿ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ محدقين لما يرون ، كما قال : ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [٥] أي : نظرك حادٌّ محدق . ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي : خالية ، كما قال حسان [من المتقارب] :

فأنتَ مجوفٌ نَخِبٌ هواءُ [٦]

ولا يراد به الذي يهُبُّ ، فإنه إنما يسمى ريحاً ، ولا يقال : هواء .

---

(١) في سورة التوبة ، الآية (١١٤) .

(٢) تقدم تخريجه في سورة يونس ، الآية (٩٤) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٣٢) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (١٥١) .

(٥) سورة ق ، الآية (٢٢) .

(٦) هذا عجز بيت لحسان يهجو أبا سفيان قبل إسلامه ، وصدره :

ألا أبلغ أبا سفيان عني ....

ينظر في : تاج العروس للزبيدي (جوف) ، تفسير القرطبي (٩ / ٣٢١) ، العين للخليل (٤/ ١٠٤)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٦٣) ، لسان العرب (جوف – هوا) ومجوف ونخب وهواء: خالي الجوف ، أو فارغ القلب من العقل والشجاعة .

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ ﴾ مفعول بـ ﴿ وَأَنذِرِ ﴾ ولا يجوز أن يكون ظرفاً ؛ لفساد المعنى . ﴿ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾[١] ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى ﴾ بعض بلاد ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ من الكفار حتى يجمع بينه وبين قوله : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾[٢] ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ ﴾ اللائق بمثلهم . ﴿ وَعِندَ ٱللَّهِ ﴾ جزاء ﴿ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ ﴾ قرئ بكسر لام كي وفتح لام الفعل ، وقرئ بفتح اللام الأول، وتكون هي الفارقة ، ورفع لام الفعل[٣]. وقيل في ﴿ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ : إنه من باب المقلوب ، وتقديره : مخلف رسله وعده ، وهذا ليس بمقلوب ، وهو مثل قول الشاعر [من الطويل] :

ترى الثورَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأسَهُ وسائرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أجمعُ[٤]

إنما المقلوب في المركبات كقوله : ﴿ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾[٥] لتنهض بالمفاتح ، ومعنى قوله (٩٥ /أ) ناء بالحِمْلِ ، أي : نهض مائلاً إلى أحد شقيه ، ومثله قوله - تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِۦ ﴾ على قراءة من قرأ كذلك[٦].

---

(١) سورة النحل ، الآية (٣٨) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٥٢) .

(٣) قرأ الكسائي " لَتَزُلّ " ، وقرأ باقي العشرة " لِتَزولَ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٣٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٠٣) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٧٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٢٧٩) السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٨٣) ، المحتسب لابن الجزري (١ / ٣٦٥) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٠٠) .

(٤) **ينظر** البيت بلا نسبة في: أمالي المرتضي (١ / ٢١٦) ، خزانة الأدب للبغدادي (٤/ ٢٣٥)، الدرر اللوامع (٢ / ١٥٦) ، شرح أبيات سيبويه (١/ ١٩٢) ، الكتاب لسيبويه (١/ ١٨١).

(٥) سورة القصص ، الآية (٧٦) .

(٦) سورة الإسراء ، الآية (٨٣) وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر وأبي جعفر " وناء " ، =

والمقلوب في المفردات كقولهم : شاكِ السلاح ، بمعنى : شائك ، وجرف هارٍ، بمعنى: هائر. ومن المركب قولهم : أدخلت الخاتم في إصبعي .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني : تبدل صفاتها فتدك جبالها ويسوى منخفضها بالمرتفع حتى تكون ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [1] ومنه قولهم: ذهب بوجه وجاء بوجه غير الذي ذهب به ، ومنه : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[2] على أحد القولين. وقيل : هو تبديل على الحقيقة ، يخلق الله أرضاً غير هذه الأرض لم يعص الله عليها قط. ﴿ ٱلْأَصْفَادِ ﴾ القيود . والقطران إذا أحرق بالنار كان شديد الحر كثير النتن فيعظم بسببه العذاب .

قيل : لكل كتابٍ عنوان ، وعنوان هذا الكتاب العزيز : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .

* * *

= وقرأ جمهور القراء " ونأى ". **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٧٥) ، حجة ابن خالويه (ص:٢٢٠)، حجة أبي زرعة (ص : ٤٠٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٨٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٤٦٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٠٨) .

(١) سورة طه ، الآيتان (١٠٦ ، ١٠٧) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٥٦) .

سورة الحجر [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ
﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا
وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ
عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

قيل : إن ﴿ رُبَ ﴾ إذا كفت بـ ﴿ مَا ﴾ تصير للتكثير بدليل هذه الآية ، فإن الكفار كلهم يتمنون لو كانوا مسلمين ومنه قول الشاعر [من المديد] :

رُبَّمَا أَشْرَفْتُ في عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ ثَوبي شَمَالاتُ[(١)]

والأكثرون على أنها باقية للتقليل ، وفيها لغات : تخفيف الباء ، وتشديدها ، ولحوق التاء بعد الباء ، وحذفها .

قيل : إن ﴿ لَوْ ﴾ بمعنى (أن) ؛ كقوله : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ ﴾[(٢)] ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ أمر تهديد؛ كقوله: ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا ﴾[(٣)] ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾[(٤)] ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ سوء عاقبة ذلك. ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ ﴾ أي: أجل كتب في اللوح المحفوظ . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ بزعمه (لَوْلا) هلا ﴿ تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ يشهدون بصحة دعواك . ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ بعد تكذيبهم بالرسل إلا بالعذاب .

تولى الله حفظ الكتاب بقوله : ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ فحفظ من التبديل والتغيير ، ووكّل

---

(١) البيت لجذيمة الأبرش ، ينظر في : الأزهية في الحروف للهروي (ص : ٩٤) ، الأغاني للأصفهاني (١٥/ ٢٥٧) ، خزانة الأدب للبغدادي (١١/ ٤٠٤) ، الكتاب لسيبويه (٣/ ٥١٨) ، مغني اللبيب (١/ ٢٢٤) ، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ٣٨٨) ويروى : ربما أوفيت ، وهي بمعنى : أشرفت ، وعلم : جبل ، والشمالات : جمع الشمال وهي الريح التي تهب من الشمال .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٦٦) .

(٣) سورة المرسلات ، الآية (٤٦) .

(٤) سورة فصلت ، الآية (٤٠) .

حفظ التوراة إلى الأحبار بقوله : ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ (١) فضاع وبُدِّل .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾

الشيع : الجماعات . ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ ﴾ أي : ندخله . (٩٥ / أ) ﴿ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ مكذبا مستهزءًا به . ﴿ وَقَدْ ﴾ مضت عادة الله في إهلاك المكذبين . فتح الباب من السماء آية تشاهد بالبصر. وقوله : ﴿ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ جمع بين حسِّ اللمس وحسِّ البصر.

﴿ سُكِّرَتْ ﴾ سُدّت . قيل : البروج : القصور ؛ كقوله : ﴿ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (٢) وقيل: هي البروج الاثنا عشر : الحمل والثور... إلى آخرها(٣).

﴿ وَزَيَّنَّـٰهَا ﴾ أي : السماء ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾ استثناء منقطعٌ . والشهاب : شعلة نارٍ تخرج من الكوكب ، والكوكب باقٍ ، وإلا لفنيت الكواكب على زمان طول الرجم .

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ بعد خلق السماء ؛ لقوله : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ (٤) أي : بسطها.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٤٤) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٧٨) .

(٣) **وأسماؤها** : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . **ينظر** : عمدة القاري للعيني (١٩ / ٨) .

(٤) سورة النازعات ، الآية (٣٠) .

مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ له قدر ووزن ، ولا يعطف ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ ﴾ على قوله ﴿ لَكُمْ ﴾ لأن المضمر المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة حرف الجر إلا في لغة قليلة ، كقوله [من البسيط] :

فما بكَ والأيامِ من عجبِ[1]

ولكن التقدير هنا: ومن لستم له برازقين كذلك .

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ ﴾ إلا في تصرفنا وقبضتنا ، فعبر عن ذلك بكونه في الخزائن عنده ، وفي موضع آخر عبَّر عنه بكون مفاتح تلك الخزائن بيده بقوله : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾[2] ﴿ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[3] . ﴿ الرِّيَاحَ ﴾ لاقحة للشجر منشئة لسحب المطر .

أسقى بالهمز : جعله سقيا لأرضه وزرعه . وسقاه ماءً : أعطاه شيئا شربه .

المستقدمين والمستأخرين : الأمم الخالية كلهم ، من سبق ومن لحق . وقيل : المستقدمون في الحرب ، والمتأخرون ، وهو بعيد ؛ لأن سورة الحجر مكيّة ، ولم يكن ثمّ قتال .

قيل : الصلصال الذي له صوت . وقيل : هو من صلّ اللحم ، إذا أنتن . فخلقه من طين منتن . والحمأ : الطين الذي في قعر الماء . ﴿ مَّسْنُونٍ ﴾ متغير ، أسن الماء إذا تغيّر . وقيل : مسنون : مصبوب . وفي الحديث عن عمرو بن العاص : " فإذا أنا مِتُّ فسُنُّوا عليَّ التراب سَنًّا "[4] .

واذكر إذ قال ربك ﴿ فَقَعُوا لَهُ ﴾ أي : فبادروا إلى السجود مسرعين ، كالذي يُلقَ من مكان ومثله: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾[5] ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾[6] ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾[7] .

---

(١) تقدم تخريجه في سورة النساء ، الآية (١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٥٩) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٦٣) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٤ / ١٩٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤ / ٥٦) .

(٥) سورة الشعراء ، الآية (٤٦) .

(٦) سورة يوسف ، الآية (١٠٠) .

(٧) سورة الإسراء ، الآية (١٠٩) .

قيل : كان إبليس من الملائكة ، وكونه من الجن لا ينافي ذلك ، إما أنه من خُزَّانِ الجِنان كان ، أو لاستتارهم عن الأبصار . وقيل : لم يكن من الجن ؛ لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ (٩٦ / أ) الآيتين[١] . تبرأت الملائكة ونسبوا الفعل إلى الجن ، فلو كانت الملائكة جنًّا لقال : فهم منكم . وإنما عتب إبليس والأمر للملائكة لأنه كان مغمورًا في زمرتهم، فغلب اسمهم عليه . وقيل : إنه لم يؤمر بالسجود لآدم كلُّ الملائكة، بل الملائكة المقربون لم يؤمروا بذلك ؛ لقوله : ﴿ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ [٢] بتقديم المجرور الدال على الاختصاص ، ويقوي ذلك قوله - تعالى : ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [٣] أي : من الملائكة الذين رفع قدرهم عن أن يسجدوا لغير الله ، وهذا بعيد ؛ لقوله : ﴿ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [٤] فجعل إبليس مأموراً وعمم بقوله : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ عدل عن الجواب إلى قوله : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ بيّن بذلك علة الامتناع ، وكان القياس في الجواب : إن الفاضل لا ينبغي أن يسجد للمفضول ، وأنا أفضل منه فلا أسجد له.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن
صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ
﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ
﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ
مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ من سماء الدنيا إلى الأرض . وقيل : من الجنة .

﴿ رَجِيمٌ ﴾ مرجوم بالشهب . وقيل : مرجوم بمعنى مطرود ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ سأل الخبيث ألا يموت؛ لأنه لا يبقى بعد نفخة البعث موت لأحدٍ ، فأجيب بالنظرة إلى وقت

---

(١) سورة سبأ ، الآيتان (٤٠ ، ٤١) والآية الثانية : ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾.

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٢٠٦) .

(٣) سورة ص ، الآية (٧٥) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (١٢) .

النفخة ليموت مع من يموت بها . ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ فيه ردٌّ على من زعم أنه إذا جاء الوصف بجملة ومفرد قدم الوصف بالمفرد على الجملة ، وهاهنا قد قدَّم ﴿ مِنْهُمُ ﴾ على قوله : ﴿ الْمُخْلَصِينَ ﴾ و﴿الْمُخْلَصِينَ ﴾ مفرد صفة لـ ﴿ عِبَادَكَ ﴾ و﴿ مِنْهُمُ ﴾ وإن لم يكن صفة فهي حال معناها معنى الوصف ، ويرد عليه قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ ﴾ (٢) .

﴿ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ قيل : إنه استثناء منقطع ؛ لأن إضافة العباد إلى الله تدل على اختصاصهم بخدمته ، فلا يدخل فيه الغاوون ، وإن كان متصلاً ففيه استثناء الكثير وإبقاء القليل ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾(٤) ﴿ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ لموعد الغاوين .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَٰكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَٰنِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا الضَّآلُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَٰبِرِينَ (٦٠) فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَآءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوٓا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَٰلَمِينَ (٧٠) قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (٧١) ﴾

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٩٢) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٥٤) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (١٠٣) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (١٧) .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ لأنهم ليسوا في نفس العيون . ﴿ بِسَلَٰمٍ ﴾ أي : بسلامة، أو يجيون على الواحد والجمع ، ومنه ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ (١).

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى ﴾ (٢) ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ (٣) قال أصحاب علم البيان : سلام إبراهيم كان أبلغ من سلام الملائكة ؛ لأن سلام الملائكة جاء بنصب سلام على المصدر (٩٦ /ب) التقدير: سلمنا سلاماً . والفعل يدل على التجدد والحدوث ، وسلام إبراهيم دالٌّ على الثبوت .

تقول للزرع في مبدأه : هذا الزرع يطول وطال ، فإذا تكامل طوله قلت : زرعٌ طويلٌ ، ولا تقول: يطول . ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ خافهم لَّما قدَّم إليهم الطعام فرأى أيديهم لا تصل إليه . وقربه منهم إرادة عذر ﴿ عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ﴾ حال ؛ كقوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾(٤) ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ بأي شيء تقع هذه البشارة بما يستحيل عادة !

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ فما أمركم المهم الذي هو خطب . قوله : ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ مستثنى من قوله: ﴿ مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ استثناء ثانٍ من المستثنى منه الأول ، وهم آل لوطٍ ، ولما كانت الأمور العظيمة تجري على أيدي الملائكة نسب إليهم في قوله : ﴿ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ والمقدِّر هو الله . ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ لا نعرفكم في هذا الإقليم .

﴿ يَمْتَرُونَ ﴾ يشكون . ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ ﴾ بالبشارة الحق . ﴿ بِقِطْعٍ ﴾ بجانب من الليل . ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾ وكن على ساقتهم ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ لئلا يرى ما يهوله من عذاب الله ، ولأن الله أمره بالتقدم ، والالتفات مخالف لما أمر به . وقوله : ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ تفسير لقوله : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ بحصول أضياف حسانِ الصور.

قيل : أراد بناتي لصلبي تتزوجوهن ، وكان يجوز تزويج المسلمة للكافر ، كما زوج النبي

---

(١) سورة الذاريات ، الآية (٢٤) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٦٨) .

(٣) سورة هود ، الآية (٦٩) .

(٤) سورة الرعد ، الآية (٦) .

ﷺ ابنته زينب لأبي العاص بن الرَّبيع ، وهو كافر. وقيل : أراد بقوله : ﴿ بَنَاتِيٓ ﴾ نساء أمته؛ لأن النبي لأمته كالوالد . وقرئ " وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وهو أب لهم "(١) .

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾

﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ قسم بحياة لوط . وقيل : بحياة النبي محمد ﷺ . ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس . ﴿ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ المتبصرين . ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ وإن قرى قوم لوط لعلى طريقهم في الأسفار . وقيل : إن عقوبة مَنْ فَعَلَ فِعْلَ قوم لوطٍ أن يعاقب بمثل ما عوقبوا به . قال بعضهم : يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة . قيل : ﴿ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ الشجر . وقيل : هو نوع مخصوص من الشجر، وكان شعيب عليه السلام قد بعث إلى أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة ، وشعيب من أهل مدين فقال : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ وقال : (٩٧ / أ) ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ولم يقل: أخوهم . وأهلك الله أصحاب مدين بالصيحة ، وأهلك أصحاب الأيكة بأن سلط عليهم حرًّا شديداً لا يدفعه لباس ولا بناء ، فخرجوا إلى البرية فأظلتهم غمامة فاجتمعوا في ظلها يرجون برد ظلها ، فأمطرت عليهم ناراً ، وهو عذاب يوم الظلة ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ وإن المؤتفكات وأصحاب الأيكة ﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ لبطريق واضح . ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ ثمود .

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يعني الناقة وفصيلها وشربها . وقيل : كانوا طوال الأعمار فلا تبقى الدار مدة عمر أحدهم ، فكانوا ينحتون من الجبال بيوتا ؛ لطول بقاء بيوت الجبال . ﴿ءَامِنِينَ ﴾ من سقوطها عليهم بإتقانها وإحكامها . وقيل : آمنين من عذاب الله - عز

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٦) وتقدم تخريجها في سورة هود ، الآية (٧٨) .

وجل- غير خائفين منه ولا مترقبين له. ﴿ مَا ﴾ في ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ ﴾ يجوز أن تكون نافية ، وأن تكون استفهامية بمعنى الإنكار. ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بسبب إقامة الحق .

﴿ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ الذي ليس معه عيب ولا إعراض . ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ قيل : هو القرآن كله لتضمنه الثناء على الله بما هو أهله ، أو لأنه تُثّيتَ فيه القصص والأمثال والأحكام ويدل على أن المراد الكتاب كله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾(١).

وقيل : هي السبع الطوال : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وفي السابعة وجهان : أحدهما : أنها يونس . والثاني : أنهما الأنفال وبراءة وهما كالسورة الواحدة ، ولم يفصل بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم) . وقيل : هي الفاتحة ، سبع آيات فيها الثناء على الله – عز وجل- وجاء في الحديث في وصف الفاتحة : " هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته "(٢) وأما الواو في قوله : ﴿ وَٱلْقُرْءَانَ ﴾ فعلى الأول يكون من عطف الشيء على نفسه؛ كقوله – تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً ﴾(٣).

وعلى الثاني عطف الكل على البعض ؛ كقوله – تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾(٤) وكذلك على الثالث .

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ
(٨٨) وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ (٨٩) كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ
عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٣) فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ (٩٥) ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
(٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ
(٩٨) وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ (٩٩)﴾

---

(١) سورة الزمر، الآية (٢٣) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٧، ٤١٢) ، والترمذي رقم (٢٨٧٥) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٨٦١) وأبو يعلى في مسنده رقم (٦٤٨٢) ، من حديث أبي بن كعب . قال الترمذي: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٣٠٧) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٤٨) .

(٤) سورة التحريم ، الآية (٤) .

﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ نظر ﴿عَيْنَيْكَ﴾ . ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ، وألن جانبك للمؤمنين ، وحذّر الكافرين عذاباً مثل عذاب المقتسمين . وكان كفار قريش قد اقتسموا شعاب مكة في الموسم ويقولون لكل من جاء : لا تقرب هذا الرجل ، يعنون محمداً ﷺ (٩٧ / ب) فإنه كذاب أو مجنون أو ساحر، ولم يتركوا طريقا إلى مكة إلا جلسوا عليه ليصدوا عن النبي ﷺ ، فأهلكهم الله بعذاب من عنده .

﴿عِضِينَ﴾ جمع بالواو والنون جمع تعويض ، وأصله : عضة ، والعضهة والعضيهة: الكذب . وقيل : عَضَوا القرآن عضة : جزؤوه أجزاء ، فكان يقول أحدهم : لي سورة العنكبوت ، ويقول الآخر: لي سورة البقرة ، ويقول الآخر: لي سورة الشعراء ، استهزاء منهم بالقرآن ، فجعلوه أجزاءً وأعضاء[1] . ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أبلغه جهراً .

روي أن أعرابيًا سمع هذه الآية فسجد ، فقيل له في ذلك فقال : سجدت لفصاحة قائل هذا الكلام . والمستهزئون جماعة أغراهم الإمهال بالاستهزاء بالنبي ﷺ فعوقب كل واحد منهم بعقوبة كفى الله النبي ﷺ شرَّهم بها .

قوله : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ تسلية للنبي ﷺ، وهو كقول الملك لمن بعثه في مهمة: بلغني اجتهادك وجميل سعيك ، فلا يشك السامع بأنه يكافئه على ذلك . ﴿ٱلْيَقِينُ﴾ الموت .

* * *

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٤ / ٦٢) عن عكرمة .

سورة النحل [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) ﴾

وتُسَمَّى سورة النعم ، ويروى أنه لما نزل ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ وثب النبي ﷺ وجماعة من الصحابة ، وظنوا أن القيامة قد أتت حتى نزل قوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فسكن ما بهم [(١)] . والهاء في ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ تعود على الأمر، أو على اسم الله ، والمعنى يختلف ، فالأول تقديره: لا تستعجلوه بالعذاب . والثاني : لا تطلبوا من الله العجلة ، والهاء في ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ في موضع جرٍّ ؛ لأنه لو ظهر لكان مجروراً ؛ لقوله : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ ﴾ [(٢)] ولو ظهر وكان مجرورًا ففي تقديره قولان : أحدهما : تنزَّه اللهُ ، فيكون فاعلاً مرفوعاً ؛ لأنه عطف عليه ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ وهو فعل ماضٍ . والثاني: نصب ، تقديره: نزهت اللهَ، وأصل المتنزه: المكان البعيد المنفسَحُ . وقوله ﷺ: " تنزهوا من البول " [(٣)] أي : تباعدوا منه . و﴿مَّا﴾ في ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ مصدرية ، ويستغنى بذلك عن الإضمار ، فإنك إذا جعلتها موصولة كان التقدير: وتعالى عن مشابهة ما يشركونه به. سمَّى الله القرآنَ رُوحاً هاهنا وفي قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [(٤)] (٩٨ / أ) . وفي سورة غافر ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [(٥)] لأن به حياة القلوب ، كما أن بالروح حياة الجسد. ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٠٧) ونسبه لابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عليهما .

(٢) سورة القصص ، الآية (٦٨) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢ / ٣٢٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩) ، وابن ماجه رقم (٣٤٨) ، والحاكم في المستدرك (١ / ١٨٣) عن أبي هريرة ﷺ . وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (١/ ٣١٠) رقم (٢٨٠) .

(٤) سورة الشورى ، الآية (٥٢) .

(٥) سورة غافر ، الآية (١٥) .

أي أنذروا .

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يستنكف من استصحابها في ثوب أو جسد ، ففاجأ بكونه خصيماً شديد الخصومة . و﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ ﴾ هي الإبل والبقر والغنم ، ومما تفرد به هذا الاسم أنك إن أفردته فقلت : النَّعَم كانت إبلاً محضة ، وإن جمعته فقلت : أنعام . كان إبلاً وبقراً وغنماً. ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ بأصوافها وأوبارها وأشعارها يصنع منها ما يستدفأ به . ﴿وَمَنَٰفِعُ ﴾ سوى الاستدفاء من وقاية حرِّ الشمس . ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: من لحومها ، ويجوز أن يراد ومن أجرتها إذا أوجرت ، وألبانها إذا حلبت ، وأصوافها وأشعارها إذا نسجت ، مأكلة لكم تجدون منها القوت ، كقولك : أنا إنما آكل من هذه الدار ، أي: من أجرتها. إذا جاءت النعم من المرعى يفتخر أهلها بها يقولون : هذه نعم بني فلان ، وقدّم وقت الإراحة ؛ لأنها تعود حُفَّلاً[1] باللبن ، فالجمال بها أكثر من وقت خروجها للمرعى محلوبة .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

حذف مفعول ﴿ تُرِيحُونَ ﴾ و﴿تَسْرَحُونَ﴾ لدلالة الكلام عليه ، وهو دليل على أن يقال : سرحت النعم . مخففا ، بمعنى سرحتها . ﴿ لَّمْ تَكُونُوا بَٰلِغِيهِ ﴾ لو لم يكن لكم أنعام إلا بمشقة شديدة . ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ خلق هذه الأنعام وهيأها لمصالحكم .

﴿ وَٱلْخَيْلَ ﴾ معطوف على ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ ﴾ وقد احتج به من زعم أن الخيل لا يؤكل لحمها ، ولا حجة فيه ؛ لأن لفظ الآية لا يدل على تحريم ولا تحليل [2] .

وشرط المفعول من أجله أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل ، فإن لم يكن كذلك وجبت اللام فلما كان الركوب فعلاً لغير الخالق أتى فيه باللام في قوله: ﴿ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ ولما كانت الزينة من فعل الله الذي خلق لم يأت باللام[3] ومثله قوله - تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ

---

(١) **حفل** : جمع حافل : أي ممتلئ لبنا . **ينظر** : لسان العرب (حفل) .

(٢) **ينظر** : بداية المجتهد لابن رشد (١ / ٦٥٥) ، بدائع الصنائع للكاساني (٤ / ١٤٩) .

(٣) المفعول له ويسمى المفعول لأجله ومن أجله وهو كل مصدر معلل لحدث مشارك له في الزمان والفاعل وذلك كقوله - تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ فالحذر مصدر=

لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ ﴾ [(١)] والتذكرة من فعل الله ، والشقاوة من فعل الخلق .

﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ قيل في تفسيره أقاويل باطلة ؛ لقوله : ﴿ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ فلو صحَّ تفسيره بشيء لكان معلوماً ، وفي المثل : " إذا استأثر الله بشيء فاله عنه " [(٢)].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي: الطريق القصد الموصلة إليه ، ومن الطرق ﴿ جَآئِرٞ ﴾ عادل عن السبيل الحق ضالٌّ ﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ترعاه السائمة من النعم ، تقول : أسمت النعم ، إذا أرسلتها في المرعى المباحة (٩٨ / ب) ومنه قوله ﷺ: " في سائمة النعم الزكاة " [(٣)] وهي مأخوذة من السَّومة ، وهي العلامة إذا أطلقت

= منصوب ذكر علة لجعل الأصابع في الآذان ، وزمنه وزمن الجعل واحد ، وفاعلهما أيضا واحد وهم الكافرون ، فلما استوفيت هذه الشروط انتصب ، فلو فقد المعلل شرطا من هذه الشروط وجب جره بلام التعليل . وقال ابن خروف : لا يشترط اتحاد فاعلي الفعل والمصدر المعلل . فلما اختلف الفاعل خفض باللام في قوله - تعالى - هنا: ﴿لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ﴾ فإن " تركبوها " بتقدير لأن تركبوها ، وهو علة لخلق الخيل والبغال والحمير ، وجيء به مقرونا باللام ؛ لاختلاف الفاعل لأن فاعل الخلق هو الله – سبحانه وتعالى – وفاعل الركوب بنو آدم وجيء بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَزِينَةٗ﴾ منصوبا ؛ لأن فاعل الخلق والتزيين هو الله – تعالى .

ينظر تفصيل ذلك في : أوضح المسالك لابن هشام (٢ / ٢٢٥) ، شرح قطر الندى لابن هشام (١/ ٢٢٦) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٧٣٠).

(١) سورة طه ، الآيتان (٢، ٣) .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف ، الآية (٨٤) .

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ١١، ١٢) ، وأبو داود رقم (١٥٦٧) ، والنسائي (١ / ٣٦٦) ،=

الإبل للرعي فيها صارت مواضع الرعي علامة أو كالعلامة، ولما كانت النخل ينتفع طلعاً أبيض ، وبلحا أخضر ، وبسراً أصفر وأحمر ، ومطرفا وتمراً ورطباً ، أتى باسم النخل ، ولما كان أكثر منافع الزيتون والعنب إنما هو ثمرتها على حالة واحدة - سُمي شجرها باسم الثمرة ، وإن انتفع بالحصرم من العنب ، وهو انتفاع يسير بالنسبة إلى ثمرة العنب فلذلك سمّي شجرتهما باسم ثمرتهما .

وقوله : ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ يجوز أن ينوب مناب المفعول ، ويكون التقدير: وينبت لكم بعض الثمرات ، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً ، أي : وينبت من كل الثمرات ما يقتات وما يتفكهُ به . ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ ﴾، لتحصل مصالحكم وقوله ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ ﴾ أي: بالتسخير صارت مسخرات وهو قريب من قولك : بريت الأنبوبة قلما ، وعملت الخشبة بابا .

﴿ وَمَا ذَرَأَ ﴾ أي: وخلق خلق ﴿ ذَرَأَ ﴾ بمعنى بث يريد : وطعومه وأرايحه ؛ لأن منفعة اللون تعم من أكل من الثمرة ومن لم يأكل ، ومنفعة الأراييح قليلة بالنسبة إلى ما سواها قوله: ﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ فيه إشعار بأن أطيب السمك الطري منه . ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ وهي اللؤلؤ والجوهر ، وقد يحتج بذلك على جواز تحلي الرجال باللؤلؤ ؛ لأن الله ذكر ذلك في معرض الامتنان[(١)] .

وقوله: ﴿ تَلْبَسُونَهَا ﴾ جمع للمذكر فإما أن تكون ذكوراً خاصا أو ذكوراً وإناثا وعلى التقديرين فالاحتجاج به حاصل ، والمراد بالفلك هاهنا الجمع لقوله : ﴿ مَوَاخِرَ ﴾ جمع ماخرة ، والماخرة التي تشق الماء . وقيل : التي يسمع لها صوت لشقها الماء .

وقيل : مواخر أي : مقلعات . ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بالتجارة والاصطياد .

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾
وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾

= والحاكم في المستدرك (١/ ٣٩٠) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه. وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٣/ ٢٦٤) رقم (٧٩٢).

(١) **ينظر** : الأم للشافعي (١ / ٣٧٢) ، مغني المحتاج للشربيني (١ / ٣٨٩) .

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جمع راسية، أي: ثابتة. وقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ أي: كراهة أن تميد بكم، فتكون الجبال مرسية للأرض. ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال قتادة: "خلق الله الكواكب ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ولزينة السماء بها، ولرجم الشياطين إذا استرقوا السمع، فمن ادعى فيها أنها تدل على ما يكون من الأمور والوقائع فقد افترى على الله"[(١)]. وقوله: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ﴾ أي: لا تكون الأصنام (٩٩/ أ) مماثلة بما شبه الله، وقد سبق نظائره ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[(٢)]. ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾[(٣)]. ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[(٤)] لأن من أشبهك فقد أشبهته و﴿ٱلنِّعَمِ﴾ اسم جنس، ولهذا قال: ﴿لَا تُحۡصُوهَآ﴾ أي: لا تحصوا عددها، ثم بيّن سبحانه تباعُدَ ما بينه وبين الأصنام، فقال: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ وما تشعر الأصنام متى يكون بعثها، وتكرر في الكتاب العزيز ﴿لَا يُحِبُّ﴾ ولم يقل (يبغض) إلا قليلاً، وجاء في السنة؛ لأن اسم الفاعل من أحب لا يوهم نقصا، واسم الفاعل من أبغض يوهمه، فلا يجوز أن يقال لله: يا مبغض. لقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[(٥)].

ولأن المحبة هي الإيثار، وفعل الخير مع من تحبه، ومواهب الله لا تنقطع عنا، فهو محب ولا خير إلا منه، فلو قطع مداد الخير لم يتصل من جهة غيره فلزم من كونه ﴿لَا يُحِبُّ﴾ أن يفوت جميع المصالح بخلاف قول القائل: إنني لا أحب ملك الهند ولا أبغضه. فلا يلزم من بغضي له فوات مصالحته فلا يستوي، ففي حق الآدمي قولي: لا أحب فلانا، وأبغضه. ويستوي في حق الله – تعالى- أن الله لا يحب وأن الله يبغض.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٤ / ٩١ – ٩٢) عن قتادة.

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٣٦).

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٣٢).

(٥) سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٧) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣١) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٤) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٣٥) ﴾

﴿ ذَا ﴾ في ﴿ مَاذَآ ﴾ يجوز أن تكون زائدة فيكون جوابها على المختار بالنصب فإذا قال: ماذا صنعت؟ قلت في جوابه : خيراً ، أي : صنعت خيراً وقرئ ﴿ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ بالنصب والرفع [1] على التأويلين ، وفي هذه الآية خاصة أنه قال في حق المؤمنين ﴿ خَيْرًا ﴾ لأن التقدير: أنزل خيراً ، وهم المؤمنون بالإنزال ، وقال في حق الكفار ﴿ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ والتقدير : هذه أساطير الأولين ولو نصبوا ﴿ أَسَٰطِيرُ ﴾ لكانوا مؤمنين بالإنزال وهم كفار به ، والمؤمن تكفر سيئاته بالمصائب في الدنيا بخلاف الكافر فلذلك تبقى أوزار الكفار كاملة لم يكفر منها شيء وتحملوا مثل أوزار الذين يضلونهم ألا قبح ما يحملون .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢١٩) وقرأ جمهور القراء " قل العفوَ " بالنصب ، وقرأ أبو عمرو البصري " قل العفوُ". **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ١٥٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٩٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص:١٣٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٥٣٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٨٢) ، الكشاف للزمخشري (١/ ١٣٣) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٧) .

﴿ فَأَتَى﴾ تخريب الله ، وابتداء ذلك التخريب ﴿ مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ ﴿ يُخْزِيهِمْ ﴾ يهينهم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾ بزعمكم ﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ ﴾ به الأنبياء والصالحين ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ ﴾ قائلين : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ فأجابتهم الملائكة ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ ﴾ فلتدخل كل طائفة من باب وهذه حال مقدرة ؛ لأن أول الدخول ليس من الخلود في شيء .

والمثوى : موضع الثواء وهو الإقامة ﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ من إضافة الشيء إلى صفته ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ هو المخصوص بالمدح و﴿ عَدْنٍ﴾ معرفة . وقيل : نكرة وتقديره : جنات إقامة ﴿ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ لقبض أرواحهم . وقيل : للخروج من القبور يبشرونهم بالثواب (٩٩/ ب) ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ﴾ قيل : ينتظرون ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ بقيام الساعة ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ﴾ استفهام معناه النفي . لما كان في البعث معنى القول جاءت أن المفسرة وهي لا تأتي مع صريح القول ولا مع ما ليس في معنى القول .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

و﴿ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ كل معبود دون الله . ﴿ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ﴾ أمر بالسبب والمسبب ﴿ عَٰقِبَةُ ﴾ فاعل ، أو اسم كان ، والخبر ﴿ كَيْفَ ﴾ ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾ لم يفد حرصك ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ وجمع الناصرين ردًا لظنهم ؛ لأنهم عبدوا آلهة شتى ، واعتقدوا الانتصار بها وبجماعتهم ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [1] ولقوله: ﴿ أَمْ

---

(١) سورة يس ، الآية (٧٤) .

﴿ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ [١] .

قيل: من حلف بالله فقد أقسم جهد اليمين[٢] .

﴿ بَلَىٰ ﴾ وعد ذلك ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ ﴾ الوفاء ؛ لإخباره بوقوعه ، يبعثهم ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ وليفضح الكفار بعلمهم أنهم كانوا كاذبين . ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ وأوذوا أذى أزعجهم إلى الإخراج ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ هي المدينة [٣] ولما كان في ذلك أذى الكفار وإيلام لهم ، قال : ﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي : لو علموا ذلك لما آذوا المؤمنين ، وتقديم المجرور في قوله: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ للاختصاص . ولم يبعث الله رسولاً إلا ذكراً لقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ أصحاب الكتب القديمة[٤] .

وقوله : ﴿ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾ متعلق بفعل دل عليه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾ أي : أرسلناهم بالبينات والكتب. وقيل : متعلق بـ ﴿ نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ، واحتج قوم منعوا نسخ الكتاب بالسنة بهذه الآية ، فإنه جعله مبينا وليس المبطل مبينا ولا حجة فيه ؛ لأن النسخ بيان انتهاء مدة الحكم[٥]. التخوف : النقص قال الشاعر [من البسيط] :

---

(١) سورة القمر ، الآية (٤٤) .

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٥٣) عن ابن عباس – رضى الله عنهما – بلفظ: "من قال بالله فقد جهد يمينه" .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٤ / ١٠٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٣١) لابن المنذر عن الشعبي .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٤ / ١٠٨) عن مجاهد .

(٥) قال العلامة العيني في عمدة القاري (١ / ٢٤٧) : " قال الإمام فخر الدين الرازي : قطع الشافعي وأكثر أصحابنا وأهل الظاهر وأحمد في إحدى روايتيه بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة ، وأجازه الجمهور ومالك وأبو حنيفة – رضي الله عنهم ... " ثم قال عن هذه الآية: "المراد بالتبيين : البيان ولا نسلم أن النسخ ليس ببيان فإنه بيان لانتهاء أمر الحكم الأول ولئن سلمنا أن النسخ ليس ببيان وأن المراد منه بيان العام والمجمل والمنسوخ وغيرهما لكن نسلم أن الآية تدل على امتناع كون القرآن ناسخا للسنة " .

تخـوَّفَ الرَّحْـلُ مِنهـا تامِكـاً قَـرِداً كَمـا تَخَـوَّفَ عُـودَ النَّبْعَـةِ السَّفَنُ[١]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠) ﴾

سجود الذين يعقلون بوضع الجبهة على الأرض ، وسجود ما لايعقل بتفيؤ الظلال عن اليمين والشمائل سجداً طائعين ﴿ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ ذليلون خاضعون .

قوله : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قيل: فيه استعمال المشترك في معنييه ؛ لأن سجود الملائكة حقيقة ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن السجود له . ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم ﴾ أن يبعث عليهم عذابا من فوقهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ فحذف الباء ووصل (١٠٠ / أ) الفعل فصار ما يؤمرونه ، ثم حذف الضمير المنصوب وحذفه مطرد ؛ كقوله : ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[٢] .

وقيل : إن " أمر " يتعدى إلى مفعولين والمفعول الثاني هو المضمر ، ولا يحتاج إلى تقدير الباء . ومثل هذا في قوله [من البسيط] :

أمرتُـكَ الخَيْـرَ فافعـلْ مـا أُمِـرْتَ بـهِ فقـدْ تركْتُـكَ ذا مـالٍ وذا نَـشَبِ[٣]

---

(١) البيت لابن مقبل أو لذي الرمة ، أو لزهير أو لأبي كبير الهذلي في وصف ناقة أنضاها السير ، **ينظر في** : الأغاني للأصفهاني (٦ / ٨٢) ، تاج العروس للزبيدي (خوف) ، تفسير القرطبي (١٠ / ٩٩) ، روح المعاني للألوسي (١٤ / ١٥٢) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٦٠٨) ، لسان العرب (خوف) .

ويروى الشطر الأول : تخوف السير منها ....

والتخوف: التنقص شيئا فشيئا ، **والتامك**: السنام المرتفع ، **والقرد**: الذي أكله القراد من كثرة أسفارها ، أو الذي تنقب وفسد من كثرة السفر، **والنبعة**: شجر تتخذ منه القسي ، **والسفن** : المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب. والمعنى: تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب وفسد من كثرة السفر كما تنقص المبرد عود النبعة.

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٢٥) .

(٣) البيت لعمرو بن معدي يكرب . **ينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي (٩ / ٢٢٤) ، ديوان عمرو بن معدي كرب (ص : ٦٣) ، الكتاب لسيبويه (١ / ٣٧) ، وينسب أيضاً لخفاف ابن ندبة في ديوانه (ص : ١٢٩) ، وكذلك ينسب للعباس بن مرداس في ديوانه (ص: ١٣١)، وبلا نسبة في : الأشباه والنظائر للسيوطي (٤/ ١٦) ، شرح شذور الذهب لابن هشام (ص: ٩٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٥٩٠) ، المحتسب لابن جني (١/ ٦١) ، المقتضب للمبرد (٢ / ٣٦ ، ٨٣) ، همع الهوامع للسيوطي (٣ / ١١) والشاهد فيه : النصب على حذف حرف الجر ، وأصله : " أمرتك بالخير " فلما حذف الجار انتصب "الخير" .

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (٥١) وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٣)
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٥٤) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ
تَعۡلَمُونَ (٥٥) وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ (٥٦) ﴾

قد ينهى الإنسان ولده عن صحبة فاسقين ، ويزيد مع ذلك النهي عن كل واحد ، ويجوز أن ينهاه عن الجمع بينهما ، وأن ينهاه عن الانفراد بصحبة أحدهما فنهاه هاهنا عن اتخاذ اثنين لا عن كل واحد منهما ، فإن الله وحده لا ينهى من عبده وأفرده بالوحدانية ، فلهذا قال : ﴿ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ ليبين أن المنهي اتخاذ اثنين ﴿ فَإِيَّٰيَ ﴾ ارهبوا ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ وقد اشتغلت ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ بضميرها . قوله : ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ أي : دائماً ، ومنه قوله : ﴿ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴾[(١)] .

قوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ﴾ هذه الفاء في ﴿ فَإِلَيۡهِ ﴾ جواب إذا ، وقوله : ﴿ ثُمَّ ﴾ دليل على استبعاد ما فعلوه من اعتقاد الشريك ؛ لأن الله وحده هو المتفرد بسائر وجوه الإنعام ، ولفظة ﴿ ثُمَّ ﴾ دليل عليه ؛ كقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[(٢)] ﴿ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾[(٣)] وقول الشاعر [من الطويل] :

ولا يكشفُ الغَمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّةٍ … يرى غمراتِ الموتِ ثُمَّ يزورُها[(٤)]

﴿ إِذَا فَرِيقٞ ﴾ إذا للمفاجأة وهي جواب لـ ﴿ إِذَا ﴾ الشرطية ﴿ لِيَكۡفُرُواْ ﴾ اللام لام الأمر وهو تهديد كقوله : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾[(٥)] ﴿ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ إلهيته أو شركته ﴿ نَصِيبٗا ﴾ من

---

(١) سورة الصافات ، الآية (٩) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٨) وفي الأصل " ثم إليه تجأرون " وليست هذه آية ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٣) سورة الجاثية ، الآية (٨) .

(٤) تقدم تخريجه في سورة يونس ، الآية (٥١) .

(٥) سورة فصلت ، الآية (٤٠) .

حروثهم وأنعامهم، وشرح ذلك في سورة الأنعام[١]. وقيل في القسم بالتاء في ﴿ تَاللَّهِ ﴾ إنها لا تقع إلا فيما يتعجب من المقسم عليه ؛ كقوله : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾[٢] تعجب كيف تيسَّر له كسر أصنام الملك مع عظمة سلطانه وضعف حال النمرود.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

قوله : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ هو كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾[٣] ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾[٤] وليس بمعنى التصيير ؛ لأن الملائكة ما صاروا إناثا ولا صار لله البنات ! ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ من الذكور أي : يجعلون ذلك لأنفسهم .

قوله : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم ﴾ يجوز أن يكون تهكما ؛ كقوله ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٥] لأن ولادة الأنثى للرجل لا يبشر بها ، ويجوز أن تكون البشارة بسلامة الأم وولادة الأنثى تامة الخلق فتكون البشارة على بابها . ﴿ ظَلَّ ﴾ أي: صار نهاراً وزعم الزمخشري[٦] أن أكثر الولادة يقع ليلاً فيحصل التبشير بها نهاراً .

﴿ كَظِيمٌ ﴾ مملوء غضباً وأصل الكظام الخيط الذى (١٠٠/ ب) تشد به القربة ، شبه من امتلأ غضبا . كظيم بمعنى مكظوم . ﴿ يَتَوَارَىٰ ﴾ يتستر يتروَّى ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ ترعى الإبل ، أم يدفنها بالحياة ؟! ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ هذا كما يرد على

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٣٦) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٥٧) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية (١٥) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية (١٩) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (٢١) .

(٦) ينظر : الكشاف للزمخشري (٢ / ٦١٢) .

الشاتم شتمه فيقال : جعلت لله الأدنى ، وجعلت لنفسك الأعلى ، بل لك مثل السوء ولله المثل الأعلى . ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾ أتى بعد ﴿ لَوْ﴾ بالفعل المضارع ليدل على تكرر عدم المؤاخذة ، والهاء في ﴿ عَلَيْهَا ﴾ تعود على الأرض ، ولم يجر لها ذكر فيما قرب؛ لأنه مفهوم من السياق ؛ كقوله: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[1] يعني: الشمس ، وكذا قول الشاعر [من الكامل]:

حتَّى إذا ألقتْ يداً في كافرٍ وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامُها[2]

أراد الشمس. والكافر: البحر. وكان بعضهم يقف على قوله : ﴿ يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ﴾ ويجعل قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ مستأنفاً قال: لأنه إذا جاء الأجل يستحيل الاستقدام عنه بعد أن يجيء ولا يستحيل التأخير، وجوابه: أن جعله أجلاً مانع من التقدم والتأخر معاً[3].

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

﴿ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البنات ﴿ وَتَصِفُ ﴾ أي : وتحكي . قرئ ﴿ الكُذُبُ﴾ بضم الكاف والذال ورفع الباء جمع كذوب ، كصبور وصبر وغفور وغفر ، ويكون ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ هو المفعول ، وعلى القراءة المشهورة ﴿ ٱلْكَذِبَ ﴾ بالنصب[4] مفعول ، و﴿ أَنَّ لَهُمُ

---

(١) سورة ص ، الآية (٣٢) .

(٢) البيت للبيد ، **ينظر في**: تاج العروس (كفر)، ديوان لبيد (ص:٣١٦)، غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٤٧)، مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٩١)، لسان العرب (كفر - يدي) وقوله: ألقت يدا في كافر أي: دخل أولها في الغور. أو بدأت في المغيب ، ويحتمل أن يكون أراد الليل ، أي: بدأت الشمس في المغيب . **وأجن**: ستر.

(٣) **ينظر**: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني (ص: ٢١٧).

(٤) قرأ بها ابن عباس وأبو العالية ومجاهد وابن محيصن . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان=

﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ بدل منه ﴿لَا جَرَمَ﴾ مضى في سورة هود[١] ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ بكسر الراء متجاوزون الحد، وبفتحها[٢] مقدمون إلى النار. ﴿تَٱللَّهِ﴾ يمين مع تعجب ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ للبيان والهدى والرحمة. ومن قرأ ﴿نُّسْقِيكُم﴾ فهو من سقاه إذا أعطاه شيئا يشربه، ومن ضم النون[٣]، فهو من أسقاه إذا جعل له شرباً. وسئل بعضهم عن التوبة الخالصة فقال: هي كما ترى اللبن خالصاً من الفرث والدم لا ترى فيه منهما أثراً.

﴿سَكَرًا﴾ وصف لفعلهم واتخاذهم، فلا يدل على حِلٍ ولا حرمة. وقيل: يدل على الحِلِّ لأن سورة النحل مكية والخمر إنما حرمت بالمدينة فيكون تحليلها من قبل مدلولاً عليه بالكتاب.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ

= (٦/ ٢٠)، تفسير القرطبي (١٠ / ١٢١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٣٣٩)، الكشاف للزمخشري (٢ / ٦١٤)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١).

(١) سورة هود، الآية (٢٢).

(٢) قرأ نافع وحده " مُفْرِطون " بكسر الراء، وقرأ الباقون " مُفْرَطون " بفتح الراء.
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٣٤٠)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، الكشاف للزمخشري (٢ / ٦١٤).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم " نَسْقيكُم " بفتح النون، وقرأ الباقون " نُسقيكم " بضم النون. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٥٠٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٣٤١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، الكشاف للزمخشري (٢ / ٦١٥).

أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ ﴾ ألهمها ، فصارت كالمخاطبة بقوله: ﴿ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا ﴾ ﴿ فَٱسۡلُكِي ﴾ ويسر الله عليها سلوك الأماكن البعيدة والهداية إلى أماكنها بعد بعدها عنها وهو قوله : ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ ﴾ أي: ميسرة مسهلة من قولهم: دابة ذلول ﴿ فِيهِ شِفَآءٞ ﴾ ولم يقل فيه الشفاء ؛ لأن فيه شفاء بعض الأمراض دون بعض[1] .

وأرذل العمر: الهرم (١٠١/أ) وهو أن يصير كثير النسيان، وتضعف قواه التي في بدنه كلها ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ فكما لا يشارك العبيد مواليهم في أرزاقهم كذلك لا يشارك الصنم الذي هو مثل العبد مولاه في ذلك ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ أي: من جنسكم. الحفدة: هم الذين يسرعون في المشي حول كبيرهم؛ لأن خطاهم قصيرة، وخطى مواليهم طويلة، فيحتاج الحفدة إلى الإسراع ، ومنه ما جاء في القنوت : " وإليك نسعى ونحفد "[2] ﴿رِزۡقٗا﴾ عامل فيه ﴿ شَيۡـٔٗا ﴾ ومثله ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ رَّسُولٗا ﴾[3] .

﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ﴾ أي : لا تجعلوا له الأشباه . وحذف مفعول ﴿ يَعۡلَمُ ﴾ و﴿تَعۡلَمُونَ﴾ لأن المراد المصدر وثبوته لله ونفيه عن الخلق ؛ كقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ ﴾[4] ﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ هذه الجملة الأخيرة سيقت للذم ؛ كقوله : ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[5] ليس المراد تخصيص شيطان رجيم عن آخر ليس برجيم ، فالعبد لا يملك شيئا عند الشافعي ، وقال مالك: المراد تمييز هذا العبد عن عبد يملك[6] ﴿ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ ﴾ على من يخدمه ﴿ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ ﴾ لا يستطيعه .

﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) تقدم التعليق على ذلك عند تفسير سورة البقرة ، الآية (١٧٩) .

(٢) تقدم تخريجه في سورة يوسف ، الآية (١٨) .

(٣) سورة الطلاق ، الآية (١٠) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (١٥٦) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (٣٦) .

(٦) **ينظر**: الأم للشافعي (٥ / ٦٩)، بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ٤٩١)، المغني لابن قدامة (٤/ ٢٧٢).

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ
ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ
ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ
بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ
ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ
تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ
نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ
قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ
لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ
نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

﴿ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ علم ما فات فيهما . ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ أفرد السمع وجمع الأبصار وقد ذكر ذلك في أول البقرة [1] . ﴿ ٱلطَّيْرِ ﴾ اسم للجنس ، وواحدها طائر ﴿ أَكْنَٰنًا ﴾ جمع كن، وهو ما يقي من الحر والبرد ﴿ سَرَٰبِيلَ ﴾ جمع سربال . ﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ ولم يذكر البرد إما اكتفاء بأحد القسمين عن الآخر ، وإما لأن وقايتها من البرد أتم فجعل ذلك كقوله : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾[2] وإما لأن بلاد العرب بلاد حارة فاحتياجهم إلى ما يدفع الحر أكثر ، والبأس : الحرب ، والمراد تقيكم شر ما يتقابل به في الحرب ﴿ ثُمَّ

(١) سورة البقرة ، الآية (٧) .
(٢) سورة الإسراء ، الآية (٢٣) .

﴿يُنكِرُونَهَا﴾ كقوله : ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ [(١)] وقد ذكر من كل أمة شهيدا نبيها ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ فلا يطلب العتبى . أنكرت الأصنام أن يكون عبدتها قد عبدوها ؛ لأنها لم تعقل العبادة ﴿السَّلَمَ﴾ الاستسلام والانقياد. ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ وهو عذاب الإضلال ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه العباد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ هي النصفة ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ الزيادة على الإنصاف . ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ صلة الرحم . ﴿الْفَحْشَاءِ﴾ كل ما قبح من المعاصي ، كالزنى في رمضان في الحرم . ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ كل ما ينكره العقل والشرع . ﴿وَالْبَغْيِ﴾ مجاوزة (١٠١/ب) الحد ، وأكثر ما يستعمل في مظالم العباد . ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بذلك .

قوله : ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يجوز أن يخرج مخرج الغالب ، فإن أيمان العهود يستظهر فيها بزيادة استثبات، ويجوز أن توكيده تقويتها وتثبيتها . الواو في ﴿وَقَدْ﴾ واو الحال .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

مثّل حالهم في نقض العهد بمن نقضت غزلها من بعد إتمامه. وقد قيل: إنها امرأة حمقاء كانت تغزل، وتغزل جواريها ثم تنقضه[(٢)] ، ولا يتعلق فرض بوجود تلك المرأة، بل قد يمثل

---

(١) سورة الجاثية ، الآية (٨) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٤ / ١٦٦)، وذكر الفراء في معاني القرآن (٢ / ١١٣) أن اسمها ريطة، وذكر العيني في عمدة القاري (١٩ / ١٧) عن مقاتل في تفسيره أن هذه المرأة قرشية اسمها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وتلقب جعرانة لحمقها ، وذكر السهيلي أنها بنت سعد بن زيد مناة بن تيم بن مرة وقال الثعلبي: «كانت اتخذت مغزلا بقدر=

بما لا يقع في الخارج ، كما يفرض في مسائل الخلطة ومسائل الفداء ، وهذه مسائل ليست واقعة في الخارج ، كقولك : ثلاثون جدّة وأربعون أخاً لأم وأشباهها .

﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ ﴾ أي: لأن ، يريد أنكم إذا عاهدتم قوماً ثم رأيتم مخالفة غيرهم ، وتركَ الأولين لكثرة الآخرين وقوتهم . ﴿ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ أكثر به [(١)] أسباب مخالفة الآخرين .

شبه الثابت بما حلف عليه بمن استقرت قدمه فلم تزل عما اعتمدت عليه ، وهذا اللفظ بعموم يشمل من زلت قدمه في الأيمان وفي غيرها من الأعمال . ﴿ بِمَا صَدَدتُّمْ ﴾ بصدكم ويجوز أن يكون (بصدكم) غيركم ، أو بصدكم أنفسكم . وقال الفقهاء في تمييز الثمن عن المثمن ثلاثة أوجه: أحدها: دخول الباء فإذا قال: اشتريت الجارية بالعبد، فالعبد ثمن، ولو قال : اشتريت العبد بالجارية، فالجارية ثمن ، ولو قال: اشتريت الذهب بالجارية فالجارية ثمن والذهب مثمن ، والثاني: إن كان في العقد نقد فهو الثمن سواء أدخلت عليه أو على قسيمه . والثالث: إن كان فيه نقد فهو الثمن، وإن لم يكن فيه نقد فلا ثمن فيه . واعلم أن كثيراً من آيات القرآن تدل على خلاف القول الأول ، ومنها : هذه الآية[(٢)]. وقوله : ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [(٣)] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا ﴾ [(٤)].

روي أن أم سلمة قالت : يا رسول الله لو كان في النساء خير لذكرن في القرآن كما ذكر الرجال ، فنزل بعد ذلك ﴿ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [(٥)] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [(٦)] .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ قيل في الجنة .

= ذراع وسنارة مثل الإصبع وفلكة عظيمة على قدرهما تغزل الغزل من الصوف والوبر والشعر وتأمر جواريها بذلك وكن يغزلن إلى نصف النهار ثم تأمرهن بنقض جميع ذلك فهذا كان دأبها» .

(١) بعدها بياض بالأصل وفي النكت والعيون للماوردي (٢ / ٤١٠) أي: أكثر عددا وأزيد مالا فتطلب بالكثرة أن تغدر بالأقل بأن تستبدل بعهد الأقل عهد الأكثر.

(٢) تقدم الحديث عن باء الثمنية في سورة التوبة ، الآية (٩) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٨٧) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٧٧) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (١٩٥) .

(٦) سورة النساء ، الآية (١٢٤) والحديث تقدم تخريجه في سورة آل عمران ، الآية (١٩٥) .

وقيل : يرزقه القناعة فلا يضيق صدره لضيق ذات اليد . وقيل : الرضا بالقضاء .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ﴾ أي : أردت أن تقرأ ، وعلل ذلك بعدم سلطنته (١٠٢ / أ) على المؤمنين المتوكلين، وحصر سلطانه على من يتولى الشيطان والذين هم به مشركون . كان الكفار يكفرون بما نسخ ويعتقدون أنه بُدِّل ، فنزلت ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ﴾ [(١)].

وقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ﴾ يوافق ما قاله أهل علم البيان ﴿ إِنَّمَآ ﴾ تدخل على الجملة التي لا ينكرها السامع ، فقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ﴾ هو عندهم من قبيل الأمر المحقق الذي لا نزاع فيه . وقوله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إنما ذكر الأكثر ؛ لأن بعضهم كان معانداً . ﴿ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ روح الطهارة ، كان النبي ﷺ يجلس إلى جبر ويسار وكانا نصرانيين فسمع منهما بعض ما عندهما ، فقال الله – تعالى- حكاية عن الكفار : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ وأجاب عنه أن المذكورَيْن غلف الألسنة[(٢)]. وإعجاز القرآن إنما هو بفصاحته [(٣)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٤ / ١٧٤)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٦٧) لابن أبي حاتم عن السدي .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٤١٣) ونسبه لحصين بن عبد الله بن مسلم .

(٣) قال البيهقي في كتاب الاعتقاد (١ / ٢٥٩) : " واختلف أهل العلم في إعجاز القرآن منهم من قال إعجازه من جهة البلاغة وحسن اللفظ دون النظم . ومنهم من قال : إعجازه في نظمه دون لفظه فإن العرب قد تكلمت بألفاظه . ومنهم من قال إعجازه في إخباره عن الحوادث وإنذاره بالكوائن في مستقبل الزمان ووقوعها على الصفة التي أنبأ عنها . ومنهم من قال : إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله وصرف الهمم عن معارضته مع وقوع التحدي وتوفر الدواعي إليه لتكون آية للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه . وقد ذهب بعض العلماء إلى إثبات الإعجاز للقرآن من جميع هذه الوجوه ولا معنى لقول من زعم أن الإعجاز في لفظه لأن الألفاظ=

﴿ يُلْحِدُونَ ﴾ يميلون. ﴿ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾ للنظر في الآيات والأعمال الصالحات.

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥)
مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ
بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ
أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ
مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠) ۞ يَوْمَ تَأْتِي
كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) ﴾

﴿ يَفْتَرِي الْكَذِبَ ﴾ يقتطعه ويختلقه ، أولئك هم الكاملون في الكذب . ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾ منشرح القلب بكفره ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ﴾ والشرط الثاني وهو قوله: ﴿ مَن شَرَحَ ﴾ مخصص لعموم الأول وهو قوله : ﴿ مَن كَفَرَ ﴾ ولهذا اتحد جوابهما .

﴿ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي : مطلوباتها على مطلوبات الحياة الآخرة ، وبسبب أن الله لا يهدي ﴿ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾. وحد السمع وجمع الأبصار والقلوب وقد ذكر ذلك[1].

= مستعملة في كلام العرب ومتداولة في خطابها لأن البلاغة ليست في أعيان الأسماء ومفرد الألفاظ وحسب دون أن تكون هذه الأوضاع معتبرة بمحالها ومواضعها المصرفة إليها والمستعملة فيها ".

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦ / ٥٨٢) : " ووجوه إعجاز القرآن من جهة حسن تأليفه والتئام كلماته وفصاحته وإيجازه في مقام الإيجاز ، وبلاغته ظاهرة جدًّا مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة أسلوبه مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ولم يعلم أن النبي ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم وبما سيقع فوقع على وفق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته والخشية التي تلحق سامعه وعدم دخول الملال والسآمة على قارئه وسامعه مع تيسر حفظه لمتعلميه وتسهيل سرده لتاليه ولا ينكر شيئا من ذلك إلا جاهل أو معاند ولهذا أطلق الأئمة أن أعظم معجزات النبي ﷺ القرآن ومن أظهر معجزات القرآن إبقاؤه مع استمرار الإعجاز وأشهر ذلك تحديه اليهود أن يتمنوا الموت فلم يقع ممن سلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك ولا أقدم مع شدة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه فكان في ذلك أوضح معجزة " .

(١) في سورة البقرة ، الآية (٧) .

﴿ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ الكاملون في الغفلة . ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد ذكر[١]. ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ من بعد ما صبروا على أذى المشركين وعقوبتهم وسبهم لهم ، ثم لما فرض الجهاد جاهدوا وصبروا على القتال .

قال ابن عباس : يختصم يوم القيامة الروح والجسد فتقول الروح : يا رب إن هذا الجسد استعمل فطرتي في ملاذّه من المآكل والمشرب والملبس والجاه ولما فارقته لم أعص ، فيقول الجسد : رب إن هذه الروح استعملتني فيما أرادته ، ولما فارقتها لم أعص ، فيقول الله -تعالى- لهما : مثلكما كمثل أعمى ومقعد دخلا حائطاً ، فالأعمى لا يبصر الثمر ، والمقعد لا يصل إليها فحمل الأعمى المقعد وأخذا وأكلا ، العقوبة عليكما[٢] .

وقوله : ﴿عَن نَّفۡسِهَا﴾ أي : عن ذاتها ، ولم يرد أن للنفس نفساً .

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) في سورة هود ، الآية (٢٢) .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤ / ٥٤) ونسبه لابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس. ورواه محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني في كتاب " الإيمان " (ص: ١٣٤) عن عكرمة عن ابن عباس ولفظه: " ما زالت الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى خاصم الروح الجسد فقال الجسد: يا رب إنما كنت مثل الخشبة النخرة ليس لي يدٌ أبطش بها ولا عينٌ أبصر بها ولا أذنٌ أسمع بها ولا رجلٌ أمشي بها ولا عقلٌ أعقل به حتى جاء هذا فدخل فيَّ فنجني منه وخلد عليه العذاب اليوم.وقال الروح : يا رب منك الروح وأنت خلقته إنما كنت كالشهاب لم يكن لي يدٌ أبطش بها ولا عينٌ أبصر بها ولا أذنٌ أسمع بها ولا رجلٌ أمشي بها ولا عقلٌ أعقل به حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فخلد عليه العذاب ونجني منه اليوم . فقيل : يضرب لكما مثل مثلكما كمثل أعمى ومقعد دخلا حائطًا دانيةً ثمارها فالأعمى لا يبصر الثمار فيتناول منها والمقعد يبصرها ولا ينالها فدعى المقعد الأعمى فقال: احملني حتى أسددك فآكل وأطعمك. فحمله وسدده فأدركا وهما كذلك فعلى أيهما يقع العذاب قال: عليهما جميعا. قال فالعذاب عليهما " .

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى
ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ
رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ
ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ
ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا
عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم
مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ يعني مكة . ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا ﴾ ... فإن قيل: اللباس لا يذاق ، فكيف قال: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ﴾ قلنا: استعار للإحساس (١٠٢/ب) الذوق ، ولشمول العذاب اللباسَ ، فكأنه قال: فأصابها من الجوع والخوف ما شملها ؛ وأراد بالجوع القحط بدعائه ﷺ . ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ تهييج ﴿ وَٱلدَّمَ ﴾ أي: المسفوح ﴿ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ وسائر أجزاء الخنزير ، وأصل الخنزير[1]. وأصل الإهلال: رفع الصوت، وكانوا إذا ذبحوا للأصنام رفعوا أصواتهم بذكر الصوت ﴿ غَيْرَ بَاغٍ ﴾ على إمامه . ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ حد الشبع أو حد ما يسد الرمق على اختلاف العلماء فيه . ﴿لِّتَفْتَرُوا۟﴾ يشبه أن تكون لام العاقبة، ويجوز أن يكونوا فعلوا ذلك وتعمدوا الكذب على الله ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ أي: تمتعهم . ﴿ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: في سورة الأنعام[2]. ﴿ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ بجرأة وجهل بمقدار من عصوه، وليس المراد الجهل الذي هو ضد العلم، وهو كقول الشاعر [من الوافر]:

---

(١) تقدم الكلام على ذلك عند تفسير سورة البقرة ، الآية (١٧٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٤٦).

ألا لا يَجْهَلَــــنْ أحـــدٌ علينـــا فنجهـــلَ فـــوقَ جهـــلِ الجاهلينـــا[١]

الأمة : الرجل المتفرد بالدِّين ، كذلك كان قس بن ساعدة ، فقال ﷺ : " إنـه يُبعَـثُ يـومَ القيامةِ أمةً وحدَهُ "[٢]. وقيل : كان يرفع من أعماله كعمل أمة .

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهو أن جميع أرباب الملل يدعونه ، ثم هاهنا ما هـو أعظـم مـن ذلك وهو أنا أمرناك باتباعه . ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كما زعم الكفار، فصوروا صـورة إبراهيم وإسماعيل صنمين في الكعبة ، وفي أيـديهما الأزلام يقتـسمان بهـا ، حتـى أخرجهـا النبي ﷺ[٣] . ﴿ٱلسَّبْتُ﴾ مصدر ، سبت اليهـود إذا أعظمـت سـبتها ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ نسختها آية القتال . ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾ نزلت في شأن حمزة لما رآه رسـول الله ﷺ قد مُثل بأُحُد ، وقطعوا مذاكيره وأذنيه وشقوا بطنه ، فقال النبي ﷺ: " لئنْ ظفرني اللهُ بهم لأمَثِّلَنَّ بسبعينَ منهُم "[٤] فعزاه بذلك وأمره بالصبر . والله أعلم .

* * *

(١) تقدم تخريجه عند تفسير سورة النساء ، الآية (١٧) .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ١٨٩، ١٩٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٤٠)، عن سعيد بن زيد بـن عمرو بن نفيل.

(٣) رواه البخاري رقم (١٥٢٤) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣ / ١٩٧) ، والواحـدي في أسـباب النـزول (٢٩٠، ٢٩١) رقـم (٥٧١، ٥٧٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٣٥) وعـزاه لابـن سـعد وابـن المنـذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة وفي سنده صالح بن بشير المري وهـو ضـعيف كما قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (١/ ٣٥٨) ، وسكت عنه الحـاكم ، وقـال الـذهبي في تلخيص المستدرك (٣ / ١٩٧) : صالح واهٍ .

سورة سبحان (الإسراء) [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)﴾

سرى وأسرى بمعنى واحد، ولهذا جمع بين التعدية بالباء وبين نفسه، وفي قوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ دليل على أنه أسري بجسده، إذ لا يطلق على الرُّوحِ اسم العبد[1]. (١٠٣ / أ)

(١) قال القاضي عياض: اختلفوا في الإسراء إلى السماوات؛ فقيل: إنه في المنام. والحق الذي عليه الجمهور: أنه أسري بجسده. قلت: اختلفوا فيه على ثلاث مقالات؛ فذهبت طائفة إلى أنه كان في المنام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحيٌ وحقٌ، وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن، والمشهور عنه خلافه، واحتجوا في ذلك بما روي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها-: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ» وبقوله: «بينا أنا نائم». وبقول أنس: «وهو نائم في المسجد الحرام...» وذكر القصة، وقال في آخرها: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام» وذهب معظم السلف إلى أنه كان بجسده وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس فيما صححه الحاكم، وعدد في الشفاء عشرين نفسا قال بذلك من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين، وذهبت طائفة إلى أن الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح، والصحيح أنه أسري بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه يدل قوله - تعالى- ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء] إذ لو كان مناما لقال: بروح عبده. ولم يقل: بعبده. ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة. وقال الطبري: " والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله، أن الله حمله على البراق حين أتاه به وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده. لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فيه ما يوجب أن يكون دليلا على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه؛ إذ لم يكن منكرًا عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل، وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره". =

وذكر الليل : لأنه أراد بعض الليل . ﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ من بيت أم هانئ أخت علي ابن أبي طالب[(١)] . ﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ بكثرة المياه والأشجار. وقوله: ﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ سد مسد المفعول ، أي : بعض آياتنا . ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ من أولاده: سام وحام ويافث ؛ لقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[(٢)] .

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

﴿ وَقَضَيْنَآ ﴾ أعلمنا ووصينا ﴿ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في التوراة[(٣)] ﴿ وَعْدُ ﴾ عقوبة المرة الأولى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ ﴾ بختنصر وأصحابه . ﴿ فَجَاسُوا۟ ﴾ أفسدوا ﴿ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ بينها ، وكان الوعد بإفسادهم ﴿وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ .

قيل : النفير جمع نافر ، أي : إذا نفرتم لحرب كنتم عدداً كثيراً أكثر من عدوِّكم، قال عليٌّ عليه السلام: " واللهِ ما أحسنتُ إلى أحدٍ قط ولا أسأتُ إلى أحدٍ ثم تلا ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ ﴾

= ينظر : تفسير الطبري (١٥/١٦-١٧) ، عمدة القاري (١٥ / ١٢٥) .

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢) ونقل الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ٢٥٩) عن البيهقي في دلائل النبوة قال : " وقد روي حديث المعراج من طرق كثيرة بأسانيد ضعيفة قال فمنها ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأسند إلى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقدًا وقد صلى العشاة الآخرة ... " وذكر حديثًا طويلاً.

(٢) سورة الصافات ، الآية (٧٧) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢١) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

الآية [(١)] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ﴾ عقوبة الإفساد الثانية بعث الله عليهم ملوكاً أُخر فقتلوا وسبوا ودمروا البلاد وما فيها ، والمراد : وعد المرة الآخرة .

و﴿ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ هو المسجد الأقصى [(٢)]. والتتبير : من التكسير ومنه سُمِّي التبر ؛ لأنه يؤخذ قطعاً ، أي: يتبروا ما علوا وظهروا فوقه .

﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ﴾ إلى الإفساد عدنا إلى العقوبة . والحصير : المجلس ، مأخوذ من الحصر .

﴿يَهۡدِي﴾ للطريق التي ﴿هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ﴾ بأن الذين لا يؤمنون بالآخرة معذبون ؛ لأن مساءة العدو سرور لعَدُوِّه . ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ عند الغضب على نفسه وماله.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ﴾ قيل : وجعلنا الليل والنهار ، ويؤيده قوله : ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾ وقوله : ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾ أي : يستبصر بها ؛ كقوله : ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [(٣)] وجميع النوق مبصرة بالحدقة [(٤)]. ﴿وَٱلۡحِسَابَ﴾ وقف تام ؛ لأنا لم نعلم كل شيء فصل تفصيلاً [(٥)] .

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ
كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا
فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ
جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ
كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ
مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢ / ٦٥٠) عن علي بن أبي طالب ﷺ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٣٤) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٥٩) .

(٤) **الحدقة** : السواد المستدير وسط العين ، وقيل : هي في الظاهر سواد العين وفي الباطن خرزتها ، والجمع حدق وأحداق وحداق . **ينظر** : لسان العرب (حدق) .

(٥) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني (ص : ٢٢٢) .

﴿ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ حظّه ونصيبه ﴿ حَسِيبًا﴾ محاسبا ، ولا تحمل حاملة . ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ﴾ ؛ كقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ الآية[١] . ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ بالطاعة فعصوا. وزعم الزمخشري [٢] أن التقدير: أمرناهم بالفسق ففسقوا. جعل توسعة الأرزاق عليهم والتمكين في البلاد كالأمر بالبطر والفسق. قال: تقول: أمرت زيداً فعصى، فتضمر بالطاعة؛ لدلالة (١٠٣/ب) "فعصى" عليه.

قرئ ﴿ أَمَّرْنَا ﴾ من الإمرة وهي الولاية ، وقيل : ﴿ أَمَرْنَا ﴾ [٣] كثرنا ، قال ﷺ: "خيرُ المالِ سِكةٌ مأبورةٌ أو مُهرةٌ مأمورةٌ" [٤] يعني بالسكة النخل ، وبالمأبورة التي ظهرت ثمرتها من كمامها ، وبالمأمورة المهرة الكثيرة الولادة . قوله : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ تقييد لإطلاق قوله : ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [٥] وكثيراً ترى قوماً يسألون الدنيا ولا تحصل لهم . والمراد : التقييد بهذين القيدين .

والمدحور : المطرود ، ومنه ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا﴾ [٦] ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا﴾ [٧]. أراد ﴿ سَعْيَهَا﴾ اللائق بها . ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ أي : ممنوعاً .

---

(١) سورة طه ، الآية (١٣٤) .

(٢) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (٢ / ٦٥٤) .

(٣) قرأ «أمَّرْنا» بالتشديد أبو عثمان النهدي وأبو رجاء وأبو العالية والربيع ومجاهد والحسن وقراءة الجمهور «أمَرْنا» بالتخفيف .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٠) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢١٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٣٧٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٧٩) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٦٥٤) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٥) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٩) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣ / ٤٦٨) ، والبغوي في شرح السنة (٥ / ٥٣١) ، رقم (٢٦٤١) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٦١) ، وعزاه لأحمد والطبراني وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات ، وقال البغوي في شرح السنة : " مهرة مأبورة : كثيرة النتاج ، يقال : أمرها الله فهي مأمورة ، وأمرها فهي مؤمرة ، أي : كثرها " وسكة مأمورة : السكة : الطريقة المصطفة المستوية من النخل ، والمأمورة التي قد أبرت ولقحت ، وسميت الأزقة سككا ؛ لاصطفاف الدور فيها.

(٥) سورة الشورى ، الآية (٢٠) .

(٦) سورة الأعراف ، الآية (١٨) .

(٧) سورة الصافات ، الآية (٨ ، ٩) .

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) لَّا تَجْعَلْ
مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا (٢٢) ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا
(٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا
الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ
رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ
نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ
سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ
يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ
الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ
طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا
تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُل لَّوْ
كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)
تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ
كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾

روي: «أن سهيل بن عمرو كان بباب عمر في جماعة من أشراف قريش المسلمين، فخرج الإذن لبلال وصهيب وعمار وفقراء المهاجرين، فتعجب أشراف قريش من تقديم هؤلاء عليهم، فقال سهيل بن عمرو: دعوا ودعينا فأجابوا وأبطأنا، ولَتَقَدُّمُهُمْ في الآخرة أعظم من تقدمهم على باب عمر، ثم تلا ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الآية»(١).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣ / ٣١٨) رقم (٥٢٢٧).

﴿فَتَقۡعُدَ﴾ هي من أخوات كان ، و﴿مَذۡمُومٗا﴾ خبرها. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي : أمر وأوصى بالوالدين إحساناً . ﴿أُفّٖ﴾ كلمة يتضجر بها، جعل للذل جناحاً ، وجعل خفض الجناح كناية عن اللين .

وقوله : ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾ الكاف للتعليل ، أي : لأجل أنهما ربياني ، كقوله : ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا﴾ ثم قال : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ [1] أي : لأجل إرسال هذا النبي اذكروني . ﴿حَقَّهُۥ﴾ من صلة الرحم .

﴿إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي : يوافقون الشياطين على ما يوسوسون به . ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً﴾ جعل غل اليد كناية عن البخل، وبسط الكف عبارة عن العطاء. ﴿مَّحۡسُورًا﴾ قد أعييت ، والمحسور المعيى . ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ أي: يضيق، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [2] الإملاق: الفقر ، والخطأ : المعصية، والخطأ ضد العمد . وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ مستثنى من ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ﴾ وقيل: من ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾. ﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ﴾ أي : لا يقتل غير قاتله . وكانت العرب إذا رأت رجلاً من قبيلة القاتل قتلوه. وقيل : كانوا يقولون : لا نأخذ بالواحد منّا إلا عشرةً منكم . وقيل : فلا يُمثّل بالقتيل. الأشُد : جمع شدٍ ، أي : حتى تقوى قوى أعضائه ، قال عنترة [من الكامل]:

عهدي به شَدُّ النهارِ كأنما ... خضبَ البنانُ ورأسُه بالعظلَمِ [3]

﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ أي : عنه . وقيل : مسؤولاً ، أي : مطلوباً . وقيل : يسأل العهد [عمَّن] [4] وفَّى به ، ومن لم يف به . ﴿تَأۡوِيلٗا﴾ عاقبة ، و﴿وَٱلۡفُؤَادَ﴾ القلب ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ﴾ إن طاولتها . ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾ (١٠٤ / أ) أعطاكم صفوة الأولاد. ﴿ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ صاحب العرش . قوله : ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ يدل على أن قوله : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزه .

وقيل: معناها نزهت الله .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٥٢) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٨٧) .

(٣) تقدم في سورة يوسف ، الآية (٢٢) .

(٤) بالأصل: [عن من] .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
نُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا
رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا
عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ
فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ
إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ
وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا
(٥٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ
عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ
مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ
كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) ﴾

﴿ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ حجاب من قدرة الله ، والقدرة مستورة عن أعين الناظرين . وقيل : مستوراً بمعنى ساتر ﴿ نُفُورًا ﴾ مصدر ، وجمع نافر. ﴿ مَسْحُورًا ﴾ يأكل ويشرب في سحره قالوا : والسحر : الرئة والإنسان لا يأكل في رئته ، إلا أن الرئة مجاورة المعي . وقيل : مسحورا : ساحراً ﴿ فَضَلُّوا ﴾ يجوز أن تكون فاء التفسير ؛ لأنهم ضلوا بضرب الأمثال . ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ إلي الصواب. ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً ﴾ أي : في الفرض والتقدير ، وليس هذا الأمر مما يمتثل . ﴿ مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ قيل هي السماوات والأرض . وقيل : الموت. ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ إنكاراً واستهزاء ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ ﴾ عسى تامة و﴿ أَنْ يَكُونَ ﴾ فاعلها. ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ أي : تقومون من القبور، أو فيما بين النفختين .

﴿ يَقُولُوا ﴾ الكلمة ﴿ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ مكلفا لهم للدخول في الإيمان نسختها آية السيف . ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ ﴾ كتاباً مزبوراً ، أي : مكتوباً ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ

﴿زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ المراد بالأمر بهذا الدعاء بيان أن الأصنام لا تنفعهم ولا تدفع عنهم ضرراً.
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعني: عيسى والملائكة وعزيراً[(١)]. وقيل: إن العرب عبدوا طائفة من الجن، ثم أسلمت بعض تلك الطائفة ولم يشعر العابدون بإسلامهم فنزلت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ الآية[(٢)].

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأٓيَٰتِ﴾ التي اقترحوها إلا أن الأولين كذبوا بمثلها فأهلكوا، ونحن قضينا بتأخير عذاب أمتك إلى يوم القيامة. ﴿ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ يستبصر بها ﴿فَظَلَمُواْ﴾ فكفروا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ
ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ
لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ
وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ
عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ
ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ
مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ
ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً
أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْۙ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا
﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى
ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا
غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا
قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ١٠٥) عن ابن عباس وابن زيد - رضي الله عنهم.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ١٠٤) عن ابن مسعود ﷺ.

﴿ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ فهم كالذي في قبضته .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ﴾ وهي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ وعلى هذا تكون الرؤيا بمعنى الرؤية[١] . وقيل: هي الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ في النوم أنه يدخل الحرم هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين ، فتأخر ذلك في تلك السنة فافتتن الناس[٢] . ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ هي شجرة الزقوم ﴿ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ أي : الملعون آكلها . ﴿ ءَأَسْجُدُ﴾ لمن خلقته في أول أمره ﴿ طِينًا ﴾ وقد كرر ﴿ قَالَ﴾ والمتكلم واحد بقوله : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ ﴾ يقال : احتنك الجراد الأرض إذا استهلك ما فيها (١٠٤ / ب) .

وقوله : ﴿ جَزَآؤُكُمْ﴾ غلب فيه الخطاب وإلا فالتقدير : فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم . ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ قالوا : كلُّ راكبٍ وماشٍ في معصية الله فهو من جنود إبليس. ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ لعبادي في دفع سلطان إبليس عنهم ﴿ يُزْجِى ﴾ يسوق ﴿ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ يريد البر نفسه وكأن للوادي جانبان جانب بحر وجانب بر.

﴿ قَاصِفًا ﴾ التي تقصف الشجر بقوتها . ﴿ تَبِيعًا ﴾ أي : تابعا يطلب لكم ما تلتمسونه.

قوله : ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ ﴾ احتج به من زعم أن الملائكة أفضل من البشر فإن مفهومه أنه قد بقيَ طائفةٌ قليلةٌ لم يفضل بنو آدم عليهم . ﴿ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ أي : بكتابهم ، ومنه ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[٣] وقيل : ﴿ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ بقدوتهم في الاعتقاد . وقيل: الإمام جمع أمّ وزعموا أن الناس في الموقف يُدْعَوْنَ ، فيقال: يا ابن فلانة . وذكروا ثلاث فوائد : إظهار شرف فاطمة ، ولئلا يخيل الأمر في دعاء عيسى ، ولئلا يفتضح أولاد الزنى[٤] .

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ ﴾ والكفار أيضا يقرءون كتابهم ؛ لقوله - تعالى :

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٧٥) ، والطبري في تفسيره (١٥ / ١١٠) عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ١١٢) عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٣) سورة يس ، الآية (١٢) .

(٤) روى الطبري في تفسيره (١٥/ ١٢٧) القولين الأولين، وذكر القول الأخير الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٨٢) وقال عنه: ومن بدع التفاسير.

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ ﴾ لكن جواب الشرط محذوف ، أي : يقرءون كتابهم فيجازون بما فيه. ﴿ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ أي : أشدُّ عمىً ، وهي أفعل التفضيل. ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ فيه تعظيم للنبي ﷺ فإنَّ ﴿ لَوْ ﴾ تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، و ﴿ لَوْلَا ﴾ تدل على امتناعه لوجود غيره ، فيكون التثبيت قد منع رسول الله ﷺ من أن يكاد قليلاً ما من الركون .

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن
كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا
﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ
ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ
بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ
صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا
﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ
أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ﴾ عذاب ﴿ ٱلْمَمَاتِ ﴾ فإن العذاب يكبر بكبر المُعذَّب ، كما يكثر الثواب بسببه ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ الآيتين [١] .

قيل : إن اليهود قالوا للنبي ﷺ : إن الأنبياء كلهم من الشام أو هاجروا إلى الشام ، فإن كنت نبيًّا فهاجر إلى الشام [٢] . فخيم رسول الله ﷺ بظاهر المدينة يريد الشام فنزلت ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [٣] .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان (٣١، ٣٢) .

(٢) هذه العبارة مكررة بالأصل .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ١٣٢) عن حضرمي ، وروى أيضا في تفسيره (١٥ / ١٣٣) عن قتادة ومجاهد: «أنهم أهل قريش، والأرض مكة» ثم قال : " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول قتادة ومجاهد وذلك أن قوله : ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ في سياق خبر الله - عز وجل- عن قريش وذكره إياهم ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر فيوجه قوله: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ ﴾ وإن كادوا إلى أنه خبر عنهم فهو بأن يكون خبرًا عمن جرى له ذكر أولى من غيره" .

دُلُوكِ الشَّمْسِ: زوالها . وقيل: غروبها. ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاة الفجر، سماها قرآنا لاشتمال الصلاة عليه ، كما سماها تسبيحًا ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (١) .

﴿ نَافِلَةً ﴾ أي : زيادة علي الفرائض ؛ لأن قيام الليل (١٠٥/ أ) كان فرضاً علي النبي ﷺ . ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ و﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ أي : مدخلاً حسناً ومخرجاً حسنا . العرب إذا عظّمت شيئاً وصفته بالصدق ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢) ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٣) قال قتادة : " ما جالس أحدٌ هذا القرآن إلا وقام عنه بزيادةٍ أو نقصان ، ثم تلا ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ " (٤).

﴿ وَنَـَٔا ﴾ وبعد ، ومن قرأ (وَنَاْء) (٥) فمعناه : ونهض معرضًا بجانبه . قيل : الروح التي يحيا بها الجسد . وقيل : هم جند من جند الله ليسوا بإنس ولا جن ولا ملائكة وهم أكثر من هذه الأصناف الثلاثة .

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن

---

(١) سورة الروم ، الآية (١٧) .

(٢) سورة يونس ، الآية (٢) .

(٣) سورة القمر، الآية (٥٥) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ١٥٣) نحو ذلك عن قتادة ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٣٠) ونسبه لابن عساكر عن أويس القرني ﷺ.

(٥) تقدم تخريجها في آخر سورة إبراهيم .

دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

قوله : ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن رحمة الله هادية ، فهي كالمتوكلة بحصول الخير. ﴿ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي : من كل حكم وكل قصة هي في الغرابة كالمثل ، والمَثَل والمِثل والمَثِيل بمعنى واحد .

اقترحوا علي النبي ﷺ أن يفجّرَ لهم أنهاراً وعيونًا بأرض الحجاز ، وأن يكون له أعنابٌ وثمارٌ ، وأن يسقط السماء قطعاً ، أو أن يأتي بالله والملائكة مقابلةً ، أو يكون لك بيتٌ من ذهبٍ ، أو يرقى في السماء ولا نكتفي بذلك حتى تنزل معك كتاباً من السماء نقرؤه، فأمره أن يجيب: بأنني مأمور ولا أطلب ما لم أعط. وقد أجاب عن ذلك في سورة العنكبوت بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [1] فإذا صح التعجيز بمعجزة واحدة لم يبق لاقتراح المعجزات وجهٌ ، وقد أنكر الكفار أن يكون الرسول بشرًا مع إجازتهم أن يكون المعبود حجراً .

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ ﴾ فهو الكامل في الهداية. وفي القيامة مواقف ففي بعضها لا يبصرون وهذه الآية دليله، وفي بعضها يبصرون ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [2] وفي بعضها لا ينطقون ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [3] وفي بعضها يتكلمون ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [4] ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ ضعف لهبها زدناها اشتعالاً ، ذلك سبب إنكارهم البعث وكفرهم . ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ أوَلَم علموا أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ [5].

(١) سورة العنكبوت ، الآية (٥١) .

(٢) سورة التكاثر ، الآية (٧) .

(٣) سورة المرسلات ، الآية (٣٥) .

(٤) سورة الصافات ، الآية (٥٠) .

(٥) سورة النازعات ، الآية (٢٧) .

لو تطلب الأفعال وقوله ﴿ لَّوْ أَنتُمْ ﴾ تقديره : لو تملكون أنتم. ﴿ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾ خشية الفقر ﴿قَتُورًا﴾ مبالغاً في التقتير خوف الفقر.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ (١٠٥/ب) قيل: هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء وانفراق البحر وحل العقدة من لسانه. وقيل: إن النبي ﷺ سأله اليهود عن ذلك قال: " هي ألا تغلُّوا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان، وعليكم يا معشر اليهود ألا تعدوا في السبت " (١) فجعل الآيات أوامر بالخيرات.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤ / ٢٣٩، ٢٤٠) ، والترمذي برقم (٢٧٣٣) ، وابن ماجه رقم (٣٧٠٥) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٩)عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال قال: «قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي. فقال صاحبه : لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين. فأتيا رسول الله ﷺ، فسألاه عن تسع آياتٍ بيناتٍ،فقال لهم: لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنةً ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت. قال: فقبلوا يده ورجله فقالا: نشهد أنك نبي. قال فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبيّ وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود » . قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . قلت : وفي سنده عبد الله بن سلمة ، وهو صدوق تغير حفظه كما قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٤/ ٣٣٨) وقد ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي (٥١٧) ، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٢ / ٢٩٣) : " والحديث فيه إشكالان : أحدهما : أنهم سألوا عن تسعة وأجاب في الحديث بعشرة وهذا لا يرد على رواية أبي نعيم والطبراني لأنهما لم يذكرا فيه السحر ولا على رواية أحمد أيضا لأنه لم يذكر القذف مرة وشك في أخرى فيبقى المعنى في رواية غيرهم أي: خذوا ما سألتموني عنه وأزيدكم ما يختص بكم لتعلموا وقوفي على ما يشتمل عليه كتابكم . الإشكال الثاني : أن هذه وصايا في التوراة ليس فيها حجج على فرعون وقومه فأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون؟ وما جاء هذا إلا من عبد الله بن سلمة فإن في حفظه شيئا وتكلموا فيه وأن له مناكير ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر كلمات فاشتبه عليه بالتسع آيات فوهم في ذلك والله أعلم " .

﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ أي: ساحراً فقال موسى له : " لقد علمت صدقي ، فيما جئتُ به "، وهذا يدل على أن فرعون كان مكابرا ، عرف الحق وجحده ، وقرئ " لقد علمتُ " [١] والقراءة المشهورة أتم ؛ لأن موسى لا يحتج على فرعون بعلمه[٢].

﴿ مَثۡبُورٗا ﴾ هالكا ، ﴿ يَسۡتَفِزَّهُم ﴾ يخرجهم ﴿ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من ديار مصر. ﴿ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ قيل : مصر . وقيل : الشام .

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا (١٠٥) وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا (١٠٦) قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ (١٠٩) قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا (١١٠) وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا (١١١)﴾

﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ أي ملتبسا به. ﴿ فَرَقۡنَٰهُ ﴾ وفرَّقْناه[٣]: أنزلناه مفصلا ولم ينزل جملة؛ لأن المقصود أن يحفظ في الصدور ، ولهذا قال : ﴿ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾.

﴿ ءَامِنُواْ ﴾ ليس أمرًا يريد الامتثال بل هو كقوله: ﴿ فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [٤].
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ ﴾ من أسلم من اليهود يسرعون السجود إذا سمعوه فهو كالذي يخرُّ هاويًا من مكان عالٍ.

ويستحب أن يقول في سجوده هذه الآية: "سبحان من وعده مفعول " ثم يقول:

---

(١) قرأ الكسائي " علمتُ " بضم التاء ، بإسناد الفعل إلى موسى ﷺ وقرأ الباقون " علمتَ " بإسناد الفعل إلى فرعون – لعنه الله – **وتنظر في** : البحر المحيط (٦ / ٦٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٤٢٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٨٥ – ٣٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٦٩٨) .

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٤ / ٤٢٥) موجهًا معنى القراءتين: " علمتُ " بضم التاء، بإسناد الفعل إلى موسى ﷺ أي: أني متحقق أن ما جئت به هو مَنَزَّلٌ من عند الله ، وقرأ الباقون " علمتَ " بإسناد الفعل إلى فرعون – لعنه الله – أي : أنت متحقق أن ما جئت به هو منزل من عند الله وإنما كفرك عناد . وعن علي ﷺ أنه أنكر الفتح وقال : " ما علم عدو الله قط ، وإنما علم موسى " .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان (٣١ ،٣٢) .

(٤) سورة الطور ، الآية (١٦) .

"زادني حبًّا ورغبةً في الطاعة ما زاد الكافرين عتوًّا واستكباراً "(١).

«سمع أبو جهل النبي ﷺ يقول : " يا الله يا رحمن " فقال : إن محمدًا نهى عن دعاء إلهين وهو يدعو اثنين(٢)، وهذا تجاهلٌ منه ، فإن لفظ : " الله والرحمن" اسمان لمسمىً واحد ، (ولم يكن له ولد) يستعين به على دفع الذل ، وكذلك امتناع اتخاذ الولد والشريك ، والولي يحمد الله عليه ، وإن لم يحصل لنا منه شيء(٣)» (١٠٦ / أ).

* * *

(١) قال الإمام السرخسي (من الأحناف) في المبسوط : " وبعض المتأخرين استحسن أن يقول فيها : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ لقوله - تعالى : ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ واستحسن أيضا أن يقوم فيسجد ؛ لأن الخرور سقوط من القيام والقرآن ورد به فإن لم يفعل لم يضر " . وقال الخطيب الشربيني (من الشافعية) في مغني المحتاج : "ويندب كما في المجموع عن الشافعي أن يقول : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ قال في الروضة : ولو قال ما يقوله في سجوده جاز أي كفى " . **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني (١ / ٤٤٨) ، المبسوط للسرخسي (٢/ ١٠)، مغني المحتاج للشربيني (١ / ٢١٤) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ١٨٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٤٨) لابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٣) **في هامش الأصل** : إلى هنا انتهت قراءتي على المصنف من أول الفاتحة من النسخة التي نقلت منها . كتبه محمد . وقد أخذ من هذه العبارة من قال: إن السخاوي لم يتم تفسيره ، بل وصل فيه إلى الكهف . وقد دللنا على ضعف هذا الاستدلال ، وسقنا أدلة كثيرة وقوية تدل على صحة نسبة الكتاب كاملا إلى الإمام علم الدين السخاوي رحمه الله تعالى . والحمد لله الذي أعان ووفق على إخراجه .

سورة الكهف [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)﴾

حمد الله نفسه ، واستحمد إلى خلقه بإنزال الكتاب إذ هو كافل بمصالح الدين والدنيا . وقوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ معترض بين فعل ﴿ يَجْعَل ﴾ ومفعوله ﴿ عِوَجًا ﴾ ﴿قَيِّمًا ﴾ قائماً بمصالح العباد [1] ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ ولم يذكر من أنذره ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثم ذكر إنذار الكفار فبيَّن المنذَر ولم يبين ما أنذروا به ، فقال : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الآية، وقد صرح بهما في قوله: ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ [2] وحذفهما في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [3].

وقوله: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ إشارة إلى أنه كان يجب ألا تبرز هذه الكلمة من صدورهم ، كما جاء في الحديث : " إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يذكره " [4] ونصب ﴿ كَلِمَةً ﴾ كما انتصب في قوله: ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ونعم زيدٌ رجلاً. ﴿بَاخِعٌ

---

(١) قال الأشموني في منار الهدى (ص: ٢٢٨): " الوقف على " عوجا " حسن ، وبين الوقف عليه أن " قيما " منفصل عن " عوجا " .

(٢) سورة النبأ ، الآية (٤٠) .

(٣) سورة نوح، الآية (٢) .

(٤) رواه مسلم رقم (١٣٢) عن أبي هريرة قال: " جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان".

﴿نَفْسَكَ﴾ قاتلها ﴿أَسَفًا﴾ مفعول من أجله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الناس والنبات والأنهار والثمار. ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أكثر توقياً للحرام أو أكثرهم ذكرا للموت واستعداداً له. ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ قد استهلك ما عليه من النبات بالأكل والرعي والجفاف. ولما سأل الكفار رسول الله ﷺ عن قصة فتية ذهبوا فلم يعرف لهم خبر، وتوهموا أن تلك القصة من أعجب ما يكون وأغربه، فأنكر الله ذلك بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (١). والرقيم: جانب الوادي. وقيل: هو لوح رقمت فيه قصتهم، وجعلت علي باب الغار حين غلب المؤمنون على أمرهم واتخذوا عليهم مسجداً.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦) ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)﴾

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ حجبوا عن الإدراك بالحواس فهم مشبهون بمن ضُرب على حواسِّه بشيءٍ يمنعها من الإحساس . كان أهل الكتاب قد تنازعوا في مدة لبثهم ، وفي عددهم ، فأخبر الله نبيه ﷺ بحقيقة الأمر. ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ كما قال - تعالى : ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٢).

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ثبتنا قلوبهم حتى اجتهدوا في كتمان أمرهم ، استعار لهم الربط حتى لا ينفلت منهم ما يدل على حالهم . اعترفوا بأن خالقهم خالق السماوات والأرض؛ لأن أحداً لا يدعي في (١٠٦ / ب) خلقهما مشاركة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩١)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٥٧) لابن إسحاق وابن المنذر وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٢٩) .

مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [(١)] ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ بعيداً عن الصواب، يقال شط المزار: إذا بعد ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [(٢)] ولا تبعد عن الحق.

﴿قَوْمُنَا﴾ بدل من ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ﴿لَّوْلَا﴾ هلاً ﴿يَأْتُونَ﴾ على تصحيح عبادتهم ببرهان بيِّن فلا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وافترى إن كانت بمعنى كذب فـ"كَذِباً" مصدر، وإن كان بمعنى اقتطع واختلق جاز أن يكون مفعولاً.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ وإذ اعتزلتم قومكم بكفرهم. ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم﴾ ما ترتفقون به، سمي المرفق؛ لأنه ارتُفِق بدخول عظم الساعد في عظمي[(٣)] فهيأ بذلك بسط اليدين وقبضهما. قيل: إن الشمس كانت إذا طلعت تميل عنهم خاصة ذات اليمين، وإذا غربت تميل ذات الشمال، وهذا بعيد، بل الصواب أن باب الغار كان في مقابلة بنات نعش[(٤)] فكانت الشمس لا تدخل لهم بكرة ولا عشية ولا في شيء من النهار. واحتج الأولون بقوله - تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وأجيب بأن المراد بقاؤهم ثلاثمائة سنة من غير غذاء ولا شراب وتهيئة هذا الكهف في فجوة في مكان لا تتسلط عليه الشمس. ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الكامل الهداية.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ

---

(١) سورة الأحقاف، الآية (٤).

(٢) سورة ص، الآية (٢٢).

(٣) كذا بالأصل ويبدو أن هنا سقطا.

(٤) **بنات نعش**: سبعة كواكب؛ أربعة منها نعش؛ لأنها مربعة، وثلاثة بنات نعش الواحد ابن نعش؛ لأن الكوكب مذكر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا: ثلاث أو أربع. ذهبوا إلى البنات. ويقال فيما يعرف ببنات: بنات الدم بنات أحمر، وبنات المسند صروف الدهر، وبنات معي البعر، وبنات اللبن ما صغر منها، وبنات النقا هي الحلكة تشبه بهن بنان العذارى، وبنات بخر سحائب يأتين قبل الصيف منتصبات، وبنات غير الكذب وبنات بئس الدواهي وكذلك بنات طبق وبنات برح وبنات أودك وابنة الجبل الصدى وبنات أعنق النساء ويقال: خيل نسبت إلى فحل يقال له: أعنق. وبنات صهال الخيل وبنات شحاج البغال وبنات الأخدردي الأتن وبنات نعش من الكواكب الشمالية، وبنات الأرض الأنهار الصغار، وبنات المنى الليل، وبنات الصدر الهموم، وبنات المثال النساء والمثال الفراش، وبنات طارق بنات الملوك، وبنات الدو حمير الوحش وهي بنات صعدة أيضا، وبنات عرجون الشماريخ، وبنات عرهون الفطر، وبنت الأرض وابن الأرض ضرب من البقل، والبنات التماثيل التي تلعب بها الصبايا وبنات الليل الهموم". **ينظر**: لسان العرب (بني - نعش).

ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ
بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا
فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ
لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا
عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا
﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ
سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا
تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

قيل: كانوا حين ضرب على آذانهم أعينهم مفتحة فظنهم الرائي أيقاظاً ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ حتى لا تأكل الأرض لحومهم إذا استمروا عليها.

قيل: كانوا يقلبون في كل سنة مرة. وقيل: في كل سنة مرتين[(١)]. وقيل: كانوا يقلبون في يوم عاشوراء وهذا مما لا دليل عليه[(٢)].

قوله: ﴿ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾ اسم فاعل بمعنى المضي، فقياسه ألا يعمل، لكنه حكاية حال ماضية[(٣)] والوصيد: الباب.

حكي: «أن معاوية بعث قوماً يستطلعون خبرهم، فلما دخلوا من باب الكهف بعث الله

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٧٣).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢ / ٧٠٩).

(٣) يشترط جمهور النحاة لعمل اسم الفاعل أن يدل على الحال أو الاستقبال فإذا كان للمضي فلا يعمل، وأجاز ذلك بعض الكوفيين، كالكسائي. وفي هذا يقول ابن مالك:

كَفِعْلِهِ اسمُ فاعِلٍ فِي العَمَلِ   إنْ كانَ عَنْ مُضِيِّه بِمَعْزِلِ

وأما في هذه الآية ﴿ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾ فإنها حكاية حال كما ذكر المصنف هنا، والمعنى: يبسط ذراعيه، بدليل ما قبله وهو ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ ولم يقل " وقلبناهم ".

وتنظر المسألة في: شرح الأشموني لألفية ابن مالك (٢/ ٥٦٢)، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١ / ٤٣٧)، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ٥٣ – ٥٥).

ريحًا شديدةً فأخرجتهم وهم كارهون، فبلغ معاوية، فقال له بعض جلسائه: قد منع الله من هو خيرٌ منك من رؤيتهم، فقال: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾»(١).

﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا ﴾ كانوا يظنون أن الشمس غابت [فقالوا : يوما] فرأوها لم تغب فقالوا ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وكان معهم دراهم من ضرب دقيانوس الملك المتقدم ثم تغير ذلك الضرب تغييرات كثيرة في مدة (١٠٧ / أ) الثلاثمائة سنة . ﴿ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ أرخص أو أحلُّ . ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ وهم يظنون أن الملك دقيانوس يطلبهم . ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ ﴾ إن يغلبوكم ؛ كقوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾(٢) ﴿ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أطلعنا ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾(٣) وكان ملكهم في ذلك الزمان مسلماً وكان يرى ببعث الأجساد والأرواح ، وقوم ينكرون ذلك ، فأقام الملك متضرعا أن يريهم الله آية تدل على بعث الأجسام ، فلذلك قال : ﴿ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ فلما اطلع عليهم تنازع فيهم المسلمون، فغلب الملك والمسلمون عليهم ، فبنوا عليهم مسجدًا . كان ابن عباس يحلف أنه من القليل الذين يعلمون عددهم ، ويقول : هم سبعة وثامنهم كلبهم(٤) فإن الله – تعالى- عقب القولين الأولين بقوله : ﴿ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾ ولم يقل ذلك في قولهم الثالث .

وزعم قوم أن هذه واو الثمانية، وليس عند العرب للثمانية واو.

وأما سورة التحريم قوله: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾(٥) فتلك الواو واجبة الدخول، سواء كان ثالثة أو رابعة أو ما سوى ذلك؛ لأنه لو قال: ثيبات أبكارا لاجتمع الضدان. وقد كان

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٤٧٢)، ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ٣٠١) للواحدي في تفسيره الوسيط.

(٢) سورة الصف ، الآية (١٤) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (١٠٧) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢٢٦)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٧٥) لعبد الرزاق والفريابي وابن سعد وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرقٍ عن ابن عباس ، ونسب للطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : " أنا من القليل، مكسلمينا وتمليخا وهو المبعوث بالورق إلى المدينة ومرطوس ونينونس ودردوتس وكفاشطهواس ومنطفواسيسوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير " .

(٥) سورة التحريم ، الآية (٥).

القاضي الفاضل[(١)] يعتقدها واو ثمانية فرد عليه أبو الجود بما ذكرته فقال: أرشدك الله يا أبا الجود[(٢)].

وأما سورة الزمر وقوله: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [(٣)] في صفة أهل الجنة ، فليس ذلك لأن أبواب الجنة ثمانية كما زعموا فإنه لم يسبق ذكر عدد ، وإنما هذه الواو واو الحال والتقدير: جاءوها وقد فتحت أبوابها كما تعد الدار نزلا للضيف وتكنس وتفتح أبوابها[(٤)].

قوله: ﴿ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ يدل على جواز المماراة إذا ظهر دليلها وإن كان في لسان حملة

---

(١) هو الإمام العلاَّمة البليغ القاضي الفاضل محيي الدين سيد الفصحاء أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج اللخمي الشامي البيساني الأصل العسقلاني المولد المصري الدار الكاتب صاحب ديوان الإنشاء الصلاحي ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة، انتهت إلى القاضي الفاضل براعة الترسل وبلاغة الإنشاء وله في ذلك الفن اليد البيضاء والمعاني المبتكرة والباع الأطول لا يدرك شأوه ولا يشق غباره مع الكثرة، تُوفيَ ليلة سابع ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة.
تنظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ٣٣٨).

(٢) هوالإمام المحقق شيخ المقرئين أبو الجود غياث بن فارس بن مكي اللخمي المنذري المصري الفرضي النحوي العروضي الضرير مولده في سنة ثماني عشرة وخمسمائة وتلا بالروايات على الشريف الخطيب أبي الفتوح الزيدي ، وتصدر للإقراء دهرا وانتشر أصحابه منهم الشيخ علم الدين السخاوي وعبد الظاهر بن نشوان والفقيه زيادة وأبو عمرو بن الحاجب والمنتجب الهمذاني أقرأ الناس دهرا ورحل إليه وأكثر المتصدرين للإقراء بمصر أصحابه وأصحاب أصحابه ، وكان ديِّنًا فاضلاً بارعًا في الأدب حسن الأداء لقَّاظًا متواضعًا كثير المروءة ، تُوفيَ في تاسع رمضان سنة خمس وستمائة رحمه الله .
تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ٤٧٣) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٧٣) .

(٤) هناك أربعة مواضع في القرآن سميت الواو فيها بواو الثمانية عند بعض النحاة والأدباء والمفسرين ؛ وهي هذا الموضع من سورة الكهف ، وقوله – تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة:١١٢] وقوله – تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧٣] وقوله – تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم:٥] وقد عددها ابن هشام في مغني اللبيب (١/٥٨٢) وقال: "ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه، ومن المفسرين كالثعلبي ، ونسب السمين الحلبي في الدر المصون إلى أبي بكر راوي عاصم أنه قال بذلك. ورد المحققون هذه التسمية ونفوا وجود هذه الواو في العربية وقالوا عن ذلك: " وهو قول لا دليل له ولا أصل له ". **وينظر** في ذلك : الجنى الداني للمرادي (ص:١٦٨٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٥٠٨) ، الفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين العلائي (١ / ١٤٠ – ١٤٥) .

الشريعة لا يذكرونه إلا مذموماً.

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ نزلت حين قال رسول الله ﷺ للكفار: " سأخبركم غداً " ولم يقل: إن شاء الله[1]. ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ الاستثناء بالمشيئة ﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ ﴾ مما نسيته ﴿ رَشَدًا ﴾ . ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ﴾ سنين بدل من ثلاثمائة .

قوله : ﴿ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ أي لما انتقل الحساب من السنة الشمسية (١٠٧ / ب) إلى السنين العربية صارت الثلاثمائة الشمسية ثلثمائة وتسعة بالعربية ، وفيها تفاوتٌ يسيرٌ كما قال : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾[2] وإنما هو شهران وثلث .

له علم ما غاب في السماوات والأرض. ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ ما أبصر الله بما تفعلون وما أسمعه لما تقولون! ﴿ وَاتْلُ ﴾ أي: اقرأ . وقيل: واتبع كقوله: ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾[3] أي: تبعها في السير. ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ وكان عيينة بن حصن وأضرابه من المترفين يكرهون مجالسة عمار بن ياسر وخبَّاب بن الأرت وبلال وابن مسعود ويقولون: اجعل لمجلسنا يوما لا يحضرونه ، فهمَّ رسول الله ﷺ بذلك حرصًا على إيمان المترفين ، فإنهم إذا آمنوا تبعهم خلقٌ كثيرٌ ، فنُهي عن طرد الفقراء ، وأُمِرَ أن يصبر نفسه معهم ، فكان إذا

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٥٧) ونسبه لأبي نعيم في الدلائل من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٩٧) .

(٣) سورة الشمس ، الآية (٢) .

جلس معهم لا يقوم من مجلسه حتى يبدؤوا هم بالقيام(١) .

﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ ﴾ خلقنا الغفلة في قلبه وكان أمره مقدَّما في الشر.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن ﴾ إذا شاء الله رب العالمين ﴿ وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ إذا شاء الله رب العالمين، فلنا مشيئة نفرق بها بين الفعل الاختياري والاضطراري ولا يقع الفعل إلا بمشيئة الله - تعالى.

الْمُهْلِ: درديُّ الزيت المغلي. وقيل: الذهب والفضة إذا أذيبا. وقوله: ﴿ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾ أي: يجعل مكان الغوث وإلا فهو ليس بغوث . ﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ إذا دنا منها ويقطع الأمعاء إذا شرب ، ويصب من فوق رؤوسهم فيذيب شحم بطونهم .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ و﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾ جملة معترضة . وقيل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ مبتدأ وخبره ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ وعلى هذا دخلت ﴿ إِنَّ ﴾ في خبر ﴿ إِنَّ ﴾ . وقيل بجوازه ؛ كقوله - تعالى- في سورة الحج: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ثم قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ (٢)، وأنشدوا عليه

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه رقم (٤١٢٧) ، والطبري في تفسيره (١٥ / ٢٣٥) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٣٠٥ رقم ٦٠٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧ / ٣٣٤ رقم ١٠٤٩١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٧٣) لابن أبي شيبة وأبي يعلى وأبي نعيم في الحلية وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن خباب .

(٢) سورة الحج ، الآية (١٧) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٤ / ٤٥٢) : " ويجوز أن تكون=

[من البسيط] :

إن الخَلِيفَــةَ إن الله سَــربَلَه سِربَالَ عِزٍّ بِه تُرجَى الخَوَاتِيمُ[(١)]

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ ﴾ إن كانت عدن اسم مكان مخصوص ، فهي معرفة ، وإن كانت من عدن بالمكان إذا أقام به فهي نكرة . قيل: السندس ما رقَّ من الديباج . والإستبرق (١٠٨ /أ) ما غلظ منه، ولهذا قال : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ ﴾ [(٢)] ولا يعني بما غلظ من الديباج له ناقص القيمة ؛ لأنه ليس في الجنة ناقص إنما هو نوع من الحرير ينسج ثخينا. ﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ السرر في الحجال . ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم ﴾ ﴿ مَّثَلٗا ﴾ و﴿ رَّجُلَيۡنِ ﴾ مفعولان لـ ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾ ومعناها : صيِّر ؛ كقولك : ضربت الطين لبنا، وقد سبق أن الزمخشري[(٣)] قال : إن الجنة من النخل ، والفردوس من الكرم ، وظاهر هذه الآية يخالفه ؛ لأنه جعل الجنتين من الأعناب ، ﴿أُكُلَهَا﴾ أي : ثمرتها .

لَمْ تَظْلِمْ: لم تنقص. وكان له أموال مختلفة بثمرها. ﴿ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ يراجعه للكلام .

النفر: القوم الذين ينفرون معك إذا استدعيتهم. وقال الزمخشري[(٤)]: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ ﴾ أي: التي لا جنة له سواها، وليس له في الآخرة إلا النار، وزعم أنه إن كان ثم آخرة فنصيبه منها وافر، ولا دليل له على ذلك ولا باعث إلا البطر، وسعة الرزق. جعل صاحبه إنكاره للبعث وقسمه أن جنته لا تبيد، وأنه يؤتى في الآخرة نصيباً وافراً كفراً بالله.

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا

= الجملتان أعني قوله : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ﴾ خبرين لـ ﴿ إِنَّ ﴾ عند من يرى جواز ذلك ، أعني تعدد الخبر وإن لم يكونا في معنى خبرٍ واحدٍ " .

(١) البيت لجرير ينظر في : أمالي الزجاجي (ص : ٦٢) ، تذكرة النحاة (ص : ١٣٠) ، خزانة الأدب للبغدادي (١٠ / ٣٦٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٥٢) ، ديوان جرير (ص : ٦٧٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٤٨) ، لسان العرب (ختم) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ١٤٠) .

(٢) سورة الرحمن ، الآية (٥٤).

(٣) تقدم في تفسير سورة الرعد، الآية (٤).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢ / ٧٢١).

حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾

﴿خَلَقَكَ﴾ أي: خلق أصلك من تراب، ثم جعل نسلك من سلالة من ماء مهين. ﴿وَلَوۡلَآ﴾ بادرت حين دخول جنتك فقلت: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

وقيل: من أكثر قول هذه الكلمتين في بستانه تضاعف ثمره وأمن الجائحة(١).

والحُسبان: عذاب. ﴿غَوۡرٗا﴾ أي: غائرًا. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ هلك. ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ يديه ندماً على خسران ﴿مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ وجعل نفسه مشركاً بذلك من دون الله من سوى الله. ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ بنفسه. ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك الوقت، أو في ذلك الزمان ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ بكسر الواو وفتحها(٢) لغتان. من رفع ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ فهو صفة للولاية ومن جرّه(٣) فهو نعت لله.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا

---

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٩٢) نحو ذلك ونسبه لابن أبي حاتم عن أنس ﷺ قال: "من رأى شيئا من ماله فأعجبه فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ لم يصب ذلك المال آفةٌ أبدًا وقرأ ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية".

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف "الوِلاية" بكسر الواو، وقرأ الباقون "الوَلاية" بفتح الواو.

تنظر القراءات في: الإتحاف للبنا (٢/ ٢١٦)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٢٥)، البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٣١)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٤١١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٤٦٠)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٦٨ - ٤٦٩)، معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٦)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣١١).

(٣) قرأ أبو عمرو "الحقَّ" بالفتح، وقرأ الكسائي "الحقُّ" بالرفع، وقرأ الباقون "الحقِّ" بالجر.

تنظر القراءات في المراجع السابقة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ (٤٩)

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ في حسن إقبالها وسرعة زوالها بجملة ؛ وهي أن ماءً نزل من السماء إلى آخره. ﴿ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ ﴾ أي: اختلط التراب بالماء ، واختلطت أنواع العشب النابتة من الأرض . ﴿ تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ تحمله وتفرقه في نواحٍ شتى .

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ سائر الأعمال الصالحة[١]. وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر[٢]. وقيل: الصلوات الخمس[٣] (١٠٨/ ب).

﴿ وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ أي: مأمولا. ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ليس عليها شجر ولا نبات يستر شيئاً منها . ﴿ لَا يُغَادِرُ﴾ لا يترك، ومنه سمِّي الغدير؛ لأن السيل تركه لانخفاض مكانه. وقيل: سمي به لأن المسافرين يمرُّون عليه وهو ملآن، ثم إذا تهيأ عودهم يظنون أن ذلك الماء باقٍ ، فيجدون الرياح قد أذهبته ، فكأنه غدرهم. فعيل بمعنى فاعل وعَلَى الأول بمعنى مفعول . ﴿وَوَجَدُوا۟﴾ جزاء ﴿ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ ووجدوه مسطورا في صحائف الأعمال. ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ قيل: اجعلوه قبلتكم . وقيل: اجعلوه إماماً تسجدون لسجوده . والصحيح اسجدوا له تعظيمًا، وتختلف الشرائع في ذلك. ومنه: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[٤] .

﴿كَانَ ﴾ من خدم الجنة، وبه سمي الجن . وقيل: سمي به لاستتاره عن الأعين ، ولا يتعدى ذلك إلى الملائكة ، فهو مشتق لا يعم كالقارورة والملك والخابية[٥] ﴿ فَفَسَقَ﴾ فخرج والفاء لِرَدِّ السببية الباطلة ، كأنه قال : أفمع فعله مع أبيكم هذا تتخذونه وليًّا من دون الله .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢٥٦) عن ابن زيد .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢٥٤ – ٢٥٥) عن عثمان ﷺ وغيره .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٢٥٤) عن ابن عباس – رضي الله عنهما وغيره .

(٤) سورة يوسف، الآية (١٠٠).

(٥) **الخابية:** هي الحب أصلها الهمزة من خبأت إلا أن العرب تركت همزه قال أبو منصور: تركت العرب الهمز في أخبيت و خبيت وفي الخابية لأنها كثرت في كلامهم فاستثقلوا الهمز فيها.
ينظر : لسان العرب (خبأ) .

وقوله : ﴿ وَذُرِّيَّتَهُۥ ﴾ احتج بها قوم على أن إبليس تزوج وولد له.

﴿ مَّآ ﴾ أحضرتهم ﴿ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ولا استعنت بهم في خلقهما، ومثله ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [(١)] واذكر يوم يقول الله : ﴿ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ ﴾ زعمتموهم شركاء ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ أي مهلكا ، وهو سرادق جهنم . وقيل: البين بمعنى الوصل ومنه : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكُمْ ﴾ [(٢)] بالضم ، المعنى هنا: وجعلنا تواصلهم في الدنيا سبباً لهلاكهم في الآخرة .

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ فَظَنُّوٓا۟ ﴾ فأيقنوا . وقيل: هو ظن على بابه، والمواقعة مفاعلة من واحد مأخوذ من الوقوع ، فهم يقعون فيها وهي لا تقع فيهم . ﴿ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل حكمٍ أو قصةٍ أو موعظةٍ هي في غرابتها كالمثل.

﴿ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ بالباطل، وفي البخاري: «أنَّ النبي ﷺ طَرَقَ عَلِيًّا وَفاطِمَةَ بَعْدَ أَنْ أَخذَا مَضاجِعَهُمَا فَأَرَادَا أَنْ يَقُومَا فقَالَ : عَلَى مَكَانِكُما . فَجَلَسَ بَيْنَهُمَا. قَالَ عَلِيٌّ : حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيّ وَفَاطِمَة ، ألا تَقُومَانِ اللَّيلَ ؟ فقَالا : يَا رَسُولَ اللهِ ، إنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ ، إنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَنا أَقَامَنَا ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُنِيمَنَا أَنَامَنَا ، فلم يرجع النبي ﷺ إليهم جواباً . قال عليٌّ: (١٠٩ /أ) فسمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾»[(٣)].

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية (٤) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٩٤) وتقدم تخريج القراءة هناك .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٧٢٤).

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ ﴾ الإيمان إلا الاستهانة بما ذكّروا به من قصص الأولين . ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ أي: معاينة ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الرسل ﴿ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ ﴾ ليبطلوا ﴿ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى ﴾ وإنذاري محل هزءٍ أو مهزوًا به ، أو جعله نفس الهزء مبالغةً ، ولا أحدٌ ﴿ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا ﴾ قدم من الأعمال السيئة حتى جعلته على شفا جرفٍ من النار . الأكنة: جمع كنان ؛ كراهة أن يفقهوا أو لئلا يفقهوا . والوَقر بفتح الواو: هو الثقل في الأذن، وبكسرها الحِملُ ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ فيلزم من الغفران الرحمة؛ لأن الرحمة أعم والمغفرة جزء منها قد تحصل الرحمة بكشف الشدائد وسعة الرزق وبلوغ الآمال. ﴿ بَل ﴾ لمجازاتهم ﴿ مَّوْعِدٌ ﴾ ﴿ مَوْئِلًا ﴾ أي: منجى.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ عطف بيان أو صفة و﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ الخبر ، ويبعد أن يجعل ﴿ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ خبراً عن ﴿ تِلْكَ ﴾ لقلة الفائدة فيه ، وإن كان قد جاء مثله خبراً ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾[1] ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾[2] فيه إشارة إلى معاجلتهم بالعقوبة . ﴿وَجَعَلْنَا﴾ لوقت إهلاكهم موعداً.

---

(١) سورة هود ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٥٢) .

روي: «أن موسى عليه السلام خطب الناس ووعظهم موعظةً بليغةً، فقال له رجل: هل تعلم أحدًا أعلم منك ؟ فقال: لا . فعتب الله عليه ، إذ لم يَرُد العلم إليه ، فقال: عبد لنا بمجمع البحرين هو أعلم منك . فقال: يا ربّ كيف السبيل إلى لقائه؟ قال: خذ حوتاً في مكتل، فحيث فقدت الحوت فهو ثَمَّ ، فتوجه هو ويوشع بن نون فتاه لطلبه، واتخذ حوتاً في مكتل ، فلما وصلا إلى المكان توضأ يوشع من عين، فأَصَابَ الماء الحوت المشويَّ - وكان قد أكل أحد شقيه - فحيى ، ووقع في الماء، وصار الماء عليه مثل الطاق ، ثم توجها لطلبهما بقية يومهما فوجدا التعب والجوع ، فقال موسى لفتاه : آتنا غداءنا . فأخبره بخبر الحوت ، فقال : ذلك ما كنا نبغي . فرجعا يقصان الأثر ، فوجدا الخضر. وقيل : إنهما دخلا في الماء في المكان الذي دخل فيه الحوت ، فوجدا الخضر جالساً هناك ، فسلَّم موسى عليه ، فقال الخضر: أنّى بأرضك السلام ؟ فقال: أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟! قال: نعم ، جئتك لتعلمني مما علمت رشدا. وتأدب موسى مع الخضر لما ردَّه بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ (١٠٩/ ب) فقال له: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ فركبا في سفينة ، فلما توسطا البحر خرق الخضر السفينة ﴿شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ أي: منكرًا ، وكذلك ﴿نُّكۡرٗا﴾ و﴿إِذٗا﴾ وكانت الأولى من موسى نسياناً ، فاعتذر عن فعله بنسيانه، فقبل عذره ، ثم وجدا غلاماً صبيح الوجه، فأخذه الخضر فقتله، فأنكر موسى عليه ثانياً ، واختلف في أي الأمرين أشد ؟ فقيل: خرق السفينة؛ لأنه يخشى بذلك هلاك خلق كثير. وقيل: قتل الغلام؛ لأنا تيقنَّا ذهاب روحه بخلاف ركبان السفينة. قال له الخضر مغلظاً عليه: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ﴾ فزاد لفظة ﴿لَّكَ﴾ في الثانية دون الأولى، فحكَّمه موسى عليه وقال: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِي﴾ قال النبي ﷺ: " وددنا لو أن موسى سكت حتى يقصَّ الله علينا من خبرهما " [١].

﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٢٧) ، ومسلم رقم (٢٣٨٠) ، وأحمد في المسند (٥ / ١١٦، ١١٨، ١١٩) ، وأبو داود رقم (٤٧٠٧) ، والترمذي رقم (٣١٤٩) .

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

المراد بالانطلاق: الذهاب ولا يشترط فيه السرعة، وأصله من إطلاق الإنسان أو الدابة الممنوعين عن التصرف. وقوله: ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ يعني موسى والخضر، ولم يجر ذكر يوشع بعد انطلاقهما، وكملت القصة في محاورة موسى والخضر دون يوشع.

﴿ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ وقد احتج بهذه الآية من أجاز السؤال عند الحاجة، فإن الخضر وموسى استطعما وردًا . وفيه دليل على أن إعطاء المسكين والسائل ضيافة.

وقوله: ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ نسبة الإرادة للجدار مجاز والمراد إشرافه على السقوط. ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ الخضر. وقوله: ﴿ لَتَّخَذْتَ ﴾ قرئ ﴿ لَتَخِذْتَ ﴾ وهما لغتان[1] فلما استكمل موسى ثلاثة أسئلة على خلاف ما شرط عليه في قوله : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ ﴾ الآية قال له الخضر : وفاءً بالشرط ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ وقد زعم بعضهم البين بمعنى الوصل، احتج بقوله - تعالى : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ في قراءة من ضم النون[2].

واحتج الشافعي في قوله : إن المسكين أكثر موجوداً من الفقير بهذه الآية [3] فجعل لهم سفينة وسماهم مساكين . وقال بعضهم : لما جاز إرادة إفساد السفينة للمصلحة ، وإن كان ضرر ظاهر نسب ذلك إلى نفسه بقوله : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ولما كان بقاء الكنز في مكانه ليأخذه اليتيم إذا بلغ مصلحة مُجرَّدة نسبه إلى الله - تعالى- فقال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ﴾ وقد سأل نافع الأزرق[4] ابن عباس ﷺ فقال: "كيف جاز للخضر قتل الغلام ولم يحتلم ، وهو لم

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب " لَتَخِذْتَ "، وقرأ الباقون " لاتَّخَذْتَ ".

وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٥٢) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٢٨) ، ، الحجة لأبي زرعة (ص :٤٢٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٧٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٩٦) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٩٥) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣١٤) .

(٢) تقدم تخريجها في سورة الأنعام ، الآية (٩٤) .

(٣) ينظر: المبسوط للسرخسي (٣/ ٢)، المغني لابن قدامة (٧ / ٣١٣).

(٤) هكذا وقع هنا نافع الأزرق، وفي كتب التخريج وفي الكشاف للزمخشري (٢ / ٧٣٦) أن الذي سأل=

يجر عليه قلمٌ ؟ قال ابن عباس: عَلِمَ منه أنه يكفر إذا بلغ . فقال : إذا غلب على (١١٠/أ) ظن الإنسان ذلك يجوز له أن يقتُل ولم يتحقق منه جناية بعد ؟ فقال ابن عباس: إن علمتَ من الغلام ما علمه الخضر فاقتله "[١].

وقد قيل في الكنز: إنه لوح مكتوب فيه: "عجبتُ لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله " [٢] ، وظاهر لفظ الكنز يخالف هذا .

وقيل في الأب الصالح: إن ذلك الولد كان سابع بطن من ذريته، وقد ورد في الأثر: "إن الرجل الصالح يحفظ في السابع من ذريته" [٣]. والأشد: جمع شد، وبلوغ الأشد هو تكامل القوى. وقوله: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ﴾ يريد أن الله أعلمه ذلك بطريق من طرق الإعلام لم يُطلع الله موسى عليه.

= ابن عباس عن ذلك هو نجدة الحروري ، وكلاهما من الخوارج ؛ أما نافع فهو ابن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء ، كان من رؤوس الخوارج وإليه تنسب الطائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية ، وكان يخرج في سوق الأهواز ويعترض الناس بما يحير العقل ، وجعل يقرأ ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ إلى ﴿فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ وكان يطلب العلم ، وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء من روايته، وأخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير ، كان قتله في جمادي الآخرة سنة خمس وستين .

تنظر ترجمته في: لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٦/ ١٤٤).

وأما نجدة الحروري فهو نجدة بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج زائغ عن الحق ذكر في الضعفاء للجوزجاني ، وهو ابن عمير اليمامي خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية وقدم مكة وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا . ترجمته في: لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٦ / ١٤٨) .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٣٥٢) رقم (٣٢٩٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٤ / ٤٢٣) رقم (٢٥٥٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٢٦) ونسبه لأحمد عن عطاء قال : " كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله عن قتل الصبيان فكتب إليه إن كنت الخضر تعرف الكافر من المؤمن فاقتلهم " . ورواه مسلم في صحيحه رقم (١٨١٢) بلفظ نحو ذلك.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٦ / ٦) عن الحسن ، ورواه البيهقي في كتاب الزهد الكبير (٢/ ٢١٥) عن علي بن أبي طالب ﷺ وذكره الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٥٠٣) عن ابن الكلبي عن أنس.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٦ / ٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٢٩) ونسبه لابن أبي حاتم من طريق شيبة عن سليمان بن سليم بن سلمة قال: " مكتوب في التوراة: إن الله ليحفظ القرن إلى القرن إلى سبعة قرون وإن الله يهلك القرن إلى القرن إلى سبعة قرون " .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ
نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ
مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ
مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

وقوله - تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ وهو مَلِك مَلَكَ الأرض كلها، ولم يملكها إلا أربعة: مسلمان : ذو القرنين وسليمان ، وكافران : بختنصر والنمرود . واختلف لِمَ سمي ذا القرنين ؟ فقيل : لأنه بعث إلى أمتين في مشرق الأرض ومغربها. وقيل: لأنه بلغ مسيره إلى المشرق والمغرب . وقيل : دعا قومه إلى الله فشجوا قرن رأسه ، ثم أعاد دعوتهم إلى الله فشجوا القرن الآخر. وقيل: عاش عمر قرنين، والأمة الكبيرة تسمى قرنا ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ (١) ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ (٢) وقيل: كانت له ذؤابتان حسنتان فسميتا قرنين ، ومن العجيب قول بعضهم: إنه كان له قرنان من نحاس ، فليتني أدري كيف يمتزج النحاس باللحم والدم ، وكيف يأخذ حظه من الغذاء؟!(٣)

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ يستعين به على الملك ﴿ سَبَبًا ﴾ فإنه لم يؤت السبب إلى ملك السماوات ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ ﴾ الجهة التي تلي مغرب الشمس ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أي: في نظر عينه قرى حامية، فالهمز يريد به كثيرة الحمأة وهي الطين، وغير المهموز يريد شدة الحر(٤). ﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ ﴾ هؤلاء القوم، وإما أن تفعل فيهم فعلاً حسنًا، فرد عليهم الجواب

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (١٧) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٣١) .

(٣) ذكر بعض هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٥٠٤) ، وذكر بقية الأقوال السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٣٩) عن وهب بن منبه اليماني ، والزمخشري في الكشاف (٢ / ٧٤٣).

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم " حمئة " بالهمز ، وقرأ الباقون " حمية " غير مهموز.
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٥٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٨٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٩٨) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٧٤٤) .

مفصّلاً فقال: ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ ﴾ فله كذا. ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ومن نصب ﴿جَزَآءً﴾ جعله مفعولاً من أجله . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ عُراة ، وأنهم حين تطلع الشمس ينزلون في الماء حتى ترتفع الشمس فيخرجون .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ أي: بين رأسي الجبلين ، وكان بينهما فرجة متسعة يخرج منها غاشية يأجوج ومأجوج (١١٠/ ب) فيفسدون في الأرض ويقتلون.

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

فسأل القوم ذا القرنين أن يسدَّ ما بين الجبلين الذي ليس لهم طريقاً غيره، وعرضوا عليه أن يبذلوا له مالاً، فقال: ﴿ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ﴾ طلب منهم الآلة وهي الحديد حتى جمعوا له ما سد بين الجبلين حديداً، ثم دعا بالنحاس، فأوقد عليه النار حتى ذاب، ثم أفرغه على ذلك الحديد المرصوص، فدخل وهو حار في الخلل الذي بين الحديد، فصار كأنه قطعة واحدة. ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ ﴾ أن يعلوه ولا أن ينقبوه. ﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ السد ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ بمجيء الآخرة ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ أي: مدكوكاً ومن قرأ ﴿دَكَّآءَ﴾ [(١)] بالمد والهمز أي: لا رأس له ، يقال: ناقة دكاء أي: لا سنام لها .

قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾ قيل: الضمير يعود إلى يأجوج ومأجوج وقيل: هو كلام مستأنف يريد به الكفار والظلمة، وشبه اختلاطهم وتظالمهم بتَموج البحر فقال: ﴿يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ والصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل، وفي ذلك القرن لوى بعدد أرواح بني آدم ، فيصل إلى كل جسد روحه بتلك النفخة . وقيل: الأرض بمنزلة الصور ينفخ فيها إسرافيل .

(١) تقدم في سورة الأعراف ، الآية (١٤٣) .

وقيل: الصُّوَر جمع صورة (١) أي: ينفخ في الصُّور وهو كقولك: بُوص وبوصة، وتوتة وتوت، وثوم وثومة. ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ يراها المؤمنون والكفار. لما لم يعتبروا بآيات الله التي شاهدوها في الآفاق وفي أنفسهم كمن غطيت عيناه فلم تستطع الإبصار فقال: ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ وجعلهم في أمر السمع كالصم. ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ويسلمون من العقوبة جعل جهنم كالنزل المهيَّأ للضيف وهو تهكم بهم، و﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ هم الرهبان، ومن كان على خطأ يحسب أنه على هدى.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾

وقوله: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾؛ كقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (٢) وقوله: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ الآية (٣).

وقوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ قال عبيد بن عمير (٤): "يؤتى بالرجل البدين السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة" (٥). ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ (١١١/أ) يهزءون بهم.

---

(١) قرأ بها الحسن وابن عامر. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٢٧٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٤٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥٣)، المحتسب لابن جني (٢/ ٥٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (١١/ ١٠٥).

(٢) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١١٧).

(٤) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر ولد في حياة رسول الله ﷺ وحدث عن أبيه وعن عمر بن الخطاب وعلي وأبي ذر وعائشة وأبي موسى الأشعري وابن عباس وطائفة وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، وكان يذكر الناس فيحضر ابن عمر - رضي الله عنهما- مجلسه، توفي قبل ابن عمر بأيام يسيرة وقيل: توفي في سنة أربع وسبعين. **تنظر ترجمته في:** سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦).

(٥) ورد ذلك مرفوعا رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٥٢)، ومسلم رقم (٢٧٨٥) عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

قال بعض العلماء: لم تمدح الجنة بأحسن من قوله تعالى: ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ لأن الإنسان لو هيأ قصراً من ذهب ، وجمع فيه كل ما يحبه ويملأ عينه ويسر قلبه وأقام في ذلك المكان بعينه مدة فإنه يمله ويود لو انتقل إلى هيئة أخرى من التلذذ [(١)].

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ ﴾ زاد في سورة لقمان ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ [(٢)] التقدير: لو كان البحر مدادًا تكتب به كلمات ربي.

﴿ ونَفِدَ ﴾ بكسر الفاء والدال المهملة أي : فرغ ﴿ ونَفَذَ ﴾ بفتح الفاء والذال المعجمة[(٣)].

فمعناه : نفذ ، تقول نفذ السهم أي : خرق إلى الجانب الآخر .

وقوله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ قيل: نزلت في المرائين، وسماهم مشركين وفعلهم شركاً بقوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [(٤)].

* * *

(١) ذكر نحوه ابن كثير في تفسيره (٣ / ١٠٩) .

(٢) سورة لقمان ، الآية (٢٧) .

(٣) **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٦٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٧٥٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٦ / ٤٠).

سورة مريم عليها السلام [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾

﴿ عَبْدَهُۥ ﴾ مفعول بـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ ﴿ زَكَرِيَّآ ﴾ بدل ﴿ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ أخفاه لبعده عن الرياء، أو أخفاه من بني عمه الذين خافهم، أو خاف أن يلام على طلب الولد مع الشيخوخة ﴿وَهَنَ﴾ الوهن : الضعف . وقيل : هو أشد الضعف ، واحتجوا بقوله – تعالى : ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾ [١] والمعطوف غير المعطوف عليه . ﴿ٱلرَّأْسُ﴾ ولم يقل : رأسي اكتفاء بفهم المخاطب ، إرادة للإضافة . وعند الكوفيين : الألف واللام قامت مقام الإضافة[٢]. ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ ﴾ من عادة المحسن أن يبقى له إدلال على من أحسن إليه، وقد عكس زكريا ذلك وجعل تكرار إحسان الله إليه سببا في إدلاله وتكرار سؤاله فقال: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ وحكي أن رجلاً قصد رجلاً فقال القاصد : أنا الذي أحسنت إليَّ يوم كذا وكذا فقال : مرحبًا بمن توسل بنا إلينا [٣].

﴿ ٱلْمَوَٰلِيَ ﴾ بنو العم ، وخاف تضييعهم للتوراة ولأحكام شريعتهم بعد موت زكريا فسأل ربه ولداً صالحاً يخلفه من بعده في رعاية الإسلام . العاقر: هي الرملة التي لا تنبت فشبهت المرأة التي لا تحمل بها. ﴿ وَلِيًّا﴾ فعيل إما بمعنى مفعول، أي : تتولاه أنت أو بمعنى فاعل أي: يتولى الله . ﴿يَرِثُنِى﴾ بالجزم جوابا للأمر، وبالرفع[٤] على الصفة لـ ﴿وَلِيًّا﴾ ،

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٦).

(٢) أجاز الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتاخرين نيابة " أل " عن الضمير المضاف إليه .

تنظر المسألة في: اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١ / ٤٩٥) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ١٠٠).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤).

(٤) قرأ أبو عمرو والكسائي ﴿ يَرِثْنِي ﴾ بالجزم ، وقرأ الباقون ﴿ يَرِثُنِي ﴾ بالرفع .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٧٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٩٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٠٧)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥).

ويظهره وله - تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ بالجزم والرفع[١].

﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ أي: النبوة، ومن زكريا الحبورة[٢]. ويعقوب هذا هو ابن إسحاق بن إبراهيم. وقيل: غيره[٣].

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾

السمي فيه قولان (١١١ / ب) أحدهما: أنه المثل، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: مثلاً. والثاني: أنه لم يتسم بهذا الاسم أحد، وفيه مناسبة فإنه ولد بين شخصين كالميتين شيخ وامرأة عاقر كبيرة، قال ﷺ: " نَحْنُ مَعاشِرَ الأنبياءِ، ما منا إلا مَنْ عصَى أو همَّ بمعصيةٍ غير يحيى بن زكريا "[٤].

---

(١) سورة القصص، الآية (٣٤) وقرأ عاصم وحمزة « يُصَدِّقُنِي » بالرفع، وقرأ الباقون «يُصَدِّقْنِي» بالجزم. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٩٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، الكشاف للزمخشري (٣٤٣/٥).

(٢) ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (١ / ٣٠٢) عن ابن عباس في رواية أبي صالح عنه قال: "يرثني أي يرثني الحبورة وكان حبرا، ويرث من آل يعقوب أي: يرث الملك".

(٣) قال الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٥١٧): وهو يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى، قال مقاتل: ويعقوب بن ماثان هو أخو عمران أبي مريم؛ لأن يعقوب وعمران ابنا ماثان.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٤ / ١٩٩): " اشتهر في الخبر " ما منا إلا من عصى أو همَّ بمعصية إلا يحيى بن زكريا " قلت: المشهور بلفظ " ما من آدمي إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها " رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم عن ابن عباس وهذا لفظه ولفظهما " ما من أحدٍ من ولد آدم إلا قد أخطأ أو همَّ بخطيئةٍ ليس يحيى بن زكريا " وهو من رواية علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران وهما ضعيفان، وله طريق أخرى عند البزار من رواية محمد بن عون الخراساني وهو ضعيف وفي الباب عن أبي هريرة في الطبراني في الأوسط وكامل بن عدي في ترجمة حجاج بن سليمان وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح إلى الحسن عن النبي ﷺ مرسلا وأخرجه عبد الرزاق من طريق سعيد بن المسيب مرسلا أيضا ". قلت: وبهذا اللفظ رواه الإمام أحمد في مسند (١/ ٢٥٤) رقم (٢٢٩٤)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٢٥٤٤)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٤٧) رقم (٤١٤٩).

فلذلك لم يكن له مثل في هذه العصمة . فإن قيل: سأل زكريا الولد، فلما بشر به قال: أنى يكون لي ولد ، فاستبعد ذلك . وجوابه: أنه لم يستبعده، وإنما قال: هل أبقى على الشيخوخة وزوجي على العقر ، أو أتغير أنا إلى الشباب والزوجة إلى صلاح الولد ، والعتي: شدة الهرم ويبس الأعضاء ، الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع رفع ، أي: الأمر مثل ذلك ، أو في موضع نصب ، أي : قولاً مثل ذلك . ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ تفسير للقول ، لقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾ الآية تفسير لقوله: ﴿ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾[(1)] ولم يكن شيئاً أي : لا تستبعد حصول النتاج من وطئك ، فإني أوجدتك من العدم والله على كل شيء قدير.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾

فسأل زكريا آية ترشده إلى أن المرأة قد حملت فقيل له: إنك لا تستطيع الكلام لكن ينطلق لسانك بالتسبيح، وإذا أراد غير التسبيح أشار لما يريد .

﴿سَوِيًّا﴾ أي: لا آفة بلسانك. وقد احتج قوم على أن المعدوم ليس بشيء بقوله : ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ وعورضوا بقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[(2)] ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ فأشار. وقيل: كتب على الأرض ﴿سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة . ﴿الْحُكْمَ﴾ العلم. وقيل: النبوة . وقيل: دعاه الصبيان للعب فقال: ما للعب خلقنا[(3)].

الحنان: الرحمة، وكان رحيماً رفيقاً بأبويه وغيرهما. ﴿وَزَكَاةً﴾ طهارة . وقيل: صدقة كان يتصدق على المساكين.

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٦٦).

(٢) سورة الحج ، الآية (١).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٨٥) ونسبه للحاكم في تاريخه من طريق سهل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الغلمان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب ، فقال يحيى : ما للعب خلقنا اذهبوا نصلي ".

واعلم أن للإنسان ثلاثة أحوال: حين يكون في بطن أمه ، فإذا جاءت الولادة انتقل إلى عالم لم يأنس به ولم يعلم ما فيه ، فيستوحش لفقد مكانه ، ثم يبقى في الأرض مدة عمره ، ثم يموت فينقل إلى عالم البرزخ ، وفيه ما لا يعرفه فيستوحش ، ثم يجيء البعث فيرى عالماً عظيماً وخطوباً جسيمة فيستوحش ، فسلم الله على يحيى وعيسى في هذه الأحوال التي يستوحش المرء فيها ، فقال : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾.

قوله – تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ ﴾ بدل اشتمال من مريم ، أي : واذكر مريم زمن انتباذها (١١٢/أ) والاشتمال تارة من المشتمل على ما اشتمل عليه كقوله – تعالى : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِ ﴾ [1] والشهر مشتمل على القتال ، ويأتي بالعكس ؛ لأن زمن انتباذها مشتمل عليها.

﴿ مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾ أي: شرقي بيت المقدس، أو شرقي منزلها، وإنما انتبذت لتفلي رأسها، وقيل: لتغتسل من الحيض.

﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا (١٧) قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا (١٨) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا (١٩) قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا (٢٠) ﴾

﴿ فَٱتَّخَذَتۡ ﴾ حجاباً يسترها عن أعين الناظرين. ﴿ رُوحَنَا ﴾ جبريل ، وسمي روحاً لنزوله بالروح الذي هو القرآن ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾ [2] ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ ﴾ [3]. وقيل: جبريل يسمَّى روحا؛ لقوله: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [4] وقيل: ﴿ رُوحَنَا ﴾ إكرام وتشريف ؛ كما تقول لمن تحبه : أنت روحي.

﴿ سَوِيّٗا ﴾ أي: تام الأعضاء . وقيل: تام الجمال والحسن. تمثل لها في صورة شابٍّ أمرد جميل الصورة ، فاستعاذت بالله منه ، وهذا في غاية الخشية من الله ، أن تظفر شابَّةٌ بشابٍّ تامٍّ الخلقة فتلتجئ إلى الله في كفِّ شره . قوله : ﴿ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ إن كنت ممن تنفع فيه الاستعاذة

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢١٧).

(٢) سورة الشورى ، الآية (٥٢).

(٣) سورة النحل ، الآية (٢).

(٤) سورة النحل ، الآية (١٠٢).

ويعبأ بها . وهذا جواب عن سؤال مقدَّر ، كأن قائلاً قال : لا يستعاذ من التقي ، إنما يستعاذ من الفاجر ، فقال لها جبريل : إنني إنما جئت من جهة الذي استعذت به . قرئ ﴿ لِأَهَبَ ﴾ و(ليهب) [1] ولما كانت الأفعال الإلهية تجرى غالباً على أيدي الملائكة نسب الفعل إلى الملائكة ؛ كقوله في قصة الملائكة مع إبراهيم[2]: ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾[3] ﴿أَنَّىٰ﴾ بمعنى من أين ؟ بالغت في البعد عن الريبة بقولها: ﴿ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ ﴾ وهو أبلغ من أن تقول : ولم يطئني، أو لم يضاجعني .

قوله: ﴿ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴾ هاهنا سؤال وهو أن " فعيلا " يأتي بمعنى الفاعل والمفعول ، فإن كانت بمعنى الفاعل دخلت تاء التأنيث فيه ، تقول : رجل رحيم ، وامرأة رحيمة، وإن كانت بمعنى المفعول لا تدخل تاء التأنيث ، تقول : امرأة قتيل ، وطرف كحيل.

وهاهنا بغيٌ بمعنى باغية ، فقياسه : ولم أك بغيةً ؟ والجواب: أنهم قالوا : إن أصله فعول وليس من فعيل الذي بمعنى فاعل ، ولكنه من قولهم : امرأة بغوٌ ، كما يقال : فلان نهوٌ عن السرِّ . فإن قلت : قد قال - تعالى : ﴿ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾ [4] وهي منطوحة لا ناطحة؟

فجوابه: أن الهاء في نطيحة وذبيحة (١١٢/ ب) للنقل من الوصفية إلى الاسمية بدليل أنك لو ذكرت اسم الشاة فقلت: شاة نطيحٌ إن أردت المفعول ، ونطيحة إن أردت الفاعل.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ ﴾

---

(١) قرأ جمهور القراء «لأَهَبَ» ، وقرأ أبو عمرو ويعقوب وورش وقالون بخلف عنه «ليهب».

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٨٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٣٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٤٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٩٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٠٨) ، مجمع البيان للطبرسي (٦ / ٥٠٧) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ١٦٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣١٧ ، ٣١٨).

(٢) كذا بالأصل " إبراهيم " والمعروف أن ذلك كان مع نبي الله لوط عليه السلام ، ولكن لعله يريد أنه كان في زمن إبراهيم عليه السلام ، وكانت بداية القصة مع إبراهيم عليه السلام والملائكة ، وسياق القصتين واحد كما ورد في غير موضع من القرآن الكريم .

(٣) سورة الحجر، الآية (٦٠) وسورة النمل، الآية (٥٧).

(٤) سورة المائدة ، الآية (٣).

قوله : ﴿ قَالَ رَبُّكِ ﴾ مُفسرٌ بقوله : ﴿ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾ وقد حكى لفظه يعني قال : هو عليَّ ولو أراد حكاية المعنى لقال : هو عليه هين ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً ﴾ معطوف على جملة مقدرة ، والتقدير: لنكرمه ولنجعله ؛ كقوله : ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ ﴾[١] فتقدم جبريل إليها ونفخ في جيب درعها ، فحملت بعيسى . قيل: في ساعة واحدة . وقيل: في ثلاث ساعات. وقيل: لتسعة أشهر. وقيل : لثمان ، ولم يعش مولودٌ لثمان غيره . ومثل هذه الأقوال تشبه التكاذب ؛ لأن الواقعة واحدةٌ والكائن من هذه الأمور واحدٌ[٢].

﴿ مَّقْضِيًّا ﴾ أي : مفروغا منه ، كقول الشاعر [من الكامل] :

وعليهما مَسْرُودتانِ قضاهُما داودُ أو صنعَ السوابغَ تُبَّعُ[٣]

وفي الكتاب العزيز ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[٤] و﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾[٥] ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾ ذهبت ناحية به ، أي : وهو معها حمل في بطنها . ﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ بعيداً عن أعين الناظرين وخوفاً من الفضيحة والتعنيف .

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ فَأَجَآءَهَا ﴾ فألجأها ، وحقيقته جعلها تجيء . و﴿ ٱلْمَخَاضُ ﴾ الطلق لتمخض الولد وحركته عند قرب الولادة ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ ﴾ نخلة يابسة فقالت : ﴿ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾ .

فإن قلت : فقد قال النبيُّ ﷺ : " لا يتمنَّينَّ أحدُكُم الموتَ لِضُرٍّ نزَلَ "[٦] فكيف تمنّته

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٢١).

(٢) تنظر الأقوال في : النكت والعيون للماوردي (٢ / ٥٢٠ – ٥٢١).

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر في : تاج العروس للزبيدي (قضى) ، تفسير القرطبي (١٥ / ٣٠١)، روح المعاني للألوسي (٢٢ / ١١٥) ، غريب الحديث للخطابي (٢/ ١٨) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٤٤٨) ، لسان العرب (صنع – قضى) والدرع المسردة : مستديرة الحلق ، وقضاهما : فرغ من عملهما . والسوابغ : الدروع الطويلة .

(٤) سورة يوسف ، الآية (٤١).

(٥) سورة مريم ، الآية (٣٩).

(٦) رواه البخاري رقم (٥٦٧١) ، ومسلم رقم (٢٦٨٠) عن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ: " لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ، فإن كان لابد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي".

مريم؟ فالجواب : أن النبي ﷺ نهى عن تمنّي الموت لضر نزل ، ولم تكن مريم بهذه الصورة ، وإنما خافت أن تسرع إليها التهمة ، فيحصل لخلقٍ كثيرٍ الضَّررُ بوقوعهم في تهمتها ، والنسيُّ: هو ما يهمل من أثاث البيت عند الرحيل كالعصيّ المكسورة والصحفة المكسورة ، وأكثر الناس يتركها مهملة ولا يستصحبها في السفر ، وتقول العرب عند السفر لغلمانهم : اجمعوا أنساءكم ، وهو جمع نسي ، كحمل وأحمال وعدل وأعدال . ﴿ فَنَادَىٰهَا ﴾ جبريل ، وكان قد جلس بالقرب منها في أسفل الوادي ويدل عليه قراءة من قرأ ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ ﴾ بكسر ميم[1] ﴿ مِن ﴾ وقيل المنادِي عيسى، ناداها وهو في بطنها والأول أظهر ؛ لأن عيسى لم يوجد بعد .

في السري قولان: أحدهما: أنه النهر، قال لبيد بن ربيعة (١١٣/أ) [من الكامل]:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعا ... مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلامُهَا[2]

والثاني: أن السرى هو السيد ، وهو متجه إذا قلنا : إن المنادي عيسى .

وكان الحسن يقول : "كان والله عيسى سريًّا"[3] ، ومنه : سَرَاةُ الناس ، بفتح السين : سادتهم وعلى القول الأول : فكلي من الجَنِيِّ واشربي من السَّرِيِّ ، وقالوا : ما للنفساء أجود من الرطب[4]. وفي نصب ﴿ رُطَبًا ﴾ وجهان : أحدهما : أنه تمييز ، أي : تساقط هذا

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة ورويس " مَنْ تَحتَها " ، وقرأ باقي العشرة " مِنْ تَحتِها " .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٨٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٣٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٤٤١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٩٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٠٨) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٥٠٧) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣١٨)

(٢) ينظر البيت في : روح المعاني للألوسي (١٦ / ٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٣) ، لسان العرب (وسط) ، معاني القرآن للنحاس (٤ / ٣٢٥) والبيت يصف فيه الشاعر حمارا وحشيا مضى خلف أتانه نحو الماء ، فتوسطا : الحمار والأتان ، عرض السري : ناحية النهر الصغير وجانبه ، فصدعا : شقا ، ومسجورة : عينا مملوءة ، والقلام -- كرمان - : نوع من النبات ، ومتجاورا قلامها : كثير النبات.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٦ / ٧٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٥٠٢) لابن أبي حاتم .

(٤) ورد في ذلك بعض الآثار منها ما رواه الطبري في تفسيره (١٦ / ٧٢) عن عمرو بن ميمون أنه قال : " ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب " ، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٥٠٥) ونسبه لعبد بن حميد عن شقيق قال : " لو علم الله أن شيئا للنفساء خير من الرطب لأمر مريم به " . ونسب لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن الربيع بن خيثم قال : " ليس للنفساء عندي دواء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل " .

النوع من التمر . وقيل : هو مفعول بـ ﴿وَهُزِّيٓ﴾ واستبعده الزمخشري[١] ؛ لأن الرطب لا تهز وإنما يهز الجذع . وقيل : منصوبٌ بـ ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ بضم التاء وكسر القاف .

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ أي: أبشري بما منحك الله – تعالى– من هذا الولد المؤيد بالمعجزات ، وإحياء الموتى ، وقرئ ﴿تُسَاقِطْ﴾ و(تَتَسَاقط) على الأصل و(تَسَاقَطْ) خفيفة السين بحذف إحدى التاءين و(تسقط) و(يسقط) بالياء[٢].

قوله : ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ فيه تأويلان : أحدهما : أن دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ، فيقال للمدعوِّ له : أقرَّ الله عينه ، أي : جعل دمعها بارداً ، وللمدعوِّ عليه : أسخن الله عينه . والتأويل الثاني : أنه من القرار والاستقرار ، يعني : لتستقر عينُك فلا تمتدَّ إلى غير هذه الموهبة .

ما في ﴿فَإِمَّا﴾ زائدة . ﴿صَوۡمٗا﴾ أي : إمساكاً . وقيل : نذرت صوماً ، وكان من شرط صحة صومهم ألا يتكلم الصائم ، وقد نهي عن ذلك في شريعتنا[٣]. ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ قيل : كانت تكلم الملائكة . فإن قلت : قد اعتذرت عن الكلام بقولها : ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ وهو كلام ، وقد قال الفقهاء : لو قال : والله لا أكلمك فتنحَّ عني . أنه يجب عليه الكفارة لليمين ؛ لأن قوله: فتنحَّ عني. كلام[٤]. فجوابه: أنها بينت هذا القول بالإشارة لا باللفظ. وقيل: باللفظ، واستثني لها هذا القول.

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣ / ١٣) ونسب للمبرد جواز انتصابه بـ " هزي " .

(٢) قرأ حفص " تُسَاقِطُ " ، وقرأ حمزة " تَسَاقَطُ " ، وقرأ يعقوب " يَسَّاقَطُ " ، وقرأ باقي العشرة " تَسَّاقَطُ " ، وقرأ أبو حيوة " تَسقُطْ " ، وقرئ كذلك " يَسْقُط ، ويُسْقِطُ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٨٤) ، تفسير القرطبي (١١ / ٩٤ ، ٩٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٤٤٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٥٠١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٠٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/١٣) ، فتح القدير للشوكاني (٣/٣٢٩)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣١٨).

(٣) روى البخاري في صحيحه رقم (٦٣٢٦) عن عكرمة عن ابن عباس قال: "بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ : مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه " .

(٤) ينظر : المبسوط للسرخسي (٦ / ١١٣) ، المغني لابن قدامة (١١ / ٣٢٧) ، المهذب للشيرازي (٢/١٠٠).

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

والفريُّ مأخوذٌ من الفري وهو القطع ، وكأنهم قالوا : جئتِ بشيء اقتطع عما يعهده الناس . وفي هارون الذي جعلت مريم أخته قولان : أحدهما : أنه ممدوحٌ ، والمراد أخت هارون أخي موسى ، وكانت تشبه به في عبادتها . أو رجلاً صالحاً مشى في جنازته أربعون ألفاً تسمُّوا باسمه تبرُّكًا به . والقول الثاني : أنه مذموم ، وهو فاجرٌ كان في بني إسرائيل ، يعني : قد أشبهته في الفجور وقولهم لها في تبرئة أبيها وأمها تعريضٌ بما أتت به من الأمر العظيم .

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أنه الذي يجيبكم ، فقالوا : والله (١١٣/ب) لسخريتها بنا أشد علينا مما فعلت . ﴿كَانَ﴾ زائدة ، أي : مَنْ في المهد ؛ لأن أكثر الناس يربَّى في المهد ، وقول عيسى ﷺ بأنه عبد الله ردًّا على قول من ادعى فيه الشركة .

وحكي أنه كان يرضع، فلما أشارت إليه مريم أقبل عليهم واعتمد على يده اليسرى ، وخاطبهم مجيباً بسبَّابة اليمنى(١). قوله: ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ قيل : آتاه الله النبوة وهو يرضع . وقيل : عند بلوغ سنِّ النبوة .

وتعريف السلام في قوله : ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ﴾ لسبقه نكرة في قصة يحيى ، وأنكر بعض العلماء ذلك وقال : كيف يشار في كلام أحدهما إلى كلام الآخر ؟ وكيف يقول عيسى : وذلك السلام الذي سلمه الله على يحيى حاصل على ذلك المحدَّث عنه بهذه القصة ؟ (٢).

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٩٨) ونسبه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد .

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ١٦) : " قيل : أدخل لام التعريف ؛ لتعرفه بالذكر قبله ؛ كقولك : جاءنا رجل ، فكان من فعل الرجل كذا ، والمعنى : ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليَّ . والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود . وتحقيقه : أن اللام للجنس ، فإذا قال : وجنس السلام عليَّ خاصة ، فقد عرَّض بأن ضده عليكم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني : أن العذاب على من كذب وتولى ، وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ".

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

قرئ ﴿ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ برفع اللام ونصبها ، و﴿ قُولَ الْحَقِّ﴾ بضم القاف ، و(قالُ الحقِّ) بضم اللام والإضافة[١]، والقول والقيل والقال بمنزلة الرُّهْب والرَّهْب والرَّهَب.

﴿ يَمْتَرُونَ﴾ يَشُكُون ، فتقول : ما كان لزيدٍ أن يفعل ، فيحتمل وجهين : أحدهما : أن ذلك الفعل مستحيلٌ من مثله ؛ كقوله : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ [٢] . والثاني : أن يكون غير جائز شرعا وإن احتمل وجوده عقلاً ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [٣] ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [٤] ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [٥] وأمثلة هذا القسم أكثر. قوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ بضم النون ، معطوف على ﴿يَقُولُ﴾ وعلى قراءة النصب[٦] إشكالٌ لأنك إن نصبته جواب ﴿ كُن ﴾ كان مقولاً، فيكون الله – تعالى- إذا أراد أمراً قال: كن. فيكون ، وهو ظاهر الفساد ، وإن حاول عطفه على ﴿يَقُولُ ﴾ فـ ﴿ يَقُولُ ﴾ مرفوعة ، ولا يعطف المنصوب على المرفوع ، وإنّما يتأتى ذلك حيث يكون ﴿ يَقُولَ﴾ منصوبة ، كما في قوله : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٧] .

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب " قَوْلَ الحقّ " ، وقرأ باقي العشرة " قَوْلُ الحقّ " ، وقرأ الحسن البصري " قُولُ الحقّ " ، وقرأ ابن مسعود " قالُ الحقّ " . **تنظر** القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٨٩) ، تفسير القرطبي (١١ / ١٠٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٣٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٤٤٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٥٠٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٠٩) ، فتح القدير للشوكاني (٣ / ٣٣٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣١٨).

(٢) سورة النمل ، الآية (٦٠).

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٦١).

(٤) سورة التوبة ، الآية (١٧).

(٥) سورة يوسف ، الآية (٣٨).

(٦) قرأ ابن عامر من العشرة " كن فيكونَ " ، وقرأ الباقون " فيكونُ " .

تنظر في : الحجة لابن خالويه (ص : ٢١١) حجة أبي زرعة (ص : ٣٨٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٣٥٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٧٣) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٤١٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٠) .

(٧) سورة النحل ، الآية (٤٠) .

كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾

قرئ ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بالفتح[1]، كقوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾[2] تقديره : ولأن ذلك كذلك فاعبدوه . ﴿ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ أمة عيسى تنقسم إلى ملكائية ويعقوبية ونسطورية، فقوله : ﴿ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ أي : تحزبوا كذلك . ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وضع للظاهر موضع المضمر، والقياس : فويل لهم ﴿ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ والمشهد مصدر ، أي : من مشهود، ويجوز أن يكون مكاناً وزماناً. ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ تعجُّب وهو مستحيل على الله – تعالى- والمراد أنهم حلوا محل من يتعجب منه ؛ كقوله – تعالى : ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾[3] وحلوا محل من يُتَحَسَّرُ عليه . ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وضعٌ للظاهر موضع المضمر (١١٤ / أ).

﴿ مُّبِينٍ ﴾ أي : بينٌ أو مبين . ﴿ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ قيل: هو وقت ذبح الموت. وقيل: وقت تصادر الفريقين إلى الجنة أو النار.

وقوله: ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿ وَأَنذِرْهُمْ ﴾ أي: غافلين عن إنذارك. ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ وهي كانت ملكاً له من قبل ، وإنما شبه انتقال الملك إليه عن موتى بانتقال أموال الموتى إلى ورثتهم ، والله – تعالى- لم يزل مالكاً لما خلقه المورثون. قوله: ﴿ صِدِّيقًا﴾ اختلف فيه ؛ فقيل: من صَدَقَ ؛ لإكثاره من الصدق وهو القياس ، تقول: رجل خمّير وشريب. وقيل: من التصديق، فإنه صَدَّقَ بأنبياء الله وكتبه وبما جاء به النبيون.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ، وأبو جعفر ورويس " وأَنَّ الله " ، وقرأ باقي العشرة " وإِنَّ الله " .
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٨٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٣٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٤٤٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٥٠٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤١٠) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٥٠٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣١٨).

(٢) سورة الجن ، الآية (١٨).

(٣) سورة يس ، الآية (٣٠).

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

أراد تبصير أبيه بما الأب عليه من الضلال بالطف وجه، واستعطفه بـ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾. وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ محذوف الفعل وليس مرادًا بل المراد: ليس أهلاً أن يسمع ولا يبصر، ومثله قوله – تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [١] وقوله : ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ يجوز أن يكون ﴿شَيْـًٔا﴾ نعتاً لمصدر محذوف ، أي : لا يغني عنك غناءً شيئا. ويجوز أن يكون ﴿يُغْنِي﴾ بمعنى: ويدفع ؛ كقوله : أغن عني وجهك ، ويجوز في ﴿يَسْمَعُ﴾ و﴿يُبْصِرُ﴾ كذلك . ثم قال لأبيه: إني لا أدعي عليك مشيخة التعليم ولا إحاطتي بالعلوم، كأنه قال: هب أني لم أحط بالعلوم لكن جاءني شيء من العلم لم يأتك فاتبعني ، ثم نبّهه على أن ما هو عليه من الاعتقادات الفاسدة والأعمال القبيحة إنما هو من وسوسة الشيطان وأعوانه ، فكأنه لقبوله منه عابد للشيطان .

روي: "أن عدي بن حاتم الطائي دخل على النبي ﷺ وعديٌّ مستمرٌّ على نصرانيته وفي عنقه صليب من ذهب ، فقرأ النبي ﷺ : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾ الآية [٢] فقال عدي بن حاتم : إنا لم نتخذهم أرباباً ، فقال النبي ﷺ: أليسوا يحلون لكم الشيءَ مما حرَّمه الله فتحلونه ، ويحرمونَ عليكم ما أحله الله فتحرمونه ؟ فقال عديٌّ : بلي . فقال : فتلك عبادتهم" [٣] . واعلم أن العبادة غاية الذلة والخضوع ، فلا تليق إلا لمن جل جلاله ، فتقول : خضعت لزيدٍ ، وذللت لعمرو ، ولا تقول : عبدتهما.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ إن قلت : القياس : إني أخاف أن تكون للشيطان وليًّا فيمسك عذاب . قلت: رضوان الله أعظم من جنته، قال الله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله : ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٤] فإذا ثبت أن رضوانه خير من جنته ثبت أن موالاة الشيطان (١١٤ / ب) أشد من العذاب . ﴿أَرَاغِبٌ﴾ قدَّم الخبر على رأي من يرى أنه خبر للاهتمام ؛ لأنه كان عند والد إبراهيم أهم . وقيل: إن ﴿أَرَاغِبٌ﴾ مبتدأ و﴿أَنتَ﴾ فاعلٌ سدَّ مسدَّ خبر المبتدأ .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٥٦).

(٢) سورة التوبة ، الآية (٣١).

(٣) تقدم عند تفسير سورة التوبة ، الآية (٣١).

(٤) سورة التوبة ، الآية (٧٢).

﴿ عَنْ ءَالِهَتِى﴾ أي : عن عبادة آلهتي . في ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قولان: أحدهما: لأقتلنك مرجوماً بالحجارة ؛ لأنها قتلة شنيعة شديدة الألم . والثاني : أن الرجم بمعنى الطرد لا بمعنى القتل. وفي ﴿ مَلِيًّا ﴾ قولان : أحدهما: أنه مأخوذ من الملاءة أي : وأنت قادر على الخلاص والهرب من قبل أن أقيدك أو أحبسك . والثاني : أن ﴿ مَلِيًّا ﴾ بمعنى زماناً. والملوان: هما الليل والنهار؛ لأنهما زمانان.

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾

وقوله : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ سلام موادعةٍ ومفارقة ، وقال بعض أصحاب الشافعي: إن سلام المتاركة لا يجب جوابه على السامع(١).

وقوله : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ﴾ هي الموعدة التي وعد بها إبراهيم أباه ، وقد بسط عذره وشرح قصته في سورة التوبة(٢). الحفي بالأمر: المهتم به، أي: كان معتنياً بي ولطيفاً في تيسير وصول الخيرات إليَّ، ولا يضيع عند الله شيء من الأعمال الصالحة، ولذلك قال: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ ﴾ الآيتين .

﴿ وَمَا تَدْعُونَ ﴾ أي : ما تعبدون ؛ لقوله: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾ ترك مصاحبة [الكفار] فعوض عنهم بالأولاد النجباء الأبرار، ولسان الصدق هو الثناء الحسن ، قال الشاعر [من البسيط] :

لقدْ أَتَتْني لِسانٌ لا أُسِرُّ بها (٣)

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٦ / ٣٨٦).

(٢) تقدم في تفسير سورة التوبة ، الآية (١١٤).

(٣) هذا صدر بيت لعامر بن الحارث أو لأعشى باهلة ، وعجزه :

وقوله في موسى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ من كسر اللام جعله من قوله : ﴿ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ (١) ومن فتحها (٢) فمن قوله : ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ﴾ (٣) ﴿ مِن رَّحْمَتِنَآ ﴾ من أجل رحمتنا . وقيل : بعض رحمتنا . و﴿ أَخَاهُ ﴾ على هذا القول بدل ، و﴿هَٰرُونَ﴾ عطف بيان ؛ كقولك : رأيت رجلاً أخاك زيداً . قوله : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ ليس صدق الوعد مختصًّا به، وإنما هو نشرٌ لفضائله ، كما سمي خليلاً وصديقاً .

وكان إسماعيل يبدأ بأمر أهله بالصلاة والزكاة فوصفه بذلك ، وضمَّ إليه أنه كان مرضيًّا عند الله ، وأما رفعه إدريس إلى المكان العليِّ ففيه قولان : أحدهما : أنه في السماء ، وقد ذكر في بعض روايات (١١٥ /أ) المعراج . والثاني : أن المراد رفعة المكانة والشرف.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا (٦٠) جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)﴾

﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ من لبيان الجنس كقوله في سورة الفتح : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ حتى قال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم ﴾ (٤).

وكرر نسبتهم إلى الأنبياء واحداً بعد واحدٍ ليبين شرف أصلهم ، وأن نسبهم بالأنبياء

= .... من علو لا عجب منها ولا سخر

ينظر في : إصلاح المنطق لابن السكيت (١ / ٢٦) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٥٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢) ، لسان العرب (سخر).

(١) سورة النساء ، الآية (١٤٦).

(٢) قرأ حمزة والكسائي « مُخْلَصًا » بفتح اللام ، وقرأ الباقون « مُخْلِصًا » بكسرها . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ١٩٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤١٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢).

(٣) سورة ص ، الآية (٤٦).

(٤) سورة الفتح ، الآية (٢٩).

الصالحين عريقٌ. الخلف بفتح اللام في الخير وبسكونها في الشر[(١)]. وفي الغي قولان: أحدهما: أنه وادٍ في جهنم . والثاني: أنه ضد الرشاد ، أي : جزاء غيٍّ. وفي ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه علم على جنة مخصوصة ، كما جعلوا الفينة وسحر وأمس في من لم يصرفه -- أعلاماً لمعاني الفينة والسحر والأمس . والقول الثاني : أن المراد جنات إقامة ، أي: أرض إقامة ، وهو علم ، ولولا ذلك لما ساغ الإبدال ؛ لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة . ﴿ مَأۡتِيّٗا﴾ بمعنى آتياً ، أو مَنْ أتاك فقد أتيته ؛ لأنهم يأتون الجنة. قوله : ﴿ إِلَّا سَلَٰمٗا﴾ هو دعاء بالسلامة ، وأهل الجنة أغنياء عن الدعاء به ؛ لأنه حاصل لهم ، أي: إن قدر في الجنة كلامُ لغوٌ فليس إلا هذا الدعاء بالسلامة . وقيل: هو استثناءٌ منقطعٌ.

﴿ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ يعني به الدوام ، تقول: فلان يأتينا بكرةً وعشيًّا، فلا تريد الوقتين بعينهما، بل تريد الدوَّام وكان المترفة من العرب وغيرهم يأكل أكلتين في النهار، فجرى الكلام على نحو ذلك . ﴿ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ﴾ جاء في الحديث : " أنه لن يدخل أحدٌ النار حتى يرى مقعده من الجنة لو أطاع ، فيقال له : هذا مقعدك ، يعني : الجنة لو أطعت ، وعكسه في دخول الجنة "[(٢)].

كانت العرب قد رحلوا إلى المدينة وسألوا أحبار اليهود عن نبوَّة محمد ﷺ، وقالوا لهم: أنتم أهل كتاب وعندكم علم الشرائع ، فعلمونا سؤالاً نورده على محمدٍ لا يجد عنه جواباً ، فقالوا : نعم ، سلوه عن ثلاثة مسائل ، فإن أجاب عنها كلها فليس بنبيٍّ وإن توقف عن الجواب في الكل فليس بنبيٍّ ، والصواب الجواب عن بعضها دون بعض، والمسائل : سؤال عن فتيةٍ ذهبوا في الأرض مذاهب ، فلم يعلم لهم خبرٌ، وعن رجلٍ طاف مشرق الأرض ومغربها ، وعن الروح ما هو؟[(٣)].

---

(١) قاله الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٦) وقال الفراء في معاني القرآن (٢ / ١٧٠) : " وقد يكون في الرديء " خَلَف " وفي الصالح " خَلْف "؛ لأنهم قد يذهبون بالخَلْف إلى القرن بعد القرن " .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢ / ٥١٢) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢ / ٤٧٣) عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني . فتكون عليه حسرة ، وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول : لولا أن الله هداني. فيكون له شكر، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ " وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) تقدم تخريجه في سورة الكهف ، الآية (٩).

والروح لا يطلع البشر على حقيقتها، فلا يمكن الجواب ، والمسألتان الأوليان يمكن الجواب (١١٥/ ب) فجاء المشركون إلى أهليهم فرحين ، وجاءوا إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال: غداً أجيب . ولم يقل : إن شاء الله ، فتأخر جبريل عن النزول عليه بالوحي بضع عشرة ليلة، حتى قالت اليهود : ودع محمداً ربه وقلاه ، فأنزل الله - تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (١) ونزل عليه قصة أهل الكهف ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ (٢) القصة إلى آخرها ، وأنزل عليه ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ (٣) القصة وأنزل عليه ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ الآية (٤) وأنزل عليه ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٥) وقال النبي ﷺ لجبريل : أبطأت عليَّ ، فأنزل الله - سبحانه وتعالى- حكايةً عن مقالة جبريل : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ الآية (٦).

﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ ما نصنعه في المستقبل ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ وما خلَّفنا من الأعمال فحملناه على ظهورنا ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ الحال التي نحن عليها. وقيل: ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ أي: الأرض التي نستقبلها عند النزول من السماء ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ يعني: السماء إذا خلفناها خلف ظهورنا عند النزول ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ الهواء الذي بين السماء والأرض . ويُبْعِدُ هذا الثاني قولُه بعد ذلك: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾.

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾

---

(١) سورة الكهف ، الآية (٢٤).

(٢) سورة الكهف ، الآية (١٣).

(٣) سورة الكهف ، الآية (٨٣).

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٨٥).

(٥) سورة الضحى ، الآيات (١ - ٣).

(٦) رواه البخاري رقم (٣٢١٨ ، ٤٧٣١ ، ٧٤٥٥) ، وأحمد في المسند (١ / ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٣٥٧)، والترمذي رقم (٣١٥٨) ، والطبري في تفسيره (١٦ / ٧٨) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٦١١) ، والواحدي في أسباب النزول (٣٠٨ ، ٣٠٩) ، رقم (٦٠٦ - ٦٠٨).

﴿ سَمِيًّا ﴾ فيه قولان : أحدهما: المثل ، والثاني : الشبيه . ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ متعجبًا من إحياء الموتى ، والواو في ﴿ أَوَلَا ﴾ عاطفةٌ، أي : يقول ذلك ولا يذكرُ ﴿ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ الآية ﴿ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ الذين أغووهم . والمحضر في القرآن أكثر ما يجيء في المحضر للعذاب ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ قيل : جماعات .

وقيل : جاثين على الركب من شدة الهول . ﴿ شِيعَةٍ ﴾ جماعة. ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ أعتى وأظلم يقدم في السقوط في النار، ثم الأشبه فالأشبه . قيل: تلتقطهم النار كما تلتقط الطير الحَبَّ.

﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ يعني: القيامة ، والورود: الحضور في الموقف ، ومنه: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ (١) وقيل: الورود الدخول ، وكان بعضهم يقول : تيقنا ورود جهنم وشككنا في الخروج ، فأين البكاء ؟ وقيل: إنها يذهب حرُّها بدخول المؤمنين العصاة فيها ، فيقول المؤمنون بعد (١١٦/أ) جوازهم الجسر: إنا قد وعدنا بورود جهنَّم فيقال لهم: أرأيتهم تلك الكيمان السود ، أطفأها نور الإيمان . ويقال: إن جهنم تنادي المؤمن ، فتقول: جُزْ يا مؤمن ، فقد أطفأ نورُك لهبي (٢) . وقيل: الحمى الورود، وجاء في الحديث: " الحُمَّي حظ المؤمنِ من النار" (٣) . وفي رواية: " الحمَّي من فيح جهنم" (٤).

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: ورود عرضة القيامة. ﴿ نُنَجِّي ﴾ أي: نرفع ، وفيه تلويح بأن الجنة في السماء . ويدل على ذلك قوله - تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ (٥) وسدرة المنتهى في السماء بلا خلاف ، ووجه الاستدلال بهذه الآية أن التنجية هي الرفع ، وقال - سبحانه وتعالى- في حق فرعون: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ (٦) أي:

---

(١) سورة القصص ، الآية (٢٣) .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢ / ٢٥٨) رقم (٦٦٨) عن يعلى بن منية ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢٤٧٤).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٩) وعزاه للبزار عن عائشة وقال: إسناده حسن . وعزاه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ١٨١٢) لابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " وابن عساكر وصححه عن عثمان بن عفان ﷺ .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٢٦٣)، ومسلم رقم (٢٢١٠) عن عائشة - رضي الله عنها. ورواه البخاري أيضا رقم (٣٢٦٤)، ومسلم رقم (٢٢٠٩) عن ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٥) سورة النجم ، الآية (١٥) .

(٦) سورة يونس ، الآية (٩٢).

أي: نلقيك على مكان مرتفع عن الماء، وكانت بنو إسرائيل قد قالوا بعد غرق فرعون: ما يموت فرعون أبداً، لما ثبت في قلوبهم من الرُّعب منه، فألقاه الموج على شاطئ البحر، وكان عليه درعٌ من ذهب معروفة لا يلبسها إلا هو، فعرفوه وتحققُّوا موته.

فقوله: ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ أي: نرفعك على مكانٍ عالٍ، وإلا ففرعون ما نجا، وفي المقامات [من البسيط]:

وكمْ دعاني مُستَنْجٍ فحادثني ... وما أخلَّ ولا أخللتُ بالأدبِ[1]

وأراد بالمستنجي الجالس على المكان المرتفع، ولم يكن هناك خروج خارج من قُبُلٍ ولا دُبرٍ. ﴿ اتَّقَوا ﴾ أي: الشرك. ﴿ جِثِيًّا ﴾ قيل: جثاة على الركب من الهول. وقيل: الجثي جمع جثوة، وهي الجماعة، كما قال: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾[2] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾[3].

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا (٧٤) ﴾

قوله: ﴿ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ الحال فيه غير منتقلة، وهو دليل على جوازها؛ لأن آيات القرآن دائمة البيان. وقوله: ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي: بسبب الذين آمنوا كقوله - تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾[4] أي: عن إخوانهم؛ لأنهم لو قالوه لهم لقال: ما متم وما قتلتم.

﴿ نَدِيًّا ﴾ أي: مجلساً يجتمع فيه الأكابر. ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ رد لقولهم: ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ ومعنى الكلام: أنهم تفاخروا بجمال المجلس وجمال من يحضر فيه من الأكابر، ولم يغن عنهم ذلك من الله شيئاً ولهذا قال: ﴿ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴾ أي: أحسن صوراً وهيئة.

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا (٧٥) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ

---

(١) ينظر البيت في: مقامات الحريري (ص: ٣٧٧).

(٢) سورة النمل، الآية (٨٣).

(٣) سورة الزمر، الآية (٧٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٦٨).

ﱡٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ﱠ

قوله: ﴿ فَلۡيَمۡدُدۡ ﴾ ظاهره أمرٌ، ومعناه الخبر، كأنه قال: من كان في (١١٦/ ب) الضلالة مد له الرحمن واستدرجه بالنعمة والنقمة ، وهذا كقوله ﷺ : " إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت " [١] أي : صنعت ما شئت . قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ ﴾ حينئذٍ ﴿ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ ﴾ ناصرا وأقل عدداً ، وهو أيضاً ردٌّ على قولهم : ﴿ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴾.

﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ المراد به الصلوات الخمس . وقيل: المراد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، والأحسن أن يراد جميع الأعمال الصالحة ، ويدخل فيه الصلاة والتسبيح ؛ لأنه جمع معرف باللام فيقتضي العموم[٢] . روي أن خباب بن الأرت[٣] ﷺ عمل للعاص بن وائل السهمي فماطله بالأجرة، فلما ألحَّ عليه قال: والله لا أعطيك شيئاً حتى تكفر بمحمد، فقال: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث فقال: وإني لمبعوث بعد الموت؟! قال: نعم، قال: فسيكون لي هناك مالٌ وأعطيك هناك، فنزلت هذه الآية ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [٤].

وقوله: ﴿ أَطَّلَعَ ﴾ دخلت فيه همزة الاستفهام على ألف الوصل، فسقطت ألف الوصل، كقوله : ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [٥] ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ [٦] وجاء في الخبر أن " من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٠)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢١، ١٢٢) ، وأبو داود رقم (٤٧٩٦) ، وابن ماجه رقم (٤١٨٣) ، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٦٠٧) ، عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ .

(٢) تقدم ذكر ذلك في سورة الكهف ، الآية (٤٦).

(٣) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن خزيمة من بني سعد ، شهد بدرًا مع النبي ﷺ وكان من السابقين الأولين ، وأسلم قديما وكان من المستضعفين ، أسلم سادس ستة وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذابا شديدا لأجل ذلك. مات سنة ٣٧ وهو ابن ٧٣ سنة وهو أول من صلى عليه وقبره علي بن أبي طالب ﷺ حين منصرفه من صفين .

تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٥٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٩٨٥) ، ومسلم رقم (٢٧٩٥).

(٥) سورة سبأ ، الآية (٨).

(٦) سورة الصافات ، الآية (١٥٣).

قال : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإنني لا أثق إلا بعفوك ومغفرتك ، فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد" كتب ذلك في كتاب وطبع عليه بطابع ولا يفتح إلى يوم القيامة وكان ممن اتخذ عند الله عهداً " (١).

﴿ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾

عبَّر عن كتابة الحفظة بكتابته بنفسه فقال : ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ و﴿ وَنَمُدُّ ﴾ يجوز أن يكون مستقبلاً لعطفه على نكتب ، ويجوز أن يكون غير معطوف عليه ، وكذلك إذا وجدت مع أحد الفعلين ظرفاً أو مجروراً وشبههما، فقلت : أعطيت زيداً يوم الجمعة درهماً وعمراً ديناراً يجوز أن يكون إعطاء عمرو يوم الجمعة وأن لا يكون . ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾ من المال والولد ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ مجرّداً عما كان يباهي به . ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ طلباً للعز بهم ، وقد قال الله – تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ (٢) (١١٧ / ب) وزادها هنا أن الذي قصدوه حصل نقيضه ، وهو أنهم طلبوا العزة بعبادتهم لها، ويأتوا شفعاء لهم يوم القيامة فجاءوا بالضد من ذلك وصاروا أعداء لمن عبدهم وأنكروا عبادتهم.

الأز والهز: التحريك، أي: نزجهم إلى المعاصي إزجاجاً. ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ﴾ أيام أعمارهم ونحصيها عليهم . وقيل: المراد: عدد الأنفاس. الوفد: الركبان ، ويبعثون يوم القيامة ركباناً ، كما يؤتى بالوفد الكرام ، ويساق المجرمون سوق المجرم إذا قيد لسلطانه.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥٠٦٩) ، والترمذي رقم (٣٥٠١) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٣)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٦٩٣).

(٢) سورة فاطر ، الآية (١٠).

وقيل : الورد : العطاش. ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ حتى يأذن الله ، كما قال : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [1] وقوله: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ ﴾ يجوز أن يكون المراد: لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ ، فمن اتخذ هو الشافع ، ويجوز أن يراد: لا يملك الشفاعة إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً، وهو الإقرار بالشهادتين والإيمان بما جاء به الأنبياء فيكون من اتخذ مشفوعاً فيه لا شافعاً. والإد: هو الشيء المنكر.

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ تسقط ، وتندك الجبال لعظم الجريمة التي أتوها ، وهي ادعاؤهم للرحمن ولداً . فهذه الآية دليل على أن من ملك ولدا عتق عليه[2] ، ولا يملك الأب ابنه ، لقوله – تعالى- هاهنا : ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ فلولا أن الولادة تنافي العبودية لصار مثل قولك: زيد لا يصلح أن يكون إماماً للجامع ؛ لأنه لا يحفظ التنبيه. ويجوز الإخبار عن كل بالمفرد ؛ كقوله : ﴿ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ويخبر عنها بالجمع ؛ كقوله: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾[3].

قوله : ﴿ فَرْدًا ﴾ يشير إلى انفراده عما كان يستكثر به من المال والولد ؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [4] وقوله : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ مفسرٌ بما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: " إن الله إذا أحبَّ عبداً قال : يا جبريل إني أحب فلاناً فأحببه . فيحبه جبريل، ثم ينادي في الملائكة : إن الله يحب فلاناً فأحبوه . فتحبه الملائكة، ثم يوضع له القبول في الأرض " [5].

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥).

(٢) تقدم ذلك في تفسير سورة البقرة ، الآية (١١٦).

(٣) سورة النمل ، الآية (٨٧).

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٩٤).

(٥) رواه البخاري رقم (٦٠٤٠) ، ومسلم رقم (٢٦٣٧) عن أبي هريرة ﷺ .

واللدُّ: جمع أَلَدّ ؛ كقوله : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [1].

وقوله : ﴿ هَلْ تُحِسُّ ﴾ قرئ ﴿ هَلْ تَحُسُّ ﴾ وهي لغة في أحسّ [2]، وفيها ردٌّ على من زعم أن الإحساس رباعيٌّ فلا يقال: المحسوسات ؛ لأنها لا تكون إلا من الثلاثي ، وهذه القراءة تردُّ عليه . والركز: الصوت الخفي ، وهو استدلال بانتفاء الأذى على الأعلى ، والله أعلم .

* * *

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٠٤) .

(٢) قرأ عامة القراء « تُحِسُّ » من أحسّ ، وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وابن أبي عبلة « تَحُسُّ » ، وقرأ بعضهم « تُحِسُّ » من حَسَّه ، أي : شعر به ، ومنه الحواس الخمسة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٢١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٥٣١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٨).

سورة طه [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه (١) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٣) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى (٤) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٥) ﴾

قوله تعالى : ﴿ طه ﴾ فيه الأقاويل المذكورة في الحروف التي في أوائل السور، ونزيد هاهنا أن ﴿طه ﴾ معناه : يا رجل ، واحتج هذا القائل بقول الشاعر [من البسيط] :

إنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ خَلِيقَتِكُمْ ... لا قَدَّسَ اللهُ أَرْواحَ المَلاعينِ[١]

قالوا: وأثر الافتعال ظاهر على هذا البيت ، فلم تصح نسبته إلى العرب .

وكان النبي ﷺ يكثر من الصلاة بالليل حتى تورَّمتْ قدماه ؛ فقيل له في ذلك ، فقال : " أفلا أكونُ عبدًا شَكُورًا " ؟ ونزلت : ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾[٢].

أي : لتكلف نفسك ما لا طاقة لها به . وقوله : ﴿لِتَشْقَىٰٓ ﴾ لا يصح أن يكون مفعولا من أجله؛ لأن علة الفعل هي التذكرة ، وهي فعل فاعل الفعل المعلل ؛ بخلاف الشقاوة ؛ فإنها ليست من فعله ؛ فدخلت في ﴿لِتَشْقَىٰٓ ﴾ دون التذكرة . ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن التذكرة ليست من الشقاوة في شيء[٣].

وصف نفسه بكونه رحمانا ؛ لكونه خلق الأرض والسماوات العلى ؛ لما في خلقهما من مصالح العباد ؛ فإن أكثر مصالح العالم الجسمانية متعلقة بالأرض والسماء ؛ لما في قرب الشمس في زمن الصيف من إنضاج الفواكه والحبوب ؛ ولما ينزل من السماء في الشتاء من

---

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٤٤) ، تفسير القرطبي (١١ / ١٤٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٠).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٨٣٧)، ومسلم رقم (٢٨٢٠) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٠ - ٥١): " ويحتمل أن يكون المعنى : إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة . وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له ".

المطر الذي هو سبب نبات الحب والثمر ؛ ولاختلاف أحوال الشمس في فصل الصيف وفي فصل الشتاء ؛ ولاختلاف أحوال الناس في النوم واليقظة ، كل ذلك من الرحمة .

قوله : ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ والسماوات والأرض والكرسي في جانب من العرش ؛ كحلقة في فلاة ؛ فإذا استوى عليه استوى على ما حواه .

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من الملائكة والكواكب والأفلاك ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من الأشجار والنبات والحيوانات. ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من حيوانات الجو ومن الرعد والمطر وغير ذلك مما لا يحصى.

وقيل: إن المراد بـ ﴿ ٱلثَّرَىٰ ﴾ رمل تحت الأرضين السبع. وقوله: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ ﴾ جوابه محذوف تقديره: لم يخف على الله. وقوله: ﴿وَأَخْفَى ﴾ فيه قولان :

أحدهما: أنها فعل ، أي: فإنه يعلم السر ، وأخفى عن عباده أحوال القيامة ووقت قيامها.

والثاني: أنه اسم، والتقدير: يعلم السر وأخفى من السر ، فقيل: السر ما حدثت به واحدا واستكتمته، وأخفى منه ما لم تُطلعْ عليه (١١٨ /أ) أحدا قال الشاعر [من المتقارب]:

فسِرُّكَ ما كانَ عندَ امرئٍ ... وسِرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفِيّ[1]

وقيل: السر ما لم تطلع عليه أحدا، وأخفى منه ما ستحدث به نفسك غدا يعلمه الله الآن . والأسماء الحسنى قد استنبطت من الكتاب والسنة، وجاء في الحديث : " إنَّ للهِ –تعالى– تسعةً وتسعينَ اسمًا مَنْ أحصاها دخَلَ الجَنَّةَ "[2].

وقوله: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ في وصف الأسماء وهي جمع ، وكان قياسه الحسن ؛ كما قال :

---

(١) البيت للأشعري الجعفي ، ينظر في: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (١ / ٥١١) ، صبح الأعشى للقلقشندي (١١ / ٣٠٨).

(٢) رواه البخاري رقم (٢٧٣٦ ، ٦٤١٠) ، ومسلم رقم (٢٦٧٧) .

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ وهذا لأن جمع المؤنث الذي لا يعقل يعامل معاملة المفرد المؤنث أو الجمع المؤنث [تقول] : الجبال صعدتها وصعدتهن ، والأسود لقيتها ولقيتهن ، وكذلك قوله : ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ قياسه : الكبر.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ قيل: هل بمعنى قد ، والصواب أنك تقول للشخص: هل رأيت ما صنع فلان ؟ والسامع يعلم ما صنع ولكنه يجعل معناه: إن من العجب خفاء هذا الأمر عنك ، ومثله قوله - تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ (١).

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

وقول النبي ﷺ لعائشة - رضي الله عنها: " ألم تري إلى مُجزِّزٍ المُدْلِجيِّ نظر إلى أسامة وزيد قد غطَّيا رؤوسهما وبدتْ رجلاهُما ، فقال : إنَّ هذهِ الأقدامَ بعضُها من بعضٍ " (٢).

كان موسى عليه السلام حين فرغ من عمل الإجارة ، وهي العمل عشر سنين لتزويج ابنة شعيب أعطاه شعيب غنما وسلم إليه زوجته ؛ فتوجه بالزوجة والغنم يطلب مصر ؛ ليبلغ رسالة ربه ، فأظلم الليل وأمطرت السماء ، وتفرقت أغنامه من صوت الرعد ، وأخذ زوجته الطلق ، واشتد البرد ، فلمح نارا تظهر من بعد ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ لعلي أتوجه إلى هذه النار فأقتبس منها قبسا ، وكان موسى قد تاه عن الطريق في تلك الليلة فهو قوله : ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ (٣) أي : أجد ما يدلني على الطريق ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ وكانتا من جلد حمار ميت بغير دباغ ؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر الذي لا يدنس حماه بالنجاسة . ﴿طُوًى﴾ قيل: هو اسم الجبل. ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ فخذ ما آتيتك بالقبول.

قوله - عز وجل: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ لأني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي؛

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٨).

(٢) رواه البخاري (٦٧٧٠) ، ومسلم رقم (١٤٥٩) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٧٢) ، وأبو داود رقم (٤٣٥).

فلذلك أمرتك بالاستماع لما أرسلتك به . ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ أي: ذل واخضع، والعبادة غاية الذلة والخضوع تقول (١١٨ / ب) : خضعت لزيد وذللت له ، ولا يجوز أن تقول : عبدته ؛ فإن غاية الذلة والخضوع لا تكون إلا لله وحده .

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ جاء في الحديث : " وأقم الصَّلاةَ للذِّكْرَى "[1] أي : أقم الصلاة لتذكرني فيها . وقيل : وأقم الصلاة وصلِّ الناسية إذا تذكرتها ؛ فإن ذلك وقتها .

﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ قرئ (أَكَادُ أَخْفِيهَا)[2] أي: أظهرها ؛ تقول: خفا الشيء بمعنى ظهر. ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ قال بعضهم: التقدير: أكاد أخفيها من نفسي فكيف أطلعكم عليها. وكلٌّ من ألفاظ العموم ، فيجوز أن يستثنى الأنبياء ، ومن يأتي آمنا يوم القيامة ، فذلك يعطى الثواب ويسامح بعقوبة ذنبه .

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا ﴾ هو كقولك : لا أرينك هاهنا ؛ أي : لا تكن هاهنا فأراك ، ولا تكن بحيث يصدك الكفار ؛ لأن الفعل إنما ينهى عنه فاعله لا مفعوله . ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ فتهلك .

﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ إيناس له لما دهش بسماع كلام الله - عز وجل - وقد قيل : إن اسم الإشارة في قوله : ﴿ وَمَا تِلۡكَ ﴾ أنها موصولة وما التي بيدك ؛ التقدير : وما الذي بيدك ؟ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا ﴾ أراد موسى أن يعتذر عن إبقاء العصا بيده؛

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٦٨٠) ، وأحمد (٢ / ٤٢٨) ، وأبو داود رقم (٤٣٥) ، والترمذي رقم (٣١٦٣).

(٢) قرأ سعيد بن جبير (أَخْفيها) بفتح الهمزة ، وروي عنه (أُخفيها). قال الفراء عن قراءة الفتح : من خفيت : أظهرت، واستدل بقول امرئ القيس:

فإن تدفنوا الداء لا نخفِه   وإن تبعثوا الحرب لا نقعُدِ

يريد : لا نظهره. تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٣٢) ، تفسير القرطبي (١١ / ١٨٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ١١) ، فتح القدير للشوكاني (٣ / ٣٥٩) ، الكشاف للزمخشري (٥٦/٣) ، مجمع البيان للطبرسي (٧ / ٣) ، المحتسب لابن جني (٤٧/٢) ، معاني القرآن للفراء (١٧٦/٢).

فذكر منافعها، وقد عد من جملتها أنه كان إذا نام قاتلت عنه الهوام، وإذا وصلت إلى بئر ورشاها طويل طالت العصا حتى تصل إلى الماء، وكان إذا اشتهى فاكهة أورقت وأثمرت تلك الفاكهة. وقيل: كانت تمشي إلى جانبه وتحادثه، والله أعلم بصحة ذلك[١].

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ يعني: أرمي الأوراق اليابسة فتأكل الغنم. ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ أي: حاجات، تقول: لي في كذا مأربة.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ فإن قلت: جعلها في هذا المكان حية والحية: الثعبان الصغير، وفي موضع آخر قال: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[٢] والثعبان: الحية العظيمة، وفي موضع قال: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾[٣] والجان الحية الصغيرة؛ فكيف الجمع بين هذه الآيات؟

الجواب من وجهين:

أحدهما: أنها كانت في أول أمرها كالجان، وفي آخر أمرها كالثعبان.

والثاني: أن انقلاب العصا حية وقعت مرتين؛ إحداهما في جبل الطور حين خاطب الله موسى فقلبها له حية ليعتاد انقلابها حية؛ فلا يستوحش إذا رآها قد صارت ثعبانا كبيرا، والمرة الثانية انقلبت (١١٩/ أ) العصا حية حين حضر إلى مجلس فرعون وذلك الذي حصل من الانقلاب يراد أن يكون على أتم الوجوه، وأما انقلابها بين يدي الله عز وجل فالمراد به تعريف جواز ذلك. وقيل: كانت في عظم الثعبان، وفي خفة الجان في سرعة حركتها.

﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (٢٢)﴾

﴿فَإِذَا هِيَ﴾ فاجأه صيرورتها حية؛ فقال الله له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ قيل: ولا تكن بصدد أن تفزع وتفر؛ فإن الخوف لا ينهى عن مثله. ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ مثل ﴿سِيرَتَهَا

---

(١) هذا من الإسرائيليات وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٥٤) ونسبه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه.

(٢) سورة الشعراء، الآية (٣٢).

(٣) سورة النمل، الآية (١٠).

ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ أي: تحت إبطك، وكانت العرب تكره البياض خوفا من البرص ويكنون عنه بالحمرة، وبه سميت عائشة الحميراء[1]. وقال جميل بن معمر [من المتقارب]:

تقـــولُ بُثَيْنَـــةُ لَمَّـــا رأتْ قُنُـــوءًا مـــن الـــشَّعَرِ الأحمـــرِ[2]

فلذلك قال : ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: البياض البريء من البرص وغيره ، وجاء في موضع آخر ﴿بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [3] أي : بياضا يستوقف الناظرين من شدة بياضها وانتشار شعاعها .

---

(١) ورد هذا اللفظ في بعض الأحاديث منها الصحيح ومنها الباطل ومن الأحاديث الصحيحة ما رواه النسائي في السنن الكبرى (٥ / ٣٠٧) رقم (٨٩٥١) عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : "دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي : يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ؟ فقلت: نعم فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خده ... " الحديث. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٤٤٤) : إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا .

وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣ / ١٢٩) عن أم سلمة - رضي الله عنها- قالت : ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال : انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ثم التفت إلى علي فقال : إنْ وليت من أمرها شيئا فارفق به" ومن الأحاديث المشهورة في هذا الباب وهو ضعيف وباطل حديث " خذوا شطر دينكم عن الحميراء يعني عائشة " قال المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (١٠ / ٢٥٩) : "قال الحافظ ابن الحجر العسقلاني : لا أعرف له إسنادا ولا رواية في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير ، ولم يذكر من خرجه وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه وقال السخاوي : ذكره في الفردوس بغير إسناد وبغير هذا اللفظ ولفظه " خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء " وبيض له صاحب مسند الفردوس ولم يخرج له إسنادا ، وقال السيوطي : لم أقف عليه ". وقال الزركشي في كتاب الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة (١ / ٥٨) : " وسألت شيخنا الحافظ عماد الدين بن كثير - رحمه الله- عن ذلك فقال : كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجاج المزي - رحمه الله- يقول : كل حديث فيه الحميراء باطل إلا حديثا في الصوم في سنن النسائي ... ".

(٢) ينظر البيت في : الزهرة لابن داود الأصفهاني (ص : ٧٧٣) ويروى الشطر الثاني :

.... فُنُوناً مِنَ الشَّعَرِ الأَحْمَرِ

وبعده : كَبِرتَ جَمِيلُ وَأَودى الشَّبابُ فَقُلتُ بُثَينَ أَلا فَاقصُري

وقُنُوءاً : من قَنَأَ الشيءُ يَقْنَأُ : اشْتَدَّتْ حُمْرَتُه . و لِحْيَتُه قانِئَةٌ ، أَي : شَديدة الحُمْرَة .

ينظر : لسان العرب (قنأ).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٠٨).

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾

﴿ٱلْكُبْرَى﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما: أن يريد الكبرى بمعنى الكبر ؛ تكون نعتا للآيات ؛ كقوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[(١)] والأصل : الحسن .

والثاني: أن تكون صفة للآية ، والتقدير : لنريك من آياتنا الآية الكبرى ؛ فإن جمع المؤنث يعامل معاملة المفرد المؤنث تارة ، ومعاملة الجمع المؤنث أخرى ؛ تقول : الدواب سقيتها وسقيتهن ، والجبال علوتها وعلوتهن . ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد حتى ادعى الربوبية . ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ أي: صدري لأجلي ؛ كقوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[(٢)] وقد فُضِّل رسول الله ﷺ على موسى ؛ فإن موسى سأل أن يشرح له صدره ، ونبينا ﷺ بدئ بقوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[(٣)] من غير سؤال .

﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ سهله ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ لقصة التمرة والجمرة ؛ اختلف العلماء هل ذهبت تلك العقدة بجملتها ؟ فقال قوم : ذهبت بجملتها ؛ لأن الله - تعالى- قال لموسى بعد سؤاله : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ أن العقدة قد انحلت . وقيل: بقيت منها بقية ؛ قال فرعون : ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[(٤)] ظن بزعمه أنه أفضل من (١١٩/ب) موسى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي : لا يبين معنى كلامه لأجل العقدة التي في لسانه . ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ﴾ ﴿هَٰرُونَ أَخِى﴾ عطف بيان.

﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٨٠).

(٢) سورة الشرح ، الآية (١).

(٣) سورة الشرح ، الآية (١).

(٤) سورة الزخرف ، الآية (٥٢).

عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴾ من جعل همزة ﴿ٱشْدُدْ﴾ همزة وصل جعل ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ أمرًا بمعنى الدعاء والطلب ، وأشركه بفتح الهمزة . وقرئ " أخي أشدد " وجعل ألف " أشدد " ألف قطع وجزمه بجواب الأمر ، أو رفعه على الاستئناف[1]. ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ جعل العلة في طلب نبوة أخيه أن يشتركا في التسبيح والتقديس. ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ وقوله: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ ﴾ ليس خبرًا عن ماضٍ، وإنما هو إنشاء للإعطاء ؛ كقولك: بعتك بكذا ؛ فهذا اللفظ هو الذي حصل به البيع ، ثم إن الله تعالى شرع في إبداء منته على موسى فذكر حالة الرضاع وحالة وضعه في التابوت وإلقاء اليم التابوت إلى الساحل ، وأخذ فرعون له ، وتربيته في يد عدوه الذي كان يقتل الناس من أجله ، وإلقاء محبة الله لموسى في قلب كل من رآه ، وسلامته من قبل القبطي ، ثم أعاد الأمر بالرسالة بقوله : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي ﴾.

وهاهنا نكتة لطيفة؛ وهو أن موسى سأل من الله وزارة أخيه له ، وعلل ذلك بقوله: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ ثم إن الله – تعالى- ولاه وأعطاه ما سأله ، ثم قال : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ ولا تفترا فيه كما شرطتما على أنفسكما. وقوله: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ مع علم الله – تعالى- بأن فرعون لا يتذكر ولا يخشى، ولا يتأتى منه ذلك ، والمعنى : كونا على رجاء تذكرة وخشية ؛ فإن من ذهب في أمر وهو يعلم أنه لا يُقْضَى لا يجتهد فيه ، وإن

---

(١) قرأ ابن عامر " أَشدد " و" أُشركه " بهمزة القطع والمضارعة في الفعلين ، وقرأ الباقون " اشدد " و" أشركه " بهمزة وصل الأول وفتح همزة القطع في الثاني على الطلب والدعاء. **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ١٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤١٨)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦١ – ٦٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢١).

كان يعلم أنه يُقْضى اجتهد ووسع الحيل فيه ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ منه ضرر ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فيذكر في حقك ما لا يليق بجلالك . ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا﴾.

قال ابن عطية – رحمه الله : " بُعِثَ موسى إلى فرعون في أمرين خاصة:

أحدهما: التوحيد. **والثاني**: تسليم بني إسرائيل إلى موسى وتخليصهم مما كان يكلفهم إياه من الأعمال الشاقة "(1).

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ والدليل على صحة رسالتنا أنا ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ (١٢٠/ أ) والمعجزات دالة على صدق النبي. ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ﴾ استدلت المرجئة(2) بهذه الآية، وقالوا: لا يعذب الله من قال: لا إله إلا الله أبدا، واحتجوا بقوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ فمن لم يكذب الرسل ولم يحصل منه التولي فلا يعذب.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ (٥٤) ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥)﴾

---

(١) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية (١١ / ٧٨).

(٢) **المرجئة** – بضم الميم وكسر الجيم بعدها ياء مهموزة ويجوز تشديدها بلا همز –: نسبوا إلى الإرجاء وهو التأخير ؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان فقالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ولم يشترط جمهورهم النطق وجعلوا للعصاة اسم الإيمان على الكمال وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب أصلا ومقالاتهم مشهورة في كتب الأصول.

وهم ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية فهم معدودون في القدرية والمرجئة كأبي شمر المرجيء ومحمد بن شبيب البصري والخالدي ، وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان ومالوا إلى قول جهم في الأعمال والأكساب فهم من جملة الجهمية والمرجئة ، وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قدر وهم خمس فرق : يونسية وغسانية وثوبانية وتومنية ومريسية . وقال الشهرستاني : والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة ، ومحمد بن شبيب والصالحي والخالدي من مرجئة القدرية وكذلك الغيلانية أصحاب غيلان الدمشقي أول من أحدث القول بالقدر والإرجاء .

ينظر عنهم بتفصيل في : الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (١/ ١٩) ، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٨) ط . دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٤هـ – تحقيق: محمد سيد كيلاني.

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا ﴾ خاطب الاثنين ثم خص الخطاب بأحدهما وهو موسى؛ لأن موسى هو الأصل في نبوة أخيه. ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ كل حيوان إلى ما يصلحه.

﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ يعني: فما جرى فيها حين كذبوا ؟

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ﴾ يعني: اللوح المحفوظ. ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ السبل: الطرق. قوله: ﴿مَآءً فَأَخْرَجْنَا ﴾ عدل فيه عن الغيبة إلى التكلم؛ لأن نزول المطر من السماء وخروج النبات به أمر عظيم لا يقدر عليه إلا الله.

﴿ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافا ﴿ مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ مختلف. أي: وقلنا: ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ﴾ وهو كقوله : ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[1] ﴿ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ لذوي العقول .

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ أي : من الأرض ، ثم فيه وجهان :

أحدهما: خلق أبيكم آدم من تراب. والوجه الثاني: أن الله وكل بالولد في الرحم ملكا يأخذ من تربة الأرض التي يدفن فيها ذلك المولود فيذره على النطفة؛ فهذا خلقه من تراب[2] ، ثم فرعوا على هذا أن أصل خلقة أبي بكر وعمر مثل نشأة خلق رسول الله ﷺ؛ لأن الكل دفنوا في مكان واحد[3] ، وفي الأرض ﴿ نُعِيدُكُمْ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ

---

(١) سورة النازعات ، الآية (٣٣).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٥٨٤) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء الخراساني .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١/ ٢٦٨) عن ابن سيرين - رحمه الله - قال " لو حلفت حلفت صادقا بارا غير شاك ولا مستثن أن الله - عز وجل- ما خلق نبيه ﷺ ولا أبا بكر ولا عمر - رضي الله عنهما - إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة ".

﴿٦٤ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ
إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨
وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ
فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا
وَأَبۡقَىٰ ٧١﴾

﴿وَلَقَدۡ﴾ أرينا فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ التي جاء بها موسى ﴿كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ وهذا يدل على أن فرعون كان يرعد خوفا من موسى. فهل رأيتم ساحرا غلب على إقليم فملكه بسحره واستولى على ذلك الإقليم . ﴿ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ الحسنى. ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ فإنه أهيب للعدو أن يأتي صفا. ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ خيروه في أنه هل يبدأ هو بإلقاء عصاه أو يبدأوا هم ؟ وهذا عادة المدل بصنعته . ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ﴾ أي : فاجأت حبال السحرة أنها تخيل إلى موسى أنها تسعى ، وكانوا قد (١٢٠/ب) حشوا أجواف تلك الحيات المصنوعات بالزئبق ، ومن شأن الزئبق أنه إذا حمي فاضطربت تلك الحيات لانسداد الأعلى فبقيت تضطرب .

﴿فَأَوۡجَسَ﴾ فأحس ﴿فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ﴾ ﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ﴾ يعني: لا يلحقك من ذلك ضرر. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ الغالب القاهر لهم . ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ هذا تصغير لأمر العصا ، وقد سبق قوله – تعالى- له : ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ﴾ وقال له هاهنا : ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ كأن ملقيا ألقاهم من شدة اشتغالهم بالسجود. ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ فجرى فرعون على عادة الملك ، واستنكف أن يظهر أنه مغلوب فشرع في تهديد السحرة ؛ فقال: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾.

وقوله: ﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ يعني به اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو بالعكس ، وقطع اليد والرجل من خلاف هو من وجه أشد من قطعهما من جهة؛ لأن ذلك الجنب يتعطل ، وهو من وجه آخر أخف ؛ لأنه بقي في كل جانب شيء من الانتفاع ، فسلك فرعون أحد الطريقين ، وهو قطعهما من خلاف.

العذاب متى اجتمع فيه كونه أشد وكونه أطول مدة كان أعظم.

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾

﴿ قَالُواْ ﴾ السحرة لفرعون : ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فنترك ما رأينا من الآيات . قيل : إنهم رأوا الجنة والنار في سجدتهم تلك [١]. ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ يجوز أن يكون قسمًا ، ويجوز أن يكون معطوفا على قوله : ﴿ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا ﴾ ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ أي: افعل فينا ما تشاء ؛ فإن لنا رجوعا إلى الله يقتص لنا ممن ظلمنا ؛ إن مدة تسلطك علينا ﴿ هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ روي أن فرعون كان يكره طائفة من الناس على تعلم السحر.

﴿إِنَّهُۥ ﴾ الهاء ضمير الشأن ﴿ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ ﴾ يوم القيامة ، ولم يتب فله جهنم ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة تنفعه. وقد قالوا: إن الكافر في الآخرة يجد ألم النزع من جميع أعضائه ولا يموت قال الله – تعالى- فيه : ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ [٢] ﴿تَجْرِى ﴾ من تحت أشجارها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أو من تحت غرفها ؛ لقوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [٣] ﴿طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ (١٢١ / أ) من مقتضى الدليل أنه إذا انفلق البحر اثني عشر فرقًا يكون في قعر كل فرق زلق ووحل ، لكن الله – تعالى- جعل موضع الماء صلبا يابساً لا زلق فيه ؛ تيسيراً على

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٥٨٧) ونسبه لابن أبي حاتم عن القاسم بن أبي بزة .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية (١٧).

(٣) سورة الزمر، الآية (٢٠).

موسى وقومه . ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا ﴾ من فرعون ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾ في اليم غرقاً، أو: لا تخشى شيئاً تخافه مطلقاً ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾ أي : أمر عظيم لا يقدر قدره ﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴾ إنما جيء به ؛ لأن الذي يضل قد يتفق له تارة أن يحسن ويوفي شيئا من الأفعال ؛ لكن فرعون كان محض الضلال ولا يخلطه بشيء من الإحسان .

فهم موسى من قوله : ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ ﴾ أنه قد عتب عليه كيف تقدم قومه ولم يأت بهم معه ؟ فاعتذر بأمرين : **أحدهما** : أن المكان الذي فارقهم فيه قريب جدا قال : ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾ أي : ليسوا ببعيد مني .

والثاني: إنما عجلت لطلب رضاك.

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾ أي : من بعد انطلاقك ﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ وقرئ في الشاذ ﴿ وَأَضَلُّهُمُ ﴾ بضم اللام[1].

وروي أن السامري حين وصل إلى البحر مع موسى بعث الله جبريل راكبًا فرس الحياة وقد خلق الله الحياة على صورة فرس ، ولا تمر بشيء ولا يجد مسها شيء إلا حيي، وخلق الله الموت على صورة كبش أملح ؛ كما جاء في الحديث أنه " يذبح الموت يوم القيامة ، وقد جيء به على صورة كبش أملح "[2] فرأى السامريُّ فرس جبريل كلما وضعت حافرها على شيء من الأرض اخضر نباتها ، فقال : إن لهذا شأناً ، وأخذ من ذلك التراب شيئا ، وكانت بنو إسرائيل لما أمروا بالخروج من ديار مصر استعاروا حليًا من قوم فرعون ، ولم يتسع لهم الوقت أن يعيدوه إلى أربابه ، فحملوه معهم فلما تجاوز موسى البحر ، وغرق فرعون أمر الله موسى أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليسمعهم خطابه ، فأبطأ عليهم موسى، فأخذ السامري ما معه من تلك التربة التي وطئها حافر فرس جبريل ، وكان

---

(١) قرأ بها أبو معاذ القارئ . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٤٤٣).

(٢) رواه مسلم رقم (٥٥٨٧).

السامري صائغاً فعمل صورة عجل ، وألقى فيه من ذلك التراب فصار العجل يخور خوار الثور، وقال لهم السَّامري : هذا العجل الذي يخور هو إلهكم وإله موسى ، فنسي موسى وذهب يطلبه في الجبل (١٢١ / ب) فرجع موسى إلى قومه وقد أعلمه الله – تعالى- بضلال السامري ومن تبعه ، فسمع أصوات عبدة العجل يصرخون ويصفقون ويرقصون ، فقال : هذا صوت الفتنة ، واشتد غضبه حتى ضرب برأس أخيه يجره إليه ، وكان موسى قد أعطاه الله – تعالى- الألواح ، وقد كتب له في التوراة ، فألقى الألواح من يده . قيل: ذهب من التوراة ستة أسباعها بإلقائها على الأرض غضباً[١] .

قال موسى لقومه : ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ وهو أن يؤتينا الله كتاباً فيه علم ما نحتاج إليه من أمر الدين والدنيا ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ لمدة غيبتي ؟ وكان قد وعده انقضاء ثلاثين ليلة ثم أتمها أربعين ليلة ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وقرئ ﴿أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ أي : ينزل ، وقرئ (يحِل)[٢] من مجيء وقت الشيء ، ومنه حلول الدين ﴿غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الذي غذاكم بكرمه ورباكم بنعمته .

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣)﴾

﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ لذلك ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ أي: أثقالاً والوزر الثقل، سمي الوزير وزيرا؛ لأنه يحمل عن الملك أعباء مملكته.

قوله – عز وجل: ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ هو الحلي الذي كان عندهم للقبط ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ في صورة العجل ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما كان عنده من الحلي ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السامري

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٧٢) رقم (٩٠١٦) عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٢) قرأ الكسائي والأعمش وطلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب " يحِل " ، وقرأ الباقون " يحُل " .

تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٦٠) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٤٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٢٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٧٩)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢١) .

﴿ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وقيل : إنه كان فيه روح كروح الحيوان . والقرآن العزيز لا يدل على ذلك . قيل: إنه كان يخور مرة بعد مرة ، وبعض المفسرين يقول: خار خورةً واحدةً ، ولو كان يخور كل يوم لما صلح لما نسبوه إليه من الألوهية ، وهو كقوله -تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾(١) إلى أن قال : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾(٢) ولو كانت لهم أرجل وأعين وآذان لما صح نسبتهم إلى الألوهية ، فكيف وهم ليسوا كذلك فقال ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ موسى حتى طلبه في جبل الطور ، ثم عنَّفهم الله – تعالى- بقوله : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ أي : ألا يجيب متكلماً يخاطبه .

﴿وَلَا يَمْلِكُ ﴾ دفع ضرر ولا جلب نفع . ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ (١٢٢/أ) رجوع موسى ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم ﴾ بعبادة هذا العجل، ودعاهم إلى طاعته في أمره بالتوحيد، فعصوه وقالوا: ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ وأكدوا النفي بـ (لن) الدالة على تأكد النفي ، فأقبل موسى على هارون فقال: ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ ﴾ واستعطف أخاه بالنسبة إلى الأم لأنها أرحم ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ قيل: قد كان أخذ بأذنيه فاستدل به قوم على أن الأذنين من الرأس، ولا حجة فيه ؛ لأنه يجوز أن يكون موسى قد أخذ بيد هارون أو بعضو آخر ولم يذكر ذلك لنا.

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

﴿ إِنِّى خَشِيتُ ﴾ أن أقاتلهم أن يتفرقوا شيعاً، وهو قول موسى: ﴿ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٩٤).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٩٥).

فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ وكان موسى قد أوصى هارون فقال: إن رأيت من بني إسرائيل ما لا يسوغ فبالغ في اللطف؛ ليرجعوا عما هم عليه ، وإلا فالحق بي ، فأقبل موسى على السامري ، فقال : ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴾ يعني : قد استقر عذر أخي ونطق بما يبرئه ، فما خطبك أنت يا سامري . والخطب: الأمر الذي له قدر وجلالة عند معتقديه. ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ وهو اخضرار الأرض تحت حافر فرس جبريل ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ﴾ حافر فرس ﴿ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ﴾ في العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ ﴾ أي : زينت أو سهلت .

﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ﴾ أن لا يمسك إنسان ولا تمس أنت إنسانا إلا وأخذتكما الحمى ، يعني الماس والممسوس ، فكان يخرج في الفضاء ويرفع صوته: لا مساس لا مساس. ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا ﴾ في الآخرة ﴿ لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾ لابد لك من الحضور فيه ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ﴾ بزعمك ﴿ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ أي: على عبادته وتعظيمه ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ [(١)] أي: لنبردنه بالمبرد ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ ﴾ بعد ذلك ﴿فِي ٱلْيَمِّ ﴾ في البحر ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ الأصل : وسع علمه كل شيء ، ثم حول كما في قوله: ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[(٢)] أي: شيب الرأس. ومثل ذلك الاقتصاص ﴿ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ [(٣)] من أخبارهم وقصصهم. ثم عظم (١٢٢/ ب) أمر القرآن بقوله: ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ ثقيلاً ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ في عذاب جزائه، وقبح ذلك الحمل حملاً .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ قال الحسن: الصُّور: جمع صورة [(٤)] أي : نعيد الأرواح في الأجساد. وقيل : الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل ، ويقول : أيتها العظام البالية والأجساد المتلاشية ، والشعور المتمزقة والأوصال المتفرقة ، إن الله أمركن أن تجتمعن لفصل القضاء . وقيل:

---

(١) قرأ ابن جمَّاز: (لَنُحْرِقنَّه) ، وقرأ ابن وردان: (لَنُحْرُقنَّهُ) ، وقرأ جمهور القراء: (لَنُحَرِّقنَّهُ).

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٧٦) ، تفسير القرطبي (١١ / ٢٤٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٥٢) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥٢) ، المحتسب لابن جني (٢ / ٥٨) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٨٩) النشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٢).

(٢) سورة مريم ، الآية (٤).

(٣) سورة هود ، الآية (١٢٠).

(٤) تقدم في سورة الكهف ، الآية (٩٩).

الأرض كلها هي الصور ينفخ إسرافيل فيها فتصل أثر نفخته بالأجسام، فيقومون قائلين: سبحان الله وبحمده(١).

ومنه قوله – تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾(٢). قوله: ﴿زُرْقًا﴾ أي: عطاشاً. وقيل: عمياً؛ لأن الأعمى تبقى في عينه زرقة. ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ فإن الخوف يضعف الأصوات.

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أتمهم عقلا ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أرخ بالأيام وحق التأريخ أن يكون بالليالي، لكن ذاك يكون إذا اشتمل الزمان على وقتين ليل ونهار، وهاهنا ليس كذلك؛ لأنهم أرادوا أنهم لبثوا بياض يوم ليس فيه شيء من الليل. ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي: فيذر مواضعها. والقاع: الأرض المستوية المتسعة ﴿صَفْصَفًا﴾ خالياً أو ممتداً. العوج بالكسر يكون في المعاني وبالفتح في المرئيات تقول: في دينه عِوج، وفي العصا عَوج(٣).

واعلم أن الأرض إذا مسحتها وسويتها بحيث لا يظهر لك فيها اعوجاج، وأنت لو قستها بالمسطرة حصل لك رؤية عوج يسير لا يدركه الطرف، فيلحق ذلك الطرف بالمعاني لكونه غير مرئي، فإذا نفي ذلك لزم منه نفيُ ما هو مرئي بطريق الأولى.

﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ أي: لا ارتفاعاً ولا انخفاضاً. ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ هو إسرافيل ينادي: يا أيتها العظام البالية والأجسام المتلاشية، والشعور المتمزقة والأوصال المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. فإذا قاموا من القبور قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحان ربنا العظيم وبحمده(٤) (١٢٣ / أ) ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦ / ١٨٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٦١١) عن كعب.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٥٢).

(٣) قال الراغب الأصفهاني في معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٣٦٣): والعَوَج: يقال فيما يدرك بالبصر سهلا كالخشب المنتصب ونحوه، والعِوَج: يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة. وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ٣١٥): وهو بفتح العين مختص بكل شيء مرئي كالأجسام، وبالكسر فيما ليس بمرئي كالرأي والقول. وقيل: الكسر يقال فيهما معا، والأول أكثر.

(٤) تقدّم تخريجه قريبا.

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن لبثتم ما بين النفختين، فإنه روي: "أن العذاب يرفع عنهم ما بين النفختين فيقومون وفي أعينهم طعم النوم"[2]، ولهذا قال الله – تعالى- حكاية عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[3].

والثاني: إن لبثتم في الدنيا، تضاءل عندهم اللبث في الدنيا حتى عدوه ساعةً ؛ لأن أيام السرور قصار .

الوجه الثالث: إن لبثتم في القبور. قالوا : ولم توصف القيامة بأهول من هذا ؛ فإنهم كانوا في القبور يعرض عليهم مقعدهم بالغداة والعشي بدليل قوله – تعالى : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[4] ومع ذلك رأوا أيام المقام في القبور كأنه نعمة ، فاستقصروا مدة إقامتهم في القبور.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ واعلم أن لها أحوالاً حالة تسير ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾[5] وتارة تذهب قوتها فتصير ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[6] وتارة تصير ﴿هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[7] وتارة كالرمل الذي يهال بعضه في إثر بعض ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[8] وتارة تسوى بها الأرض فلا يبقى فيها ارتفاع ولا انخفاض ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا عوج لهم عنه ﴿وَخَشَعَتِ﴾ ذلت

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٥٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٨ / ٢١١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٦٣) بنحوه وعزاه لهناد في الزهد ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري .

(٣) سورة يس ، الآية (٥٢).

(٤) سورة غافر ، الآية (٤٦).

(٥) سورة النبأ ، الآية (٢٠).

(٦) سورة القارعة ، الآية (٥).

(٧) سورة الفرقان ، الآية ٢٣ .

(٨) سورة المزمل ، الآية (١٤).

وخضعت . ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ يعني: صوتاً خفياً. وقيل: لا يُسمع إلا صوت مشي الأقدام إلى المحشر والقيامة ، ففي بعضها ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾(١) . وفي بعضها ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾(٢).

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ ﴾ لا تقع الشفاعة في الآخرة إلا بعد إذن من الله للشافع أن يشفع؛ لقوله - تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٣) وأيضا لا تنفع الشفاعة في الآخرة إلا فيمن أذن أن يشفع فيه ممن قال لا إله إلا الله؛ لقوله - تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ (٤) وقوله : ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فيجازيهم على حسب علمه فيهم. ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذلت، والعاني الأسير. ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ يجوز أن يراد من حمل كفرا، فلا تنفع فيه الشفاعة فيخيب، ويحتمل أن يريد مع ذلك مظالم العباد .

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ﴾ خبر مجرد ، ومن قرأ (فَلا يَخَفْ) (١٢٣/ ب) فهو نهي عن الخوف(٥) ، وكيف ينهى عنه وهو يأتي بحكم الحال ، ولا يتمكن الإنسان من دفعه عن نفسه ، وهو إما نهي عما يقتضيه النهي من المعاصي والهَضم:

---

(١) سورة الطور، الآية (٢٥).

(٢) سورة الزمر، الآية (٣١).

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥).

(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٢٨).

(٥) قرأ ابن كثير من العشرة (فلا يخفْ) ، وقرأ الباقون (فلا يخافُ). **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٢٨١)، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٤٧، ٢٤٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٤٦٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٥٨)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٢٤) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٢).

النقص. يقال: هضيم الكشح، أي: صغيره، ومثل هذا الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ وقد يوجد فيه كلمات فارسية أو رومية قد عرِّبت وهو كما يقال: هذا ثور أسود، وإن كان في بعض قوائمه عشر شعرات بيض. ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ ليردهم ذلك التصريف عما هم عليه من العناد. ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ تذكرًا واتعاظا ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: جلَّ عما يقوله الكفرة من دعوى الشريك والولد له.

وكان النبي ﷺ إذا قرأ جبريل عليه ما نزل عليه من الوحي يلاحق جبريل في القراءة خشية أن يتفلت عنه بعضه ، فأنزل الله – تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [١] وهذه الآية ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي : من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته ، فكان النبي ﷺ بعد ذلك يسكت حتى يفرغ جبريل من قراءته ، ثم يقرؤها النبي ﷺ فلا يخل منها بشيء[٢] .

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ لم يعد بعض المفسرين آدم من أولي العزم ولا يونس ؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[٣] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ قيل : جعله قبلة لهم ، والمراد : اسجدوا لجهته .

وقيل: اسجدوا لسجوده، أي: ليكون إماماً لكم وأنتم تقتدون به ، والصحيح أنهم أمروا أن يسجدوا لآدم تعظيماً له، وذلك لا يجوز في شريعتنا، وقد جاء في يعقوب وأولاده ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [٤] وقوله : ﴿أَبَىٰ﴾ جملة مستأنفة ، جوابٌ لسؤال سائلٍ سأل فقال: ماذا صنع إبليس؟ فيقول له: أبى أن يسجد .

---

(١) سورة القيامة ، الآية (١٦).

(٢) رواه البخارى رقم (٤٩٢٩) ، ومسلم رقم (١٤٧، ١٤٨).

(٣) سورة القلم ، الآية (٤٨).

(٤) سورة يوسف ، الآية (١٠٠).

وقد اختلف فيمن أمر بالسجود لآدم؛ فقال الأكثرون: إن المأمور جميع الملائكة، لم يخرج أحدٌ منهم من الأمر. وقيل: خرج منهم الملائكة المقربون ؛ لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾[1].

﴿ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ إن قال قائل : لم لا قال : فتشقيا عن آدم (١٢٤ /أ) وحواء ؟

والجواب من وجهين : **أحدهما** : أن الذي يشقى بالنزول من الجنة هو الرجل دون المرأة فقد روي أن آدم عليه السلام أنزل له ثور من الجنة فحرث عليه حتى عرق جبينه فثبت السعي والتعب إلى آدم خاصة . وقوله : ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾ كقوله : لا أرينك هاهنا ، **والوجه الثاني** : أنه ما قال : فتشقيا لأجل تأخير رؤوس الآي وهو بعيد ؛ لأن القرآن ليس محل ضرورة . ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴾ القياس أن يُقابل كل شيء لشكله ، فيقال : إنك لا تجوع ولا تظمى ، ولا تعرى ولا تضحى . الضحاء: ممدود [وهو][2] حرُّ الشمس والضحى: مقصور جمع ضحوة . والوسوسة: الصوت الخفي .

﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾
فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ
﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا
يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ
لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا
﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ
وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾

﴿ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ ﴾ قال له إبليس أو أحد ذريته: الشجرة التي نهيت عن أكلها هي شجرة من أكلها خلد في الجنة، فلو أكلت منها لتبقى خالدًا لكان خيرا لك، وكذلك إذا أكلت منها فإنه يحصل لك ملك لا يبيد ﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ تساقط اللباس الذي كان عليهما، وشرعا يأخذان من أوراق الأشجار. ﴿ فَغَوَىٰ ﴾ الغيُّ: ضد الرشاد

---

(١) سورة ص ، الآية (٧٥).

(٢) ليست بالأصل.

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ﴾ اصطفاه واختاره فهداه إلى التوبة والرجوع إلى الله. ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا﴾ وفي موضع آخر ﴿ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا﴾ (١) المأمور بالهبوط آدم وحواء، وفي الآية الأخرى آدم وحواء وإبليس. ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ (ما) زائدة ﴿يَأۡتِيَنَّكُم﴾ شرط ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ شرط ثان. ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ جواب للشرط الثاني، والشرط الثاني وجوابه جواب للشرط الأول. ﴿ضَنكٗا﴾ أي: ضيقة حرجة. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ فتركت العمل بها، وقد استدل بذلك على إثم من نسي القرآن بعد حفظه، ولا حجة فيه؛ فإن أصل حفظ القرآن ليس بواجب(٢).

﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ تترك في العذاب ؛ كقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ (٣) وقوله : ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾ (٤) ومتى كان العذاب شديداً ولكنه قصير المدة فقد يتجلد المعذب وينتظر انقضاء الأمل القريب ، أما إذا كان العذاب دون ذلك ولكن أمده متطاول أو أشدُّ (١٢٤/ ب) من الأول ، فعذاب الآخرة في نفسه أشدُّ وهو أدوم. ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ﴾ أفلم يتبين ، والفاعل ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ ﴿يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾ فيرون آثار المهلكين المكذبين فيعتبروا ويرجعوا ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ جمع نهية وهي العقل ؛ لأنه ينتهي عن الفواحش ، كما سمي عقلا فإن عقال البعير يمنعه من الذهاب كيف مشى ، وسمي حجراً لأنه يحجز عن المعاصي ، أي : يمنعها .

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٣٨).

(٢) يستحب حفظ القرآن إجماعا وحفظه فرض كفاية إجماعا وهو أفضل من سائر الذكر وأفضل من التوراة والإنجيل وبعضه أفضل من بعض ويجب منه ما يجب في الصلاة ويبدأ الصبي وليه به قبل العلم فيقرأه كله إلا أن يعسر والمكلف يقدم العلم بعد القراءة الواجبة كما يقدم الكبير نفل العلم على نفل القراءة في ظاهر كلام الإمام والأصحاب ويسن ختمه في كل أسبوع وإن قرأه في ثلاث فحسن ولا بأس به فيما دونها أحيانا وفي الأوقات الفاضلة كرمضان خصوصا الليالي اللاتي تطلب فيها ليلة القدر والأماكن الفاضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من قراءة القرآن اغتناما للزمان والمكان ويكره تأخير الختم فوق أربعين بلا عذر ويحرم إن خاف نسيانه ـ قال أحمد: ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه . **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١ / ٢٦٤) ، الإقناع للبهوتي (١/١٤٨).

(٣) سورة التوبة ، الآية (٦٧).

(٤) سورة السجدة ، الآية (١٤).

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير عذاب الكفار إلى البعث ﴿ لَكَانَ ﴾ التعذيب لازماً لهم ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير العذاب على من كفر إلى يوم القيامة. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾ أي: ولولا كلمة وأجل مسمى. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ صلاة الفجر، وقبل الغروب: صلاة الظهر والعصر ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ ﴾ المغرب والعشاء. وآناء الليل: ساعاته. ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ وقرأ الكسائي وأبو بكر (لَعَلَّكَ تُرْضَى) بضم التاء[1]. ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ استحسانا إلى ما زينه أهل الدنيا من المساكن والملابس والمراكب؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك لينظر إليه ويستحسن.

﴿ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقرئ (زَهَرَةَ الحَيَاةِ الدُّنيا) بفتح الهاء[2] زَهَرَة: جمع زاهر، ككاتب وكتبة. ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ في الجنة. ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ وكان بعض السلف إذا دهمه خطب فزع إلى الصلاة وتلا هذه الآية[3]. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ الحميدة ﴿لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وهو القرآن المجيد المصدق لما سبقه من الكتب ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من

---

(١) قرأ الكسائي وشعبة عن عاصم " لعلك تُرْضَى "، وقرأ باقي العشرة " لعلك تَرْضَى ".
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٩٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٤٨)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٤٦٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٦٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٢٥)، الكشاف للزمخشري (٢ / ٥٥٩)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٢)

(٢) قرأ بها يعقوب، وقرأ العامة " زهْرة ". **تنظر** في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٢٩١)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٦٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٦٧)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٩٨)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٢).

(٣) وورد هذا مرفوعا للنبي ﷺ رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣ / ١٥٣) عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام قال: " كان رسول الله ﷺ إذا نزل بأهله شدة - أو قال: ضيق - أمرهم بالصلاة وتلا ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ الآية ".

قبل بعثة الرسل وإنزال الكتب ﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالعذاب ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ به.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: أنتم تنتظرون هلاكي، وأنا أنتظر أن يبتليكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ (١٢٥/أ) هو كقوله - تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

* * *

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١٥).

سورة الأنبياء [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ (١) مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ (٢) لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ (٣)﴾

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ عبر بالحساب عن المجازاة وكان اقترابه ما حل بهم في وقعة بدر من القتل والأسر. وقيل : أراد حساب يوم القيامة ، وفي قربه وجهان:

أحدهما : أنه آتٍ ، وكل ما هو آت قريب .

والثاني : أن معناه أن زمان بقاء العالم قد بقي أقلُّه وهو انقضاء أيام البقاء في الدنيا . وقوله : ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ أي : اقترب منهم . ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ المراد بقوله : ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ أي : يشتغلون بدنياهم ، وقال - تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ [1] وقيل : ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ أي : يلهون . وقيل : يشتغلون بالقدح فيه والاعتراض عليه . وقوله : ﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ جملة حالية ، وقوله : ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾ جملة أخرى ، فالأولى حال من واو ﴿ٱسۡتَمَعُوهُ﴾ والثانية فيها وجهان:

أحدهما : أنها حال من واو ﴿ٱسۡتَمَعُوهُ﴾ .

والثاني : أنها حال من الضمير في ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ فتكون الحالان متداخلتين ، وعلى الأول تكونان مترادفتين .

وفي معنى ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾ وجهان :

أحدهما : مشتغلين عن الذكر بالطعن في القرآن .

والثاني : مشتغلين بالباطل عن الحق .

وفيه وجه ثالث قاله المتصوفة : أنها غافلة عما يراد بها ومنها.

---

(١) سورة محمد ، الآية (٣٦).

وقوله - عز وجل : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ﴾ أي : أخفوا فيما بينهم التناجي بالباطل .

وقيل : أسروه : أظهروه . قال الماوردي[١] : وأَسَرَّ يستعمل في الإخفاء والإظهار ، وإن كان الظاهر استعماله في الإخفاء حقيقة إلا بدليل .

قوله: ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ ﴾ قيل : أفتقبلونه وأنتم تعلمون أنه سحرٌ ؟ وقيل: أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعلمون الحق ؟ الواو في ﴿وَأَسَرُّواْ ﴾ يجوز أن تكون دالة على جمع الفاعلين ولا تكون ضميراً. وقيل: هي على لغة من يقول : أكلوني البراغيث[٢].

وقيل: أسروها للذين ظلموا فحذف الجار ومثله ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [٣] والتقدير: قائلين: ﴿ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ
بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن
كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ
صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ
ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ
﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

وقوله : ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ أي (١٢٥/ ب) تهاويل أحلام . وقيل: ما لا يفسر من الأحلام ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ قيل : هم أهل التوراة والإنجيل . وقيل: علماء المسلمين . وقيل: من أسلم من علماء اليهود والنصارى .

قوله - تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا ﴾ الآية قيل : معناه وما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً ﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ ولا يموتون كذلك ، فعلى هذا يكون الجسد ما لا يأكل ولا يشرب، ويكون قوله: ﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ﴾ تفسيرا لـ « جسد ».

---

(١) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٣ / ٣٧).

(٢) تقدم في تفسير سورة البقرة ، الآية (٧١).

(٣) سورة المائدة ، الآية (٧١) .

وقيل: المراد أنهم ليسوا أجساداً ، والجسد ما يأكل ويشرب ، وأفرد الجسد ؛ لأن المراد التمييز بهذا الجنس ، وهو كقوله - تعالى: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (١) قوله - عز وجل: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم ؛ لنزوله بلغتكم أولاً ، مشتمل على ذكر مصالحكم في دينكم ودنياكم

قوله : ﴿ مِّنْهَا ﴾ أي : من القرية . وقيل: من العذاب. قوله: ﴿ أُتْرِفْتُمْ ﴾ أي: نُعِّمْتُم . قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أي : من دنياكم شيئا قالته الملائكة استهزاء بهم(٢) .

وقال ابن بحر(٣): لعلكم تسألون عما كنتم تعملون من الذنوب حتى استوجبتم هذا التعذيب(٤) .

﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله - عز وجل: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ بالثبور والويل حتى هلكوا. وقوله: ﴿تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ معرفتان يجوز جعل كل واحدة منهما اسماً لـ ﴿ فَمَا زَالَت ﴾ والأخرى خبرا والحصيد: الاستئصال ، والخمود : الهمود ، يقال: خمدت النار إذا انطفأت ، فشبَّه خمود الحياة بخمود النَّار ، كما يقال لمن مات: قد طفي. قوله : ﴿لَهْوًا﴾ قيل: ولداً . وقيل: زوجة. وقيل: المراد الداعي إلى الشهوات، وأنشد الماوردي [من الطويل] :

.... وللهوِ داعٍ دائـبٌ غـيرُ غافـلِ(٥)

---

(١) سورة غافر ، الآية (٦٧) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٦١٨) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٣) هو ابن بحر بن بري البابسيري يروي عن ابن عيينة توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين (٢٣٤ هـ). تنظر ترجمته في : اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ١٠٠).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٣٩) عن ابن بحر .

(٥) هذا عجز بيت للأحوص ، وصدره :

ويلحينني في اللهو ألا أحبُّهُ ....

ينظر في : تفسير الطبري (١ / ١١٢) ، روح المعاني للألوسي (١ / ٩٥) ، النكت والعيون للماوردي (٣ / ٣٩).

قوله عز وجل : ﴿ مِن لَّدُنَّآ ﴾ أي : من عندنا . قال ابن جريج[١]: أي : لاتخذنا ولداً ونساءً من أهل السماء لا من الأرض[٢] . قوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ أي: لاتخذناه من السماء بحيث يخفى علمه عليكم . قوله: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ الحق هو المشروع ، والباطل هو المدفوع . وقيل: الحق: القرآن ، والباطل : إبليس .

وقيل: الحق المواعظ، والباطل: المعاصي، جعل الباطل كصورة صنم سقط عليه حجر ثقيل فوصل إلى دماغه فهلك (١٢٦ /أ) والشجة إذا وصلت إلى أم الدماغ وخرقتها تسمى دامغة، جعل ذلك مثلاً لهلاك الباطل وأمن لمآثر الإسلام ، والباطل الشرك. ﴿زَاهِقٌ ﴾ أي: هالك .

قوله: ﴿ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ لا يتعبون ولا يعيون ، يقال: حسر البعير: إذا أعيا ، ومنه قوله: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [٣] قوله : ﴿ يُنشِرُونَ ﴾ أي : يحيون الموتى ، ومنه قوله - تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [٤] وقوله : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [٥] ومعناه : أن الإله يجب أن يكون قادراً على إحياء الموتى .

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم أبو خالد وأبو الوليد القرشي الأموي المكي صاحب التصانيف وأول من دون العلم بمكة ، كان ثقة حافظا لكنه كان يدلس بلفظة " عن " وقد كان صاحب تعبد وتهجد وما زال يطلب العلم حتى كبر وشاخ ، ومات سنة خمسين ومائة. تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي (٦ / ٣٢٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٠).

(٣) سورة الملك الآية (٤).

(٤) سورة عبس ، الآية (٢٢).

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٥٩) وهذه قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو " ننشرها " بالراء ، وقرأ الباقون " ننشزها " بالزاي. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ٢٩٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٦٢٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص:١٨٩) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٣٠٧).

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا
يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ
نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا
رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله: ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ قيل: ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى سوى. وقيل: بمعنى الواو، تقديره: لو كان فيهما آلهة إلا الله ومعهم الله لفسدتا، فعلى الأول يكون إبطالاً لاتخاذ الشريك، وعلى الثاني يكون إبطالاً لإلهية غير الله لعجزه عما يقدر الله عليه.

قوله تعالى: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ قيل: لا يُسأل عن قضائه، والخلق يُسألون. قوله: ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ ﴾ أي: بإبطال الشريك ﴿ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾ أهل الكتاب، يشهدون بالتوحيد. قوله: ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الدنيا. وقيل: ما قدَّموا وأخروا. وقيل: ما قدموا: ما عملوا، وما أخروا: ما لم يعملوا. قوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ ﴾ أي: في الدنيا ﴿ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ وقيل: في الآخرة.

قوله: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ أي: من الملائكة ﴿ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ ﴾ دون الله، احتجَّ به قوم زعموا أن الأنبياء ليسوا بمعصومين، وكذلك قصة هاروت وماروت، وقصة إبليس وامتناعه من السجود لآدم. قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ﴾ معناه: أو لم يعلم، فإنهم علموا ذلك من جهة الوحي. قوله: ﴿ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا ﴾ متصلتين ففتق بين السماوات والأرض بالهواء. وقيل: كانت كل واحدة من السماوات ومن الأرضين مرتتقة متصلة، ففتق بينهن. وقيل: المعنى بفتق السماوات إنزال المطر من السماوات، وإخراج النبات من الأرض. قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ قيل: جعل حياة كل الحيوان بالماء. وقيل: جعل كل حيوانٍ مخلوقاً من النطفة. وقيل: جعل بقاء الحيوانات بالماء وهو عامٌ مخصوص (١٢٦/ ب).

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ

ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا
رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم
بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ
﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا
يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً
فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ
هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ أي : ثابتات. وقيل : مثبتات ، فإن الجبال هي التي أرست الأرض . ﴿أَن تَمِيدَ﴾ أي : تضطرب . وقيل: تزول . الفجاج : الطريق الواسعة بين جبلين . وقيل : إنها الأعلام التي يهتدى بها ، وفي السبل وجهان :

أحدهما : الطرق . **والثاني** : طرق الاعتبار .

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي : من أن تقع على الأرض .

وقيل : محفوظاً من الشياطين . قوله - عز وجل : ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ قيل : الفلك السماء . وقيل: هو القطب المستدير يدور بدورانه الفلك ، ثم قيل : إن السماء تستدير فتستدير بدورانها الكواكب والشمس والقمر . وقيل: السماء لا تتحرك ، إنما المتحرك هو الفلك الدائر بالنجوم والكواكب .

وقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ أي : نعاملكم معاملة المختبر . قوله ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ قيل : الشدة والرخاء . وقيل: الشر : الفقر والمرض. والخير: الغنى . وقيل: الشر: غلبة الهوى على النفس . والخير: العصمة . وقيل: ما تحبون وما تكرهون ؛ ليعلم شكركم فيما تحبون وصبركم على ما تكرهون.

قوله عز وجل: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ قيل : الإنسان آدم ، خلقه ولم ينفخ فيه الروح فسأل ربه إحياءه . وقيل : العجل الطين ، قال الشاعر [من البسيط] :

والنخلُ تنبتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ(١)

قوله تعالى : ﴿ يَكْلَؤُكُم ﴾ أي : يحفظكم ، قال الشاعر [من المنسرح] :

إنَّ سُلَيْمَى واللهُ يكلؤُها ضَنَّتْ بشَيْءٍ ما كانَ يرزَؤُها(٢)

وظاهر الآية الاستفهام ، ومعناها النفي ، أي : لا يكلؤكم أحد . قوله - تعالى : ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ أي : لا يجارون ، ومنه قوله : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾(٣).

وقيل : يحفظون . وقيل : ينصرون . وقيل : ولا يصحبون من الله بخير.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا

---

(١) هذا عجز بيت وصدره :

النبعُ في الصخرةِ الصماءِ منبتُهُ ....

ينظر في : تهذيب اللغة للأزهري (١ / ٣٦٩) ، فتح القدير للشوكاني (٣ / ٥٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١١٧) ، لسان العرب (عجل) ، النكت والعيون للماوردي (٣ / ٤٥) والنبع : شجر تتخذ منه القسي ، والصماء : الصلبة ، والعجل : الطين بلغة حمير .

(٢) البيت لابن هرمة ، ينظر في : الأغاني للأصفهاني (٣ / ٢٣٦) ، البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٣٢٠) ، تاج العروس للزبيدي (كلأ) ، تفسير القرطبي (١١ / ٢٥٥) ، لسان العرب (كلأ) ، النكت والعيون للماوردي (٣ / ٤٥).

(٣) سورة المؤمنون ، الآية (٨٨).

لَمَّ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا
فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا ءَأَنتَ
فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا
يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾

قوله - تعالى: ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ قيل : بفتح بلاد المشركين . وقيل: بنقصان أهلها وقلة بركتها . وقيل : بموت فقهائها وعلمائها ، والقول الثاني والثالث مشكلان ، أما الثاني فلقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ ولم يكن قد ظهر على المسلمين فتح بلاد ؛ لأن هاتين الآيتين من سورتين مكيتين ، ولم يحصل فتح في ذلك الزمان . وأما الثالث وهو موت الفقهاء فأي فقيه يتأثر الناس بموته مع حياة رسول الله ﷺ . (١٢٧ / أ)

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ في أصله مصدر فرق يفرق ، ويجوز إطلاقه على كل فرق . فقيل: هو التوراة. وقيل: هو البرهان الذي أتى به موسى ، ففرق بين حقِّ موسى وباطل فرعون[١]. ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وقيل : موعظة. وقيل: هو نصر موسى وأشياعه وهلاك فرعون وأتباعه. قوله: ﴿ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ هو النبوة . وقيل: هو أنْ أوتي العلم صغيراً ، فجادل قومه في إبطال مذهبهم بالكوكب والقمر والشمس .

قوله: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي : من قبل إيتاء النبوة . وقيل: من قبل موسى وهارون. ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ وكنا بصلاحيته للنبوة وإيتاء الرشد عالمين . قوله: ﴿ جُذَٰذًا ﴾ أي : قطعاً. قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: بمرأى منهم . قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي : يشهدون بما جرى من إبراهيم من الحجة ، ومن النمرود من الجدال بالباطل .

وقيل: لعلهم يشهدون عليه بما جرى منه من انتقاص أصنامهم . قوله - تعالى : ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ مشروط بشرطٍ ، هو ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ أي: إذا صلحوا للجواب عن ذلك صلحوا لكسر الأصنام. قوله - عز وجل: ﴿ فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ قيل: هو حقيقة أن فكَّر كلٌّ واحدٍ في نفسه وشاور رفيقه في ذلك . وقيل: رجع بعضهم إلى بعض؛ كقوله : ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ [٢] أي: لا يخرج بعضكم بعضا.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٤).

(٢) سورة البقرة ، الآية (٨٤).

قوله - عز وجل: ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ في عبادة من لا يستطيع جواباً.

﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ رجعوا إلى الباطل بعد اعترافهم بالحق. وقيل: رجعوا إلى مجادلة إبراهيم وقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ وقيل: طأطأوا رؤوسهم حين وردت عليهم حجة إبراهيم، فإمَّا أن يكون ذلك تعظيما لما جاء به إبراهيم، أو تحقيراً له.

قوله - تعالى: ﴿ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ إن سألتموه النفع ﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن تركتم عبادته. ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ مذكور في سبحان[1]. قوله - تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ تعريض بنسبتهم إلى الجهل، أي: مَنْ جادل هذه المجادلة فلا عقل له. وقال ابن عمر ومجاهد وابن جريج: القائل كان كرديًّا مقيماً ببلاد فارس. وقيل: إنه رجل قال ذلك فخسف الله به الأرض - قاله الماورديُّ - فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[2]. (١٢٧ / ب).

وقيل: إن إبراهيم لما أوثق ليلقى في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك[3]. وقال ابن عمر: كانت كلمة إبراهيم حينئذ: حسبي الله ونعم الوكيل[4]. وقيل: فما أحرقت النار منه إلا وثاقه[5]. قال ابن جريج: ألقي إبراهيم في النار وعمره ست وعشرون سنة[6]. قال الكلبي: بنوا له أتوناً وألقوه فيه بعد أن ملئ ناراً، ثم

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٢٣).

(٢) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٤٨) ورواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤٣) عن مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون للماوردي (٣ / ٤٨).

(٤) وقع في الأصل ابن عمر، وهو ما ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٤٨)، وذكره في السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٩) ونسبه لابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو. ورواه البخاري رقم (٤٢٨٨) عن ابن عباس قال: "كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار حسبي الله ونعم الوكيل".

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤) عن قتادة، ورواه كذلك وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٦٣٩) ونسبه لابن أبي شيبة وابن المنذر عن كعب.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٤٨) بهذا اللفظ، ورواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤٥)=

فتحوه من الغد، فإذا هو لم يحترق منه شيء ، وأرض الأتون باردة[١].

قال أبو العالية : لو لم يقل : ﴿ وَسَلَٰمًا ﴾ لأتلفته ببردها ، ولو لم يقل: ﴿ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ لكانت برداً على الناس كلهم إلى يوم القيامة[٢].

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾

ولوط هو ابن أخي إبراهيم، فآمن بإبراهيم ، ومنه قوله - تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ ﴾[٣] وهاجر معه لوط إلى أرض الشام ﴿ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قيل: هي مكة. وقيل: بيت المقدس. وقيل: من أرض العراق إلى أرض الشام. وفي بركتها وجوه:

أحدها: أن أكثر الأنبياء بعثوا من بيت المقدس . وقيل: بكثرة خصبها ونموِّ نباتها.

وقيل: بعذوبة مائها وتفرقه في الأرض من تحتها . وعن بعضهم: ما من عين تظهر في الأرض إلا وينبوعها من بيت المقدس . ﴿ نَافِلَةٗ ﴾ولد الولد ، وكان يعقوب ولد ولد إبراهيم ، والمراد هاهنا ذلك . وقيل : إنها الزيادة في العطاء وإسحاق ويعقوب كلاهما نافلة؛ لأن إبراهيم دعا بطلب الولد فأجيب دعاؤه .

قوله: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا ﴾ قيل: هو القضاء بالحق . وقيل: النبوة ﴿ وَعِلۡمٗا ﴾ يعني

= عن شعيب الجبائي قال: " ألقي إبراهيم في النار وهو بن ست عشرة سنة ".

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٤٨).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٤٨) بهذا اللفظ . ورواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤٥) عن أبي العالية بنحو ذلك ، ورواه عن كعب وغيره بنحو ذلك .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٢٦).

فقهاً. قوله - تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ قيل : هو اللواط .

وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم ، ويفعلون الفاحشة التي هي اللواط بحضرة بعضهم لا يتحاشون من إظهارها[1]. ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إبراهيم قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [2].

﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ والخسف بمدائنهم ورميهم بالحجارة ، ويحتمل: ونجّاه من أذى قومه بإغراقهم ، ويحتمل أن نجّاه من رؤية المعاصي في الأرض . قوله - تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ ﴾ خلصناه ، وإذا جاء معها "من " فهي للتخليص ، وإن جاء معها "على" فهي للظهور والاستعلاء . ﴿ فِي ٱلْحَرْثِ ﴾ كان زرعاً وقعت فيه الغنم ليلاً. وقيل: كان كرماً ظهرت عناقيده. ﴿ نَفَشَتْ فِيهِ ﴾ رعته (١٢٨/أ) والنفش: الرعي ليلاً ، والهمل : رعي النهار[3]. قوله - تعالى: ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ فيه قولان:

أحدهما، وهو قول الأكثرين: أن حكم داود وسليمان كان حكما واحداً صواباً اختلف فيه الفهم، فأصاب سليمان ، وخفي الصواب عن داود ، والأنبياء لا يعصمون من الخطأ ولكن لا يقرون عليه . **والثاني** : أنه كان حكماً اتفقا عليه ؛ لأن الله - تعالى- أثنى عليهما.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

وقوله: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ ففضله على داود ؛ لأن سليمان أوتي الحكم صغيراً ، وداود أوتيه كبيراً، وكان داود قد قضى بالغنم لصاحب الزرع ، استدراكاً لما أفسدته غنمه ، وأما سليمان فرأى أن يكلف صاحب الغنم أن يزرع زرعاً ، فإذا أدرك الزرع وصار بمنزلته يوم رعي أعيدت الغنم لصاحبها ، واستقر الزرع بيد الآخر . وهذه الأحكام كانت في

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٠ / ١٤٥) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٢) سورة نوح ، الآية (٢٦).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٣) عن قتادة .

شريعة من قبلنا فلا يلزمنا العمل بها .

قوله : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ قيل : كان تسبيحها أن تسير معه إذا سار . وقيل: صلواتها معه(١). وقيل: هو تسبيح مسموع مفهوم كان داود يسمعه؛ لأنه أوتي علم منطق الطير. قوله - عز وجل: ﴿ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ﴾ قيل: اللبوس الدروع . وقيل: آلات الحرب كلها. ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ إذا حاربتم أعداءكم . ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ استبطاء لشكرهم ، وهو استفهام معناه الأمر. ﴿ عَاصِفَةً ﴾ شديدة. وقيل : أصلها أن الريح العاصفة تحمل التبن وتفرقه في أماكن . والعصف: اسم للتبن ، ومنه قوله : ﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾(٢) ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾(٣) ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾(٤).

﴿ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ ببعث الأنبياء ؛ فإن أكثرهم مبعوث من الشام ، أو لأن سائر منابع الماء في الأرض أصله من تحت صخرة بيت المقدس . وقيل: بالخصب والبركات.

قوله - عز وجل: ﴿ وَأَيُّوبَ ﴾ كان له مال وولد فهلك جميعهم ونحل جسده ، وانقطع عنه من كان يزوره ، وسعى الدودُ في جسده وهو لا يقطع ذكر الله وتسبيحه ، فاستشار إبليس ذريته فيما يبتلي به أيوب ، فقالوا له : إنما عصى آدم من قِبَلِ ما وَسْوَسْتَ لزوجته فافعل مثل ذلك بأيوب وكانت امرأة أيوب تتصدّق من الناس وتطعم أيوب ، فجاء إبليس (١٢٨/ ب) على صورة عظيمة ، فقال لها : لولا أن ربك غضب على أيوب ما ابتلاه بهذا البلاء ، اذبحوا على اسمي وأنا أبرئه لك من المرض ، فجاءت إلى أيوب وقالت : يا أيوب أين المال وأين الولد وأين لونك ؟ اذبح هذه السخلة على اسم أبي مُرةَ . فقال لها : أتاك الشيطان ووجدك قد أصغيت إليه ، والله لئن عوفيت لأجلدنك مائة جلدة ، وحرام عليَّ أن آكل مما تحضريه شيئاً ، فانقطعت عنه وبقي ملقىً على كناسةٍ ، فسجد لله وقال : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فأصلح الله جسده ، وردَّ من فُقِدَ من أولاده .

وقوله: ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ قيل: هو المرض. وقيل: انقطع عنه الوحي أياماً فخشي على

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٤) عن قتادة.

(٢) سورة يونس، الآية (٢٢).

(٣) سورة الرحمن، الآية (١٢).

(٤) سورة الفيل، الآية (٥).

نفسه هجران ربه. وقيل: هو الشيطان؛ لقوله: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [(١)].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

وأفتى الله أيوبَ أن يضربها بشيء من الضغث وهو الحشيش البالي، ويكون عدده مائة ضغثا ففعل ذلك، وأحيا الله ذريته على ما وصفنا، أحياهم بأعيانهم ، ورزقه مثلهم معهم وقيل : أعاد له أمثالهم ولم يعدهم بأعيانهم .

قوله: ﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ قيل: هو نبي وهو اليسع . وقيل: ليس نبيًا، بل كان قد كفل لنبي قيل: إنه اليسع بأن يقوم مقامه فوفى بذلك. وقوله - تعالى: ﴿مُغَٰضِبًا﴾ أي: للملك، وكان رجلاً لا بأس به. وقيل: مغاضباً لقومه. وقيل: لربه. ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ أي: وصاحب الحوت؛ كقوله: ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[(٢)] وسبب مغاضبته لقومه أنه كان من شرعهم أن من كذب قتل، وكان يونس قد وعد قومه بمجيء العذاب بعد ثلاثة أيام ، ثم رفع الله عنهم العذاب بدليل قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [(٣)] وقيل: مغاضبته أنه كان في خلقه حرج فتوجه ذاهباً عن قومه من غير استئذان لربه ، فكانت تلك معصيته. وقيل: لما حُمِّل النبوة تفسخ تحتها تفسخ الرُّبَعُ [(٤)] تحت الحمل الثقيل، وقال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [(٥)]. وقوله: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أي: لن نضيق، وقرأ ابن عباس: ﴿ أَن لَّن نُّقَدِّرَ عَلَيْهِ ﴾ بالتشديد[(٦)] ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ظلمة

(١) سورة ص، الآية (٤١).

(٢) سورة القلم ، الآية (٤٨).

(٣) سورة يونس ، الآية (٩٨).

(٤) الرُّبَعُ: الفصيل يُنتجُ في الربيع، والفصيل: ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه، انظر المعجم الوسيط (مادة : ربع).

(٥) سورة القلم ، الآية (٤٨).

(٦) قرأ بها ابن عباس والزهري وعمر بن عبد العزيز، وقرأ يعقوب من العشرة " يُقْدَرَ "، وقرأ باقي العشرة " نَقْدِرَ " تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٣٣٥)، تفسير القرطبي (١١/ ٣٣٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ١٠٥)، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٣١) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٤).

الليل والبحر وبطن الحوت. وقيل: إن حوتا ابتلع الحوت الذي فيه يونس، وأجاز الماوردي[(١)] أن يراد ظلمة الخطيئة والشدة والوحدة، لكن فيه حمل المشترك على معانيه، وهو لا يجوز (١٢٩/أ) على المختار ولم يكن ابتلاء يونس عقوبة؛ لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا، بل كان تأديباً، وقد يؤدب من لا عقاب عليه، واستجابة الداعي ثواب من الله للداعي.

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

قوله - تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ قيل: هو من ظلمة الخطيئة ، وقيل: من غمٍّ بطن الحوت، وروي أن الله – تعالى- أوحى إلى الحوت ألا يكسر له عظماً ولا يخدش له جلداً ، وأني جعلت حبسه تأديباً ، وجعلت بطنك محبساً له ، ولم أجعله غذاء لك[(٢)].

قيل : أقام في بطنه أربعين يوماً[(٣)] . وقيل : ثلاثة أيام . وقيل : من ارتفاع النهار إلى آخره[(٤)] . وقيل: أربع ساعات[(٥)] . قوله - تعالى : ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ قيل : كانت عاقراً فصارت ولوداً . وقيل : كانت سيئة الخُلق فحسَّنَ الله خُلقها له . ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ يبادرون ﴿ رَغَبًا ﴾ في ثوابنا ﴿ وَرَهَبًا ﴾ من عقابنا. وقيل: ﴿ رَغَبًا ﴾ ببطون الأكف ، و﴿ وَرَهَبًا ﴾ بظهورها ، ويحتمل: رغبةً في الخير واستدفاعاً للشر ، قاله الماوردي[(٦)].

﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ متواضعين. وقيل: هو وضع اليمين على الشمال والنظر إلى موضع

---

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣ / ٥٩).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٥٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣ / ١٠١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧ / ١٢٧) لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن السدي عن أبي مالك .

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسير (١٠ / ٣٢٢٩) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧ / ١٢٧) لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم عن الشعبي قال : " التقمه الحوت ضحى ولفظه عشية ما بات في بطنه " .

(٥) ذكر بقية الأقوال الماوردي في النكت والعيون للماوردي (٣ / ٥٨ - ٥٩) .

(٦) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٣ / ٥٩) .

السجود في الصلاة.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ بالعفاف، فامتنعت عن الفاحشة. وقيل: منعت جيب درعها من جبريل قبل أن تعلم أنه رسول الله - عز وجل.

قوله - عز وجل: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أضاف الروح إليه تشريفاً. قيل: نفخ جبريل في جيب درعها فحملت لوقتها.

قوله - عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأنها حملت من غير مسِّ ذكر، وتكلم في المهد بالوحدانية، وبراءة والدته عن الفاحشة، فجعل مجموع ذلك آية، ولو قال: آيات. لجاز. قيل: ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم، ومعناه: أنكم كلكم أمة واحدة فلا تكونوا إلا على دين واحد. قوله - عز وجل: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ اختلفوا في أديانهم.

قوله - عز وجل: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قيل: معناه: وحرام على قرية وجدناها هالكةً بالذنوب أنهم لا يرجعون إلى التوبة. وقيل: لا يرجعون إلى الدنيا. ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي: فتح سَدُّهم. وعن أم سلمة: «استيقظَ رسولُ الله ﷺ من نومٍ محمرةً عيناهُ، فقال: لا إله إلا الله (١٢٩/ب) ثلاثاً، ويلٌ للعربِ من شرٍّ قد اقتربَ، فُتِحَ اليومَ من ردمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثل هذه الإبهام والتي تليها»[1]. يأجوج ومأجوج من أولاد نوح، واسمهما مشتق من: أجَّة النار: صوتها إذا اشتعلت. وقيل: من الماء الأجاج. وهما بعيدان؛ لأن يأجوج ومأجوج غير مصروفين، وهما أعجميان، فكيف يشتق العجم من لغة العرب؟ وكذلك قال من اشتق إبليس من الإبلاس ونوحاً من النياحة وقابيل وهابيل وغيرهما من الأسماء الأعجمية.

وقيل: إنهم يزيدون على من سواهم بالضِّعف. الحدب: ما ارتفع من الأرض.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٣٤٦)، ومسلم رقم (٢٨٨٠) عن أم سلمة - رضي الله عنها.

وقيل: الحدب الفجاج والطرف وهو مأخوذ من حدب الظهر. ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون، والنسلان: ضرب من السَّير، وفي الذين ينسلون وجهان:

أحدهما: يأجوج ومأجوج يخرجون إذا فتح ردمهم.

والثاني: أنهم الناس يحشرون إلى الموقف.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾

قيل: الواو في ﴿وَاقْتَرَبَ﴾ زائدة؛ لأنها جواب الشرط ولا مدخل للواو فيه[١].

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قيل: وقودها. وقيل: حطبها، وقرأ ابن مسعود (حَضَبُ جَهَنَّم) بالضاد المعجمة الساقطة[٢] يقال: حضبت النار، إذا ألقيت فيها ما يشعلها بعد همودها ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ قيل: الطاعة لله - تعالى - وقيل: السعادة من الله - تعالى.

وقيل: الجنة. وقيل: قبول التوبة وهو احتمال للماوردي[٣]. ﴿مُبْعَدُونَ﴾ أي: عن جهنم

---

(١) ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد وأبو القاسم بن برهان من البصريين، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز.

ينظر تفصيل المسألة في: الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (١ / ٤٠٧)، المسألة (٦٤)، شرح المفصل لابن يعيش (٨ / ٩٣)، المغني لابن هشام (١ / ٥٨١).

(٢) قرأ بها ابن عباس. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٣٤٠)، تفسير القرطبي (١١ / ٣٤٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ١١٣)، فتح القدير للشوكاني (٣ / ٤٢٨)، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٣٦)، المحتسب لابن جني (٢ / ٦٦)، النكت والعيون للماوردي (٣ / ٦٢).

قال الفراء: ذكر لنا أن الحضب في لغة أهل اليمن: الحطب، ووجه إلقاء الأصنام في النار مع كونها جمادات لا تعقل ذلك ولا تحس به: التبكيت لمن عبدها وزيادة التوبيخ لهم وتضاعف الحسرة عليهم.

(٣) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣ / ٦٢).

قيل: هم عيسى والعزير والملائكة الذين عُبدوا من دون الله كارهين[١].

وقيل: هم عثمان وطلحة والزبير، رواه النعمان بن بشير عن علي بن أبي طالب[٢].

وقيل: هي عامة في كل من سبقت له من الله - تعالى- الحسنى[٣].

قيل: لما نزل قوله - تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قال المشركون: فقد عبدت الملائكة وعيسى والعزير فلآلهتنا بهم أسوة، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[٤]. ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ ذبح الموت. وقيل: النفخة الأخيرة. وقيل: إطباق جهنم على من فيها.

﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ
إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟
فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ
مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ
ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة، قيل: ملك يكتب أعمال العباد. وقيل: هو رجل إنسي كان يكتب لرسول الله ﷺ. ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ الكتب التي أنزلها الله - تعالى- على جميع الأنبياء و﴿ٱلذِّكْرِ﴾ (١٣٠/أ) التوراة وقيل: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ زبور داود و﴿ٱلذِّكْرِ﴾ توراة موسى.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٦) عن مجاهد وأبي صالح.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٦٨١) ونسبه لابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه عن النعمان ابن بشير ﷺ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٧)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٦٧٩) للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبي داود في ناسخه والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

قوله – عز وجل: ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ أرض الجنة[١]. وقيل: هي الأرض المقدسة[٢]. وقيل: هي أرض الدنيا ترثها أمة نبينا ﷺ[٣].

﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا ﴾ أي: القرآن. وقيل: التوراة ﴿ لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ يثبطهم عن المعاصي ويرغبهم في الطاعة. عابدون: مطيعون. وقيل: عالمون. ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ هي الهداية والتوفيق. وقيل: هي ما رفع عن هذه الأمة من عذاب الاستئصال.

فإن قيل: من المراد بالرحمة؟ قلنا: إن كان المراد بالهداية الرحمة فالمراد الخصوص، وهم المؤمنون. وإن كان المراد ما رفع عنهم من عذاب الاستئصال فهو باقٍ على عمومه. قوله – تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: عن الرسول، أو عن القرآن. قوله – تعالى: ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: على استواءٍ في الإعلام به، والهاء في ﴿ لَعَلَّهُۥ ﴾ تشير إلى تأخير العذاب. ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ أي: هلاك. وقيل: امتحانٌ. ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ قيل: المراد إلى القيامة. وقيل: إلى الموت. وقيل: إلى أن يحكم الله فيهم بما يشاء.

قوله – عز وجل: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾[٤] أي: عجِّل الحكم بالحق. وقيل: افصل بيننا وبين المشركين بما تظهر به الحق للجميع.

﴿ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ قيل: على ما تكذبون. وقيل: على ما تكتمون.

* * *

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٠٤) عن ابن عباس وغيره.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٠٥).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٠٥).

(٤) قرأ حفص عن عاصم (قال) بالماضي، وقرأ عامة القراء (قل) بالأمر. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٣٤٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ١١٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٣١ – ٤٣٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٤٠).

سورة الحج [فيها مكيٌّ وفيها مدنيٌّ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)﴾

قوله - عز وجل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ قيل: هي زلزلة تقع في الدنيا، وهي من أشراط الساعة. وقيل: إن زلزلة الساعة تكون في وقت النفخ في الصُّور. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ أي: لغير فطامٍ وتضع كل ذات حمل حملها لغير تمامٍ.

﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ أي: في دينه بالباطل. وقيل: يَردُّ النصَّ بالقياس. قيل: نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث(١). ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ فاعلموا أنا قادرون على أعجب منه وهو صيرورة المني منتقلاً إلى علقة ثم مضغة، والمضغة: قدر ما يمضغ من اللحم. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: أطفالاً. وقوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ المخلقة التي (١٣٠/ ب) تكامل خلقها، وغير المخلقة ما دفعته الأرحام من غير تمام خلق. وقيل: مصورة وغير مصورة. وقيل: المخلقة التي تمت أشهر حملها، وغير المخلقة ما لم يكمل ذلك منها. ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كيف بداية خلقه وانتقاله في الأطوار. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى تمام خلقه.

قوله - تعالى: ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ تفسير الأشد مذكور في سورة يوسف(٢). ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ أي: قبل أن يبلغ أرذل العمر. وقيل: قبل بلوغ الأشد ﴿أَرْذَلِ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٥)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٨) لابن أبي حاتم.

(٢) سورة يوسف، الآية (٢٢).

﴿ٱلۡعُمُرِ﴾ قيل: هو الهرم. وقيل: إلى مثل حاله حين خروجه من بطن أمه في الضعف. وقيل: ذهاب العقل ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ قيل: لا يستذكر وينسى ما كان عالماً به.

وقيل: لا يعقل بعد عقله الأول شيئاً. ﴿هَامِدَةٗ﴾ يابسة لم تنبت. وقيل: الدارسة، والهامد: الدارس. ﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾ استبشرت. وقيل: اهتز نباتها. ﴿وَرَبَتۡ﴾ قيل: معناه: أضعف نباتها. وقيل: انتفخت لظهور نباتها فعلى هذا الوجه يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: فإذا أنزلنا عليها الماء ربت واهتزت، وعلى الأول لا تقديم فيه ولا تأخير. والزوج: الصنف، أي: أنبتت أصنافاً مختلفة. ﴿بَهِيجٖ﴾ يعني: حسن الصورة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا
وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ
﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ
﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ
أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ
ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾
يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾

قوله - تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ أي: لاوٍ عنقه إعراضاً عن الله - تعالى - ورسوله ﷺ. وقيل: عادل جانبه كبراً عن الإجابة، والجانب يسمى عطفاً، يقال: فلان ينظر في أعطافه، أي: في جوانبه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: بتكذيبه للرسول وإعراضه عن القبول. وقيل: كانت له قينة وكان إذا رأى شخصاً قد مال إلى الإسلام أحضره طعامه وشرابه وغنته مغنيته، ويقول له: هذا خير لك مما يدعوك إليه محمد ﷺ(١). ﴿مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ أي: على شك. وقيل: على طمع. وقيل: على ضعف في العبادة كالقائم على حرفٍ ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن قوماً من المنافقين آمنوا بألسنتهم ثم ارتدُّوا بعد إسلامهم. **والثاني**: ناس

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٠٤) ونسبه لجويبر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «أنزلت في النضر بن الحارث ...» فذكره.

ممن حول المدينة قالوا: نأتي محمداً، ونعتبر أحواله فإن ظهر لنا صدقه اتبعناه وإلا رجعنا إلى أماكننا (١٣١/أ) فالرجوع على العقب - على القول الأول - هو الردة، وعلى الثاني: رجوعهم إلى أهليهم. وقيل: إن ناساً كانوا يسلمون وينتظرون ما يتجدَّد فإن ولدت امرأة الرجل غلاماً وولدت فرسه مهرة ونتجت ماشيته- استمرَّ على دين الإسلام، وقال: هذا دين مبارك. وإن ولدت امرأته أنثى وفرسه مهراً وقل نفع ماشيته من درِّها ونسلها رجع إلى مكانه الأول ولم يستقر على دين الإسلام[١].

المولى والعشير: المراد بهما الصنم، والعشير: المعاشر، ومنه سمي الزوج عشيراً، قال النبي ﷺ في النساء: «إنَّهنَّ يُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ويكفُرْنَ العَشيرَ»[٢].

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِي رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ﴾ الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ المراد به الرسول ﷺ. وقيل: ﴿لَّن يَنصُرَهُ﴾ لن يرزقه، يقال: أرض منصورة إذا مُطِرَتْ[٣]. والضمير على (من ظن) وقيل: لن ينصر الله أرضه: أي: لن يمطرها، والنصر في غير هذا المكان في الدنيا هي الغلبة، وفي الآخرة بظهور الحجة ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ الآية ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ذات الكواكب ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ الوحي عن أن ينزل على النبي ﷺ إن استطاع ذلك. وقيل: فليمدد بحبل إلى سماء بيته وهو سقفه فليعلق نفسه فيه ثم ليقطع الحبل، فإن ذلك لا يفيده فيما

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٦٥)، والطبري في تفسيره (١٧ / ١٢٢).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٠٤)، ومسلم رقم (١٣٢ - ٧٩).

(٣) يقال: نَصر الغيثُ الأرض نَصْراً غاثها وسقاها وأنبتها، ونَصَر الغيثُ البلَد إذا أعانه على الخِصْب والنبات. قال ابن الأعرابي: النُّصْرة المَطْرَة التَّامّة. قال أبو عبيد: نُصِرَت البلاد إذا مُطِرَت فهي مَنْصُورة أي: مَمْطُورة ونُصِر القوم إذا غِيثُوا. ينظر: لسان العرب (نصر).

طلب ، ولا يزيل غضبه فيما غضب لأجله . قوله - عز وجل: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ أي: فيدخله النار ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ينجيه ويدخله الجنة . وقيل: يكرم من يشاء بجعله في ديوان أهل السعادة ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ينقله إلى ديوان السعادة . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: من ثواب وعقاب.

وقيل : يهين من يشاء بالانتقام ويكرم من يشاء بالإنعام .

الخصمان هاهنا فريقان ، نزلت في المشركين والمسلمين حين اقتتلوا ببدر. وقيل: نزلت في الذين بارزوا يوم بدر ، وهم ثلاثة من المسلمين قاتلوا يوم بدر ، برز إليهم عليٌّ وحمزة وعبيدة بن الحارث ، وبارزهم عتبة وشيبة والوليد ابن عم رسول الله ﷺ ، فقتل علي وحمزة خصمهما ، واختلف ابن الحارث وغريمه ضربتين فقطع عبيدة يد خصمه وكرَّ عليٌّ وحمزة على الخصم الباقي فقتلاه بعد أن انقطعت رجله فتفاخر أقرباؤهم ، فنزلت الآية(١).

وهذا القول يدل على أن هذه الآية مدنية ، والمشهور أن السورة مكية . وقيل: نزلت في المسلمين وأهل الكتاب (١٣١/ ب) قال أهل الكتاب: كتابنا ونبينا أسبق ، فقال المسلمون : نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على كتابكم فنزلت(٢) . وقيل: نزلت في الكفار غير أهل الكتاب لاختلافهم في البعث والجزاء(٣).

وقيل: اختصمت الجنة والنار ، فقالت النار: خلقت لعقوبة من كفر بالله ورسوله ، وقالت الجنة : خلقت لثواب أهل البر وأولياء الله(٤) . ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أحاطت بهم كإحاطة الثوب بلابسه. ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ الماء الحار ، قال الشاعر [من المتقارب] :

كأنَّ الحميمَ على مَتْنِها ... إذا اغْتَرَفَتْهُ بِأَطْساسِها
جُمَانٌ يجُولُ على فِضَّةٍ ... جَلَتْهُ حَدَائِدُ دُوَّاسِها(٥)

والتعذيب بالماء الحار غير التعذيب بالنار ؛ لأن الماء الحار ينضج لحومهم والنار تحرقها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٢).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٣).

(٥) تقدم في سورة يونس ، الآية (٤).

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ۝٢٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾

﴿يُصْهَرُ﴾ أي: يذاب. وقيل: ينضج. ﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لا إله إلا الله.

وقيل: الإيمان. وقيل: القرآن. وقيل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ قيل: هو لا إله إلا الله. وقيل: هو الإسلام.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ﴾ فقوله: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ﴾ يريد به المحيط بالكعبة، وجعله للناس، أي: قبلة لهم ومنسكاً للحج. وقيل: جعلناه للناس سواءً في شرعية الطواف واستقبال القبلة. وقيل: الناس سواء في دور مكة لا يجوز بيعها وهو مذهب أبي حنيفة. وقيل: الناس سواء في تحريم صيد الحرم وعضد شجره [1]. والإلحاد: الميل عن الحق والباء في ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ زائدة؛ كزيادتها في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[2].

قيل: ومن خواص الحرم: أنه يؤاخذ الإنسان بما يريد أن يفعله من المعاصي، فيؤاخذ بإرادتها، وظاهر الآية الأول، قال الشاعر في زيادة الباء [من الرجز]:

نحنُ بنو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الفَلَجْ نَضْرِبُ بالسَّيْفِ ونَرْجُو بِالفَرَجْ[3]

أي: نرجو الفرج. الإلحاد بالظلم: الشرك بالله – تعالى – وقيل: هو استحلال الحرام فيه. وقيل: هو احتكار الطعام بمكة.

---

(١) ينظر: المغني لابن قدامة (٣ / ٣٥١)، مغني المحتاج للشربيني (٢ / ٣٥).

(٢) سورة المؤمنون، الآية (٢٠).

(٣) البيت للنابغة الجعدي، ينظر في: أدب الكاتب لابن قتيبة (ص: ٥٢٢)، الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (١/ ٢٦١)، خزانة الأدب للبغدادي (٩ / ٥٢٠)، رصف المباني (ص :١٤٣)، شرح شواهد المغني (١ / ٣٣٢)، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ١٨٥)، ملحق ديوان النابغة الجعدي (ص: ٢١٦)، النكت والعيون للماوردي (٣ / ٧٤) والفلج: موضع لبني نجدة بن قيس بنجد.

وقيل: نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب ومن معه من المشركين، صدوا رسول الله ﷺ عن عمرته عام الحديبية[١].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي: عرفناه مكانه، بأن بعث الله سحابة (١٣٢/أ) فوقفت حيال موضع الكعبة، وقيل لإبراهيم: ابنِ على ظلّها.

وقيل: بعث الله ريحا فكنست موضع الكعبة خاصة[٢]. ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ أي: من الشرك. وقيل: من الفرث والدم، وكانوا يبقون ذلك في المسجد إذا ذبحوه قربانا للكعبة وقيل: من قول الزور. قوله - عز وجل: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: في الصلاة.

وقيل: المقيمين بمكة والركوع والسجود في الصلاة. وفي هذه الآية تلويح بأن الصلاة في البيت جائزة. وقيل: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ يعني: قلبك. وقيل: وطهره بالقيام بحجج الله - تعالى- وإبطال الشبهِ عنها[٣]. ﴿وَأَذِّنْ﴾ أي: أعلم، فروي أن إبراهيم صعد جبل أبي قيس وقال: يأيها الناس إن الله قد بنى بيتاً فحجُّوه، فلا يحجه إلى يوم القيامة إلا من أجاب دعوة إبراهيم[٤]. وقيل: أولُ من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا[٥].

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

---

(١) روى هذه الأقوال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤١ - ١٤٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٧ - ٢٩) وقال ابن جرير الطبري: « وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عم بقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه ».

(٢) روى هذه الأقوال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤٣) والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٠ - ٣١).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٧٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٧٥).

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ (٢٧)

وقيل : الخطاب في قوله : ﴿ وَأَذِّن ﴾ لنبينا محمد ﷺ ، أُمرَ أن يُعرف الناس بوجوب الحج عليهم[١] . ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ أي : مشاة ، والرجال : جمع راجل .

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي: ركباناً على كل جمل مهزول ، وهو المراد بالضامر ؛ لأنه لا يصل البعير إليه حتى يصير ضامرًا . ﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ ﴾ أي: طريق ﴿ عَمِيقٍ ﴾ أي: بعيد. ﴿ مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ قيل: هو شهود المواقف وقضاء المناسك. وقيل: هي مغفرة الذنوب. وقيل: هي التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة. قوله – عز وجل: ﴿ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ قيل: إنها عشر ذي الحجة وآخرها يوم النحر، وهو مذهب الشافعي.

وقيل: هي أيام التشريق الثلاثة. وقيل: هي يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر[٢]. ﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ أي: على ما رزقهم من تحليل ذبائح الأزواج الثمانية من بهيمة الأنعام.

قوله – عز وجل: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ﴾ قيل: الأكل والإطعام واجبان. وبه قال أبو الطيب بن سلمة[٣]. وقيل: مستحبان. وبه قال الشافعي رحمه الله، فإن أطعم جميعه جاز وإن أكل الكل لم يجزه ، وهذا كله في الدماء المستحبة ، أما ما كان فدية لشيء من محظورات الحج لا يحل أكل شيء منه ، بل يفرق جميعه على الفقراء[٤] .

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٧٥) قال العيني في عمدة القاري (٩ / ١٢٨) : « والتوفيق بين القولين أن النبي ﷺ إنما أمره الله بذلك إحياء لسنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام » .

(٢) **ينظر**: بدائع الصنائع للكاساني (١ / ٤٥٨) ، المغني لابن قدامة (٢ / ٢٤٥) ، مغني المحتاج للشربيني (١/ ٥٠٥).

(٣) هو الإمام أبو الطيب محمد بن الفضل بن سلمة بن عاصم البغدادي واشتهر بأبي الطيب بن سلمة نسب إلى جده.قال الخطيب البغدادي: كان من كبار الفقهاء ومتقدميهم. قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: كان أبو الطيب هذا معروف النسب في الفضل والأدب وصنف كتبا عدة وتُوفي في المحرم سنة ثمان وثلاثمائة. **تنظر** ترجمته في: تهذيب الأسماء للنووي (٢ / ٥٢٦).

(٤) **ينظر** : الأم للشافعي (٢ / ٣٤٨) ، بدائع الصنائع للكاساني (٤ / ٢١٩) ، المغني لابن قدامة (١١ / ١٠٩).

﴿ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ قيل: الفقير: الزَّمِنُ [١]. وقيل: الفَقِيرُ: الذي به ضر الجوع .

وقيل: الذي يستنكف (١٣٢/ب) من مجالسته.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿تَفَثَهُمْ﴾ التفث: مناسك الحج.

وقيل: حلق الرأس . وقيل: رمي الجمار. وقيل: إزالة الأجرام من تقليم ظفر وأخذ شعر واستعمال طيب. ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ طواف الركن ، ويسمى طواف الإفاضة ، ركن من أركان الحج ، فمن تركه بقي على إحرامه إلى أن يأتي به ، وأما طواف القدوم فَسُنة، كتحية المسجد إذا دخله بركعتين ، وأما طواف الوداع ففيه قولان مشهوران للشافعي [٢] .

وسُمِّي البيت عتيقاً لأن الله - تعالى- أعتقه من استيلاء الجبابرة. وقيل: عتق من الغرق في الطوفان؛ لأن الله - تعالى- رفعه إلى سمائه قبل الطوفان. وقيل: لأنه قديم ، وهو أول بيت وضع للناس ، بناه آدم وأعاده إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان . قوله - تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ففعل ما أمر به وانتهى عما نهي عنه .

قوله - تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي : تحريمه من المنخنقة والموقوذة وما بعدها .

وقيل: من البحائر والسوائب [٣] . ﴿ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ هو عبادتها ، أي: اجتنبوا عبادة الأوثان. وقيل: معناه : اجتنبوا الأوثان ، فإنها من الرجس .

﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ قيل: هو الشرك . وقيل: هو شهادة الزور ، وفي الحديث : « عدلتْ

---

(١) **الزمن** : ذوالزمانة والزمانة : العاهة . ورجل زمن أي : مبتلى بين الزمانة ، والجمع : زمنون وزمنى **ينظر** : لسان العرب (زمن).

(٢) **ينظر**: الأم للشافعي (٢ / ٢٧٣) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ٣٣٢) ، المبسوط للسرخسي (٤/ ٣٤).

(٣) تقدم تعريف البحائر والسوائب في سورة الأنعام ، الآية (١٣٨).

شهادةُ الزُّورِ الإشراكَ باللهِ » (١) وتلا هذه الآية . وقيل: هو الكذب . وقيل: هو أعياد المشركين . وقيل : هو النفاق؛ لأن المنافق يقول بلسانه ما ليس في قلبه وهو كذب .

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مسلمين لله . وقيل: مخلصين . وقيل: حجاجا .

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ﴾ أي : غير مرائين بأعمالكم . وقيل: هو نهيٌ عما كانت العرب تقوله في التلبية ، يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .

قوله - عز وجل: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أي : فرائضه . وقيل: معالم دينه، فقيل: هي مناسك الحج، وهي البدن المشعرة ، وتعظيمها: استحسانها واستسمانها . وقيل: هي دين الله كله، وتعظيمها: التزامها. ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي: من إخلاصها.

قوله - تعالى : ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إن أريد الهدى فالأجل النحر ، وإن أريد الحجُّ فالمراد التحلل . ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (١٣٣/ أ) أي : محل ذبحها .

قوله - عز وجل : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ والمنسك في كلام العرب : الموضع المعتاد ، ومناسك الحج مواضع معتادة يتردد إليها الحاجُّ . ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه الهدي ، إذا قيل : المنسك الحج . **والثاني**: الأضاحي إذا قيل المنسك العيد.

---

(١) رواه أحمد (٤ / ١٧٨، ٢٣٣، ٣٢٢) ، والترمذي رقم (٢٢٩٩) وقال : غريب . وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٣٩٩).

قوله – عز وجل : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ قيل : المطمئنين . وقيل: المتواضعين .

وقيل : الخاشعين ، والفرق بين الخشوع والتواضع أن الخشوع في الأبدان ، والتواضع في الأخلاق . وقيل : المخلصين . وقيل: المجتهدين في العبادة . وقيل : هم الذين لا يظلمون ، وإن ظُلِمُوا لم ينتصروا. ﴿ وَٱلْبُدْنَ ﴾ المشهور أنها الإبل . وقيل : الإبل والبقر وقيل: هي الإبل والبقر والغنم وهو شاذ ، حكاه الماوردي[(١)] عن ابن شجرة[(٢)].

وعن بعض المتصوفة أن البدن: تطهير بدنك من المعاصي ، والشعائر : استشعار تقوى الله – تعالى– وطاعته[(٣)] . ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ قيل: أجر. وقيل: منفعة ، إن احتاج إلى ظهرها ركب أو إلى لبنها شرب .

قوله: ﴿صَوَآفَّ ﴾ وهي قراءة الجمهور معناها: قائمة تُصَفُّ بين أيديها بالقيود .

وقيل: معقولة. ومن قرأ (صوافي) أراد الصَّفاءَ من الشَّبه، ومن قرأ (صوافن)[(٤)] فهي القائمة على ثلاثة من الخيل الصَّافنات الجياد. قوله – تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا ﴾ أمر استحباب عند الجمهور، وقال ابن سلمة: هو للوجوب[(٥)] ﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾ السائل ﴿ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ المتعرض

---

(١) **ينظر** : النكت والعيون للماوردي (٣ / ٨١).

(٢) هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادي تلميذ ابن جرير الطبري ، ولد سنة ستين ومائتين ، كان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر والتواريخ وله في ذلك مصنفات ولي قضاء الكوفة . قال الدارقطني : كان متساهلا ربما حدث من حفظه بما ليس في كتابه وأهلكه العجب كان يختار لنفسه ولا يقلد أحدا . توفي ابن شجرة سنة خمسين وثلاثمائة وله تسعون سنة . **تنظر** ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥ / ٥٤٤ – ٥٤٥).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون للماوردي (٣ / ٨١).

(٤) قرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري « صوافي » ، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر ومحمد بن علي « صوافن ». **والصوافي** : الخوالص لله ، لا يشركون في التسمية على نحرها أحداً ، **والصوافن**: جمع صافنة وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل ؛ لئلا تضطرب . **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٣٦٩) ، تفسير القرطبي (١٢ / ٦١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ١٤٩ – ١٥٠) ، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٥٤)، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٥٨) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٨١) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٦).

(٥) **ينظر**: الأم للشافعي (٢ / ٣٦٣) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ٣٨٨) ، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ٦٠٨) ، المبسوط للسرخسي (٤ / ٢١) ، المغني لابن قدامة (١١/ ١٠٩).

الذي لا يسأل . وقيل: القانع الجالس في بيته لا يسأل ، والمُعتَرّ الذي يسأل .

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله – عز وجل : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا ﴾ أي : لن يصعد إليه لحومها ﴿ وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ وكانوا في الجاهلية إذا نحروا الهدايا استقبلوا بدمائها الكعبة ولطخوا بدمائها الكعبة ، فأراد المسلمون أن يفعلوا مثل ذلك فنهوا عنه.

قوله – عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾ أي: ذللناها لكم ﴿ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي: لتذكروا اسمه عند الذبح ﴿ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ أي: أرشدكم إليه من حجكم ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : بالقبول. وقيل: بالجنة. قوله – عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ أي: بنور السنةِ ظلماتِ البدعة. قوله – عز وجل: (١٣٣/ب) ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ يعني: المشركين بالمسلمين. وقيل: ولولا دفع الله – تعالى – عن الدين بالمجاهدين وقيل: ولولا دفع الله بشهادة الشهود عن الحدود. وقيل: ولولا دفع الله عن النفوس بالقصاص . وقيل: ولولا دفع الله المنكر بالمعروف. الصَوَامِع للرهبان. وقيل: مصلى الصابئة ، وسميت صومعة لانضمام طرفها والمنصمع: المنضم ﴿ وَبِيَعٌ ﴾ قيل: هي متعبد النصارى. وقيل: كنائس اليهود ، والبيعة اسم أعجميّ عُرِّبَ . والصلوات كنائس اليهود، يسمونها صلوات. وقيل: وتركت صلوات المساجد للمسلمين ، ومعنى الدفع أنه لولا دفع الله الكفار بالمجاهدين لاستولى الكفار على بلاد المسلمين وهدموا مساجدهم . وقيل: لهدِّمت صوامع في أيام شريعة موسى، وبيع في أيام شريعة عيسى ، ومساجد في أيام شريعة محمد ﷺ، ويكون المراد: لهُدِّمَ في كل شريعة الموضع الذي يعبد الله – تعالى– فيه .

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

البئر المعطلة: قيل: هي التي غار ماؤها. وقيل: هي الخالية من أهلها لهلاكهم.

وقيل: لعدم الرشاء والسَّقاء[1]. المشيد: الحصين. وقيل: عالي البناء. وقيل: المشيد المجصص، وتقديره: وقصر مشيد معطل، وأصحاب القصور ملوك الحضر، وأصحاب الآبار ملوك البدو، أي: وأهلكنا هؤلاء وهؤلاء ﴿ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ فيه دليل على أن محل العقل هو القلب[2]. ﴿ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أخبار الأمم المكذبين المهلكين. ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ أي عن الهدى. ﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ ﴾ عن الاهتداء. وقيل: لا تعمى الأبصار عن الاعتبار، ولكن القلوب عن الانزجار. وقيل: نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى، وهو عبد الله بن زائدة[3].

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾ أي: يستبطئون نزوله بهم استهزاءً منهم. ﴿ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ أي: لن يؤخر عذابه عن وقته. قوله - عز وجل: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ﴾ أي: من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض. وقيل: إن طول يومٍ من أيام الآخرة كطول ألف سنة (١٣٤/أ) من أيام الدنيا. وقيل: إن التعذيب في يومٍ من أيام الآخرة كألف سنةٍ من التعذيب في الدنيا، أي: في الشدّة.

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

(١) **الرشاء**: الحبل الذي يستخرج به الماء من البئر، والسقاء: ظرف الماء من الجلد ويجمع على أسقية.
ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢ / ٣٨١).

(٢) وهو قول الجمهور، وقيل: محله الدماغ. وفي المسألة قول ثالث: أنه مشترك بينهما. قاله العيني في عمدة القاري (٢ / ١٤٤).

(٣) تقدمت ترجمته في تفسير سورة النساء، الآية (٩٥).

رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي : بتكذيب القرآن وعنادهم في الدين. قوله - عزَّ وجل: ﴿مُعَٰجِزِينَ ﴾ أي: مثبطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ ومن قرأ ﴿ مُعَجِّزِينَ ﴾ [1] أي : مشاقين . وقيل: مسارعين. وقيل: معاندين.

قوله - عزَّ وجل: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ أي: إذا حدَّث نفسه بشيء ألقى الشيطان في أمانيه. وقيل: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: قرأ ألقى الشيطان في قراءته، قال الشاعر [من الطويل] :

تَمَنَّى كِتابَ اللهِ أولَ ليلةٍ وآخِرَها لاقَى حِمامَ المَقادِرِ [2]

وروي أن النبي ﷺ لما نزل عليه سورة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ قرأها النبي ﷺ في المسجد ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [3] ألقى الشيطان على لسانه « تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى» حتى ختم وسجد ، وسجد معه المسلمون والمشركون ، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى وجهه فسجد عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، ورضي بذلك كفار قريشٍ ، فأنكر جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ما قرأه من الزيادة ، وشقَّ ذلك عليه ، فأنزل الله - تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [4] أي : يرفعه ﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي : يثبتها ، وما

---

(١) قرأ جمهور القراء « معاجزين » ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو « مُعَجزين » .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٣٧٩)، حجة ابن خالويه (ص:٢٥٤) ، حجة أبي زرعة (ص : ٤٨٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ١٥٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٣٩) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٢٩)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٧).

(٢) البيت لكعب بن مالك يرثي عثمان بن عفان – رضي الله عنهما - **ينظر في** : تاج العروس للزبيدي (مني) ، تفسير القرطبي (٢ / ٨) ، الفائق للزمخشري (٣ / ٣٩٢) ، العين للخليل (٨ / ٣٩٠) ، فتح القدير للشوكاني (١/ ١٦٣)، الكشاف للزمخشري (١ / ١٥٧) ، لسان العرب (مني).

(٣) سورة النجم ، الآية (٢٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٨٧) ، والواحدي في أسباب النزول (٣١٩ رقم ٦٢٣) ، وذكره السيوطي في ا لدر المنثور (٤ / ٣٦٧) ، ونسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية وغيره .=

قرأه النبي ﷺ كان على وجه السهو. وقيل: قرأه في نعاسه. وقيل: إن بعض المنافقين قرأه فتخيل الناس أنه من قراءة النبي ﷺ . وقيل: إنما قال: كالغرانيق العلى يعني: الملائكة، شَبَّهَهُنَّ بهن، وإن شفاعتهن لترتجى، أي: في اعتقادكم[1].

قوله - عز وجل: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فيه قولان:

أحدهما : أن المعنى في اللفظين سواء ، وإنما جمع بينهما ؛ لأن الأنبياء من البشر خاصة والرسل يكونون من الملائكة ومن الناس . وقيل: معناهما مختلف وأن الرسول أعلى منزلةً

= وكل طرقه مرسلة ومنقطعة . وهو حديث ضعيف ومنكر وباطل. **ينظر** نقده والكلام عليه في : كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد محمد أبي شهبة (ص٣١٤-٣٢٢) ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق للشيخ الألباني - ط . المكتب الإسلامي - بيروت -١٩٩٦م.

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨ / ٤٣٩ - ٤٤٠) : « وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإلا منقطع لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين ». ثم نقل الحافظ ابن حجر عن ابن العربي تضعيفه ورده للقصة وقال معقبا : « وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى ؛ فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته ، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل : جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك أحكم الله آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة ، ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم . وقيل : إن الشيطان ألجاه إلى أن قال ذلك بغير اختياره ورده ابن العربي بقوله - تعالى- حكاية عن الشيطان ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ الآية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة . وقيل : كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها ، قال : وهذا أحسن الوجوه ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير تمنى بـ « تلا » وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال قبله : إن هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه قال : ومعنى قوله في أمنيته أي في تلاوته فأخبر - تعالى- في هذه الآية أن سنته في رسله إذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله. قال: وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى وحوم عليه ».

من النبي فالرسول من أتاه الوحي (١٣٤/ب) على لسان ملكٍ، ولا يشترط في الملك ذلك، والنبي هو الذي يوحى إليه في منامه. وقيل: إن الرسول هو المبعوث إلى أُمَّةٍ. وقيل: الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام. والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره.

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً ﴾ قيل: محنةً. وقيل: اختباراً ﴿ لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ والذين في قلوبهم مرض: المنافقون، و﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ الكفار. ﴿فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ﴾ أي: في شكٍّ. ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ قيل: هي القيامة.

وقيل: ساعة موتهم. ﴿يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة. وقيل: وقعة بدر، والعقيم قيل: هو الشديد. وقيل: الذي لا مثل له ولا عديل لقتال الملائكة فيه. قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ قيل: نزلت في قومٍ من المشركين لقوا جماعة من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم، فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون اللهَ ألا يقاتلونهم في الشهر الحرام فأبوا، فأظهر الله – تعالى – المؤمنين عليهم[1]. وقيل: مثَّلَ المشركون بمن قُتِلَ في وقعة أحد من المسلمين ففعل بهم رسول الله ﷺ مثل ذلك[2].

قوله – عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الحَقّ هو الله – تعالى – وقيل: معناه أن الله ذو الحق. وقيل: معناه أن عبادته حق. ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ قيل: هو إبليس. وقيل: الأوثان. ﴿مَنسَكًا﴾ أي: عيدا. وقيل: مواضع الحج والعمرة. وقيل: المذبح. وقيل: المنسك: المتعبَّدُ في سائر أنواعه وأماكنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

قوله – عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ المراد به ما يأتي من سلب الذباب ما على الأصنام من الطيب. وقيل: ليس هاهنا مثل مضروب، ومعنى الكلام: أنهم ضربوا لله

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٩٥)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٧١) لابن أبي حاتم.
(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٨٨).

مثلاً في عبادة غيره ، قاله الأخفش[١] وهو بعيد ؛ لقوله : ﴿ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قيل: هم الأصنام. وقيل: هم كبراؤهم ، وهم الذين أطاعتهم السفلة في التكذيب . وقيل: الشياطينُ الموسوسون بالضلال. وإنما خص الذباب بالذكر لحقارته واستقذاره ، وأنه إذا ذُبَّ آبَ (١٣٥/أ) فإذا كان بهذه المثابة في الحقارة ولم يقدر كبراؤهم على استنقاذ ما أخذه الذباب منهم ، فكيف تعبدون غير الله ؟! ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ قيل: الطالب: الآلهة، والمطلوب: ما استنقذه الذباب . وقيل: الطالب : هو الذي استنقذ منه الذباب والمطلوب : هو المسلوب . قوله - عز وجل: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ أي : ما عظموه حق عظمته . وقيل: ما عرفوه حقَّ معرفته.

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ أي: من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾ أي: من أمر الدنيا.

وقيل: ﴿ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ من أمور السماء ﴿ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾ من أمور الأرض . ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ أي : اعملوا لله - تعالى- حق عمله . وقيل: أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

وقوله : ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ كقوله - تعالى : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[٢].

قيل : نسخت بقوله - تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[٣] وقيل : هي محكمة ، والمراد فيما استطاعوا . ﴿ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ اختاركم لدينه ﴿مِنۡ حَرَجٖ ﴾ أي: من ضيق. جاء في الحديث: « بُعِثْتُ بالحنيفيَّةِ السمْحةِ »[٤] فوسع أمر المعاصي بالتوبة، وأمر الأيمان بالكفارة . وقيل: هو

---

(١) **ينظر** : معاني القرآن للأخفش (٢ / ٦٣٧) وعبارته : « فإن قيل : فأين المثل ؟ قلت : ليس هاهنا مثل؛ لأنه - تبارك وتعالى- قال : ضرب لي مثل فجعل مثلا عندهم لي فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي في قولهم ، واتخاذهم الآلهة ، وإنهم لن يقدروا على خلق ذبابة ولو اجتمعوا له ، وهم أضعف لو سلبهم الذباب شيئا فاجتمعوا جميعا ليستنقذوه منه لم يقدروا على ذلك ، فكيف تضرب هذه الآلهة مثلا لربها وهو رب كل شيء، الواحد الذي ليس كمثله شيء وهو مع كل شيء ، وأقرب من كل شيء ، وليس له شبيه ولا مثل ولا كفء وهو العلي العظيم الواحد الرب الذي لم يزل ولا يزال » .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٠٢).

(٣) سورة التغابن ، الآية (١٦).

(٤) رواه أحمد في المسند (٥ / ٢٦٦) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٧٩) من حديث أبي أمامة ولفظه : « إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفسي بيده =

قصر الصلاة والفطر في الصوم في السفر، والصحيح العموم في جميع ذلك. قوله - تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: وسَّع عليكم في الدين كما وسَّع على أبيكم إبراهيم في الدين. وقيل: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كفعل أبيكم إبراهيم. وقيل: إن دين إبراهيم لازم لأمة محمد ﷺ وداخلة في دينه قوله - تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل نزول القرآن. ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: وفي هذا القرآن يشير به إلى قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (١).

قوله - عز وجل: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: في إبلاغ الرسالة ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بأنكم بلغتم إليهم ما بلغتكم الرسل. وقيل: ليكون الرسول شهيداً عليكم بأعمالكم، وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغوا إليهم ما بلغتهم من الرسالة.

قوله - عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: امتنعوا بالله. وقيل: تمسكوا بدين الله - تعالى. ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ (١٣٥/ب) أي: مالككم. وقيل: متولي أموركم.

قوله - عز وجل: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾ حين لم يمنعكم الرزق بالمعاصي. ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ حين أعانكم لمَّا أطعتموه، والله أعلم بالصواب.

* * *

= لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة». وقال: رواه أحمد والطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف. لكن صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٢٤).

وله طريق آخر عن جابر ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم (٢٣٣٦).

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٨).

سورة المؤمنون [مكية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾

قوله – عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الفلاح البقاء، قال لبيد [من السريع]:

لَوْ كَانَ حَيٌّ مُدْرِكَ الفَلاحِ   أَدْرَكَهُ مُلاعِبُ الرِّماحِ[1]

قيل: أراد بقاءهم في الجنة. وقيل: بقيت لهم أعمالهم فلم تبطل. وقيل: الفلاح الفوز بالجنة. وروى عمر ﷺ قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي يُسْمَعُ عند وجهه دويٌّ كدويِّ النحل، فأنزل عليه مرَّة، فلما سُرِّيَ عنه استقبل القبلة ورفع يديه، وقال: اللهمَّ زدْنا ولا تُنقِصنا، وأعطِنا ولا تحرِمْنا، وأكرمْنا ولا تُهِنَّا، وآثِرْنا ولا تُؤثِرْ علينا، وأرضِنا وارضَ علينا، ثم قال: لقد أُنزلَ عليَّ عشرُ آياتٍ مَنْ أقامهنَّ دخلَ الجنةَ، ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾»[2] ﴿خَٰشِعُونَ﴾ قيل: خائفون. وقيل: خاضعون. وقيل: غضُّ البصر وخفض الجناح. وقيل: أن يجعل نظره إلى موضع سجوده، ولا يجاوزه. وفي محل الخشوع قولان: **أحدهما**: القلب. **والثاني**: القلب والبصر معاً.

﴿ٱللَّغْوِ﴾ الباطل. وقيل: الكذب. وقيل: الشتم، وكان كفار مكة يشتمون المؤمنين فأُمِرَ المؤمنون بالإعراض عن شتمهم[3]. قوله – عز وجل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: « ما مِنْكُم إلا مَنْ له منزلانِ: منزلٌ في الجنَّة، ومنزلٌ في النارِ، فإنْ ماتَ ودخلَ

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة، الآية (٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٤)، والترمذي رقم (٣١٧٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٢) وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٦٢٠).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٩٣) عن النقاش.

النارَ ورثَ أهلُ الجنةِ منزلَهُ ، وإن ماتَ ودخلَ الجنةَ ورثَ منزلَهُ ، فذلك قوله - عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ ثُمَّ بيَّن ما يرثون فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾ (١) الفِرْدَوْسَ: اسم من أسماء الجنة. وقيل: هو أعلى الجنان. وقيل: جبل في الجنة تتفجر أنهار الجنة من تحته. وقيل: هو البستان، وهو روميٌّ عُرِّبَ. وقيل: هو الكَرْم وهو عربيٌّ(٢).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٤) ﴾

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ قيل: أراد آدم خلقه من تراب. (١٣٦/أ) وقيل: المراد كل إنسان؛ لأنه يرجع في نسبه إلى آدم وهو من التراب. وقيل: لأن كل إنسانٍ استُلَّ من نطفة أبيه. والسلالة من كل شيء: صفوته التي تستل منه.

وقال الزجاج(٣) السلالة: القليل مما ينسل، وحكى الكلبي أن السلالة: الطين الذي إذا اعتصرته بين أصابعك خرج منه شيء . وقيل: السلالة: التراب (٤). قال أمية بن أبي الصلت [من الكامل]:

خَلَقَ البريةَ مِنْ سلالةِ مُنْتِنٍ ... وإلى السُّلالَةِ كلُّها ستعودُ(٥)

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾ النطفة هي بعض ماء الذكر المصبوب في الرحم، وقد ينطلق اسم النطفة على كل ماء . والقرار: الرحم، والمَكِين أي: قد هيئ لاستقراره فيه.

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤٣٤١) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/ ٣٢٧): إسناده صحيح، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان وابن مردويه في تفسيره عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) روى هذه الأقوال الطبري في تفسيره (١٨ / ٦) والماوردي في النكت والعيون (٣ / ٩٣).

(٣) **ينظر**: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٨).

(٤) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٩٤) عن الكلبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٩٠) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) **ينظر** البيت في: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٩٤).

الْعَلَقَة: الدمُ الطريُّ الذي خلق من النطفة ، سمي علقةً ؛ لأنه أول أحوال العلوق ، وإنما عرَّفنا الله – تعالى– كيفية انتقال الولد في الأطوار ؛ ليعلمك عظيم النعمة في إيجادك ونقلك من حالٍ إلى أكمل منها . ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أي: بنفخ الروح فيه . وقيل: بنبات الشعر. وقيل: بأنه ذكر أو أنثى. وقيل: بتكامل أسنانه . وقيل : بالعقل والتمييز. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ : أنه لما نزلت هذه الآية إلى قوله – تعالى : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال عمر ﷺ: فتبارك الله أحسن الخالقين فنزل قوله – تعالى : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ (١).

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ أي: سبع سماوات ﴿طَرَآئِقَ﴾ قيل: مطابق بعضها فوق بعض.

وقيل: لأن مدارات الأفلاك متعددة ، ولكلٍّ واحدٍ طريقة في سيره . ﴿غَٰفِلِينَ﴾ أي: من سقوط السماء عليهم. قوله – عز وجل: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ هي شجرة الزيتون، خصَّها بالذكر لعموم منافعها في الاستصباح والادِّهان والائتدام بها .

---

(١) ذكره بهذا السياق الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٢ / ٤٠١) ونسبه لابن مردويه في تفسيره عن ابن جبير وابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٩٤) ونسبه للطبراني وابن مردويه عن ابن عباس ، وذكره في (٦/ ٩٢) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن صالح أبي الخليل ، مرفوعا وفي آخره قال ﷺ : «والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر».

﴿ سَيۡنَآءَ ﴾ هي البركة، فكأنه قال: شجرة مباركة. وقيل: هي الحسنة المنظر.

وقيل : الكثيرة الشجر . وقيل: اسم الجبل الذي كلَّمَ الله – تعالى- عليه موسى .

وقيل : المرتفع[١] مأخوذ من قولهم : هذا سيني ، أي : مرتفع القـدر ؟ وسـيناء أعجمـيٌّ مُعَـرَّبٌ ، أو عربيٌّ ؟ فيـه وجهـان. قولـه: ﴿ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾ أي: يأتدمون به قولـه – عـز وجل: ﴿ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ﴾ (١٣٦/ب) قيل : مـا سمعنـا بمثـل دعوتـه. وقيـل: مـا سمعنا بمثله بـشيرا أتـى برسـالة ربـه ، وفي قولـه ﴿ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ وجهـان : **أحـدهما** : أنـه أول أبٍ[٢]؛ لأنه أول أب ولدَكَ . **والثاني**: أنه الأدنى؛ لأنه أقرب فصار هو الأول.

قولـه – عـز وجـل: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ إلى أن يـستبين جنونـه. ﴿ٱلتَّنُّورُ ﴾ تنـور الخبز. وقيل: طلوع الفجر. وقيل: هـو مثـل ضـربه الله – تعـالى، ولا فـوران ثـمَّ ولا تُنُّـورَ، وكذلك قول النبي ﷺ: «الآنَ حينَ حَمِيَ الـوطيسُ »[٣] والـوطيس التنـور وكقـولهم: قامـت الحرب على ساقٍ ، ولا ساق ثَمَّ .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا
مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ
مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾
إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا
وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ
رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ
وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾

---

(١) روى هذه الأقوال الطبري في تفسيره (١٨ / ١٣).

(٢) في النكت والعيون للماوردي (٣ / ٩٦) أنه الأب الأبعد ؛ لأنه أول أب ولدك .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٧٧٥) في حديث غزوة حنين .

فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿مُنزَلًا﴾ بضمِّ الميم بمعنى المصدر، أي: نزولاً، ومن فتح الميم[١] أراد موضع النزول.

قوله – عز وجلَّ: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ قيل: إن نوحا ﷺ قال ذلك حين ركب في السفينة فدعا بالبركة والسلامة. وقيل: قاله عند نزوله من السفينة ودعا بحصول الماء والشجر والبركة فيه.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت قوم ويحيا قوم . وقيل : يموت قوم ويولد قوم . وقيل : فيه تقديم وتأخير، ومعناه : ونحيا ونموت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ﴿غُثَآءً﴾ هلكى ، والغثاء : البالي من الشجر . وقيل: ورق الشجر إذا ابتلَّ وجفَّ. وقيل: هو ما احتمله الماء من الزبد والوسخ . قوله – عز وجل: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وضع المظهر وهو ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ موضع المضمر، وتقديره : فبعدا لهم من الرحمة . وقيل : المراد بالبعد : الزيادة في العذاب والهلاك . قوله – عز وجل : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ قيل : هم قوم صالحٍ أرسل إليهم صالحاً . وقيل : قوم هود أرسل إليهم هودا .

﴿تَتْرَا﴾ أي: يتبع بعضهم بعضاً. وقيل: منقطعين بين كل اثنين زمن طويل وتترى مشتق من الوتر، وهو الفرد. وقيل: من وتر القوس لاتصاله بمكانه. وقيل: هو من التواتر. قوله – عز وجل: ﴿عَالِينَ﴾ أي: متكبرين. وقيل: قاهرين. وقيل: ظالمين.

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ مطيعون. وقيل: خاضعون. وقال الحسن: كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون ، وفرعون يعبد الأصنام[٢] .

الربوة: ما ارتفع من الأرض، ولا تسمَّى ربوة إلا إذا اخضرَّت بالنبات، وإن لم تنبت قيل

---

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه « مَنْزِلا»، وقرأ الباقون « مُنْزَلا». **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٠٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ١٨٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٨٥) ، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٩٧).

(٢) ذكره بهذا السياق الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٩٨)، ورواه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٥) بنحوه.

لها نشز. (١٣٧/أ) وقيل: الربوة الرَّمْلة. وقيل: دمشق. وقيل: بيت المقدس. وقيل: مصر[١].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: ذات ثمار. وقيل: ذات معيشة تستقرون بها فيها وقيل: ذات منازل. المعين: الجاري. وقيل: الظاهر المرئي بالعين وهو مشتق من الإمعان، إذا قيل إنه عبارة عن الجري. وقيل: مشتق من الماعون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ أي: فرقوا دينهم وكانوا شيعا ﴿زُبُرٗا﴾ أي: قطعاً. وقيل: كتبًا أي: أخذ كلُّ قوم كتاباً آمن به وكفر بما سواه. ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ أي: بما اختاروه من الكتب. وقيل: بأموالهم وأولادهم. ﴿فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ أي: في ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى الموت. وقيل: إلى وقعة بدر.

﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ﴾ رجاء مسارعة لهم في الخيرات؟ ليس الأمر كذلك، ولا يعلمون أنه استدراج. قوله - عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ﴾ أي: الزكاة.

وقيل: أعمال البر. ﴿وَجِلَةٌ﴾ خائفة. قوله - عز وجل: ﴿أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ أي: يخافون عقوبة ربهم. وقيل: يخافون ألا يتقبل عملهم، روته عائشة - رضي الله عنها - مرفوعا[٢]. ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ يسابقون. وقيل: يستكثرون من عمل البر. ﴿وَهُمۡ لَهَا﴾ أي: إلى الجنة

---

(١) روى ذلك الطبري في تفسيره (١٨ / ٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٠١ - ١٠٢).

(٢) رواه الترمذي في سننه رقم (٣٠٩٩)، وابن ماجة رقم (٤٣٢٧) عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت :=

﴿سَٰبِقُونَ﴾ وقيل: إلى فعل البر سابقون. ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ أي: غطاء.

وقيل: في غفلة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: من هذا القرآن. وقيل: من هذا الحق. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من دون الحق. ﴿مُتْرَفِيهِم﴾ (المترفون) الموسع عليهم بالخصب.

وقيل: بالمال والولد. ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ يرفعون أصواتهم بالاستصراخ. وعن قتادة: نزلت هذه الآية في قتلى بدر[1] ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ راجعين عما كنتم عليه من الكفر.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم
بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ
مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن
فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ
كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ
تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ

= سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات». وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٧٣).

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٠٧) ونسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

إِلَـٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي: بالحرم[1]. السمر: الحديث ليلاً، والسمر: ضوء القمر.

قوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أي: تهجرون الحق بالإعراض عنه. وقيل: تهجرون بالقول القبيح من الكلام[2]، وفي المعنى قولان: **أحدهما**: إنكار تسامرهم بالإزراء على الحق في ظهوره لهم. **والثاني**: إنكارُ أمنهم حتى تسامروا في ليلهم والخوف أحق بهم.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الحق هو الله - تعالى، قاله الأكثرون. وقيل: (١٣٧/ ب) إنه التنزيل، أي: لو نزل القرآن بما يريدون لفسدت السماوات والأرض. قوله - عز وجل: ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ لأنها مخلوقة بالحق، فالباطل أفسد لها.

قوله - عز وجل: ﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: بشرفهم؛ لأن القرآن نزل بلغتهم والرسول ﷺ منهم. وقيل: بتذكيرهم وموعظتهم. ﴿لَنَـٰكِبُونَ﴾ أي: لمعرضون قوله - عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ نصرةُ المؤمنين على الكفار ببدر. ﴿ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم . وقيل: خلقكم ونشركم.

قوله - عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: الطول والقصر. قوله - عز وجل: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: خزائنه ، والملكوت مبالغة في الملك .

﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنع ولا يُمْنَعُ منه في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله - عز وجل: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: فمن أي وجه تُصْرَفون عن التصديق بالبعث.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ٣٨) عن ابن عباس قال : «﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد » .

(٢) وهذا على قراءة « تُهْجِرون » وقرأ بها نافع وابن محيصن وابن عباس ، وتنظر القراءة في : الإتحاف للبنا (٢ / ٢٨٦) ، البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤١٣) ، الجامع للقرطبي (١٢ / ١٣٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ١٩٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٦) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٩٦)، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٣٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٢٨).

وقيل: فكيف تكذبون فيخيل إليكم الكذب حقًا.

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

قوله - تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: بالإغضاء عن إساءة المسيء. وقيل: ادفع الفحش بالسلام. وقيل: ادفع المنكر بالموعظة. وقيل: امح السيئة بالحسنة، وهذه الآية وإن كانت خاصة بالنبي ﷺ فالمقصود به جميع الأمة.

قوله - عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: من وسوستهم.

وقيل أذاهم بالصرع. ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: من قُدَّامهم. ﴿بَرۡزَخٌ﴾ حاجز، ومنه قوله: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [1] والمراد بالحاجز: ما بين الموت والبعث. وقيل: بين الدنيا والآخرة. وقيل: بين الميت ورجوعه إلى الدنيا. وقيل: هو ما بين النفختين، وهو أربعون سنة[2]. ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: لا يتعارفون؛ لشدة الهول ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل أحد أحدا أن يعينه. وقيل: لا يسأل أحد أحداً عن خبره لاشتغاله بنفسه. قوله - عز وجل: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٢٠).

(٢) روى البخاري في صحيحه رقم (٤٦٥١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « ما بين النفختين أربعون. قال: أربعون يوما. قال: أبيت. قال: أربعون شهرا. قال: أبيت. قال: أربعون سنة. قال: أبيت. قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ».

﴿عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ فيها وجهان:

أحدهما: الهوى (١٣٨/أ). **الثاني**: حُسْنُ الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق.

الخاسئ: الصاغر الذليل. وقيل: المبعد. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: في رفع العذاب عنكم. وقيل: إنهم زُجِروا عن الكلام غضبا عليهم. قال الحسن: فهو آخر كلام يتكلم به أهل النار[1]. ﴿سِخْرِيًّا﴾ بالضم من التسخير، وبكسر السين من الاستهزاء، وقد قرئ بهما[2].

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في مدة حياتكم في الدنيا. استقصروها؛ لشدة عذاب الآخرة. وقيل: سؤال عن لبثهم في القبور.

﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾ قيل: هم الملائكة. وقيل: الحُسَّاب. قوله - عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: إن حسابهم على الله - تعالى. وقيل: إن مكافأتهم على ربهم، ومنه قولهم: حسبي الله، أي: كفاني. والله أعلم.

* * *

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٢٠) ونسبه لعبد بن حميد عن الحسن.

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف «سُخْريا»، وقرأ باقي العشرة «سِخْريا». **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٢٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٥٨)، حجة أبي زرعة (ص:٤٩١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٠٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٤٨)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٤)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٣)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٩).

سورة النور[مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾

قوله - عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ خصَّها بهذا الافتتاح ؛ لأن المقصود بها الزجر، فافتتحت بجلد الزاني وحد القاذف ولعان الزوج إذا لم يكن له بينة على قذفها ، فابتدئت بالأغلظ كما في قوله - تعالى : ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [1] وقيل : بُدئ بها تشريفا للنبي ﷺ ببراءة زوجاته مما قذفن به.

والسورة اسم للمنزلة الشريفة قال الشاعر [من الطويل]:

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُـورَةً ... تَـرَى كُـلَّ مَلْـكٍ دُونَهـا يَتَذَبْـذَبُ [2]

قرئ ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ بالتشديد والتخفيف [3]، فمن قرأ بالتشديد فمعناه التكثير فيما فرض فيها، ومن قرأ بالتخفيف فمعناه التقدير، كقوله - تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [4].

وقيل: أراد بالتخفيف ما فرض فيها من الأحكام، وفصل من الحلال والحرام.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

وبدأ بذكر الزانية؛ لغلبة الشهوة على النساء، أو لأنه من النساء أقبح وأضر؛ لما يخشى من

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١).

(٢) البيت للنابغة الذبياني ، ينظر في : تاج العروس للزبيدي (سور) ، تفسير القرطبي (١ / ١٠٢) ، روح المعاني للألوسي (١ / ٣٤) ، صبح الأعشى للقلقشندي (٢ / ٦٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٥) ، لسان العرب (سور) ، النكت والعيون للماوردي (٣ / ١٠٧).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو « وفرَّضناها » وقرأ الباقون « وفرَضناها».

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٢٧)، حجة ابن خالويه (ص : ٢٥٩) ، حجة أبي زرعة (ص : ٤٩٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٠٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٥٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٦) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٠).

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٣٧).

الحبل وإلحاق الولد . جَلْدُ مائةٍ حدُّ الزاني البكر، وأضافت إليه السُّنَّةُ التغريب، ولم توجبه على الثَّيِّبِ. ومنع أبو حنيفة من ثبوت الجلد على البكر؛ لأن الله – تعالى- اقتصر على مائة جلدة والزيادة على النص نسخ عنده[1]، والحجة في نفي الجلد عن الثيِّب أن النبي ﷺ رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما، ورجمت الصحابة بعده ولم يجلدوا [2] (١٣٨/ ب) قوله – عزَّ وجلَّ: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: تنفذون حكم رسول الله ﷺ. قوله – عز وجل: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: أقلهم أربعة، قاله مالك والشافعي. وقيل: ثلاثة فصاعداً، قاله الزهري. وقيل: اثنان، قاله عكرمة. وقيل: واحد، قاله الحسن، وهو ضعيف ؛ لأن الواحد لا يُسمَّى طائفة[3]. قوله – عز وجل: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية، قيل: نزلت مخصوصة في رجلٍ معيَّنٍ من المسلمين استأذن رسول الله ﷺ في امرأةٍ يقال لها أم مهزول، وكانت بغيًّا ، وكان لها راية ، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك ، وشرطت له أن تنفق عليه ، فأنزل الله هذه الآية فيه[4].

وقيل: نزلت في أهل الصُّفةِ ، كانوا في صفة المسجد ، وهم نحو من أربعمائة رجلٍ ، وكان بالمدينة بغايا معلنات بالفسق ، فالتمسوا أن يتزوجوا منهن ليأووا في مساكنهنَّ ويأكلوا من طعامهنَّ ، فنهوا عن ذلك[5]. وقيل: معناه: أن الزاني لا يزني إلا بزانية، والزانية لا يزني بها إلا زانٍ. وقيل: كان ذلك حكما في أول الإسلام فنسخ بقوله – تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [6]. وقال الحسن : المراد : الزانية والزاني المحدودين فلا ينكح المحدود غيرَ محدودةٍ،

---

(١) **ينظر**: الأم للشافعي (٧ / ٢٨٦)، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ١٢٣٢)، المبسوط للسرخسي (٥/ ٤٣).

(٢) تقدم الحديث عن ذلك وتخريج الحديث في تفسير سورة النساء ، الآية (١٦).

(٣) نقل هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٠٨).

وينظر: الأم للشافعي (٦ / ٢١٥)، بدائع الصنائع للكاساني (٥ / ٥٢٨) ، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ١٢٣٢) ، المغني لابن قدامة (١٠ / ١٣٣).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ٧١) ، و الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢ / ٢١١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٢٧) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٢٧) ونسبه لابن أبي حاتم عن مقاتل.

(٦) سورة النساء ، الآية (٣).

ولا تنكح المحدودة غير محدودٍ، روي ذلك مرفوعا(١).

قوله - عز وجل: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: الزنى. وقيل: نكاح الزواني.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ يعني بالزنى، وحدُّ القذف بالزنى ثمانون، وهو حق للآدمي يسقط بعفوه عند الشافعي رحمه الله، وقال أبو حنيفة: هو من حقوق الله - تعالى. وقيل: هو مشترك بين حق الله - تعالى- وحق الآدمي(٢). والتوبة من القذف تدفع الفسق ولا تسقط الحد، قال مالك والشافعي والجمهور: إذا تاب القاذف قبلت شهادته قبل الحدِّ وبعده لارتفاع فسقه. وقال القاضي شريح: لا تقبل شهادته أبداً لا قبل الحدّ، ولا تقبل بعده. وقال النخعي(٣): تقبل شهادته بعد الحد ولا تقبل (١٣٩/أ) قبله.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٣٠) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن الحسن. والمرفوع رواه أبو داود رقم (٢٠٥٢)، وذكره السيوطي في الدر (٦ / ١٣٠) وزاد نسبته لابن المنذر وابن عدي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا ينكح الزاني المحدود إلا مثله». وعند أبي داود «المجلود». قال الطبري في تفسيره (١٨ / ٧٥): «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني بالنكاح في هذا الموضع الوطء وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أنه لم يعن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة، وإذ كان ذلك كذلك فبين أن معنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنى أو بمشركة تستحله، وقوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وحرم الزنى على المؤمنين بالله ورسوله، وذلك هو النكاح الذي قال - جل ثناؤه: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾.

(٢) **ينظر**: بدائع الصنائع للكاساني (٥ / ٥٣٠)، المبسوط للسرخسي (٦ / ١١٩)، المغني لابن قدامة (١٠ / ١٧٨).

(٣) هو إبراهيم بن يزيد النخعي يكنى أبا عمران كوفي ثقة، وكان مفتي الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلا صالحا فقيها متوقيا قليل التكلف. مات سنة ٩٦ هـ.

تنظر ترجمته في: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي (١/ ٢٢٧) ط. دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة - ١٩٩٢م - تحقيق: محمد عوامة.

وقال الشَّعْبي[(١)]: تقبل توبته ولا تقبل شهادته[(٢)]. والتوبة من القذف أن يندم على ما فرط فيه، ويصلح أعماله ولسانه. وقيل: توبته إكذابه نفسه [(٣)] وهو ضعيف؛ لأنه قد يكون صادقاً في قذفه، فإذا أكذب نفسه فإكذابه نفسه كذب. وأبيح للزوج إذا قذف زوجته أن يلاعن فيسقط الحد عن نفسه وتَبِينُ منه المرأة، وفي سبب ذلك قولان:

أحدهما: أنها نزلت بسبب هلال بن أمية جاء إلى النبي ﷺ فقال: «جئت إلى أهلي فوجدت مع امرأتي رجلاً، رأيتُ بعيني وسمعتُ بأذني، فنزلت هذه الآية[(٤)]».

والثاني: أنها نزلت بسبب عويمر العجلاني قال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه به ؟ أم كيف يَصنع ؟ فنزلت هذه ، فقال النبي ﷺ : «قد أنزل الله – عزَّ وجلَّ – فيك وفي صاحبَتِك فتلاعنا» [(٥)] .

ثم قيل: اللعان يمين ، عبر بالشهادة عن القسم ، ولو كان شهادة ما جاز أن يشهد لنفسه.

﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ

---

(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشَّعبي ، ثقة مشهور فقيه فاضل ، أدرك خمسمائة من الصحابة وقال : ما كتبت سوداء في بيضاء قط ، ولا حدثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده علي ، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه . مات سنة ثلاث ومائة أو أربع أو سبع أو عشر . **تنظر** ترجمته في : تقريب التهذيب لابن حجر (١ / ٢٨٧) ، طبقات الحفاظ للسيوطي (١ / ٤٠).

(٢) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١١٠) **وينظر** : الأم للشافعي (٧ / ٥٣) ، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ١٢٣٧) ، المبسوط للسرخسي (٦ / ٣٦٣) ، المغني لابن قدامة (١٢/ ٧٥).

(٣) وروى ذلك الشافعي في الأم (٧ / ٨٩) قال: أخبرنا ابن عيينة قال: سمعت الزهري يقول: زعم أهل العراق أن شهادة القاذف لا تجوز فأشهد لأخبرني – ثم سمَّى الذي أخبره – أن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – قال لأبي بكرة: تب تقبل شهادتك، أو إن تبت قبلت شهادتك، قال سفيان: شككت بعد ما سمعت الزهري يسمي الرجل فسألت، فقال لي عمر بن قيس: هو سعيد بن المسيب، فقيل لسفيان: شككت في خبره ؟ فقال: لا هو سعيد إن شاء الله تعالى ».

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٧٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٦٨).

وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

وقال أبو حنيفة: اللعان شهادة فردَّ لعانَ الكافر والعبد، ولو كانت شهادة ما جاز أن يشهد لنفسه، فإذا لاعنت المرأة سقط حد الزِّنَى عنها[1] لقوله - تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُا۟﴾ أي: يدفع ﴿عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ الآية، قيل: ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ الحد. وقيل: الحبس.

قوله - عز وجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ قيل: المراد بـ ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ الإسلام، وبـ ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ القرآن. وقيل: المراد بـ ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ منته، ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ نعمته. قوله - عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أي: بالكذب. وقيل: الإثم. العصبة: المراد هاهنا زعماء الإفك الذين خاضوا فيه، وهم حسان بن ثابت الشاعر، ومسطح بن أثاثة، وعبد الله بن أبي بن سلول، وزيد بن رفاعة، وحمنة بنت جحش[2]. وفي المراد بقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ قولان:

أحدهما: يا عائشة وصفوان[3] لأنهما المقذوفان. **والثاني**: أن المراد به النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة - عليهما السلام[4]. قوله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ الكبر بضم الكاف: معظم الشيء، وبكسر الكاف[5] مأثمه. وفي الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ قولان:

أحدهما: أنه عبد الله بن أبي بن سلول والعذاب العظيم: جهنم[6]. **والثاني**: أنه مسطح

---

(١) **ينظر**: الأم للشافعي (٥/ ١٩٤)، بدائع الصنائع للكاساني (٣ / ٣٧٦)، المبسوط للسرخسي (٥/ ٥٣)، المغني لابن قدامة (٩ / ٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ٨٦) عن عروة بن الزبير، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٥٢) لابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٤٤) عن سعيد بن جبير.

(٤) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٥٠) للطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٥) قراءة العامة «كِبره» بكسر الكاف، وقرأ أبو رجاء والحسن والزهري وتروى عن أبي عمرو والكسائي «كُبره» بضم الكاف. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢١٢)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٧).

(٦) رواه البخاري رقم (٤٤٧٩)، ومسلم رقم (٢٤٧٠) في حديث الإفك.

ابن أثاثة والعذاب العظيم: ذهاب بصره في الدنيا[١]. ﴿لَّوْلَا جَآءُو﴾ أي: هلاَّ جاءوا- لو كانوا صادقين- بأربعة شهداء يشهدون بما قالوه (١٣٩/ ب).

قال بعض المفسرين: لم يحد رسول الله ﷺ أحداً من أهل الإفك ؛ لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة، وأما إخبار الله – تعالى- بإفكهم فلا يقام به الحد ، وإن كان العلم فيه قطعاً ، كما لا يقتل المنافق وإن أخبر الله بنفاقه .

وقال آخرون: حد رسول الله ﷺ في الإفك عبد الله ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ولبعضهم في ذلك [من الطويل]:

لَقَدْ ذاقَ حَسَّانُ الَّذي كانَ أهْلُهُ وحَمْنَةُ إذْ قالا هَجِيرًا وَمِسْطَحُ[٢]

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ
﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ
أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ
أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا۟

---

(١) هكذا بالأصل « مسطح » وهو ما ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١١٤) ، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٥٨) ونسبه لمحمد بن سعد عن محمد بن سيرين أن عائشة كانت تأذن لحسان بن ثابت وتدعو له بالوسادة وتقول : لا تؤذوا حسان فإنه كان ينصر رسول الله ﷺ بلسانه وقال الله : ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقد عمي والله قادر أن يجعل ذلك العذاب العظيم عماه . قال ابن جرير الطبري (١٨ / ٨٩) : « وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الذي تولى كبره من عصبة الإفك كان عبد الله بن أبي وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الإفك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي بن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر » .

(٢) **ينظر** في : تفسير القرطبي (١٢ / ١٧٦) ، روح المعاني للألوسي (١٨ / ١١٦) ، النكت والعيون للماوردي (٣ / ١١٥) وذكر الماوردي هذه الأقوال .
ويروى الشطر الأول : لقد ذاق عبد الله ما كان أهله ....

وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: تشيعون ذكره في المجالس حتى ينتشر. وقيل: تتلقونه بالقبول إذا حُدِّثَ به ولا تنكرونه ، وروي عن عائشة - رضي الله عنها- أنها كانت تقرأ ﴿إِذْ تَلِقُونَهُۥ﴾ بكسر اللام وتخفيف القاف(1) ، ومعناه : ترددونه وهو مأخوذ من الولق ، وهو الإسراع ، أي: تسرعون في الكذب وغيره . ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ آثاره. وقيل خطاياه. وقيل: يُخطِّي الشيطان الإنسان من الطاعة إلى المعصية.

قوله - عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: لا يقصر. وقيل: لا يحلف، من قوله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ (2) أي: يحلف . وقرئ (وَلا يَتَأَلَّ) (3) أي: لا يحلف.

وفي الحديث: « مَنْ يَتَأَلَّ عَلى اللهِ يُكَذِّبْهُ » (4) وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ كان ينفق على مسطح بن أثاثة، فلما خاض في الإثم ونشره حلف أبو بكر ﷺ أن لا يبّره، وكان ابن خالته، فنزلت الآية، فقال أبو بكر: «والله إني أحب أن يغفرَ الله لي» فعاد إلى برِّه وكفَّر عن يمينه(5).

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله - عز وجل : ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ الآية فيه ثلاثة أقوال :

---

(١) تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢١٣)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٩).

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٢٦).

(٣) قرأ « يتألَّ » أبو جعفر من العشرة، وقرأ الباقون « يأتل ». تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٤٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢١٤)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٦) ، المحتسب لابن جني (٢/ ١٠٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣١).

(٤) رواه ابن السري في كتاب الزهد (١ / ٢٨٦ رقم ٤٩٧) عن عبد الله بن مسعود من خطبة طويلة له.

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٠١).

أحدها: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. **والثاني:** الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من الأعمال. **الثالث:** أن الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام (١٤٠/أ) والطيبون من الكلام للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الطيبين، أو إلى أهل البيت .

وقالت عائشة - رضي الله عنها: « أُعْطيتُ تسعاً ما أُعْطيَتْهُنَّ امرأة: نزلَ جبريلُ بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ، وتزوجني بكراً ، وتوفي ورأسُه في حجري ، وقُبِرَ في بيتي، وحفَّتْ به الملائكةُ في بيتي ، وكان ينزلُ عليه وهو معي في لحاف ، وإني لابنة خليفة رسول الله ﷺ وصدِّيقه ، ونزل عذري من السماء ، وخلقتُ طيبةً عند طيبٍ ، ووعدتُ مغفرةً ورزقا كريما »[١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ من الاستئناس نقيض الاستيحاش؛ لقوله - تعالى: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾[٢] وقيل: هو بمعنى الاستعلام والاستكشاف، استفعل من قولهم: أنس بالشيء. إذا علمه ظاهراً منكشفاً؛ كقوله: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾[٣] ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا﴾[٤]. تقول: استأنست فلم أر أحداً. أي: حتى يظهر لكم الإذن، ويجوز أن يراد أن يتعرَّف هل ثَم إنسان ؟

وروي « أن يتكلم بكلمةٍ أو يتنحَّم فيظهر له أنَّ ثمَّ إنسان »[٥] والتسليم يستحب فيه أن

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده رقم (٤٦٢٦) ، ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤١) وقال : وفي الصحيح وغيره بعضه وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٥٣).

(٣) سورة النساء ، الآية (٦).

(٤) سورة القصص ، الآية (٢٩).

(٥) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٧١) ونسبه لابن أبي شيبة والحكيم الترمذي وابن أبي حاتم=

يكون ثلاث مرات. وروي أن النبي ﷺ قال: « الاسْتِئْذانُ ثلاثٌ »(١).

و«استأذن رجل على النبي ﷺ فقال: أألجُ ؟ فأشار إلى امرأة يقال لها روضة: قومي إلى هذا فعلّميهِ كيف يستأذنُ يقول: السَّلامُ عليكُمْ أأدخلُ ؟»(٢).

وكان الرجل في الجاهلية إذا جاء منزل قومٍ يقول: حييتم صباحاً، وحييتم مساءً. فجاء الإسلام بالاستئذان والسلام، وهذا باب من آداب الشريعة قد أهمله الناس.

وروي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «إن أمي ليس لها خادم غيري ، أأستأذن عليها ؟ قال: أتحب أن تراها عريانة ؟ قال الرجل: لا، قال: فاستأذن»(٣).

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾

قوله - عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ لأنه تصرف في ملك الغير بغير إذنه. قوله - عز وجل: ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي : لا تُلحُّوا في طلب الإذن ، ولا تقفوا على الأبواب تنتظرون الإذن ؛ فإنَّ ذلك يشق على أصحاب الإذن ، ومنه قوله - تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾(٤) فإن عرض عارض من حريق أو ظهور منكر أو سارقٍ فهذا مستثنىً بالدليل .

ثم توعَّد المخاطبين بهذه الأحكام بأنه أعلم بما يقولون (١٤٠/ ب) وبما يذرون فيجازيهم استثنى من البيوت المسكونة الخانات والفنادق والربط، فأجاز دخولها بغير

= والطبراني وابن مردويه عن أبي أيوب قال: قلت: «يا رسول الله، أرأيت قول الله ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس؟ قال: يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيؤذن أهل البيت » .

(١) رواه البخارى رقم (٦)، ومسلم رقم (٢١٥٣) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) رواه بهذا السياق الطبري في تفسيره (١٨/ ١١٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٧٢) عن عمرو بن سعيد الثقفي، ورواه أبو داود رقم (٥١٧٧) بنحوه .

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٦٣) رقم (١٧٢٩)، والطبري في تفسيره (١٨ / ١١١).

(٤) سورة الحجرات ، الآية (٤).

استئذان، والمتاع: الانتفاع والاستكنان من الحر والبرد وصيانة المتاع عن المطر والثلج ، و﴿مِنْ﴾ في قوله : ﴿مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ مزيدة عند الأخفش دون سيبويه[١] ومع ذلك احترز به عن أول نظرة ، وعن استعراض الجارية في البيع ، ورؤية الوجه واليدين في المعاملة ، وغير ذلك مما استثنى ، وقال أبو زيد : كل ما في القرآن من حفظ الفرج المراد به الصيانة عن الزنى إلا هاهنا ، فإن المراد هاهنا التسَتُّر[٢].

والنساء مأمورات بغض الأبصار. وروي: «أن النبي ﷺ دخل عليه ابن أمِّ مكتوم وعنده

---

(١) قال الأخفش في معاني القرآن (١ / ٩٨ – ٩٩) عند قوله – تعالى – في سورة البقرة، الآية (٦١) ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾: « دخلت فيه « من » كنحو ما تقول في الكلام: أهل البصرة يأكلون من البر والشعير . وتقول: دعيت فأصبت من الطعام ، تريد : شيئا ، ولم تذكر الشيء ، كذلك : يخرج لنا مما تنبت الأرض شيئا ، ولم تذكر الشيء . وإن شئت جعلته على قولك: ما رأيت من أحد. تريد: ما رأيت أحدا. وهل جاءك من رجل ؟ تريد: هل جاءك رجل؟ فإن قلت: إنما يكون هذا في النفي والاستفهام ! فقد جاء في غير ذلك، قال: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١] فهذا ليس باستفهام ولا نفي . وتقول: « زيد من أفضلها » تريد: هو أفضلها. وتقول العرب: قد كان من حديث فخلٍّ عني حتى أذهب، يريدون: قد كان حديث ونظيره: قولهم: هل لك في كذا وكذا، ولا يقول: حاجة، ولا عليك، يريدون: لا بأس عليك ».

وقال سيبويه في الكتاب (١/ ٣٨): « وليست عن وعلى هاهنا بمنزلة الباء في قوله: « وكفى بالله شهيدا» و« ليس بزيد» ؛ لأن عن وعلى لا يفعل بها ذاك ، ولا بـ « مِن » في الواجب . ونقله عن سيبويه ابن يعيش في شرح المفصل (٧ / ١٣)، ونقل عن الأخفش جواز زيادتها في الواجب.

قال العكبري في « اللباب في علل البناء والإعراب » (١ / ٣٥٥ – ٣٥٦) – معللا رأي سيبويه ومؤيدا له – : « ودليلنا أن « مِن » حرف ، والأصل في الحروف أنها وضعت للمعاني اختصارا من التصريح بالاسم أو بالفعل الدال على ذلك المعنى كالهمزة ، فإنها تدل على الاستفهام ، فإذا قلت : أزيد عندك؟ أغنت الهمزة عن « أستفهم » ، وأخذت من المال ، أي : بعضه . وما قصد به الاختصار لا ينبغي أن يجيء زائدا ؛ لأن ذلك عكس الغرض ، وإنما جاز في مواضع لمعنى من توكيد ونحوه. ولا يصح ذلك المعنى هنا. ثم رد على الأخفش ومن وافقه احتجاجه بقوله – تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٧١] و ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] والمراد : الجميع. ثم قال العكبري: والجواب: أن « مِن » هنا للتبعيض، أي: بعض سيئاتكم؛ لأن إخفاء الصدقة لا يمحي كل السيئات. وأما « من ذنوبكم» فللتبعيض أيضا؛ لأن الكافر إذا أسلم قد يخفى عليه ذنب وهو مظالم العباد الدنيوية. أو تكون « من » هنا لبيان الجنس». ا هـ من اللباب للعكبري.

وينظر في ذلك أيضا: أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ٢٦٠) ، الجنى الداني للمرادي (ص : ٣١٧ – ٣١٨) ، شرح المفصل لابن يعيش (٧ / ١٣) ، المغني لابن هشام (١ / ٣٢٣ – ٣٢٤) ، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ٣٧٩ – ٣٨٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١١٦) عن أبي العالية .

ميمونة وأخرى من نساء النبي ﷺ وذلك بعد أن أمر بالحجاب، فدخل علينا فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله: أليس أعمى لا يبصرنا ؟ قال: أفعمياوانِ أنتما ؟ أَلَسْتُما تُبْصِرانِهِ » (١) ؟

وقدَّم النهي عن النظر ومدِّ البصر على حفظ الفرج؛ لأنه وسيلة إلى الزِّنى، وأكثر الوقوع في الزِّنى إنما هو بسبب النظر.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزينة: ما يُتَزَيَّنُ به، فإن كانت العورة تظهر بظهوره فهو حرام، وإلا فلا يحرم، كالقراميل (٢) وهي ما يعمل في الشعر من العقاص المذهبة، وقدم النهي عن الزينة مطلقاً ولم يفصل، ليعلم أن النساء مأمورات بزيادة التحفظ، فإذا نهين عن الزينة فالموضع الذي تقع عليه الزينة أولى بالتحفظ، ألا ترى أن الزينة لو وقعت على الأرض ولم ينكشف شيء من العورة فلا مقال في حِله.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: ما جرت العادة بظهوره. كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن، وكن يسدلن الخمار من ورائهن، فأمرن أن يسدلنه من أمامهن، قالت عائشة: « رحمَ اللهُ نساءَ الأنصارِ لما سمِعْنَ بنزولِ هذه الآيةِ قطعنَ من خمرهنَّ ما سدلْنَهُ من أمامهنَّ وسترنَ الصدورَ والنُّحورَ» (٣). وقرئ (جِيُوبِهِنَّ) بكسر الجيم (٤) لأجل

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٩٦) ، وأبو داود (٤١١٢) ، والترمذي (٢٧٧٨) ، وفي سنده نبهان مولى أم سلمة وهو مجهول وضعفه الشيخ الألباني في الإرواء (٦/ ١٨٠٦).

(٢) **القَراميل** من الشعر والصوف : هي ما تصل به المرأة شعرها ليطول ، وما تشدُّه المرأة في شعرها . **ينظر**: لسان العرب (قرمل).

(٣) رواه البخاري (٤٧٥٩) ، وأحمد (٦/ ١٨٨) ، وأبو داود (٤١٠٠، ٤١٠٢، ٤١٠٣) ، عن عائشة .

(٤) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان « جِيوبهن » بالكسر، وقرأ الباقون « جُيوبهن » بالضم . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٤٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢١٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٢) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٢٦).

الياء، كالبيوت والعيون، وعن ابن عباس ﷺ: لا يحل لامرأة مسلمة أن تتكشف بين يدي كافرة ؛ عملا بقوله – تعالى : ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [١] أي : نساء المؤمنات . وأجازه آخرون قياسا.

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ وأباح للمرأة (١٤١/أ) أن تُظْهِرَ عليها عبدَها ، وقالت عائشة لعبدها ذكوان : « إذا دفنتني وتركتني في القبر فأنت حر »[٢] . وهناك من منع من ذلك لحصول الفتنة فيه. وروي: «أن معاوية دخل على زوجته ميسون بنت بحدل الكلابية ومعه خصي ، فتسترت الزوجة منه ، فقال معاوية لها : هو خصي ، فقالت : أترى المثلة به تحلل ما حرم الله ؟[٣].

ومنع أبو حنيفة من بيع الخصيان واستخدامهم ، ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم، واحتج أبو حنيفة بأنه إذا خصي العبد ازداد في ثمنه للدخول على النساء ، فيكون الخصاء سببا في المثلة ، فمنع منه[٤] .

فإن قيل: روي أنه أهدي لرسول الله ﷺ خادم فقبله[٥].

قلنا: الحديث ضعيف، وإن صح فهو محمول على أنه قبله ليعتقه[٦].

﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾ الحاجة، يعني: الذين يتبعونك ليصيبوا من طعامك، ولا حاجة بهم إلى النكاح . وقيل: الشيوخ الهرمون، وقرئ (غَيْرَ) بنصب الراء على الاستثناء أو الحال، وبالجر[٧] على الوصفية.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٧٧) ونسبه لسعيد بن منصور والبيهقي بنحوه .

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٣٨٢٤) بلفظ: « إذا غيبني أبو عمرو ودلاني في حفرتي فهو حر».

(٣) ذكر هذه القصة ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٧٠ / ١٣٠) في ترجمة ميسون وقال عنها: ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية، زوج معاوية بن أبي سفيان وأم يزيد بن معاوية، روت عن معاوية، وروى عنها محمد بن علي وكانت امرأة لبيبة.

(٤) ينظر: الأم للشافعي (٦ / ١٤١)، بدائع الصنائع للكاساني (٤ / ٢٩٣).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤ / ٤١) عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ مارية بنت شمعون، وهي التي أهداها إلى رسول الله – ﷺ – المقوقس صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين وخصيا يقال له مأبور فوهب رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت... » الحديث.

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٣٢).

(٧) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم وأبو جعفر « غيرَ » بالفتح، وقرأ الباقون « غيرِ » بالكسر. **تنظر في**:=

﴿لَمْ يَظْهَرُوا﴾ قيل: المراد لم يقووا، من قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [(١)] أو من ظهر على الشيء: اطلع عليه، كأنهم لا يفرقون بين العورة وبقية الجسد، من قوله - تعالى: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [(٢)] أي: وأطلعه. قيل: لم يذكر العم والخال؛ لأنهما قد يصفانه لابنيهما، وذلك ليس بمحرم، لكنه قد يدعو إلى ما لا يحل، وهو مما أمر النساء به لزيادة التحفظ. وقيل: كانت المرأة تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم ذلك، فنهين عنه.

واعلم أن أوامر الله - تعالى- ونواهيه لا يقدر العبد الضعيف على أن يوفيها حقها من التحفظ؛ فلذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار. قوله - عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ التوبة واجبة بهذا الأمر، قال بعضهم: يجب على الإنسان كلما ذكر المعصية أن يجدد التوبة؛ لأن الاستمرار على الندم على المعصية واجب.

وقرئ (أيهُ الْمُؤْمِنُونَ) بضم الهاء[(٣)].

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

﴿الْأَيَامَىٰ﴾ جمع أيم، وهي التي لا زوج لها، والنكاح مستحب، وأوجبه داود. والأحاديث والآثار تشهد لاستحبابه، فمن ذلك قوله ﷺ: « مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي» [(٤)] ولأنه قضاء لذة تصبر النفس عنها فلم تجب ، كأكل الطيب ، ولبس الناعم، وربما كان (١٤١/ ب) واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة . وواجب الفعل إذا دعت المرأة إلى تزويجها من كفء فيجب على الولي إجابتها[(٥)] . فإن قيل: لم خص الصالحين في قوله:

= البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٤٩)، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣٦)، الحجة لابن خالويه (ص:٢٦١)، حجة أبي زرعة (ص: ٤٩٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢١٧)، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٥٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٢)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٢).

(١) سورة الصف ، الآية (١٤).

(٢) سورة التحريم ، الآية (٣).

(٣) قرأ « أيهُ » ابن عامر، وقرأ باقي العشرة « أيها ». **تنظر** في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٥٠)، حجة أبي زرعة (ص: ٤٩٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢١٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٥٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٣)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (١٠٣٧٨)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٢٧٤٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٧٧)عن عبيد بن سعد عن النبي ﷺ قال : « من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح » . وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٢٥٠٩).

(٥) **ينظر**: بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ٤٨٢)، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٦٧٠)، المغني لابن قدامة=

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ﴾؟ قلت: ليحصن دينهم، ويحفظ عليهم صلاحهم.

قوله - عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ ذو سعة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يبسط الرزق له.

﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٣﴾

﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ﴾ وليجتهد في العفة ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح: ما ينكح به من المال.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يطلبون الكتابة، وفي إعراب « الَّذِينَ » قولان: الرفع [على الابتداء] والنصب بإضمار فعل يدل عليه قوله : ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ﴾ ﴿وَءَاتُوهُم﴾ وفي المأمور بإيتائه قولان :

أحدهما: الزكاة ؛ لقوله - تعالى : ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [(١)] أو يحط عن المكاتب بعض ما عليه وذلك واجب عند الشافعي ، ويجوز عند أبي حنيفة إن كان على مال حالٍّ ومؤجل ، ومنجَّم وغير منجَّم ؛ لأن الله - تعالى- أطلق جواز الكتابة . وعند الشافعي لابد من تأجيله ، وأقل آجاله نجمان فصاعداً ، وإجابة المكاتب إلى الكتابة سنة . وقيل بوجوبها[(٢)] .

قوله - عز وجل: ﴿إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ أي : قدرة على الكسب . وقيل: أمانة ، ويجوز للسيد أن يأخذ من المكاتب ما تصدق به عليه .

وكان لعبد الله بن أُبي رأس النفاق ست جوار يُكْرِهُهُنَّ على البغاء، وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى النبي ﷺ ، فنزلت[(٣)] . وكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة،

= (٧/ ٣٣٤)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ١٢٥)، المهذب للشيرازي (٢ / ٤٢٣).

(١) سورة التوبة، الآية (٦٠).

(٢) **ينظر**: الأم للشافعي (٨/ ٣٧)، بدائع الصنائع للكاساني (٣ / ٥٩٧) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ١١٧٤) ، المغني لابن قدامة (١٢ / ٣٣٩) ، النكت والعيون للماوردي (٣ / ١٢٧).

(٣) رواه مسلم رقم (٣٠٢٩) نحو ذلك دون ذكر عدد الجواري . وله روايات كثيرة عند الطبري في تفسيره (١٨ / ١٣٢ - ١٣٣).

وفي الحديث: «لا يَقُلْ أحَدُكُمْ عَبْدي ولا أَمَتي، فإنَّ كُلَّكُم عبيد الله»[١]. وإنما زاد قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ فإن الإكراه على البغاء لا يتصور مع إرادتهن له. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهن. قيل: لهم ولهن.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ أي: آيات هذه السورة، أو آيات القرآن. وقرئ ﴿مُّبَيَّنَٰتٍ﴾ بكسر الياء[٢]. ﴿وَمَثَلًا﴾ من أمثال من قبلكم أو قصة عجيبة من قصصهم.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: هادي من في السماوات والأرض. وقيل: خالق نورهما من شمس وقمر، والأول أظهر؛ لقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ و﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ وقد جعل نفسه نوراً مبالغة، ونظير هذه الآية: زيد جود محض يعين الفقير، ويجبر الكسير (١٤٢/أ) شبه الحق في ثبوته وظهوره بالنور ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كصفة مشكاة، وهي الكوة في الجدار غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ضخم ثاقب. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ شديدة الصفاء شبيهة بالدراري الكبار كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل.

﴿يُوقَدُ﴾ هذا المصباح ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: أن ماءَهُ من شجرة مباركة. يعني: كثيرة المنافع، أو لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله فيها. يتعاقب عليها الشمس والقمر وهو أضوأ لِدُهْنِها. وقيل: ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها فقط أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً، يعني أن هذا النور قد اجتمع فيه صغر المشكاة وانسداد صدرها، وصفاء الزجاجة فصارت كالكوكب، وصفاء الزيت بحيث ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فإذا اجتمعت هذه الأوصاف صلح أن يُشَبَّهَ به نور الله في القلب، فهو تشبيه مفرد بمركب،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٤٩)، وأبو داود رقم (٤٩٧٥)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه وخلف «مبيَّنات»، وقرأ الباقون «مُبيِّنات». تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٥٣)، حجة أبي زرعة (ص: ٤٩٨) الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٣٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٣٠)، النشر لابن الجزري (٢/٢٤٨).

ومن لم يتدبر فهو كالأعمى .

وعن علي ﷺ: نشر الله فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره ، أو نور قلوب أهلها به [١]. وعن أبي بن كعب : مثل نور من آمن به[٢] . وقرئ (زَجَاجَةُ) بفتح الزاي[٣] وقرئ (دِرِّيء) بكسر الدال والهمز[٤] ، أي : دفاع للظُّلمة ؛ كقوله : ﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ [٥] أي: يدفعه . ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ يتعلق بما قبله، أي : كمشكاة في بعض بيوت الله ، وهي المساجد . وقيل: متعلق بما بعده، أي: يُسبحُ له في بيوت. قوله - عز وجل: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ أي: يرفع بناؤها ؛ كقوله : ﴿بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ [٦] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [٧].

وعن الحسن: ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم[٨].

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ قيل: يُتْلَى فيها كتابه ، وقرئ (يُسَبَّحُ) بفتح الباء[٩] على البناء للمفعول ، ويسند الفعل إلى أحد الظروف الثلاثة أي: له ، وفيها ، وبالغدو . و﴿رِجَالٌ﴾

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٤٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ٣٦).

(٣) قرأ بها ابن أبي عبلة ونصر بن عاصم وابن مجاهد.
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٥٦) ، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٦١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٢٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٨) ، المحتسب لابن جني (٢/ ١٠٩).

(٤) قرأ أبو عمرو والكسائي « دِرِّيءٌ » ، وقرأ حمزة وشعبة عن عاصم « دُرِّيءٌ » ، وقرأ الباقون « دُرِّيٌّ ».
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٥٦) ، تفسير القرطبي (١٢ / ٢٣٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٦٢) ، حجة أبي زرعة (ص : ٤٩٩) الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٢٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٢).

(٥) سورة النور ، الآية (٨).

(٦) سورة النازعات ، الآيتان (٢٧ ، ٢٨).

(٧) سورة البقرة ، الآية (١٢٧).

(٨) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٤٥) وقال : « وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله مجاهد وهو أن معناه أذن الله أن ترفع بناء ؛ كما قال جل ثناؤه : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية ».

(٩) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم « يسبَّح » ، وقرأ الباقون « يسبِّح » . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٥٨) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٦٢) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥٠١) الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٢١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٨)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٢).

مرفوع بما دل عليه ﴿يُسَبِّحُ﴾ أي: يسبحه رجال. ﴿وَالْآصَالِ﴾ جمع أصيل، وهو العشي وقرئ (بالإيصال)[1] وهو الدخول في الأصيل. التجارَة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح، ويجوز أن يريد: لا يشتغلون بالتجارة؛ لأنه لا مال لهم فيتجرون به، ويحتمل أن يشتغلوا (١٤٢/ ب) بالتجارة، ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ﴾ أصله: إقامة الصلاة. وتقلب القلوب والأبصار أي: زاغت عن محلها كقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾[2] ويحتمل أن يقال: صارت بصيرة بعد أن كان مغشياً عليها، والقلوب صارت مبصرة بعد أن كانت مختوماً عليها. ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: أحسن جزاء أعمالهم. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ أي: يخافون عقابه. السَّرَابُ: ما يُرى وقت الهاجرة، كأنه ماء يتسرب على وجه الأرض. والقِيعَة: بمعنى القاع، أو جمع قاع، وهو المنبسط المستوي من الأرض، كالجيرة في جمع جار، وقرئ (بقيعات) بتاء ممدودة[3] كديمات وقيمات، شبه ما يعمله من لا يتبع الإيمان، ولا يعتقد الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله، وتنجيه من عذابه، ثم يخيب في العاقبة أمله، ويلقى خلاف ما قدَّر – بسراب يراه الكافر بالسَّاهرة، وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماءً، فيأتيه فلا يجد ما رجا، ويجد زبانية الله عنده فيعتلونه إلى جهنم، فيسقونه الحميم والغساق، وهم الذين قال الله – تعالى– فيهم: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4] ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[5] ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[6] فقيل: نزلت في

---

(١) قرأ بها ابن مجلز وسعيد بن جبير. **تنظر** في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٥٨)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٨)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٣).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١٠).

(٣) قرأ بها مسلمة بن محارب. **تنظر** في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٦٠)، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٨٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٢٢)، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٩)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٩)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٣).

(٤) سورة الكهف، الآية (١٠٤).

(٥) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٦) سورة إبراهيم، الآية (١٨).

عتبة بن ربيعة كان قد تنصَّرَ في الجاهلية ولبس المسوح، وطلب الدين الحق، فلما جاء النبي ﷺ كفر به[١].

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

اللجي: العميق الكثير الماء، وفي ﴿أَخْرَجَ﴾ ضمير الواقع فيه دل عليه السياق، كقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾[٢] يعني الشمس، ولم تذكر قبل ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي: لم يرها ولا قَرُبَ من رؤيتها، شبه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحصول ضررها بسرابٍ لم يجده من خدعه من بعيد شيئا، ثم وجد الزبانية عنده، فألقوه في النار، وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة، وفي خلوِّها عن نور الحق - بظلمات متراكمة من لجج البحر والأمواج والسحاب. وقرئ ﴿سَحَابٌ﴾ بالرفع والتنوين و﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ بالجر والتنوين[٣] بدل من قوله ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾.

قوله - عز وجل: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ (١٤٣/أ) أي: قد علم الله صلاة ذلك الطائر وتسبيحه.

وقيل: كلُّ طيرٍ قد علم ما وظف عليه من التسبيح والصلاة فقام به ولم يؤخره، والله - تعالى- ألهم هذه الحيوانات تعظيمه كما ألهمها مصالحها.

﴿يُزْجِي﴾ يسوق ﴿رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعضٍ و﴿ٱلْوَدْقَ﴾ المطر، و﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٣٤) وفيه « شيبة » بدل عتبة.

(٢) سورة ص، الآية (٣٢).

(٣) قرأ قنبل « سحابٌ ظلماتٍ »، وقرأ البزي « سحابُ ظلماتٍ »، وقرأ جمهور العشرة « سحابٌ ظلماتٌ ».

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٦٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٦٣)، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٢) الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٢٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٥٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٧٠)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٢).

على زيادة الباء ؛ كقوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى﴾ [١] فإن قلت : متى رأى رسول الله ﷺ تسبيح من في السماوات والأرض والطير ودعاءه ، وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟ قيل: علم ذلك من جهة الوحي.

فإن قلت: ما الفرق بين ﴿مِن﴾ الأولى والثانية والثالثة ؟ قلت: الأولى لابتداء الغاية ، والثانية للتبعيض ، والثالثة لبيان الجنس . وقوله : ﴿مِن جِبَالٍ﴾ يجوز أن يخلق الله – تعالى– في السماء جبالاً من بردٍ ، كما خلق في الأرض جبالاً من حجرٍ ، ويحتمل أن يراد بالجبل الكثرة، تقول : عند فلان جبال من ذهب.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾

ولما كان اسم الدابة يقع على من يعقل ومن لا يعقل غلب ما يعقل في قوله : ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ و﴿مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ وهما لا يعقلان ، فقال فيهما : ﴿مَّن﴾ والقياس: ما يمشي .

وخلق الله – سبحانه وتعالى ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ هو النطفة ؛ كقوله : ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [٢] وسمى الزحف على البطن مشياً استعارة ؛ كقولك : مشى هذا الأمر. وقوله: ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى القائلين: (آمنا وأطعنا) أو إلى المعرضين منهم ، وعرف المؤمنين إشارة إلى أنهم ليسوا بالكاملين في الإيمان المطيعين للأوامر.

معنى ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: إلى رسول الله – ﷺ – كقولك: أعجبني زيد وكرمه، أي: كرمُ زيدٍ، ومنه قوله [من الرجز]:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِها[٣]

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٩٥).

(٢) سورة الرعد ، الآية (٤).

(٣) ينظر بلا نسبة في : غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٦٣) وتكملته ومناسبته قال ابن قتيبة : =

وروي أنها نزلت في بشر المنافق خاصم رجلاً من اليهود ، فطلب اليهودي المحاكمة عند النبي ﷺ وطلب المنافق عند كعب بن الأشرف ؛ لعلمه أن كعباً يقبل الرّشا[1] .

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) ﴾

قوله تعالي: ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ الجار والمجرور متعلق بـ « يَأْتُوا » وأتى وجاء سُمِعا متعديين. وقيل: متعلق بـ « مُذْعِنِينَ ». قسم الأمر في إعراضهم بين أن يكونوا مرتابين في قلوبهم مرض، أو يخافوا منك الحيف عليهم، ثم إنه أبطل خوفهم وبين أن تأخرهم (١٤٣/ ب) عن طاعته ما كان إلا ظلماً بقوله: ﴿بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قرئ بالرفع والنصب[2] على اسم كان وخبرها، والنصب أفصح؛ لأن قوله: ﴿أَن يَقُولُوا﴾ أدخل في التعريف ؛ لأنه لا يمكن تنكيره .

فإن قلت: ما فاعل « لِيَحْكُمَ » ؟ قلت : هو إيقاع الحكم ؛ كقولك : فرق بينهما وجمع بينهما ومثله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ في قراءة النصب[3] أي : أوقع التقطيع . ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ قرئ بكسر الهاء ليتولد منها ياء ، وقرئ بحذف الياء ، وقرئ بسكون القاف[4] شبه « تَقِه » بـ

= ومثل قول الأعرابي - وكان يطرد الطير عن زرع في سنة جدب [من الرجز] - :

عجبت من نفسي ومن إشفاقها
ومن طرادي الطير عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها
حمراء تبري اللحم عن عراقها
والموت في عنقي وفي أعناقها

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء ، الآية (٦٠).

(٢) قرأ جمهور القراء « قولَ » بالنصب ، وقرأ علي والحسن وابن أبي إسحاق « قولُ » بالرفع ، وذلك على أنه الاسم و«أن» المصدرية وما في حيزها : الخبر . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٦٨) ، تفسير القرطبي (١٢ / ٢٩٥)، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٦٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٢٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٧٢) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٥).

(٣) تقدم تخريجها في سورة الأنعام ، الآية (٩٤).

(٤) قرأ أبو عمرو البصري وشعبة « يَتَّقِهْ » وقرأ حفص عن عاصم « يَتَّقْهِ » وقرأ ابن كثير وورش وابن ذكوان وخلف عن حمزة وعن الكسائي « يَتَّقِهِ » مع إشباع الهاء. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان =

«كَتِف» فسكن أوسطه ، كـ«كَتِف » في « كَتِف » وقال الشاعر [من الرجز] :

قالـتْ سُلَيْمَـى اشْتَرْ لَنـا سَوِيقـا [١]

وعن ابن عباس: « ومن يطع الله في فرائضه، ورسوله في سننه، ويخش الله على ما مضى من ذنوبه، ويتقه فيما يستقبل ». [٢]

وسأل بعض الملوك عن آية كافيةٍ ، فقيل له هذه .

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾

قوله – عز وجل: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: بلغوا الجهد فيها، ومن قال: بالله فقد وفَّى باليمين جهده. وأصله: أقسم بجهد نفسه في اليمين جهدا وحكم. قولـه: ﴿جَهْدَ﴾ أي: جاهـدا حـال من فعل مضمر، أي: أقسم جاهدا.

قوله – عز وجل: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ ذلك كذب؛ لأنهم يفعلون مـا لا يوافـق قـولهم مـن المخالفة. وقيل: هو من كلام الله ، أي: طاعة معروفة صحيحة خير لكم من الافتراء.

= (٦ / ٤٦٨) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٦٣) ، حجة أبي زرعـة (ص: ٥٠٣) ، الـدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٢٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٥٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٧١) ، النشر لابن الجزري (١ / ٣٠٦ - ٣٠٧).

(١) هذا صدر بيت لرجل من كندة وعجزه :

.... وهاتِ خبزَ البرِّ أو دقيقا .

ويروى : قالت لُبَيْنى .... وهات بُرَّ البخس ....

ينظـر في: تـاج العـروس للزبيـدي (بخـس)، تفـسير القـرطبي (١/ ٤٤٠) ، روح المعـاني للألوسـي (١٨/ ١٩٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٤٩) ، لسان العرب (بخس) والسويق: ما كانت تعملـه العرب من الحنطة والشعير. والبخس: الأرض التي تنبت من غير سقي.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٥٠).

وقرأ اليزيدي (طَاعَةً مَعْرُوفَةً) بالنصب[١] على معنى: فأطيعوا، صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب التفاتاً وهو أبلغ في تبكيتهم . ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فإن توليتم فما ضررتموه، وإنما ضررتم أنفسكم، فإنه ما على الرسول سوى إبلاغ ما حُمِّل ، وما له نفع في قبولكم في طلب عَرَضٍ من أعراض الدنيا . ومعنى كون البلاغ مبيناً أنه قامت على تصديقه الحجج والبينات ، وأن يمكّنَ الدين المُرْتَضَى .

قوله – عز وجل: ﴿مِنكُمْ﴾ لبيان الجنس، كالتي في آخر سورة الفتح[٢] وقوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ اللام فيها جواب قسم محذوف، أي: والله ليستخلفنهم. وقيل: جعل وعده بذلك بمنزلة المقسم عليه فتلقَّى باللام كما يُتَلَقَّى القسم. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ النبي والصحابة، أي: أن يجعلهم خلفاء الأرض، ويُذْهِبَ عنهم ما كانوا عليه من خوفٍ ، فإن الصحابة كانوا بمكة في خوفٍ ، وكذلك في أوائل قدومهم إلى المدينة لا يخلون من لباس السلاح ، فقال رجل : أترى (١٤٤/أ) يخلص لنا يوم نسلم فيه من لباس السلاح ، فقال النبي ﷺ: « لا يمضي عليكُمْ إلا زمنٌ قليلٌ حتى يجلسَ أحدُكُمْ في ملأ عظيمٍ ينصرُ الحقَّ وأهلَهُ»[٣]. وصدقَ اللهُ وعدَهُ، وأعطاهم مُلْكَ الأكاسِرَةِ، وملكوا خزائنَهُمْ.

وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً لا موضع له من الإعراب، ويجوز أن يكون حالاً، أي: وعدهم بذلك عابدين غير مشركين ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: هذه النعم. ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الكاملون في الفسق. وفي هذه الآية دليل على أن الخلفاء الأربعة داخلون في هذا الوعد. أو: هم المقصودون به ؛ فإن الله – تعالى– استخلفهم ومكنهم فعدلوا .

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[٤] أن أحدا يعجز الله، أو لا يحسبن الذين كفروا

---

(١) وقرأ بها أيضا زيد بن علي على المصدر لفعل محذوف أي: أطيعوا طاعةً، وقراءة الجمهور « طاعةٌ معروفةٌ» تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٦٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٣١)، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٤٦)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٧٣).

(٢) في قوله – تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، الآية (٢٩).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢١٥) ونسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية.

(٤) قرأ حمزة وابن عامر« يحسبن » بياء الغيبة، وقرأ باقي العشرة « تحسبن » بتاء الخطاب . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٧٠) ، حجة ابن خالويه (ص:٢٦٣)، حجة أبي زرعة (ص:٥٠٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٣٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٢).

أنفسهم معجزين.

أمر بأن يستأذن العبيد. وقيل: العبيد والإماء والصغار ثلاثَ مَرَّات في اليوم والليلة؛ لأنها أوقات نومٍ، وربما دخل في شيء من هذه الأوقات فتبينت له بعض عورة النائم، فأمروا بالتحفظ، وسُمِّيَ كلُّ وقت من هذه الأوقات عورة لخللها، والعورة الخلل، ثم بين العذر في جواز الدخول للمذكورين فيما سوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ يعني: أن بكم وبهم حاجة إلى الدخول؛ لأنهم طوافون عليكم.

روي أن مدلج بن عمروٍ كان غلاما أنصاريًّا أرسله رسول الله - ﷺ - وقت الظهيرة إلى عمر ﷺ، فدخل عليه وهو نائم، وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر ﷺ: لوددتُ أن الله - عز وجل- نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا عند الدخول علينا هذه الساعة إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية[1]، وهي إحدى الآيات الثلاثة المنزلة بسبب عمر[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٩)﴾

﴿ٱلۡحُلُمَ﴾ بسكون اللام[3] وقرئ (ثَلاثَ عَوْرَاتٍ) بالنصب بدلاً عن ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖ﴾ أي

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (٣٣٩) (٦٤٨)، والماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٤٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٥٥) لابن أبي حاتم.

(٢) روى البخاري في صحيحه رقم (٣٨٧) عن أنس قال: قال عمر: «وافقت ربي في ثلاث؛ فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ [البقرة:١٢٥] وآية الحجاب قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥] فنزلت هذه الآية».

(٣) قرأ بها الحسن وأبو عمرو في رواية. **تنظر** في: البحر لأبي حيان (٦ / ٤٧٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٣٤)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٣).

أوقات ثلاث عورات. وعن الأعمش[١] (عَوَرَاتٍ) بفتح الواو على لغة هذيل ومحل ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ على قراءة (ثلاثُ عَوْرَاتٍ) بالرفع[٢] الرفع على الوصف، وإذا نصبت لم يكن له محل، وكان كلاماً مقرراً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة.

وقوله: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ويجوز أن يرتفع ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بـ (يطوف) مضمراً لدلالة ﴿طَوَّافُونَ﴾ عليه (١٤٤/ب) ﴿ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أي : من الأحرار دون المماليك .

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بلغوا الحلم من قبلهم أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ الآية[٣] وهذه الآيات مما الناس عنه في غفلة ، وهو عندهم كالشريعة المنسوخة ، وعن ابن عباس : « ثلاث آيات جحدهن الناس : الإذن كله ، وقوله : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٤] فقال الناس : أعظمكم بيتا ، وقوله : ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٥] .

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا

---

(١) هو سليمان بن مهران الإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الأعمش ، كان من النساك وكان محافظا على الصلاة في جماعة وعلى الصف الأول وهو علامة الإسلام ، له قراءة شاذة ليس طريقها بالمشهور، مات الأعمش في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة .

تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي (٦ / ٢٢٦).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية شعبة عنه وخلف « ثلاثَ » وقرأ باقي العشرة « ثلاثُ » وقرأ الأعمش « عَوَرات» . **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٧٢)، حجة ابن خالويه (ص:٢٦٤)، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٣٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٥٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٧٥) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٣).

(٣) سورة النور ، الآية (٢٧).

(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٣).

(٥) سورة النساء، الآية (٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٠٢) ، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾ أي: عن الحيض والولد غير طامعات في التزويج. ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ أي: عن وضع الثياب ، وأراد بالتبرج إظهار ما يجب إخفاؤه والبَرَجُ : سعة العين . كان المسلمون يذهبون بالضعفاء وأصحاب العاهات إلى منازلهم ليصيبوا من طعامهم . وقيل: كانوا يذهبون بأصحاب العاهات إلى منازل أقاربهم فيأكلوا من طعامهم، فخاف الآكلون أن يلحقهم حرج في ذلك فنزلت[1] .

وقيل: كان الرجل يسافر ويدع على منزله واحداً من هؤلاء ، وترك بعضهم رجلاً يقال له: مالك ابن زيد في بيته ، فلما جاء صاحب المنزل وجد مالكاً مهزولاً فقال : ما أصابك؟ فقال: لم يكن عندي شيء ، ولا يحل أكل مالك بغير إذنك ، فنزلت[2] .

وقيل: ليس على هؤلاء حرج في ترك الجهاد. فإن قلت: ما وجه دخول ترك الجهاد في هذه الآية؟ قلت : هما يشتركان في نفي الحرج . وقيل في القول الأول: إن مجالسة هؤلاء وقت الأكل قد تكره، أما الأعمى فلأنه قد تسبق يده إلى ما سبقت إليه عين غيره ، وأما الأعرج فلأنه يتفجع في جلوسه ، وأما المريض لا يخلو من رائحة من فيه أو أذنه أو جرح يسيل في باطنه . فإن قلت : لِمَ لَمْ يذكر الأولاد ؟ قلت: قد دخلوا في قوله: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ لأن ولد الرجل بعضه ، وحكمه حكم نفسه.

﴿مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ أي: إذا كان ماله تحت يدك ومفاتحه عندك فلا جناح عليك أن تشرب من لبن ماشيته، وتأكل من ثمرة بستانه. وقيل: بيوت المماليك؛ لأن مال العبد لمولاه.

قوله – عز وجل. ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أي: أصدقائكم. والصديق والرفيق يخبر به عن الواحد والجمع، ومنه قوله –تعالى : ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[3] ولم يقل : رفقاء .

---

(١) روى ذلك الطبري في تفسيره (١٨ / ١٦٩) ، والماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٤٢).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٢٥) ونسبه للثعلبي عن ابن عباس ، وفيه « خالد بن زيد » بدل « مالك».

(٣) سورة النساء ، الآية (٦٩).

ويحكى عن الحسن: «أنه دخل (١٤٥/أ) داره فوجد جماعة من أصدقائه قد أخرجوا سلالاً من تحت سريره فيها أنواع من الحلوى وهم مكبون يأكلون، فتغرغرت عيناه وقال: هكذا وجدناهم، هكذا وجدناهم» يعني: كبار الصحابة. وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته عن كيسه فيأخذ ما شاء منه ، فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سروراً بذلك [١]. وقالوا إذا دلت قرينة الحال على الإذن قام ذلك مقام الإذن الصريح، وربما قبح الاستئذان واستكره كمن قُدِّمَ إليه طعامٌ فاستأذن صاحبه في الأكل منه. قيل: كان بنو الليث بن عمرو من كنانة يتحرجون أن يأكل أحدهم وحده ، فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل ، فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . وقيل : في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم . وقيل : تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل ، وزيادة بعضهم على بعض [٢] .

فإذا دخلتم بيتاً من هذه البيوت فسلموا على أهلها ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مشروعة من جهته وعن أنس بن مالك قال: «أوصاني رسول الله - ﷺ - بثلاث خصال ؛ أن أسلم على من لقيته من المسلمين ، وإذا دخلت بيتي أن أسلم عليهم يكثر خير أهل البيت وبصلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين» . وإذا لم يكن في البيت أحد فليقل : السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام على أهل البيت ورحمة الله [٣] . وعن ابن عباس: «إذا دخلت المسجد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» [٤].

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٥٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٧٣) وقال : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل من الفقير وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا وبسبب غير ذلك ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل » .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٢٧) ونسبه للبزار وابن عدى والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٧٤)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤٣٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ /٢٢٧) ونسبه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

بيَّن – سبحانه- عظم الذنب في القيام عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه، وذلك بتقديم «إنما» الدالة على الحصر، وقرن ذلك الوصف بالإيمان بالله والرسول ، ثم أعاده على نمط آخر بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ والأمر الجامع: الذي يجتمع الناس عليه ، فجعل الأمر جامعاً مجازا والأمر المهم اجتماع الكبراء في قصد عدوٍ ، أو في نقض عهدٍ . وقيل: نزلت في حفر الخندق ، وكان قوم يتسللون ذاهبين بغير إذنٍ وقالوا : كذلك ينبغي أن يكون الناس (١٤٥/ب) مع أئمتهم ، ولا يذهبون عنهم بغير إذنهم ، ولا ينادوه باسمه ، فيقولوا: يا محمد ، بل: يا رسول الله، ويا نبي الله ، أو: لا تهملوا وجوب حضوركم إليه ودعاءه إياكم ﴿كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ إن شئتم أجبتم ، وإن شئتم تركتم . ومعنى ﴿ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: يصدون، تقول: خالفت الرجل إلى المنزل أي: ذهبت إليه ولم يذهب هو. وقوله : ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ الضمير عائد إلى الله . وقيل: إلى الرسول.

وقوله – عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت (قد) للتكثير. كما إذا دخلت ﴿مَا﴾ على (رُبَّ) صارت للتكثير. ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ (١).

وقول الشاعر [من البسيط] :

قَدْ أَتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُه .... (٢)

[ومن الطويل]:

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٢).

(٢) تقدم في تفسير سورة البقرة ، الآية (١٤٤).

وقـدْ أغْتـدي والطَّيْـرُ في وُكناتِهـا .... (١)

لم يُرد القلة في شيء من ذلك.

* * *

(١) تقدم في تفسير سورة البقرة، الآية (١٤٤).

سورة الفرقان [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)﴾

البركة: الخير وزيادته، وفيه معنيان: **أحدهما**: تكاثر خير الذي نزل الفرقان.

والثاني: تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله.

و﴿الْفُرْقَانَ﴾ مصدر فرق؛ كالغفران والشكران، وسمي به القرآن؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، أو لأنه نزل مفرقا مفصلاً؛ لقوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ الآية [(١)].

وقرئ (على عِبَادِه) [(٢)] يعني النبي ﷺ وأمته؛ لقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ [(٣)] ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [(٤)]. ﴿لِيَكُونَ﴾ الرسول أو القرآن، ويعضد عوده إلى القرآن قراءة من قرأ "على عِبَادِهِ".

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ بمعنى: منذراً، أي: مخوفاً أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار، ومنه ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [(٥)] ﴿الَّذِي لَهُ﴾ رفع على الإبدال من ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ أو على المدح، أو نصب عليه، وجاز الفصل بين البدل والمبدل منه؛ لأنه ليس بأجنبي. فإن قلتَ: في الخلق معنى التقدير فكيف قال بعده: ﴿فَقَدَّرَهُ﴾؟

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١٠٦).

(٢) قرأ بها عبد الله بن الزبير. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٨٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٢)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٧)، النكت والعيون للماوردي (٣ / ١٤٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٣٦).

(٥) سورة القمر، الآية (١٦).

قلتُ: الخلق فيه معنى التقدير فكأنه قال: قدر كل شيء، يعني: أحدث كل شيء على مقتضي الحكمة أي : أوجده غير متفاوتٍ . وقيل: معناه فقدر له مدة لبقائه. ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ لا تقدر على جلب نفعٍ ولا (١٤٦/أ) دفع ضرٍّ ولا إيجاد مخلوق.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ إحياء ولا إماتة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾

﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ اليهود. وقيل: عدَّاس مولى حويطب بن عبد العزَّى ، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي ، وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث[١]. جاء وأتى يستعملان بمعنى فعل فيعديان تعديته، ويجوز أن يكون بمعنى ورد ظلماً ، تقول : جئت المكان ، ويجوز أن يحذف الجار ، أي : جاءوا بظلم وزور ، وظلمهم أن جعلوا أفصح العرب يتلقى من الرومي وقد أتاهم بكتاب أعجز العالم بفصاحته ، والزور: نسبتهم إياه إلى الافتراء الذي هو بريء منه.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أحاديث سطرها المتقدمون، كأحاديث رستم واسفنديار[٢]، جمع أسطورة ، كأحدوثة . ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي: استدعى كتابتها لنفسه، وقرئ (اكْتُتِبَهَا) على البناء للمفعول[٣] أي : كتبها له كاتب ؛ لأنه كان أميًّا لا يكتب ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي : تلقى عليه ليحفظها ؛ لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب .

وعن الحسن أنه قول الله – سبحانه– يكذبهم ، وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة على الاستفهام في معنى الإنكار[٤] كقول الشاعر [من المنسرح] :

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٨٢).

(٢) من ملوك الفرس.

(٣) قرأ بالبناء للمجهول طلحة بن مصرف.

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٨٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٤٣) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٦١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٤) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٧) .

(٤) قاله الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٦٤).

أَفْـــــرَحُ أنْ أُرْزَأَ الكِـــــرامَ وأنْ أُرْزَقَ ذَوْدًا شَصائِـــــصًا نَــــبَلا[١]

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ ﴾

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم كل سرٍّ خفي فيهما، ومنه كيدهم برسول الله ﷺ وتمحلهم للطعن في الدين.

فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ هذا المعنى ؟ قلت : من عادته - سبحانه وتعالى- أن يقرن الوعد بالوعيد أو : غفور رحيم لم يعاجل بالعقوبة على ما صنعتموه ، لكنه أمهل وما أهمل .

﴿مَالِ هَٰذَا﴾ وقع في المصحف فصل اللام عن الهاء ، والأصل وصلها ، وخط المصحف سنة لا تغير. وقولهم " ما هذا ": فيه تحقير واستهانة بجانب النبوة ومثله قوله - تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [٢] وتسميته بالرسول سخرية منهم، ومنه قول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [٣].

و﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن ذلك، ثم نزلوا فقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ (١٤٦/ ب).

قوله - عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وضع للظاهر موضع المضمر والنصب في " فَيَكُونَ " جواب ﴿لَوْلَآ﴾ التي للتحضيض. القائلون كفار قريش؛ النضر بن الحارث وعبد

---

(١) البيت لحضرمي بن عامر يخاطب جزء بن سنان حين اتهمه بسروره بأخذ دية أخيه المقتول .
ينظر في : تاج العروس للزبيدي (شصص) ، تهذيب اللغة للأزهري (١١ / ٢٦٣) ، جمهرة اللغة (ص : ٣٧٩) ، العين المنسوب للخليل (٨ / ٣٢٩)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٤) ، لسان العرب (شصص) ، مقاييس اللغة (٥ / ٣٨٣) ويروى " أورث " بدل " أرزق". أي : أأفرح أن أعطى قطيعا من الإبل بعد موتهم ، **والذود** : ما بين الثلاثة إلى العشرة وعبر بها عن الدية استقلالا وتحقيرا لها ، **والشصائص**: جمع شصوص وهي الناقة قليلة اللبن ، **والنبل** : جمع النبيل وهو الصغير من الإبل.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٦).

(٣) سورة الشعراء، الآية (٢٧).

الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم. ﴿مَّسْحُورًا﴾ سُحِرَ فَغُلِبَ على عقله، أو ذا سَحَر وهو الرئة، عنوا أنه بشر لا ملك.

﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال ﴿فَضَلُّوا﴾ عن طريق الحق فلا يجدون طريقا إلى سلوكه. جاء بكل بركة ﴿الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا﴾ وقرئ (ويجعلُ) بالرفع عطفاً على ﴿جَعَلَ﴾ لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع[1] وقرئ بالنصب[2] على أنه جواب الشرط بالواو.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ أي: أتوا بما هو أشد من ذلك كله وهو تكذيبهم بالبعث ﴿سَعِيرًا﴾ النار الشديدة الاستعار. وقيل: هو اسم من أسماء جهنم. ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ من قولك: دورهم تتراءى أي: تتقابل، ومنه قوله ﷺ: "لا تَراءَى ناراهُما" [3].

كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز، والمعنى: إذا قربت منهم سمعوا صوت غليانها، وشبهه بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد: إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضباً. والكرب مع الضيق كما أن الفرج مع السعة، ولهذا قال ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ ووصف الله الجنة

---

(١) **ينظر**: الإنصاف لابن الأنباري (٢ / ٦٢٨)، شرح ابن عقيل للألفية (٤ / ٣٥)، المغني لابن هشام (١/ ٥٠٥).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة عن عاصم (ويجعلُ) وقرأ الباقون (ويجعلْ). وقرأ عبد الله بن موسى وطلحة بن سليمان (ويجعلَ).

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٨٤)، حجة ابن خالويه (ص:٢٦٤) ، حجة أبي زرعة (ص:٥٠٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٤٤)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٦)، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٦٣) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٣).

(٣) رواه أبو داود في سننه رقم (٢٦٤٥)، والترمذي رقم (١٦٠٤) عن جرير بن عبد الله قال: "بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود فأسرع فيهم القتل ، قال : فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل وقال : أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا : يا رسول الله لم ؟ قال: لا تراءى ناراهما ". وقال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢٣٠٤): صحيح دون جملة العقل.

بأن عرضها السماوات والأرض. جمع الله للكفار ضيق محلهم حتى قيل: إنه يزج الكافر في جهنم كما يزج الوتد في الحائط، وهم مغلون في أعناقهم وفي أرجلهم الأصفاد، وهي القيود وقد قرنت أيديهم مع أعناقهم. وقيل: قرن كل إنسان مع شيطانه في الدنيا بالسلاسل.

الثُّبور: الهلاك، ودعاء الثبور أن يقال: واثبوراه، أي: تعال يا ثبور، فهذا حينك وزمانك. ﴿لَّا تَدْعُوا﴾ أي: يقال لهم ذلك، أو هم أحقاء بأن يدعوا الويل والثبور وإن لم يكن ثم قول، ومعنى ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي: ليس ثبوركم ثبورا واحداً، بل هو متعدد إما لتعدد أسبابه، أو لتعدد أنواع العذاب، أو لأنه كلما بدلوا جلودا غير الأول تضاعفت عقوبتهم، وكثر ثبورهم والضمير الرابط في قوله: ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ محذوف، أي: وُعِدَها.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾

قوله: ﴿جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ذكر المصير في الجنة (١٤٧/أ) ولم يذكره في النار؛ لأن السرور التام إنما يحصل لموافقة المسكن الغرض وسلامته من الغثاثة، فذكره من جزاء الخير وعداً من الله، حقه أن يسأل، وقد سألته الملائكة والصالحون من الإنس، قالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾[1] وقال الصالحون: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[2] وقرئ (يَحْشِرُهُمْ) بكسر الشين، و(نَحْشُرُهُمْ) و (نَقُولُ) بنونين[3]. وجائز ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يريد: المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير[4]. وعن الكلبي: يُنطِق

---

(١) سورة غافر، الآية (٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٩٤).

(٣) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب (يحشرهم) وقرأ الباقون (نحشرهم). وقرأ ابن عامر (فنقول) وقرأ الباقون (فيقول). تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٨٧)، حجة ابن خالويه (ص: ٢٦٥)، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٤٦)، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٦٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٨)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٣٣).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٨٩) عن مجاهد.

الله الأصنام ويسألها[١]. ويجوز أن يعم الجميع، وإذا اجتمع ما يعقل وما لا يعقل غلب العاقل ، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ وذكر الفاعل لأنه ليس الإنكار على الفعل فإن عبادة الأصنام قد وقعت ، وإنما السؤال عن فاعلها فيبهت وتنقطع حجته فيبادرون إلى الإنكار ، ويقولون : بل أنت يا ربنا متعتهم بالأموال والبنين حتى نسوا الذكر وهلكوا بسبب ذلك . والبوار: الهلاك، والبور: الهالكون ، فإذا تبرأت الملائكة وصلحاء الإنس والجن عن ذلك بهت الكفار وقالوا: أنت الذي أنعمت عليهم فبطروا وجعلوا بدل الشكر كفرانا .

وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تعجب منهم مما قيل لهم. وقرأ أبو جعفر المدني ﴿أَن نُّتَّخَذَ﴾ بضم النون وفتح التاء والخاء[٢] ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ ذكر الله والإيمان به، أو القرآن.

﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾﴾

وقرئ (بِمَا يَقُولُونَ) بالياء والتاء ، و(فما يَسْتَطِيعُونَ) بالتاء والياء[٣] صرف العذاب عنكم ولا تخليصًا . الجملة الواقعة بعد إلا محذوفة وهي في موضع مفعول ، والتقدير: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا إنهم ؛ كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾[٤] أي : وما منا أحد .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٦٨)

(٢) قرأ بها أبو جعفر وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء والحسن ، وقرأ الباقون " نَتَّخِذَ " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٨٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٤٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧٠)، المحتسب لابن جني (٢/ ١١٩) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٦٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٣).

(٣) قرأ حفص عن عاصم (تستطيعون)، وقرأ الباقون (يستطيعون). **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٩٠)، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٤٨)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧١) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٤).

(٤) سورة الصافات، الآية (١٦٤).

وقرئ: (يُمَشُّونَ فِي الأسواق) [١] أي: تمشيهم حوائجهم، أو يمشيهم الناس. وقيل: هذا ردٌّ على من قال: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾.

﴿فِتْنَةً﴾ محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله ﷺ على ما قالوه. الرجاء يكون بمعنى الخوف، كقول الشاعر في رجلٍ يجني العسل فتلسعه زنابير العسل [من الطويل]:

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها[٢]

أي: لم يخف، ويراد به رجاء الخير (١٤٧/ ب) كقوله - تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [٣] ويجوز أن يراد الأمران: أمل الخير وخوف الشر.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيخبرونا بصدقك يا محمد ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ عياناً فيخبرنا بصدقك، وسواء كانوا عالمين بأن الله لا يبعث الملائكة إلا لقضاء الأمر ونزول عذاب أو لا يعلمون ذلك فهم على كل حالٍ يسعون في إبطال الرسالة.

ومعنى قوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أنهم أنكروا الرسالة، ومنعهم كفرهم واستكبارهم من طاعة النبي، كما قال: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [٤] ﴿وَعَتَوْ﴾ تجاوزوا الحد في الظلم، وهذه الجملة وهي قوله: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فيها تعجيب من حالهم بغير صيغة التعجب، كأنه قال: ما أشد استكبارهم.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ ظرف، العامل فيه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ وقيل: العامل فيه ما دلَّ عليه ﴿لَا

---

(١) هذه قراءة علي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود. وقراءة الجمهور " يَمْشُونَ ".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٩٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٤٩)، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٩٨)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٨٧)، المحتسب لابن جني (٢ / ١٢٠).

(٢) تقدم تخريجه في سورة يونس، الآية (٧).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٥٧).

(٤) سورة غافر، الآية (٥٦).

﴿بُشْرَىٰ﴾ كأنه قال : يوم يرون الملائكة يضعون أو يعدمون البشرى . ويجوز أن ينتصب قوله : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ بقوله «اذكر» فيكون مفعولاً به لا ظرفاً .

وقوله: ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ يريد: لا بشرى لهم ، أو لا بشرى لأحدٍ من المجرمين . ويدخل في هؤلاء ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا﴾ وقال سيبويه(١): حجر من المصادر المتروك إظهار عاملها قال الراجز:

قالتْ وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بربي منكُمُ وحُجْرُ(٢)

وأصل الحجر: المنع، ووصفه بكونه محجوراً مبالغة في المنع ، كما قالوا : ذيل ذايل ، ومعناه : حرام محرم عليكم المغفرة والجنة ، تقوله الملائكة عند الموت ، أو يوم القيامة ولا بشرى لهم يومئذ .

وقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ أي: قصدنا، والهباء: ما يظهر من الكوة مع ضوء الشمس، وصفه بكونه ﴿مَّنثُورًا﴾ تحقيراً له، ونحوه ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾(٣) لم يكتف بتشبيههم بالعصف حتى جعله مأكولاً، ولا بأعمالهم بالهباء حتى جعله منثوراً، وأصل همزة هباء واو، لقولهم: الهبوة.

روي أنه يفرغ من الحساب في مقدار نصف يوم فلا يجيء وقت القيلولة إلا وقد فرغ منه ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ فيه إشارة إلى ما اشتمل عليه مقيل أهل الجنة من المحاسن التي يقصر الوصف عنها.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

وقرئ (تَشَّقَّقُ) (٤) وأصله: تتشقق، فحذف بعضهم التاء وبعضهم أدغمها ولما كان

---

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه (١ / ١٦٣).

(٢) ينظر بلا نسبة في: تاج العروس للزبيدي (عوذ)، تهذيب اللغة للأزهري (٣ / ١٤٧)، ديوان الأدب (١ / ١٥٢)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٤)، لسان العرب (عوذ) ، المخصص لابن سيده (١٢ / ٢٩٩) والحيدة : الصدود ، وذعر: فزع ، والعوذ: التعوذ ، وحجر: امتناع وتحصن.

(٣) سورة الفيل، الآية (٥).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (تشَّقَّقُ) وقرأ الباقون (تَشَقَّقُ). =

انشقاق السماء بسبب نزول الملائكة جعل الغمام كأنه الذي (١٤٨/أ) شقها، ونظيره قوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾[١] والمعنى: أن السماء تتفتح بغمام يخرج منها، وفي الغمام الملائكة معهم صحف أعمال العباد. وقيل: هو غمام أبيض رقيق كالضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في التيه. ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت في أن كل ملك غير مُلكِ الله، فإن مفهوم قوله: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ أنه يسير على المؤمنين، ومثله: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[٢].

عض اليدين كناية عن شدة الغضب. وقيل: إن عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة رسول الله ﷺ. وقيل: صنع ضيافة فدعا رسول الله ﷺ أن يأكل منها فأبى حتى ينطق عقبة بالشهادتين، فتلفظ بهما فعتب على ذلك فقال: استحييت منه حيث لم يأكل من طعامي فأجبته، وكان أبيُّ بنُ خلف صديقه فقال له: وجهي من وجهك حرام إن لم تأت محمداً فلم تطأ قفاه، ولم تبصق في وجهه، فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله ﷺ: «لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوتُ رأسَك بالسيفِ» وقدم ليقتل يوم بدر فقال: يا محمد لمن الصبية؟ وطعن رسول الله ﷺ أبيا بأحد فرجع إلى مكة ومات"[٣].

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

واللام في ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ يراد به المعهود، وهو عقبة، أو للجنس. تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريق الحق. فلان: كناية عن اسمه العلم، فإن أريد بـ ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ عقبة كان كناية عن اسمه، وإن أريد به الجنس فكل واحد منهم اسم علم، ففلان كناية عن ذلك الاسم.

= تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٩٤)، الحجة لابن خالويه (ص:٢٦٥)، حجة أبي زرعة (ص:٥١٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٥١)، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٦٤)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧٥)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٤).

(١) سورة المزمل، الآية (١٨).

(٢) سورة القمر، الآية (٨).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٥٠) ونسبه لأبي نعيم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

﴿عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق و﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ إشارة إلى خليله أو إلى إبليس، أو الجنس، أو كل من تشيطن من الجن والإنس، وهذا الكلام من كلام الظالم أو كلام مستأنف.

﴿ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ وقومه قريش حكى شكاية رسول الله ﷺ من قومه وكان الأنبياء إذا التجأوا إلى الله فيمن ظلمهم عذبوا ولم يمهلوا، ثم سلاّه فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ (١) أي: قبلك أعداء ﴿مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

﴿مَهۡجُورٗا﴾ أعرضوا عنه وهجروه. وقيل: الهجر هو (١٤٨/ ب) الكلام القبيح. جعل القرآن محلاً للتكذيب، أي: مهجوراً فيه؛ كقوله: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ (٢) وقيل: قالوا: إنه أساطير الأولين ومفترى. والعدو: يجوز أن يكون واحداً وجمعاً ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾(٣) ﴿نُزِّلَ﴾ هاهنا بمعنى أنزل، قالوا: لِمَ نزل متفرقا، ولم ينزل جملة كالتوراة والإنجيل والزبور؟ والقائلون قريش. وقيل: اليهود. أي: كذلك أنزل مفرقاً لتحفظه وتقرأه على الناس على مكثٍ، وكان رسول الله ﷺ أميًا لا يحسن الكتابة، ولو كان كاتباً لارتاب به المبطلون، وكان ينزل بحسب الحوادث، وبعضُه ينسخ بعضًا. وذلك لا يتأتى إلا فيما نزل مفرقا، ومعنى نزوله سورة بعد سورة وآية بعد آية.

وقيل: أُمِرنا بترتيله إذا قرئ، والترتيل مأخوذ من ترتيل الأسنان، وهو تفليجها، يقال: ثغر رتل، ويفسر بنور الأقحوان في تفليجه.

﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ٣٥ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ٣٦ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧﴾

﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ﴾ بسؤالٍ عجيبٍ من سؤالاتهم الباطلة التي كأنها مثل في البطلان، ووصفُ السبيل بالضلال من الإسناد المجازي، فإن الضالَّ سالكه. الوزارة لا تنافي النبوة؛ فقد كان

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

(٢) سورة فصلت، الآية (٢٦).

(٣) سورة الشعراء، الآية (٧٧).

يبعث في الزَّمن الواحد أنبياء ، ويؤمرون أن يؤازر بعضهم بعضاً ، والمعنـى : فذهبا إليهم فكذبوهما .

﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ كقوله: ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾[(١)] ﴿لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ إما لأن كلَّ من كذَّب نبيًّا فهو كمن كذَّب الأنبياء كلهم، أو كانوا كالبراهمة[(٢)] لا يعتقدون جواز بعثة نبيٍّ.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قِصَّتهم. ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ لقوم نوحٍ، أو للعموم ، وعطف (عاداً) على (هم) في قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أو على (الظالمين) لأن المعنى: ووعدنا الظالمين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠) وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)﴾

---

(١) سورة الشعراء، الآية (٦٣).

(٢) **البراهمة**: قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ويقولون: إنهم من ولد برهمي. ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات. وعمدة احتجاجهم في دفعها أن قالوا: لما صح أن الله – عز وجل- حكيم وكان من بعث رسولا إلى من يدري أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث فوجب نفي بعث الرسل عن الله – عز وجل- لنفي العبث والعنت عنه وقالوا أيضا: إن كان الله – تعالى- إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان فقد كان أولى به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به قالوا: فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضا ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع ". وقد رد العلامة ابن حزم في كتابه الفصل في الملل على هذه الحجج الواهية لهم وأورد قول الحق لأهل السنة والجماعة الذين يرون أن الإيمان بالرسل أحد أصول الإيمان التي لا يصح ولا يقبل إلا بالإيمان بها جميعا. **وينظر** عنهم وعن عقائدهم الباطلة: تلبيس إبليس لابن الجوزي (١ / ٨٧) ط. دار الكتاب العربي – بيروت – ١٩٨٥م – تحقيق: د. السيد الجميلي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ٦٣) ط. مكتبة الخانجي – القاهرة، الملل والنحل للشهرستاني (٢ / ٢٤٩).

وقرئ (وثَمُودَ) بغير تنوين[١] بتأويل القبيلة، وأمَّا صرفه فعلى تأويل الحيِّ أو الأب الأكبر.

قيل في « أَصْحَابَ الرَّس» إنهم قوم من عبدة الأوثان، أصحاب آبار ومواشٍ. وقيل: هم بقية من قوم شعيب. وقيل: هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان[٢]، وكان عندهم العنقاء، سميت به لطول عنقها، وكانت تنقضُّ على أولادهم فتأخذهم لتهلكهم، فدعا عليها حنظلة فهلكت وانهارت بهم البئر. وقيل: رسُّوه في البئر، أي: دفنوه فيها. وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرسُّ هو الأخدود (١٤٩/أ) وقيل: الرس بأنطاكية، قتلوا فيها حبيبًا النجَّار[٣].

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين أولئك المذكورين. ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بينا له القصص العجيبة. والتَّتْبير: التكسير والتفتيت، ومنه التِّبْر، وهو كسار الذهب والفضة، و﴿وَكُلًّا﴾ الأول منصوب بما دل عليه ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ وهو أنذرنا أو حذرنا أو منصوب بـ« تَبَّرْنَا » لأن الفعل مفرَّغ له. أراد بـ ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ سدوم، وهي إحدى قرى قوم لوط، وكانت خمساً، أهلك الله أربعاً بأهلها وبقيت واحدة.

قوله - تعالى: ﴿أُمْطِرَتْ﴾ إمَّا القرية وإمَّا أهلها، ولذلك جاء ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم ﴾[٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾[٥] وكانت قريش كثيراً ما تمرُّ على تلك الآثار. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ في مِرَارِ مرورهم، بلى مرُّوا ونظروا ولكن كانوا لا يؤمنون بالبعث فلم ينفعهم نظر العين. ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يؤملون خيرًا، ولا يخافون عاقبة.

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: مهزوءاً به، أو محلاً للهزء، أو نفس الهزء مبالغة. وقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى﴾ استصغار، وقولهم: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا ﴾ إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة، وفي الكلام دليل على مبالغة رسول الله ﷺ في دعائهم حتى كادوا

---

(١) قرأ حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب (وثمودَ)، وقرأ الباقون (وثمودًا). تنظر في: إتحاف فضلاء البشر للبنا (١ / ٣٢٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ١١١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٠)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٨٩ - ٢٩٠).

(٢) قال العيني في عمدة القاري (١٧ / ٧٢): " من الأنبياء في الفترة حنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرس قال ابن عباس: كان من ولد إسماعيل عليه السلام وكان في فترة ".

(٣) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٨٠).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٨٤).

(٥) سورة هود، الآية (٨٢).

أن يطيعوه مع شدَّة شكيمتهم في الكفر.

﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا﴾ ثبتنا على ديننا. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لابد لهم من العقوبة على كفرهم. وقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب عن قولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿أَفَأَنتَ﴾ تجبر هذا الكافر على الإسلام، وهو مطبوع على قلبه؟ كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[(١)] ﴿أَمْ﴾ هذه منقطعة، أي: هذه المذمَّةُ أشد مما قبلها، وقدم المفعول الثاني وهو ﴿إِلَٰهَهُۥ﴾ للعناية. وقوله: ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ ولم يقل: كلهم؛ لأنه كان فيهم من لا يرده عن الدخول في الإسلام إلا الكبر، وجعلوا أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام تنقاد لأربابها وتجتنب ما يضرها بخلاف هؤلاء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صنيع ربك؟ وجعل الظل يمتد وينبسط لينتفع الناس به. ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ في أصل كل مظللٍ من جبلٍ أو شجرٍ أو غيرهما، والظِّلُّ تتصرف الشمس فيه بالزيادة والنقصان.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ الظل (١٤٩/ ب) بالتقلص يسيراً يسيراً حتى صار في مكانه ضوء الشمس. ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: كاللباس الذي يغشى الجسد، و(السَّبت) القطع، يقال: سبت رأسه إذا حلقها، وسمي يوم السبت؛ لأن الله - تعالى- فرغ من المخلوقات في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة ولم يخلق شيئاً يوم السبت، وجعل القيام من النوم كالقيام من القبور. ﴿نُشُورًا﴾ إحياء، و(نشرا) جمع نشور، وهي المحيية للأرض بعد موتها ويبسها. قوله - عز وجل: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: بين يدي المطر. ﴿طَهُورًا﴾ بليغاً في طهارته. وقيل: هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره. قوله: ﴿بَلْدَةً﴾ وإن كان مؤنثاً لفظاً فهو أيضاً بلد مذكر، ولهذا قال: ﴿مَّيْتًا﴾ ولم يقل: ميتة.

---

(١) سورة ق، الآية (٤٥).

وقرئ (وَنَسْقِيَه) بفتح النون[١] وسقى وأسقى بمعنى. وقيل: سقاه أعطاه ماءً ليشربه ، وأسقاه: جعل له سقياً لأرضه ودوابّه ، قال الله - تعالى : ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾[٢] (الأناسي) أصلها أناسين وقوم من العرب يقلبون النون ياءً ، ويحذفونها تخفيفاً فيقولون : أناسي وأناسيُّ بالتشديد والتخفيف.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ يعني: القرآن في الكتب المنزلة كلها. ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ فقالوا: مطرنا بنوء كذا ونوء كذا، وعن ابن عباسٍ: « ما من عامٍ أقل مطراً من عامٍ ولا أكثر، ولكن الله – تعالى- قسم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلا هذه الآية »[٣]. فإن قلت: هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء ؟

قلت: إن كان لا يراها إلا من الأنواء، ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله – تعالى- فهو كافر، وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها – لم يكفر.

﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لخففنا عنك أعباء الرسالة فبعثنا ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ لكنا عظمناك وجعلناك رسولاً إلى الجميع فقابل ذلك بالتشدد ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يقترحون عليك ﴿وَجَاهِدْهُم﴾ بالقرآن وبحججه وجعل الجهاد به كبيرا؛ لما يتحمل فيه من المشقة الشديدة. سُمّي كلُّ واحدٍ من الماءين الكثيرين بحراً، والفرات: الشديد الحلاوة، والأجاج:

---

(١) قرأ بها أبو عمرو وعاصم في رواية عنهما ، وقراءة الباقين " ونُسقيَهُ " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥٠٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٥٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٥) ، مجمع البيان للطبرسي (٧ / ١٧١).

(٢) سورة الحجر، الآية (٢٢).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٦٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦٤) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس – رضي الله عنهما.

الشديد المرارة، ومرجهما (١٥١/أ) خلاَّهما متجاورين، وبينهما حاجز من قدرة الله - تعالى- يمنعهما التمازجَ والاختلاطَ.

﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ هي الكلمة التي قالتها الملائكة لمن وقع في شدة لا يجد منها مخلصاً والمعنى: كأن كلَّ واحدٍ من البحرين يتعوَّذ من صاحبه أن يبغي عليه، ومنه قوله - تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (١) أراد قسمة البشر قسمين: ذكوراً وإناثاً من نطفة واحدة، وهو كقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ (٢). الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون، والمعنى: أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة. قيل: نزلت في أبي جهل (٣).

ويجوز أن يراد بالظهير الجمع، كما جاز في الصديق والعدو، ومنه قوله - عز وجل: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (٤) أي: ظهراء، ويجوز أن يراد بالظهير ما خلف خَلْفَ الظهر فلم يُعْبأْ به؛ كقوله: ﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (٥) مثال قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ﴾.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

والمراد فعل من شاء أن يتخذ، واستثنى به عن الأجر قولُ ذي شفقةٍ عليك قد سعى لك في تحصيلِ مالٍ: ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه، فيجعل حفظه ثواباً وليس بثواب، ولكنه صوَّره بصورة الثواب، فأفاد ذلك أمرين:

أحدهما: أنه قد أنهى السعي في حفظ المال نهايته.

والثاني: سرورهم ببقائه لك، حتى جعله كأنه حاصل له ثواباً. وقيل: المراد النفقة في

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٢٠).

(٢) سورة النجم.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩ / ٢٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٦٧) ونسبه لابن مردويه عن ابن عباس، ولابن أبي حاتم عن الشعبي، ولابن المنذر عن عطية.

(٤) سورة التحريم، الآية (٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٧٧).

سبيل الله. أمره بأن يتوكل على الله ويثق به، وعرَّفه بأن الحيَّ الذي لا يموت حقيق بأن نتوكل عليه وحده، فإنه إذا مات من يتوكل عليه فاتت مقاصد التوكل. ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ مطلعاً على أعمالهم وأقوالهم. ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مقدار ستة أيام.

وقيل: ستة أيام من أيام الآخرة ، وكل يومٍ ألف سنةٍ ، والأول أظهر . وعن مجاهدٍ: أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة[1] . ووجهه أن يسمي الله – تعالى- لملائكته تلك الأيام المقدَّرة بهذه الأسماء، فلما خلق الشمس وأدارها جرت التسمية على هذه الأيام.

وعن سعيد بن جبير: خلقها في ستة أيام مع قدرته على خلقها في لحظة، ليعلِّم عباده التثبت. وقيل: اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيداً للمسلمين[2] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبره، أو هو صفة لـ ﴿ٱلْحَيِّ﴾ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر (١٥١/ ب) مبتدأ محذوف، أو بدل عن المستتر في ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

وقرئ (الرَّحْمَنِ) بالجر[3] صفة لـ ﴿ٱلْحَيِّ﴾. الباء في ﴿بِهِۦ﴾ كقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[4] وقد تكون (عن) صلته في نحو قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[5].

وقيل: تقديره: فاسأل عنه رجلاً يخبرك بصفاته، أو فاسأل بسؤاله خبيراً؛ كقولك: رأيت به أسداً، أو حالاً عن الهاء، يريد فاسأل عنه عالماً بكل شيء، و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ اسم من أسماء الله – تعالى- وهو مذكور في الكتب القديمة والصحف المنزلة، أي: فاسأل عن هذا الاسم من أهل الكتاب يخبروك بأنه موجود في كتبهم، ولم يتسمَّ بهذا الاسم أحد، وكانوا يقولون لمسيلمة: رحمان اليمامة. وقيل: كانوا ينكرون إطلاق اسم الرحمن على الله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾

---

(١) ذكره النسفي في تفسيره (٣ / ١٧٤).

(٢) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٨٨) ، وذكر قول ابن جبير العيني في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (٢٥ / ١٤٤).

(٣) قرأ بها زيد بن علي ، على أنه نعت للحي ، أو الموصول . وقراءة الجمهور (الرحمنُ).

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦/٥٠٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٩).

(٤) سورة المعارج ، الآية (١).

(٥) سورة التكاثر ، الآية (٨).

﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ للذي تأمرناه ؛ كقوله [من البسيط]:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ[(١)]

وقرئ (يَأْمُرُنَا) بالياء[(٢)] أي: لما يأمرنا محمد ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذكر اسم الرحمن ﴿نُفُورًا﴾ البروج: منازل الكواكب السيارة ، مأخوذ من التبرج وهو الظهور ؛ كقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾[(٣)] وسميت بروجاً ، مأخوذ من تسمية القصور بروجاً ؛ كقوله : ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[(٤)] لأنها منازل للكواكب ، كالقصور للإنس والجن .

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

وقرئ (سُرُجاً) وهي الشمس والكواكب الكبار معها. ومن قرأ ﴿سِرَٰجًا﴾[(٥)] أراد به الشمس، وقرأ الأعمش والحسين (وَقُمْرا)[(٦)] وهو جمع ليلة قمراء، كأنه: وذا قُمْرٍ منيراً ؛ لأن الليالي تكون قُمْراً به فأضافها إليه ، ومثله قول حسان [من الكامل] :

بَرْدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ[(٧)]

---

(١) تقدم تخريجه في سورة النحل، الآية (٥٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي (يأمرنا) ، وقرأ الباقون (تأمرنا) .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥٠٩) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٦٦) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥١١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٩) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٤).

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٣٣).

(٤) سورة النساء ، الآية (٧٨).

(٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف (سُرُجا) ، وقرأ الباقون (سراجا) .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥١١) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٦٦) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥١٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٦٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٠) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٤).

(٦) **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥٠٩) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٦٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦١) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٨٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٠).

(٧) هذا عجز بيت لحسان يذكر أيام ملوك الشام الغسانيين ، وصدره :

يُسْقَوْنَ مِنْ وِرْدِ البَرِيصِ عَلَيْهِمُ .... =

أي: ماء بردى ولا يبعد أن يكون القُمْرُ لغة في القَمَر، كالرُّشْدِ والرَّشَدِ، والعُرْب والعَرَب. الخلفة: من خلف، كالرِّكبة من ركب، أعني: الحال التي هو عليها، أي: جعلهما ذوي خلفة، يذهب هذا ويأتي هذا. وقيل: يخلفه: يقوم مقامه في أداء الوظائف من فاته ورده بالليل قضاه بالنهار، أو بالنهار قضاه بالليل. ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ لأنه إذا رأى حركتهما علم أن لهما محركاً قادراً عالماً بالمصالح وشكر الله - تعالى- على النعمة بهما.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ خبره آخر السورة، وهو ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ ويجوز أن يكون خبره ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وأضافهم إلى ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ تخصيصاً وتفضيلاً.

وقرئ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾[1] ﴿هَوْنًا﴾ أي: يمشون مشياً ليِّناً، إلا أن في وضع المصدر (١٥٢/أ) موضع الصفة مبالغةً، والهون: الرفق واللين، وفي الحديث: " أحببْ حبيبَكَ هونًا ما عَسى أن يكونَ بغيضَكَ يومًا ما "[2]. وقوله: " المُؤمنونَ هيِّنونَ ليِّنونَ "[3].

= **ينظر في:** تاج العروس للزبيدي (صفق)، خزانة الأدب للبغدادي (٤ / ٣٨١)، ديوان حسان (ص:١٢٢)، شرح المفصل لابن يعيش (٦ / ٢٥)، لسان العرب (برد)، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ٤٢٩) **والبريص**: اسم واد، وبردى: علم لنهر بدمشق، أو جبل بالحجاز، أو بحر، **ويصفق:** يمتزج. **والرحيق:** الصافي، **والسلسل**: السهل المساغ. والمعنى: أن كل من ورد عليهم البريص يسقونه ماء بردى ممتزجا بالرحيق الصافي.

(١) قرأ بها اليماني. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥١٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٢)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩١).

(٢) رواه الترمذي رقم (١٩٩٧)، والخطيب البغدادي في تاريخه (١١ / ٤٢٧) وابن حبان في المجروحين (١ / ٣٥١) عن أبي هريرة ﷺ.
قال الترمذي: غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه وقد رواه الحسن بن أبي جعفر بإسناده عن علي عن النبي ﷺ وهو ضعيف أيضا والصحيح أن هذا عن علي موقوفاً. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٨).

(٣) رواه القضاعي في مسند الشهاب (ص:١٣٩)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ٢٧٩)، من حديث عبد الله بن عمر، ورواه القضاعي في مسند الشهاب (ص: ١٤٠)، وابن المبارك في كتاب الزهد (ص:٣٨٧)، عن مكحول مرسلا. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٣٦).

وفي المثل: " إذا عز أخوكَ فَهُنْ "(١)، أي: إذا عسَّر فيسِّر، أي: يمشون بسكينة ووقار وتواضع. وكره بعض العلماء الركوب في الأسواق؛ لقوله: ﴿وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (٢) ﴿سَلَٰمًا﴾ أي: لا نستعمل الجهل معكم فيسلمون بذلك عن الإثم والجهل والسفه، قال عمرو بن كلثوم [من الوافر]:

ألا لا يَجْهلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا(٣)

وعن أبي العالية: نسختها آية القتال ، ولا حاجة إلى ذلك ، لأن الأمر بحسن الخلق ومقابلة الغليظ من القول باللين محمود في الشرع والعقل والمروءة ، وأبعد عن الوقوع في الحرج(٤). يقال: بات فلان عند فلان إذا أدركه الليل عنده نِمْتَ أَولم تنم . قالوا: من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قلَّ باتَ ساجداً أو قائما. وقيل: هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء(٥) ، والظاهر أنه أراد وصفهم بإحياء الليل أو أكثره ، يقال : فلان يظل صائماً ويبيت قائماً(٦).

﴿غَرَامًا﴾ هلاكاً مُلِحّاً لازماً، ومنه الغريم لإلحاحه. وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين وهم مع ذلك خائفون من الله يبتهلون إليه بصرف العذاب عنهم.

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ ﴿سَآءَتْ﴾ مثل يئست، وفيها ضمير مبهم يفسره ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ والمخصوص بالذم محذوف، تقديره:جهنم، ويجوز أن تكون ﴿ سَآءَتْ ﴾ بمعنى أحزنت، وفيها ضمير اسم إنَّ و﴿مُسْتَقَرًّا﴾ حال أو تمييز، والتعليلان

---

(١) ينظر المثل في: تهذيب الأسماء للنووي (٣ / ٢٠٤) ، لسان العرب (عز) ونقلا عن ثعلب في كتابه الفصيح أن معناه : إذا تعظم أخوك شامخا عليك فالتزم له الهوان ، قال أبو إسحاق : هذا خطأ من ثعلب إنما هو فهِن بكسر الهاء معناه : إذا اشتد فهن من هان يهين إذا صار هينًا لينًا فإن العرب لا تأمر بالهوان لأنهم أعزة أباة للضيم .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٢٠) ويروى هذا القول عن الإمام أحمد بن حنبل ، ذكره أبو نعيم في ترجمة الإمام أحمد في حلية الأولياء (٩ / ١٨٤) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٢ / ٣٤٨).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء، الآية (١٧).

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٩١).

(٥) هذا قول الفراء في معاني القرآن (٢ / ٢٧٧).

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٩٢).

يصحُ أن يكونا متداخلين أو مترادفين، وأن يكونا من كلام الله – تعالى- حكاية لقولهم.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿يَقْتِرُواْ﴾ بكسر التاء وضمها و﴿يُقَتِّرُواْ﴾ بتخفيف التاء وتشديدها[١]، وهي نقيض الإسراف الذي معناه مجاوزة الحدّ في الإنفاق، وهو كقوله – تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾[٢] وقيل: الإسراف إنما هو في المعاصي، فأما في القرب فلا إسراف. وقال قائل: لا خيرَ في السرَفِ، فقيل له: لا سَرَفَ في الخير. وقيل: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة (١٥٢/ ب) ولا يلبسون ثوباً للجمال والزِّينة، ولقد كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم، ويعينهم على عبادة ربهم ، ويلبسون ما يستر عوراتهم، ويُكِنهُمْ من الحرِّ والقُرّ.

وقال عمر ﷺ: «كفى سرفا ألا يشتهي الرجل شيئا إلا اشتراه وأكله»[٣].

والقوام: العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين وقرئ (قِواماً) بالكسر[٤]، وهو ما يقام به الشيء ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ يجوز أن يكونا خبرين لكان، وأن يجعل « بين ذلك » لغوا ،

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (يُقْتِروا) ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (يَقْتِروا) ، وقرأ باقي العشرة (يَقْتُروا)، وقرأ العلاء بن سيابة واليزيدي (يُقَتِّروا) . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥١٤) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٦٦) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥١٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٦٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٢) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٧١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٤).

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٢٩).

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢ / ٤٦٧) ونسبه لعبد الرزاق ، كما نسبه له السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٧٥) عن الحسن عن عمر ﷺ .

(٤) قرأ " قِواما " حسان بن عبد الرحمن ، وقراءة الجمهور " قَواما " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥١٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٣) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٢٥).

و«قَوَاماً» مستقرا ، وأن يكون الظرف خبراً و« قَوَاماً» حال مؤكدة ، وأجاز الزجاج[1] أن يكون ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ اسم كان، على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن ، كقول الشاعر [من البسيط] :

لم يمنعِ الشُّرْبَ مِنها غَيْرَ أنْ نَطَقَتْ حَمامةٌ....[2]

وهو حَسن من جهة الإعرابَ، ولكن المعنى ليس بقوي؛ لأنَّ ما بين الإسراف والتقتير قوام لا محالة، فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة[3].﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: حرَّم قتلها، و﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بهذا القتل المحذوف، أو بـ ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ﴾. وذكر نفي هذه القبائح بعد وصفهم بتلك المحاسن العظيمة تعريض بالكفار؛ كأنه قال: وعباد الرحمن الفاعلون للخير المبرؤون مما نسب إلى هؤلاء، و﴿يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ﴾ يدخل فيه الوأد وغيره. وقرئ (يَلْقى) بإثبات الألف[4]. والآثام: جزاء الإثم. ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: جزاء آثام. وقرأ ابن مسعود (أياما) [5] أي: شدائد. يقال: يوم ذو أيام، لليوم العصيب.

---

(١) **في الأصل:** الزجاج ، والصواب المثبت كما في الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٣) وهذه عبارته ، وكلام الفراء في معاني القرآن (٢ / ٢٧٢ - ٢٧٣) ولم أجده في معاني القرآن للزجاج ، فلعله سبق قلم من الناسخ أو وهم .

(٢) هذا صدر بيت لأبي قيس بن الأسلت يصف ناقة ، وعجزه:

.... في غصونٍ ذاتِ أوقالِ

ينظر في : الإنصاف لابن الأنباري (١ / ٢٨٧) ، الدرر اللوامع (٣ / ١٥٠) ، ديوان أبي قيس (ص : ٨٥) ، شرح أبيات سيبويه (٢ / ١٨٠) ، شرح شواهد المغني (١/ ٤٥٨) ، شرح المفصل لابن يعيش (٣ / ٨٠) ، الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٤٢٢) ، مغني اللبيب لابن هشام (١ / ١٥٩) ، همع الهوامع للسيوطي (٢ / ١٧٣) والشرب - بالكسر: النصيب من الماء، وبالضم : المصدر من شرب ، والأوقال : جمع وقل وهي الحجارة ، أو بقايا جذع الشجرة بعد تقليم بعض أغصانها . والشاهد فيه : نصب " غير " حيث أضيف إلى " أن " فبنيت ، وهذا جائز ، ويروى " غيرُ " بالضم على الفاعلية ، ولا يكون فيه شاهد حينئذ .

(٣) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٩٣).

(٤) قرأ بها ابن مسعود وأبو رجاء. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥١٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٤)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٤).

(٥) وقرأ بها أيضا الحسن البصري. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥١٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٤)، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٨٨)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٤).

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠ وَمَن تَابَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ٧١ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ
كِرَامًا ٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمًّا وَعُمۡيَانًا ٧٣ وَٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾

﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بدل من ﴿يَلۡقَ﴾ لأنهما بمعنى واحد، وقرئ (وَيُخلد) على البناء للمفعول، مخففاً ومثقلاً[1] ومعنى مضاعفة العذاب تكثيره لاختلاف موجباته من الكفر والمعاصي.

﴿يُبَدِّلُ﴾ ما كانوا عليه من التقصير بما وفقهم له من التوْبة النصوح واستدل أصحاب السوء بأصحاب الخير، واستبدال السيئات بالحسنات. ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يرجع إليه مرجعاً حسناً، وهو الذي يحب التوابين ويحب المتطهرين. ﴿لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: لا يحضرون مواضع الفسق والفجور؛ صيانة لدينهم عما يثلمه، ولذلك امتنعوا من حضور أعياد المشركين. ﴿وَإِذَا مَرُّواْ﴾ بمن يتكلم باللغو والفاحشة أعرضوا عنه وأكرموا أنفسهم أن يحضروا مثل ذلك المكان. ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا﴾ ليس للخرور وإنما هو إثبات له (١٥٣/أ) ونفي للصمم والعمى، كما تقول: لا يلقاني زيدٌ مسلمًا. هو نفيٌ للسلام لا للقّاء، والمعنى: مسارعتهم إلى الخرور ومبادرتهم إليه بآذان سامعة وقلوبٍ واعية، وقرئ (قُرَّات أَعْيُن)[2] سألوا ربهم أن يرزقهم ذرية صالحة عاملين لله وليس شيء أقرَّ لعين المسلم من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله.

وقيل: سألوا أن يُلحِق اللهُ بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم. أراد أئمة

---

(١) قرأ (يُخلَد) أبو عمرو في رواية عنه ، وغلطها الفارسي من جهة روايتها . وقرأ (ويُخلَّدُ) أبو حيوة .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥١٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥١٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٤)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٤).

(٢) قرأ بها ابن مسعود وأبو الدرداء وأبو هريرة .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥١٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٦) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٤).

فاكتفى بالواحد في قوله: ﴿إِمَامًا﴾ لدلالته على الجنس، ولعدم اللبس ؛ كقوله : ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[١] أو اجعل كل واحدٍ منا إماماً ، أو أراد جمع آم ، كصائم وصيام ، أو أراد واجعلنا إماما واحداً لاتحادنا واتفاق كلمتنا ، وفيه دليل على أن الرياسة ينبغي طلبها قيل : نزلت الآية في العشرة المبشرين بالجنة[٢].

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ يجوز أن تكون للبيان، كأنه قال: هب لنا قُرَّةَ أعين، ثم بيَّن ذلك في الذريَّة والأزواج، كقولك: رأيت منك أسداً، وأن تكون لابتداء الغاية، أي: هب لنا من جهة الأزواج والذرية، وإنما نكر القرَّة لأنها مضافة إلى النكرة، وذكر جمع القلة؛ لأن المتقين قليل بالإضافة إلى غيره؛ لقوله - تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

وقوله: ﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ اكتفى فيه بالواحد للدلالة على الجنس؛ كقوله: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[٤] ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ أي: بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر.

وقرئ ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ كقوله: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾[٥] وقرئ (يَلْقَوْن) [٦] مخففاً؛ كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾.

---

(١) سورة غافر ، الآية (٦٧).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٦٨)، والزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٩٦).

(٣) سورة سبأ ، الآية (١٣).

(٤) سورة سبأ ، الآية (٣٧).

(٥) سورة الإنسان ، الآية (١١).

(٦) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه وأبو جعفر ويعقوب (وَيُلَقَّونَ)، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم وخلف (وَيَلْقَونَ).

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥١٧)، حجة ابن خالويه (ص : ٢٦٧) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥١٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٦٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٧) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٥).

التحية: دعاء بالحياة وطول العمر، والسلام: دعاء بالسلامة.

تقول: ما عبأت به، أي: ما تحملت عنه ولا اكترثت به. لولا أنه دعانا إلى الإسلام والخير. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: إذا كنت لا أعبأ إلا بدعائكم فقد كذبتم وأبطلتم الطريق الموصّلة إلى الاكتراث بكم.

وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهةً؟ والخطاب للمؤمنين والكفار جميعاً، خوطبوا بما وجد في جنسهم من العناد والتكذيب ﴿فَسَوْفَ﴾ أي: فسوف يكون العذاب ﴿لِزَامًا﴾ أي: لازماً.

وقرئ (لَزَاماً) بالفتح[1] بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت (١٥٣/ ب).

* * *

(١) قرأ (لَزاما) بفتح اللام أبو السمال وأبان بن تغلب ، وقراءة الجمهور (لِزاما) بكسر اللام .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٥١٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٧) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ١٠٥).

سورة الشعراء [مكية ، وفيها مدني]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ (٤)﴾

بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الظاهر إعجازه والمراد به السورة أو القرآن . ﴿بَٰخِعٌ﴾ قاتل بقطع البخاع، وهو عرق مستبطن للقفا . و"لعل" للإشفاق ، يعني : أشفق على نفسك ، ولا تقتلها غمًّا بسبب تأخرهم عن الإيمان. وقرئ ﴿ بَٰخِعُ نَفْسِكَ ﴾ [(١)] .

﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ أراد آية ملجئة إلى الإيمان ؛ كنتق الجبل فوق رؤوسهم كالظلة . ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ﴾ معطوف على الجزاء ؛ لأنه لو قيل : أنزلنا . لكن صحيحاً ونظيره : ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [(٢)] كأنه قيل : أصدق . وقرئ (فتظلُّ أعناقُهم) [(٣)] .

فإن قيل : ما وجه﴿خَٰضِعِينَ﴾ بجمع السلامة والأعناق لا تعقل ؟ قلنا : الأصل فظلَّ أصحاب الأعناق كقولك : ذهبت أهل اليمامة ، كأن الأهل غير مذكور .

وقيل : إنما خصَّ الأعناق ؛ لأنها محلُّ الخضوع . وقيل : أعناق الناس رؤساؤهم ، كما قيل لهم: الرؤوس والنواصي والصدور، قال الشاعر [من البسيط] :

فِي مَحْفِلٍ مِنْ نَواصِي النَّاسِ مَشْهودُ[(٤)]

وقيل : جماعة من الناس ، تقول : أتانا عنق ، أي : جماعةٌ . وعن ابن عباس : نزلت هذه

---

(١) قرأ قتادة وزيد بن علي " باخِعُ نفسِك " على الإضافة ، وقراءة الجمهور " باخِعٌ نفسَك " .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٣٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٨).

(٢) سورة المنافقون ، الآية (١٠).

(٣) قرأ بها طلحة . **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٩).

(٤) هذا عجز بيت لأم قيس الضبية ، وصدره : ومشهد قد كفيت الناطقين به ....
ينظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٧) ، روح المعاني للألوسي (١٢ / ١٣٨) ، الفائق للزمخشري (٣ / ٤٣٤) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٤٢٨).

الآية فينا وفي بني أمية ، ستكون لنا عليهم الدولة ، فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبةٍ ، ويلحقهم هوانٌ بعد عزة [١] .

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم ﴾ وما يجدِّدُ الله لهم بوحيه موعظةً وتذكيرًا إلا أعرضوا عنه ، وخالف بين الألفاظ والغرض واحد وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء ، والغرض وإن تقارب فهو مختلف ؛ لأنهم حين أعرضوا فقد كذبوا ، ولما كذبوا شرعوا في الاستهزاء . ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾ تهديد معناه : سيعلمون في الآخرة خبر ما كذبوا به ، وهو القرآن ، فإنه الفصل الحق الذي لا محيد عنه . ﴿ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ الكريم : وصف لكل ما يحمد ويُرضَى به ، تقول وجه كريم : مرضيٌّ في جماله ، وكتاب كريم : مرضيٌّ في معانيه وفوائده .

وقال [من المنسرح] : حَتَّى يَشُقَّ الصُّفوفَ مِنْ كَرَمِهْ [٢]

أي : من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه . والنبات الكريم : المرضيُّ فيما يتعلق به من المنافع . ﴿ إِنَّ فِي ﴾ إنبات تلك الأصناف ﴿لَآيَةً ﴾ دليلاً على أن مُنْبِتَها قادرٌ على إحياء الموتى ، وقد علم الله أن أكثرهم مطبوعٌ على قلوبهم غير مرجوٍّ إيمانهم .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾ من آمن وعمل صالحاً (١٥٤/ أ)

فإن قيل : ما معنى الجمع بين كل وكم ؟ ولو قيل : كم أنبتنا فيها من زوج كريم ؟

قلنا : قد دل " كل " على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل ، ودلت " كم " على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة ، ونبه بذلك على كمال قدرته ، ووصفُ الزوجِ بالكرم يحتمل وجهين :

أحدهما : أن النبات على قسمين : نافع وضار ، فذكر النافع وترك الضار .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٩٩).

(٢) هذا عجز بيت لرجل من حمير يمدح قومه ، وصدره : ولا يخيم اللقاء فارسهم ....

ينظر في : ديوان الحماسة (١ / ١٢٣) ، روح المعاني للألوسي (١٩ / ٦٢) ، الفائق للزمخشري (٣/ ٣٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٠٠) ولا يخيم : لا يجبن عن اللقاء . ومن كرمه : من شجاعته وجرأته .

والثاني : أن يريد جميع النبات من نافع وضار ؛ لأنه تعالى حكيم ما يفعل شيئا إلا بمقتضى حكمةٍ ولابد في النوع الضار من منفعةٍ ، إما بقتل طاغيةٍ من الطغاة أو يستعمل اليسير منه للأمراض الخطرة وغير ذلك .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩) وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) ﴾

قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ ولم يقل : لآياتٍ ، مع أن النبات متكثر لوجهين :

أحدهما : أن المراد إن في كل واحدٍ لآية .

والثاني : أن يكون الضمير عائداً على الإنبات ، إن في إنبات ذلك .

سجل عليهم بالظلم بأن وصفهم به أولاً ، ثم عطفهم على ﴿ الظَّالِمِينَ ﴾ عطف البيان كأن حقيقة الظالمين إنما هي هؤلاء ، وكأنهما لفظان مترادفان ، إن شئت فسمِّهم بالقوم الظالمين ، وإن شئت فسمهم بقوم فرعون ، وهم ظلمة من وجهين :

أحدهما : شركهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [(١)].

والثاني : ظلمهم بني إسرائيل لاستعبادهم .

قوله: ﴿ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ قرئ بكسر النون أصله : يتقونني ، فحذفت إحدى النونين لاجتماع المثلين تخفيفا ، وقوله : ﴿ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ كلام مستأنف . لما وصف قوم فرعون بالظلم فعجب الناس من جرأتهم على الله وأنهم لا يخافون عقابه ، ومن قرأ (أَلَا تَتَّقُونَ) [(٢)] فهو التفات عن الغيبة إلى الخطاب ، وأجرى الوحي إلى موسى بذلك مجرى خطاب الكفار به وكم آيةٍ أنزلت في حق الكفار والقصد بها تسميع المؤمنين .

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤) ﴾

---

(١) سورة لقمان ، الآية (١٣).

(٢) قرأ " تتقون " بالخطاب عبيد بن عمير وأبو حازم ، وقرأ الجمهور " يتقون " بالغيبة .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٧) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٩٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٠١) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٢٧).

قرئ ﴿وَيَضِيقُ﴾ ﴿وينطلقُ﴾ بالرفع فيهما ؛ [لأنهما معطوفان] [(١)] على خبر " إن " وقرئ بالنصب[(٢)] لعطفهما على صلة أنْ ، والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاثة علل : خوف التكذيب ، وضيق الصدر ، وامتناع انطلاق اللسان ، والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة . فإن قلتَ : في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة ، وفي جملتها نفي انطلاق اللسان ، وحقيقة الخوفِ إنما هو غمٌّ يلحق الإنسان لأمرٍ سيقع وذلك (١٥٤/ب) كان واقعاً ، فكيف جاز تعليق الخوف به ؟

قلتُ : قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه ، وضيقُ الصدرِ والحبسةُ في اللسانِ زيادة على ما كان به ، على أن الحبسة التي في لسانه قد زالت بدعوته .

وقيل : بقيت منها بقية يسيرة . فإن قلت : اعتذارك هذا يرده الرفع ؛ لأن المعنى : إني خائف ، ضيقُ الصدرِ ، غير منطلق اللسان !

قلت : يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة بإطلاق لسانه واستجابتها ، ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي منها ، ويجوز ألا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء ، فإن العقدة انحل بعضها وبقي منها بقية ، ولذلك قال فرعون عن موسى : ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [(٣)] أي : لا يفصح عما يريد أن يتكلم به .

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ أرسل إليه جبريل واجعله نبيًّا ، وهذا اختصار للقصة ؛ كقوله : ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ [(٤)] فاقتصر على ذكر طرفي القصة . فإن قيل : كيف ساغ لموسى أن يعتذر بعد أمر الله له بمشاركة هارون في النبوة وهي رتبة عظيمة ؟ قلتُ : موسى لم يعتذر ، وإنما قصد إزاحة علته وأن موسى رجلٌ واحدٌ فقيرٌ ، وغريمه فرعون بلغ من كبره أنه ادعى الإلهية ، وكفى بطلبه العون بأخيه دليلاً على أنه قبل ولم يعتذر .

---

(١) في الأصل: لأنه معطوف. والمثبت هو الصحيح.

(٢) قرأ يعقوب من العشرة " ويضيقَ صدري ولا ينطلقَ لساني " وقرأ الباقون " ويضيقُ صدري ولا ينطلقُ لساني " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٧) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٩٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٧٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٠٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٥).

(٣) سورة الزخرف ، الآية (٥٢).

(٤) سورة الفرقان .

أراد بالذنب قتله القبطي ، أي : ولهم عليَّ تبعةُ ذنب ، وهي قَوَدُ القتل[1] سُمِّيَ جزاءُ التبعةِ ذنبا مجازاً ، وأراد أنه خائف أن يقتل قبل أداء الرسالة ، فيفوت القصد

﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

وقوله :﴿كَلَّا﴾ أي : ليس يقدر على قتلك . وقوله :﴿فَاذْهَبَا﴾ إجابة لموسى في جعل هارون نبيًّا معه وزيرا . قوله عز وجل :﴿مَعَكُم﴾ و﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ خبر لـ " إن " وهذا من مجاز الكلام يعني : إنني أشاهد ما يجري منكما وأنا قادر على دفعه عنكما .

ومن صفات الله تعالى السميع ، ولكن لا يسمى مستمعاً ؛ لأن المستمع هو المصغي ، والاستماع من السمع ، كالنظر من الرؤية ، فإن قيل : لم أفرد ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾وقال في موضع آخر : ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [2] ؟ قيل : أراد بالإفراد المصدر، كأنه قال : إنا ذويا رسول ربك ، فأفرد كما يفرد المصدر ؛ كقوله [من المتقارب] :

أَلِكْني إِلَيْها وخيرُ الرَّسو ... لِ أَعْلَمُهُم بِنَواحي الخَبَرْ[3]

وكقوله (١٥٥/أ) [من الطويل] :

لقَدْ كَذَبَ الواشونَ ما فُهْتُ عِنْدَهُم ... بِـزُورٍ ولا أَرْسَلْتُهُم بِرَسولِ[4]

---

(١) **القَوَد :** قتل النفس بالنفس ، والقود : القصاص ، وأقدت القاتل بالقتيل : قتلته به.

ينظر : لسان العرب (قود).

(٢) سورة طه ، الآية (٤٧).

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي **ينظر في** : شرح أشعار الهذليين (ص : ١١٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٤) ، لسان العرب (لوك) ، المخصص لابن سيده (١٢ / ٢٢٥) وألكني : أرسلني . والرسول هنا مصدر فجاز إفراده مع تعدد معناه ، ولذلك عاد إليه ضمير الجمع في " أعلمهم " ، وشبه الخبر بمكان ذي جهات على الاستعارة المكنية .

(٤) البيت لكثير عزة **ينظر في** : تهذيب اللغة للأزهري (١٢ / ٣٩١) ، ديوان كثير (ص : ١١٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٤٤) ، لسان العرب (رسل) ، النكت والعيون للماوردي (٣ / ١٧٢) ويروى : ما بحت عندهم بسر .... **والواشون :** الذين يخلطون الصدق بالكذب ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ورسول : رسالة .

وقيل: أفرده لأن هارون وزيرٌ لموسى يشتوران على أمرٍ واحد ويعزمون عليه (١٥٥/أ) .

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ بمعنى : أي أرسل ؛ لتضمن الرسول معنى الإرسال ، وهي قوله يُفَسَّر بـأي ومعنى الإرسال ههنا التخلية والإطلاق ، ويمكنهم أن يذهبوا مع موسى إلى فلسطين ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون ولم يؤذن لهما سنة ، حتى قيل لفرعون : إن ههنا إنساناً يزعم أنه رسول الله ، فقال : ائذن له لعلنا نضحك منه ، فدخلا عليه وأديا الرسالة ، فعرف فرعونُ موسى ، فإنه تربّى في حجره ، فقال :﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ الوليد الصبي لقرب عهده بالولادة ، وقرئ بسكون الميم من﴿ عُمُرِكَ ﴾ [1] .

قوله :﴿ سِنِينَ ﴾ قيل : مكث عندهم ثلاثين سنة وفر منهم على إثرها .

عدد فرعون على موسى نعمته عليه بالتربية ، ووبخه بقتل خبازه ، وعظم ذلك بقوله : ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ ويجوز أن يكون قوله :﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جملة حاليةً ، أي : وأنت من الكافرين بنعمتي ، ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً نسب به فرعونُ موسى إلى الكفر، وقد افترى عليه ؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر ، أو: كافر بأمر فرعون ، أو كان ممن يكفر بإلهية فرعون ، فقد قيل : إنه كان لهم أصنام يعبدونها ؛ لقوله تعالى :﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[2] .

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

فأجاب موسى : بأني إنما قتلت القبطي وأنا جاهل بالحكم .

---

(١) قرأ بها أبو عمرو البصري . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٧٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٧١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٠٥).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٢٧).

وقرأ ابن مسعود (مِنَ الْجَاهِلِينَ)[١] أي : فعلت فعل أولي الجهل والسفهِ ، كما قال يوسف لإخوته : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٢] أو المخطئين ، أي : لم أتعمد القتل ، بل كنت مخطئا أو الناسين ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾[٣] ثم كرر موسى على إبطال ما عدد فرعون عليه من النعيم ، يعني إن هذا الذي عددته نعمة هو نقمة على التحقيق ، فإنه ما أُكرِمَ من أُهينَ قومُهُ . ﴿ وعَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ اتخذتهم عبيدًا . وقوله : (إِذَنْ) جزاء وجواب فما وضعه وقوله : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ﴾ كأنه قال : وجازيتني على حسن التربية قتلت خبازي ، وأما الجواب فهو حاصل .

وأفرد في قوله : ﴿ تَمُنُّهَا ﴾ وفي ﴿ مِنكُمْ ﴾ جمع ، وكذلك (١٥٥/ ب) قوله : ﴿ خِفْتُكُمْ ﴾ لأن الخوف والفرار لم يكونا من فرعون وحده ، ولكن منه ومن ملئه ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[٤] وأما الامتنان والتعبيد فمن جهة فرعون خاصة .

قوله : ﴿ وَتِلْكَ ﴾ إشارة إلى خصلةٍ شنعاء مبهمةٍ لا تعرف إلا بتفسيرها ، وقد فسرها بقوله : ﴿ أَنْ عَبَّدتَّ ﴾ . وقال الزجاج[٥] : إنما ألقي موسى في اليم للخوف عليه حين كان يبقي الغلمان ، ويقتل الذكور ، فلو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي .

وقول فرعون : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ سؤال عن حقيقة ذاته ، فأجاب موسى بأن الذي يعرف من صفات الله مخلوقاته وآثاره ، فأما ذاته سبحانه تعالى فلا سبيل إلى معرفتها إنه شيء لا كالأشياء ، ومعنى سؤال فرعون إنكارٌ أن يكون للعالمين إلهٌ سواه .

تعجب فرعون والحاضرون من جواب موسى ، حيث نسب الربوبية إلى غيره ، ولما ثبت موسى على التعريف بآثار الله ومخلوقاته جننه فرعون وقال : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ

---

(١) وقرأ بها أيضا ابن عباس .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١١) ، تفسير القرطبي (١٣/ ٩٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٩٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٠٥) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٩).

(٢) سورة يوسف ، الآية (٨٩).

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٨٢).

(٤) سورة القصص ، الآية (٢٠).

(٥) ينظر : معاني القرآن للزجاج (٤ / ٨٧).

لَمَجْنُونٌ﴾ وأعاد موسى الجواب بمثل ذلك فقال :﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ولوَّح موسى بالجواب عن إساءة فرعون بنسبة موسى إلى الجنون فقال :﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يعني : أنتم أحق أن تنسبوا إلى الجنون .

قيل : كان حوله خمسمائة رجلٍ في أيديهم الأساور، وكانت للملوك خاصة - أعني الأساور- وعم بقوله :﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فلم خص بعد ذلك الآباء ؟ لأن أقرب المنظور إليه أبو الإنسان وخاصته ، ثم خصصَ المشرق والمغرب ؛ لأن تعاقبهما بالشروق والغروب يدل على قادرٍ يحركهما عالم بالمصلحة في ذلك ، وهو مما لا يستطيع البشر المشاركة فيه ، ولظهور هذا الدليل انتقل إبراهيم الخليل عن الاستدلال بالإحياء والإماتة إلى قوله :﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ [١] فلاينهم ، فلما أغلظوا له في القول ونسبوه إلى الجنون قابل ذلك بقوله :﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ و﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

قال له فرعون :﴿ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ ولم يقنع بأن يقول : لأسجننك وأراد﴿مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ الذين عرفت خبرهم ، وكان من عادته أن يلقي المسجون في هوَّةٍ ذاهبةٍ في الأرض وحده لا يسمع ولا يرى . الواو في قوله :﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ (١٥٦/أ) واو الحال دخل الاستفهام عليها ، أي : أتفعل بي ذلك ولو جئتك بحجة ظاهرة وآية بينة ؟

وقوله : ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ محذوف الجزاء ، أي : إن كنت من الصادقين فأت به.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي : ظاهرٌ كونه ثعباناً ، وليس كالمصنوع المزوَّر. روي أنها انقلبت حية ورفعت رأسها إلى السماء قدر ميل ثم انحطت وقصدت فرعون ، وقالت لموسى : مرني بما شئت ، فقال فرعون لموسى : أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا[٢].

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩ / ٧١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥١١) لأبي الشيخ عن المنهال .

﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ يدل على أن بياضها كان شديداً يستوقف النظار؛ لتعجبهم منه لخروجه عن البياض المعتاد . قيل : كان لها ليده شعاع يغشى الأبصار ويسد الأفق و﴿حَوْلَهُۥٓ﴾ منتصب بوجهين : **أحدهما** : أنه ظرف ، وفي الظرف ضمير هو صاحب الحال .

والثاني : النصب على الحال ، ولقد تحيَّر فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه أطول ؟ حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية ، ورعدت فرائصه حتى احتاج إلى مشاورة الذين هو إلههم بزعمه . قوله :﴿لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ قول باهت قد انقطعت حججه .

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى
ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾
وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾
فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ
ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿تَأْمُرُونَ﴾ من المؤامرة وهي المشاورة ، أو من الأمر ضد النهي ، جعل العبيد آمرين وإلههم مأمور لما لحقه من الدهش و﴿فَمَاذَا﴾ منصوب ، إما لكونه في معنى المصدر ، وإما لكونه مفعولاً به كقوله [من البسيط] : أَمَرْتُكَ الخَيْرَ ....[1]

أرجأته وأرجيته إذا أخَّرْته ، وهم لغتان ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون : هم مرجئون لأمر الله[2]. والمعنى : أخره ومناظرته ليجتمع السحرة .

وقيل : احبسهما . ﴿حَـٰشِرِينَ﴾ شُرُطًا يجمعون السحرة . وأتوا بلفظة ﴿بِكُلِّ﴾ وبلفظ ﴿سَحَّارٍ﴾ للمبالغة في تطمين نفس فرعون . ﴿لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ استبطاء لإجابتهم ﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ إن غلبوا موسى ، وليس القصد إلا الطمع في أن يغلب فرعون موسى . قوله :﴿ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ جزاء وجواب .

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النحل ، الآية (٥٠).

(٢) تقدم الحديث عن المرجئة في تفسير سورة طه ، الآية (٤٨).

أقسموا بعزة فرعون ، ولا يجوز القسم بغير الله ولو كان معظّماً في الشرع ، كالنبي والكعبة ، فكيف بفرعون (١٥٦/ب) وعزته ؟! وقد استحدث الناس جاهلية؛ يحلف أحدهم بالله وبصفاته فلا يقبل منه حتى يحلف برأس سلطانه ، فهي عندهم جهد اليمين[١] .

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن الحق بالسحر والتخييل . أو : ما يكذبون ، جعل أفعالهم كذباً مجازاً. ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾لأنهم لم يتمالكوا حين رأوا ما رأوا أن أسرعوا في السقوط .

﴿سَٰجِدِينَ﴾ فاعل إلقائهم هو الله الذي قذف في قلوبهم الإيمان ، أو إيمانهم ، أو ما رأوه من الآيات . ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ما فعلتم .

﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي : لا ضرر علينا في ذلك بل هو أعظم نفعٍ ، وهو نصرة دين الحق . أو لا ضير علينا فيما تعذبنا به ؛ لأنه لا بد من لقاء الله حتى يأخذ كل ذي حق حقه ، وخبر﴿لَا ضَيْرَ﴾ محذوف ، أي : لا ضير علينا في ذلك﴿أَن كُنَّآ﴾ لأن كنا ، وكانوا أول جمعٍ أسلموا حينئذ .

وقيل : أول جمع من قوم فرعون أو من المشهد ، وقرئ ﴿أَن كُنَّآ﴾ بالكسر[٢]، وهو من الشرط الذي يقوله من يدل بحصوله ، ومنه قوله تعالى :﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى﴾[٣]

---

(١) قاله الزمخشري في الكشاف (٣ / ٣١٢) ومثل هذا ما يقع من بعض الجهال من القسم بالطلاق والشرف وغير ذلك ، وقد يكون عنده وعند من يقسم له أن القسم بذلك أشد وآكد من القسم بالله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا من الطامات التي أصيب بها المسلمون ، ومن المعلوم أن القسم لا يكون إلا بالله كما قال النبي ﷺ : " من كان حالفا فليحلف بالله أو ليسكت " وورد في ذلك الكثير من الأحاديث **تنظر في** كتب الحديث .

(٢) قرأ بها أبان بن تغلب وأبو معاذ . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٧٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٣) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٢٧).

(٣) سورة الممتحنة ، الآية (١).

ويقول الصانع بعد فراغه مما استأجر عليه : إن كنت عملت لك فأعطني حقي.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ معناه : يتبعكم فرعون وقومه ، فأغرقهم وأنجاكم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ محكي بعد قول مضمر ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ جماعة قليلة ، وثوب شراذم ، أي : منقطع ، ووصفهم بالقلة مع ذلك ، وجمعهم جمع سلامة وهو دليل القلة ، وأراد فرعون بهذا القول ألا تضعف حرمة فرعون عند الرعايا بما جرى له مع موسى من العصا واليد البيضاء .

سمَّى ما أخرجهم منه كنزاً ؛ لأنه لم ينفق في طاعة الله .﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ أي : المنابر . وقيل : السُّرُرُ . وقيل : المنازل الحسنة﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محل الكاف ثلاثة أوجه :

أحدها : النصب ، أي : أخرجناهم إخراجاً مثل ذلك . **والثاني** : الجرُّ على الصفة لمقام . **والثالث** : الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوفٍ ، أي : الأمر كذلك . ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ فلحقوهم﴿مُّشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس .﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى طريق النجاة .

﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾أبصر كل فريق أصحابه (١٥٧/أ) قرئ ﴿إِنَّا لَمُدَّرَكُونَ﴾بتشديد الدال وكسر الراء[(١)] من ادَّركَ الشيء : إذا تتابع وهلك . قرئ (كل فلق)[(٢)] والفلق والفرق بمعنى واحد ، والطود : الجبل العظيم .

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ﴾حيث انفلق البحر﴿ٱلْءَاخَرِينَ﴾ قوم فرعون ، أي : قربناهم من بني إسرائيل .

وقرئ﴿وَأَزْلَقْنَا﴾ بالقاف[(٣)]، أي : أزللنا أقدامهم ، ويحتمل أن يكون الله تعالى جعل البحر لبني إسرائيل طريقاً يبساً ، ولفرعون وأصحابه زلقاً . قيل : كان جبريل بين صفي موسى وفرعون فكان يقول لبني إسرائيل : ليلحق آخركم أولكم ، ويقول لأصحاب فرعون :

---

(١) قرأ بها الأعرج وعبيد بن عمرو . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٧٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٦) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ١٠٧).

(٢) **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٦).

(٣) قرأ بها أبي وابن عباس وعبد الله بن الحارث ، والمعنى : وأذللنا وأهلكنا . وقراءة الجمهور "وأزلفنا" . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٦) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٢٩).

دونكم يلحق آخركم أولكم ، فلما وصل موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون : أين أُمِرْتَ فهذا البحر أمامك والعدو خلفك ، وقد غشيك آلُ فرعون قال : أُمِرْتُ بالبحر، ولا يدري موسى ما يصنع ، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقاً ، لكل سبط طريق[١].

وروي أن موسى لما أجاب يوشع خاض يوشع في البحر تصديقا لقول موسى ، فلما انفلق البحر بضرب العصا وجدوا يوشع في موضع الماء الذي خاض فيه لم يبتل له ثوب ولا عدة فرس[٢]، وهذا البحر بحر القلزم . وقيل : بحر من وراء مصر يقال له: إساف[٣].

قوله عز وجل :﴿ لَآيَةً ﴾ أي : آية عظيمة . كان إبراهيم يعلم أنهم عبدة أوثان ، وإنما سألهم ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ليبكتهم .

﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾

فإن قيل : هم سئلوا عن المعبود فكان يكفي في الجواب أن يقولوا : أصناماً ؛ كقوله : ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾[٤] وكقوله :﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾[٥] وكقوله :﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ ﴾[٦] قلنا : هؤلاء أتوا بالقصة على وجهها ، ولهذا قالوا :﴿ فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ كما لو قلت لرجلٍ : ما تلبس من الثياب ؟ فيقول : البُرْد الأَتْحَمِيُّ[٧] فأجره بين

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١ / ٢٧٨) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٠٤) لابن عبد الحكم وعبد بن حميد عن مجاهد ﷺ.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩ / ٨٠).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠ / ٧٨).

(٤) سورة النحل ، الآية (٣٠).

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢١٩).

(٦) سورة سبأ ، الآية (٢٣).

(٧) **الأتحمي** : ضرْب من البُرود . ويقال تَحَمْتُ الثوبَ إذا وَشَّيْته . وفرس مُتَحَمُ اللَّوْن إلى الشُّقرة كأنه شبه بالأَتْحَمِيِّ من البرود وهو الأَحْمر ، وفرس أَتْحَمِيُّ اللَّون، وروي عن الفراء قال : التَّحَمَةُ البُرود المخطَّطة بالصُّفْرة . **ينظر** : لسان العرب (تحم).

جواري الحي ، وذلك يدل على ابتهاجه بهذا اللباس ، وعلى ابتهاج قوم إبراهيم بعبادة الأصنام . وإنما قالوا : نظل . لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل .

لابد في ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ من تقدير ، وهو هل يسمعون دعاءكم ؟ فإنك لو قلتَ : سمعتُ زيداً. لم يستقم حتى تقول : سمعته يقول أو يحدث . وقرئ ﴿يُسْمِعُونَكُمْ﴾ بضم الياء[1] ، أي : هل يسمعونكم جواباً ؟ وجاء بـ ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ فيما مضى متكرراً دعاؤكم (١٥٧/ب) إياهم ، ولم يجيبوا قط في حالٍ من الأحوال ، فلما أجابوا إبراهيم باتباع التقليد قال لهم : انتهوا بالتقليد إلى غاياته ، وهو تقليد الأقدمين من آبائكم وصور المحاكمة في نفسه فقال : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ كأنه قال : وجدت عبادتي للشيطان متابعة لعدوٍ، وقد أخبرنا الله بعداوته لنا ، وهذه نصيحة بدأت فيها بنفسي . العدو : واحد أتى به في موضع الجمع كما في المصادر﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل : هو استثناء منقطع معناه لكن﴿ فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ هدى كل حيوان إلى مصالحه .

وقال :﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل : أمرضني ؛ لأن أكثر الأمراض تحصل من سوء تصرف العبد في زيادة أكل أو نقصه أو في جنس المطعوم . وقيل : استعمل الأدب مع الله تعالى ، فنسب الأمراض إلى نفسه ونسب العافية إلى الله .

قوله : ﴿خَطِيٓـَٔتِي﴾ ما يندر وقوعه من الأنبياء عليهم السلام من الصغائر . وقيل : هو قوله :﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [2] وقوله للقمر : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [3] وقوله لسارة : هي أختي ، وما هذه إلا معاريض ، فهي حق وليست كذباً ، والصغائر تقع مكفرة باجتناب الكبائر عند المعتزلة وعندنا أمرها راجع إلى المشيئة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[4] وإنما استغفر إبراهيم عند المعتزلة تواضعاً وتعليماً لأمته ، وطلب المغفرة يوم الدين والمغفرة ممكنة في الدنيا ؛ لأن ظهور أثر المغفرة إنما يظهر في الآخرة [5].

---

(١) قرأ بها قتادة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٨) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٢٩).

(٢) سورة الصافات ، الآية (٨٧).

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٧٦).

(٤) سورة النساء ، الآية (٤٨).

(٥) تقدم الحديث عن ذلك في سورة النساء ، الآية (٣١).

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿حُكْمًا﴾ أي : حكمة . وقيل : سأل الإصابة في الحكم بين الخلق . وقيل : النبوة . والإلحاق بالصالحين : أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملة الصالحين . ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ولا تُهنِّي ، أو لا تجعلني مستحيياً .﴿يُبْعَثُونَ﴾ فيه ضمير إلى العباد أو إلى الضالين ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ إلا حال من أتى الله ، وهو كقوله [من الوافر] :

تَحِيَّةُ بَيْنِهِم ضَرْبٌ وجيعُ (١)

كما تقول : هل لفلانٍ مال ؟ فيقال : مالُهُ سلامةُ قلبِهِ ، مرادك : نفي المال عنه ، ويجوز أن يراد : إلا غنى من أتى الله . وقيل : إلا مال من أنفق ماله في الخير وأولاد من علمهم الخير والقرآن . وقيل : السليم الملسوع تألُّماً على ما سلف منه من التقصير ، وهو من بدع التفاسير (٢) .

رتب إبراهيم الكلام مع الكفار فاستفهم عما يعبدونه وهو يعلم أنهم يعبدون الأصنام ثم أبطل إلهية (١٥٨/أ) أصنامهم بأنها لا تنفع ولا تضر ، ورد تقليد آبائهم الأولين ، ثم عدد نعم الله عليه بالهداية والإطعام والسقي والشفاء من المرض وغير ذلك ، ثم تضرع إلى الله أن يلحقه بالصالحين ، وأن يجعل له ذكرا جميلاً إلى يوم القيامة ، ثم وصله بذكر يوم القيامة .

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب ، وصدره : وخيلٍ قد دلفت لها بخيلٍ ....

ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي (٤ / ٥٣) ، الخصائص لابن جني (٤ / ٣٥) ، ديوان عمرو بن معدي كرب (ص : ١٣٧) ، شرح أبيات سيبويه (١ / ٣٦٥) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٦٠) (٣ / ٣٢٠) ، المقتضب للمبرد (٢ / ٢٠) أي : وأصحاب خيل تقدمت لها بمثلها ، والتحية بالضرب الوجيع على سبيل التهكم .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٣٢١).

﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ يريد الأحقرين واسترذلوهم لفقرهم . وقيل : لصناعتهم الدنية كالحاكة والأساكفة[1] .

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ
قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي
ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا
بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم
بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَا
أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله :﴿وَمَا عِلْمِي﴾ يريد انتفاء علمه بثبوت إيمانهم وأنه ليس مسؤولاً (١٥٨/ب) عن ذلك ، وإنما عليه البلاغ . ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ﴾ طمعاً في إيمانكم ، وإنما عليَّ الإنذار ، وأقنع ممن يتابعني بالإيمان الظاهر .

﴿فَٱفْتَحْ﴾ أي : فاحكم . والفتاحة : الحكم ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ السفن يطلق على الواحد والجمع ، ونظيره الهجان والدلاص[2] للواحد والجمع .﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء .

والريع بكسر الراء وفتحها[3] المكان المرتفع ، ومنه قولك : كم ريع أرضك ؟ أي : كم ارتفاعها ؟ و﴿لَءَايَةً﴾ العَلَم ، وكانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم ، فاتخذوا في طرقهم

= (٧/ ٣١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٨٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٤) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٣١) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٨١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٥).

(١) **الحاكة** : جمع حائك وهم الذين ينسجون ويخيطون الثياب ، **والأساكفة** : جمع الإسكاف وهو الصانع أيًا كان وخص بعضهم به النجار . **ينظر** : لسان العرب (حيك - سكف).

(٢) **الدِّلاصُ من الدُّروع** : الليّنة ودِرعٌ دِلاصٌ برّاقة ملساء ليّنة بَيّنةُ الدَّلَصِ والجمع دُلُصٌ . وقد يكون الدِّلاصُ جمعاً مكسّراً وليس من باب جُنُب لقولهم: دِلاصان. حكاه سيبويه قال: والقول فيه كالقول في هِجَان وحَجر دِلاصٌ شديد الملُوسة ويقال: دِرْعٌ دِلاصٌ وأَدْرُعٌ دِلاصٌ الواحد والجمع على لفظ واحد . **ينظر** : لسان العرب (دلص).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٣٢٥) : وقرئ بالفتح والكسر .

يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾
إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ
ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

﴿ ٱلۡجَنَّةُ ﴾ تكون قريبة من موقف السعداء ، وهو معنى قوله : ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ ﴾ أي : قربت للمتقين ، وقال : ﴿ فَكُبۡكِبُواْ ﴾ وهذه الصيغة كرر فيها الكب ، ونحوه الصلصلة لتكررها ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى.

﴿ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ ﴾ متبعوه من شياطين الإنس والجن ، يجوز أن ينطق الله الأصنام فيختصموا مع عابديها ، ويجوز أن يكون المراد العصاة ممن عبد ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ بأنهم تبين لهم أنهم مفترون في كون آلهتهم تشفع لهم ، فأخبر عنهم أنهم لا يشفعون ولا ينفعون ، وما لا ينفع فهو في حكم المعدوم . الْحَمِيمُ : هو الذي يهمه ما أهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص ، وجمع الشفعاء وأفرد الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصديق ، فمن وقع في شدةٍ يستشفع بالصديق وغير الصديق .

وسئل بعضهم عن الصديق فقال : اسم لا معنى له ، ويجوز أن يراد بالصديق الجمع كما في العدو. الْكَرَّةَ : الرجعة إلى الدنيا و﴿ فَلَوۡ ﴾ ها هنا للتمني كأنهم قالوا : يا ليتنا نرد ويجوز أن تكون " لَوْ " على بابها ويحذف الجواب ، أي : لو أن لنا كرة لأطعنا .

﴿ قَوۡمُ ﴾ مؤنثة وتصغيرها : قويمة . ونظير قوله : ﴿ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ والمراد نوح وحده قولك : فلان يركب الدواب ويلبس البرود ، وما له إلا دابة وبرد .

قوله عز وجل : ﴿ أَخُوهُمۡ ﴾ أي : في الدين لا في النسب ، وكذلك قولهم : يا أخا بني تميم ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما أدعوكم إليه . ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ أي : على هذا الأمر ، وكرر الأمر بالتقوى ليؤكده عليهم ؛ ولأنه علل الأمر الأول بكونه أميناً ، وفي الثاني حسم طمعه عنهم .

وقرئ ﴿ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ [1] جمع تابع ، والواو للحال ، و" قد " بعدها مضمرة

---

(١) هذه قراءة يعقوب من العشرة . وقراءة الجمهور " واتَّبعك " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان=

﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ يريد الأحقرين واسترذلوهم لفقرهم . وقيل : لصناعتهم الدنية كالحاكة والأساكفة[١] .

﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ
قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي
ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي
لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا
بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم
بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ
أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله :﴿وَمَا عِلۡمِي﴾ يريد انتفاء علمه بثبوت إيمانهم وأنه ليس مسؤولاً (١٥٨/ ب) عن ذلك ، وإنما عليه البلاغ . ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ﴾ طمعاً في إيمانكم ، وإنما عليَّ الإنذار ، وأقنع ممن يتابعني بالإيمان الظاهر .

﴿فَٱفۡتَحۡ﴾ أي : فاحكم . والفتاحة : الحكم ﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفن يطلق على الواحد والجمع ، ونظيره الهجان والدلاص[٢] للواحد والجمع .﴿ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ المملوء .

والريع بكسر الراء وفتحها[٣] المكان المرتفع ، ومنه قولك : كم ريع أرضك ؟ أي : كم ارتفاعها ؟ و﴿لَأٓيَةٗ﴾ العَلَم ، وكانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم ، فاتخذوا في طرقهم

= (٧/ ٣١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٨٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٤) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٣١) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٨١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٥).

(١) **الحاكة** : جمع حائك وهم الذين ينسجون ويخيطون الثياب ، **والأساكفة** : جمع الإسكاف وهو الصانع أيًا كان وخص بعضهم به النجار . **ينظر** : لسان العرب (حيك - سكف).

(٢) **الدِّلاصُ من الدُّروع** : اللّيِّنة ودِرعٌ دِلاصٌ برّاقة ملساء ليّنة بَيّنةُ الدَّلَصِ والجمع دُلُصٌ . وقد يكون الدِّلاصُ جمعاً مكسَّراً وليس من باب جُنُب لقولهم: دِلاصان. حكاه سيبويه قال: والقول فيه كالقول في هِجَان وحَجر دِلاصٌ شديد الملُوسة ويقال: دِرْعٌ دِلاصٌ وأَدْرُعٌ دِلاصٌ الواحد والجمع على لفظ واحد . **ينظر** : لسان العرب (دلص).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٣٢٥) : وقرئ بالفتح والكسر .

أعلاماً طوالاً فنسبوا إلى العبث ؛ لأنهم كانوا مستغنين بالنجوم عن العلامات .

وقيل : أراد بيوت الحمام . وقيل : القصور المشيدة والحصون ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ ترجون الخلود في الدنيا ، أو يشبه حالكم حال من يخلد . وقرئ ﴿ تَخْلُدُونَ ﴾ بضم التاء مشدداً ومخففا [1] والبطش بالسيف والصوت من الجبروت والعلو . وقيل : الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب . وقيل : تبادرون عند الغضب إلى البطش من غير تثبتٍ ونظرٍ في العواقب ، واستشهد بعلمهم بما أنعم به عليهم ، وقرن الأولاد بالنعم ؛ لأنهم الذين يعينون آباءهم على اقتنائها .

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾

من قرأ ﴿ خَلْقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ بالفتح فمعناه : إن ما جئت به اختلاق الأولين ، ومن قرأ بضم الخاء واللام [2] فالمراد : عادة الأولين ، قام فيهم قوم ادعوا النبوة فلم يثبت لهم أمر.

وقوله : ﴿ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ لأنهم طلبوا أن الرسل لا يصلح أن يكونوا من الواعظين ، فهو أبلغ من قولهم : أو لم تعظ . قوله : ﴿ أَتُتْرَكُونَ ﴾ إنكار أن يخلدوا في

---

(١) قرأ " تُخَلَّدون " بالتشديد قتادة ، وقراءة الجمهور " تُخْلَدون " بالتخفيف . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٨١) ، فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٢٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٦) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٣٠).

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب " خَلْقُ " ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف " خُلُقُ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣) ، حجة ابن خالويه (ص:٢٦٨) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥١٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٨٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٧٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٧) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٥).

نعيمهم ، ويجوز أن يكون إنكارا لتركهم لا يجازون أجمل النعم في قوله :﴿مَا هَٰهُنَآ﴾ ثم فسرها بقوله :﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ قوله : ﴿وَنَخْلٍ﴾ هو داخل في قوله :﴿ جَنَّٰتٍ﴾ يجوز أن يكون من عطف الخاص على العام ويجوز أن يراد بالجنات ما سوى النخل ثم يعطف عليه النخل ، والهضيم : الضامر ، وطلع الإناث من النخل ألطف وألين من طلع الفحال ، ويجوز أن يريد أن هذه النخيل أصابت أرضاً طيبةً ، فحملت الحمل الكثير، وإذا أكثر الحمل ضمر. الفراهة : الكيس والنشاط .

وقوله : ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (١٥٩/أ) يريد أن فسادهم لا ينفع فيه شيء من الصلاح .﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ الذي سحر كثيراً فغلب على عقله . وقيل : هو من السَّحْرِ وهو الرئة .

الشرب : النصيب من الماء . سألوا صالحاً أن يخرج لهم من هضبة ناقة عشراء وتلد سقبا فصلى صالح ركعتين ودعا الله ، فتمخضت الهضبة وانشقت عن ناقة لا يعلم قدرها إلا الله ، ثم تمخضت فنتجت سقباً يقاربها في العظم[1]﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بنحرٍ أو بعقرٍ أو غيرهما ، وعظم اليوم والمراد تعظيم ما وقع فيه .

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ
أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم
مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ
﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٨ / ٢٢٦) والسقب : ولد الناقة ، وقيل : الذكر من ولد الناقة بالسين لا غير وقيل : هو سقب ساعة تضعه أمه . قال الأصمعي : إذا وضعت الناقة ولدها فولدها ساعة تضعه سليل قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ، فإذا علم فإن كان ذكرا فهو سقب وأمه مسقب .

ينظر : لسان العرب (سقب).

أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ
﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾

وقوله :﴿ فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ . فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ فندموا على ما فعلوا من مخالفة صالح ، ولم يكن ندمهم توبة ؛ لأنهم ما ندموا على العصيان ، وإنما ندموا على فساد رأيهم ، واللام في﴿ الْعَذَابُ ﴾ إشارة إلى عذاب يوم عظيم . أراد بـ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ الناس مع كثرتهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة والعالمون على هذا كل ما ينكح من الحيوان

و﴿ مِنَ ﴾ في قوله : ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ لبيان الجنس أو للتبعيض . ويراد بـ ﴿مَا خَلَقَ ﴾ العضو المباح منهن . وقرئ " مَا أصلح لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ " (١) وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم﴿ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ قد تجاوزوا الحد في العصيان بل أنتم عادون في جميع المعاصي . ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ ﴾عن إنكارك لما نحن عليه لتكونن من جملة من أخرجناه من المدينة . قوله :﴿مِنَ الْقَالِينَ ﴾ أبلغ من أن يقول : إني قالٍ لعملكم . والقلي أشد البغض ، كأنه يقلي الفؤاد بحرقته .

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾من إتيان الذكران . وقيل : أمدني بالعصمة . قوله : ﴿إِلَّا عَجُوزًا ﴾ استثناها لأنها هلكت لرضاها بفعل قومها . قيل : إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة .

وكان أصحاب الأيكة أصحاب شجر ملتف ، وشجرهم الدوم . ﴿بِالْقِسْطَاسِ ﴾ الميزان . وقيل : العدل ، ونهاهم عن الفساد في الأرض وقطع الطريق و﴿وَالْجِبِلَّةَ ﴾ الخلقة ، ودخلت الواو في قوله :﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ ﴾ ولم تدخل في قصة صالح ، فإذا دخلت كانوا قد أنكروا أمرين ، وإذا لم تدخل كانوا لأمرٍ واحدٍ ، والسماء : السحاب ، أو المظلة . وإنما طلبوا ذلك

(١) قرأ بها ابن مسعود . تنظر في : تفسير القرطبي (١٣ / ١٣٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٣٠).

إفحاماً لشعيب وتعجيزاً له ، لو تصوروا صورة سقوطها لما أخطر ذلك ببالهم (١٥٩/ب) يروى أنه حبس عليهم الريح سبعاً فخرجوا إلى البرية ، فأظلتهم سحابة ، فأووا إلى بردها ، فأمطرت عليهم ناراً . وكرر في أول كل قصة وآخرها ما كرره من المواعظ الحسنة لِعِلةٍ ، لَعلَه أن يفتح آذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وهكذا فائدة التكرير.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ
نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ
جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾

وقوله : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾ أي : ذو تنزيل ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي : لتحفظه . ﴿بِلِسَانٍ﴾ إما أن يتعلق بـ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: من المنذرين باللسان العربي ، وهم خمسة : هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم . وإما أن يتعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾ أي : نزله بلسان عربي قوله : ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي : وإن ذكره ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي : كتبهم . وقيل : إن معانيه فيها ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ احتج به أبو حنيفة على جواز قراءة القرآن بالعجمية [(١)].

وقيل : الهاء في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عائد إلى النبي ﷺ .

قرئ ﴿يَكُن﴾ بالتذكير ، و﴿ءَايَةً﴾ بالنصب على أنها خبره ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ هو الاسم ، وقرئ ﴿يَكُن﴾ بالتأنيث[(٢)] ، وجعلت ﴿ءَايَةً﴾ اسما و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ خبرا ، وليست كالأولى ؛ لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبراً ، وقد خرج لها وجه آخر للتخلص من ذلك ، فقيل في ﴿يَكُن﴾ ضمير القصة و ﴿ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ جملة واقعة موقع الخبر ، ويجوز على هذا أن تكون ﴿لَّهُمْ ءَايَةً﴾ هي جملة الشأن و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ بدلاً عن ﴿ءَايَةً﴾ ويجوز مع نصب الآية تأنيث

---

(١) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني (١ / ٢٩٦) ، المبسوط للسرخسي (١ / ٣٥).

(٢) قرأ ابن عامر من العشرة " تكن " بالتاء للمؤنث ، وقرأ الباقون " يكن " بالياء للمذكر .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٤١) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٦٨) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥٢١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٨٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٧٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٣٥) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٦).

(تكُنْ) كقوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ﴾ [(١)] .

و ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ من آمن منهم كعبد الله بن سلام ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ أدخلناه ومكناه مكذبا. ودخلت الفاء في قوله : ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ يعني يترتب هذا على هذا ، ولم يرد أنه يقع عقيبه ﴿مَآ﴾ في قوله : ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ أي : لم يغن عنهم .

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾

وقوله ها هنا : ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ وقال في الحجر : ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [(٢)] فأثبت الواو، إنما كان ذلك ؛ لأن الأصل حذف الواو ؛ لأن الجملة بعدها صفة للنكرة ، والأصل في الصفات ألا تعطف بالواو[(٣)].

قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ المراد به كل سامعٍ ، وروي أنه لما نزل قوله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فنادى قبائل العرب بطنا بطناً ، فاجتمعوا إليه (١٦٠/أ) فذكرهم وحذرهم فقال أبو لهبٍ : تبت يداك ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [(٤)].

الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع خفض جناحه ، وإذا أراد أن يطير نشره ، فقيل له :

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٢٣).

(٢) سورة الحجر، الآية (٤).

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٤٤) : " وإنما تدخل الواو في الصفات جوازا إذا عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو : مررت بزيد الشجاع والشاعر " .

وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٩٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٣٨ – ٣٣٩).

(٤) سورة المسد ، الآية (٤) والحديث رواه البخاري رقم (٤٩٧١) ، ومسلم رقم (٢٠٨).

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ ﴾ أي : أَلِن جانبك ، وكانت المتكاهنة كشق وسطيح يسمعون إلى الملأ الأعلى وينزلون بأخبار السماء ، فعزلوا عن ذلك ، ومنعوا من استراق السمع .

وقرأ عيسى بن عمر[١] «والشُّعَرَآءَ» بالنصب[٢] ، بإضمار فعلٍ .

قال أبو عبيد[٣] : كان الغالب عليه حُبَّ النصبِ ، قرأ « حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ » [٤] و «والسَّارِقَ والسَّارِقَةَ» [٥] و«سُورَةً أَنزَلۡنَٰهَا» [٦] .

وقرئ «يَتَّبِعْهُمُ» بسكون العين[٧] تشبيها له بـ " عضد " .

---

(١) هو عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمرو ، من أئمة اللغة ، وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء ، أول من هذب النحو ورتبه ، كان يكثر من استعمال الغريب ، له مصنفات من أشهرها الجامع والإكمال . مات سنة ١٤٩ هـ . قال بعض الشعراء فيه :

بطل النحو جميعا كله ... غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع ... فهما للناس شمس وقمر

تنظر ترجمته في : خزانة الأدب للبغدادي (١ / ١١٦) ، وفيات الأعيان (٣ / ٤٨٦)

(٢) **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٤٨) ، تفسير القرطبي (١٣ / ١٥٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٩٣) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٢١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٤٤).

(٣) نقله عنه الزمخشري في الكشاف (٣ / ٣٤٤).

(٤) سورة المسد ، الآية (٤) وقرأ بها عاصم ، وقرأ الباقون " حمالةُ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٥٢٦) ، حجة ابن خالويه (ص : ٣٧٧) ، حجة أبي زرعة (ص : ٧٧٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٥٨٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٧٠٠) ، الكشاف للزمخشري (٤ / ٢٩٧) ، معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٩٨) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٤٠٤).

(٥) سورة المائدة ، الآية (٣٨) وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي عبلة " والسارقَ والسارقةَ " بالفتح ، وقرأ الجمهور" والسارقُ والسارقةُ " بالرفع . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ٤٧٦) ، تفسير القرطبي (٦ / ١٦٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٥٢٠) ، الكشاف للزمخشري (١ / ٣٧٧)

(٦) سورة النور ، الآية (١) وقرأ " سورةً " بالنصب عيسى بن عمر الثقفي ومجاهد وأبو حيوة ، وقرأ الجمهور" سورةٌ " **تنظر في** : البحر المحيط لأبي المحيط (٦ / ٤٢٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٠٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٠٨).

(٧) قرأ بها الحسن ورويت عن أبي عمرو ، وقرأ " يَتْبَعُهُم " نافع ، وقرأ الباقون " يَتَّبِعُهم " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٤٨) ، حجة ابن خالويه (ص:٢٦٩) ، حجة أبي زرعة (ص:٥٢٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٩٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٧٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٧٤).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾

ذكر الوادي والهيوم لذهابهم في كل شعب ، ومدحهم من لا يستحق حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة ، وأبخل الناس على حاتم .

وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله [من الوافر] :

فبِتْنَ بِجانبَيَّ مُصَرَّعاتٍ وبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاقَ الخِتامِ[(١)]

فقال : قد وجب عليك الحدُّ . فقال : يا أمير المؤمنين، قد درأ الله عني الحد : ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[(٢)]. قوله :﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لما استثنى المؤمنين من الشعراء المذمومين ، وهم الذين لا يقولون شعرا يكسبون فيه إثماً ، وينظمون الحكم والآداب وينافحون عن النبي ﷺ وهم أربعة : عبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك .

﴿وَانْتَصَرُوا ﴾ على من ظلمهم وهجاهم من الكفار.

ختم الله هذه السورة بتهديد بليغ وهو ما في السين من قوله :﴿ وَسَيَعْلَمُ ﴾ وعمَّ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وما منا إلا من عصا ربه وظلم ، فعلى العاقل أن يجعل هذه الآية نصب عينيه ، والله سبحانه وتعالى أعلم . (١٦٠/ ب)

* * *

---

(١) البيت للفرزدق ، ينظر في : الأغاني للأصفهاني (١٠ / ٣٧٥) ، تاج العروس للزبيدي (غلق) ، تفسير القرطبي (١٣ / ١٣٧) ، روح المعاني للألوسي (١٩ / ١٥٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٤) ، لسان العرب (غلق).

(٢) ذكر القصة الزمخشري في الكشاف (٣ / ٣٤٤).

فهرس الجزء الأول

الموضوع الصفحة